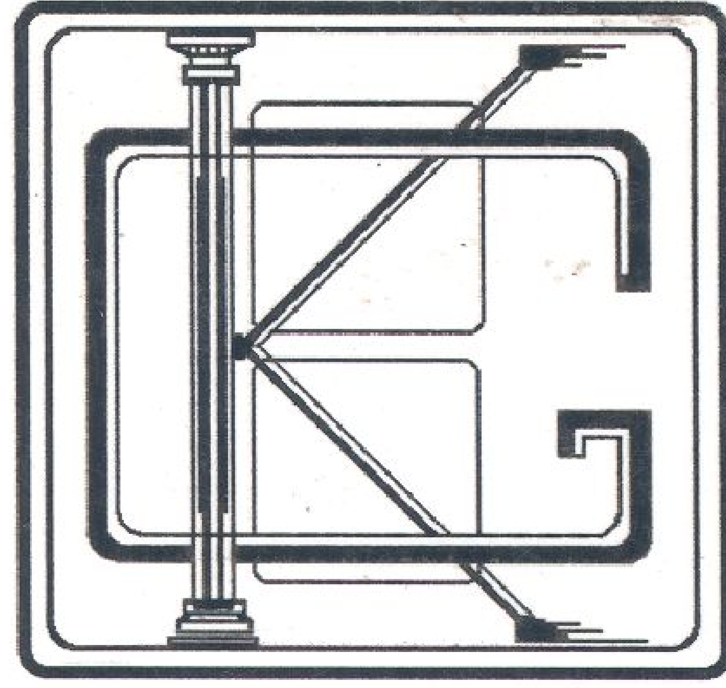
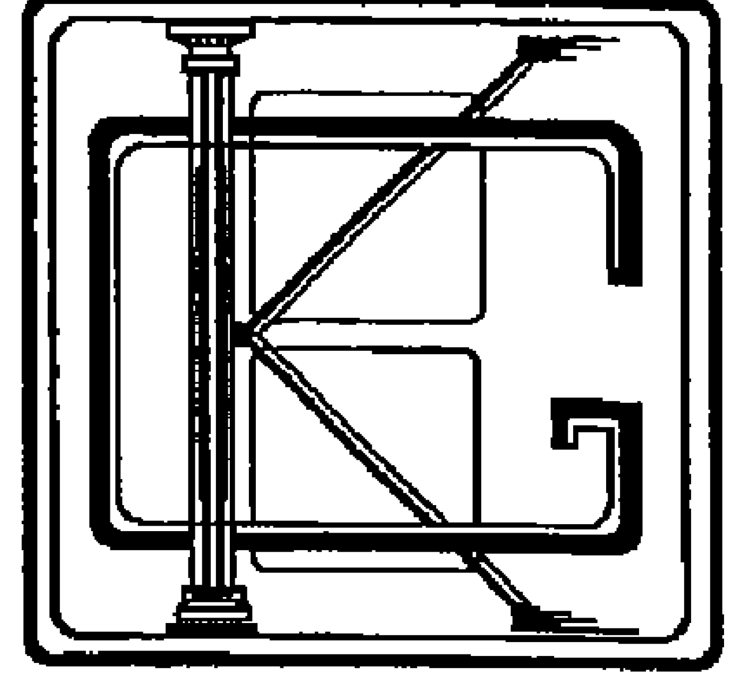


كتاب بقلم: د. جلال قرّاعة

الأَرْكَانُ الخَمْسُ

الحَقِيقَةُ الكَامِلَةُ

galalkorraa@hotmail.com
Alexandria Telephone : 3594983



كتاب بقلم: د. جلال قرّاعة

الأَرْكانُ الخَمْسُ

الحَقِيقَةُ الكامِلَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء.

إلى من أخرج الله به عباده من الظُّلُمات إلى النّور (صلّى الله عليه وسلّم).

إلى من أنزل الله عليه أفضل الملائكة المرسلين (صلّى الله عليه وسلّم).

إلى من حمل الهدى وأنار القلوب (صلّى الله عليه وسلّم).

إلى أمين من في الأرض وأمين من في السماء (صلّى الله عليه وسلّم).

إلى هؤلاء الرجال العظام الذين خلقهم الله عزّ وجلّ ليحملوا رسالة الرحمة إلى الخليفة الذي جعل على الأرض وليخرجونهم من الظُّلُمات إلى النور.

شهادة لهم أنهم بلّغوا ما عليهم وبيّنوا للناس مواقعهم من عبادة الله عزّ وجلّ، كما هو مُقدّر لهم. هؤلاء هم أنبياء الله تعالى ورسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى يوم الدين وعرفانا من العباد بنعم الله تعالى عليهم.

إليهم جميعا وعلى الأخص الخمسة أولى العزم الذين هم أعمدة دين الله القويم. هم الذين أتاحوا الفرصة أمام الخليفة الذي جعل الله عزّ وجلّ في الأرض حتى يعلم اليقين، وأن يتجه إلى الله تعالى من قلبه وعزمه إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ويشكره على هبة الحياة وعلى نعمه التي لا تُحصى، ويطلب رحمته في الدنيا والآخرة.

إنها رسالة الله تعالى إلى البشر ودعوته إلى تُقاته والتوبة إليه، من قبل أن يأتي يوم تزيغ فيه الأبصار حيث لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل. إلى حليم الله نوح ، وخليل الله إبراهيم، وكليم الله موسى، ورسول الله مرتين عيسى، ومصطفى الله محمد آخر الأنبياء وخاتم الرسل والرسالة، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى يوم الدين وبارك الله فيمن تبع كلّ منهم من قومه.

إليهم أُهدِيَ هذا الكتاب عرفانا منا بما لهم علينا من فضل عظيم. اللهم اقبل منا صلاتنا عليهم وشهادتنا لهم بالبلاغ يوم يقوم الأشهاد.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران

والله تعالى لا يقبل من عبده إلا التسليم الكامل لأمره سبحانه وهو الإسلام لله وحده.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ البقرة

اللهم واجعلنا من عبادك المُوحّدين المُصلّين الرّاكعين السّاجدين الصّائمين التّائبين الآمِرين بالمعروف النّاهين عن المُنكر الدّاعين إليك والحامِدين أنعُمك.

اللهم واجعلنا ممن يفدون على حوض نبيّك (صلّى الله عليه وسلّم) وتوفنا مع الصالحين الأبرار وقنا شرّ النّار، إنّه من وُقِيَ شرّ النّار فقد أوتى حظًا عظيمًا.

اللهم واجعل هذا الكتاب ذي نفعٍ وفائدةٍ واجعل أفئدةً من الناس تهوى إلى دينك القويم.

والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب (صلّى الله عليه وسلّم).

المقدمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنّ كثيرًا من الناس يجدون من الدين الحنيف من الثّقل بحيث لا يستطيع الإنسان متابعته في سهولةٍ ويسرٍ، وهذا ليس حقيقة، فالدين إنما هو يُسرٌ قبل كلّ شئ ولذلك يقول الله تعالى {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} فواجب الدين أن تعمل ما استطعت صادقا غير متخاذل لأن التخاذل يُعتبر جزءا من الاكتساب. ولأن النفس البشرية ضعيفة فلقد تسامح الله تعالى في كثير فهو سبحانه يقول عن النفس

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ (٢٨٦) البقرة

لأن الكسب الحلال هو رزق من عند الله أما ما اكتسبت فهو ما اعتدى به الإنسان في دنياه وهي فترة حياته في هذه الدنيا. ويدخل ذلك في الرزق أو العلم أو العبادة.

ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ (٧) الحشر

فهذا أمر الله تعالى بطاعة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) فيما أتانا به من دين قيّم وتعليم لنا وتأديب لأنفسنا ولقد أمرنا الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بالأخذ ما استطعنا منه بقوّة وعزم لأن الدين يسرٌ من الأساس.

***   قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم)، "إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوه." (عن حديث أبى هريرة متفق عليه)

فكان إذًا من الواجب أن يصدر كتاب فيه شرح مبسّط لتاريخ الدين الحنيف ويكون شاملا في غير مَلَلٍ لمن يريد أن يعلم في يُسر عن الدين القويم.

ولم يسبق أن نُشر مثل هذا الكتاب من قبل فيما يحتويه من المواضيع ولا ما يشمله من سردٍ لتاريخ دين الله الحنيف والذي لم يتغير منذ الأزل وإلى الأزل. يشمل هذا الكتاب قصة دين الله الحنيف من بداية الخلق وإلي ما بعد يوم القيامة والحساب في مواضيع مختصرة شاملة كاملة بدون إطالة في السّرد أو تفاصيل عميقة، ويحتوي علي عدّة كتيّبات:

١. البداية وفيها تقديم الله عزّ وجلّ وقصّة بداية الخلق.

سوى أن يتّجه بقلبه إلى الله سبحانه ويُفَرّغ قلبَه من كل ما يُغضب الله و يُسلمُ لأمر الله في الدنيا فييسّر الله له حُسن العبادة ويكافئه من عنده يوم يقوم الأشهاد.

و لذلك فإن الفرد لا ينبغي له أن يبتعد عن الرّباط في سبيل الله بكل ما لديه من عزم وقوّة.

ورباط المؤمن حقا هو ذكر الله:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ الرعد

فيشكر الله على ما وهبه من الرّزق وإن كان بسيطا، لأن العبرة ليست بمقدار ما أعطى الله من الرّزق الزّائل إنما العبرة بالتقرّب إلى الخالق والتسليم له سبحانه. وليس الرّزق الحقيقي هو ما عند الفرد من الماديّات فهذا كلّه مصيره إلى الزّوال، وإنما الرّزق الحق هو ما في قلب الإنسان من إيمان وحب لذات الله وحده والتمسّك بالعُروة الوُثقى أي الطريق القويم الصّائب.

ولقد عنيت أن تكون اللغة المستعملة في الكتاب مفهومة للجميع وليست التي تختص بالذين آتاهم الله من القدرة على استيعاب النص الفقيه. وفيه الوضوح أن رُسُل الله تعالى إلى الخلق جميعًا هم على دينٍ واحدٍ وليس عدّةَ أديانٍ، فما كان الله ليبعث الرّسل صلوات الله عليهم بأديان شتّى ولا ينبغي له. فجميع أنبياء الله تعالى هم رُسُل رحمة من الله العزيز الجبار إلى عباده ليفتح بهم أعينا ترى ويُرْشِدُ قلوبًا تتيقّن. والرسل رحمة من الله تعالى إلى العباد أنزلهم الله برحمة منه إلى الخليفة الذي جعله الله على الأرض.

و الله عزّ وجلّ قد أسم دينه الإسلام ولم يُسمّ بقية الأديان، وإنما الذين آسموها هم البشر أنفسهم:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۝١٩﴾ آل عمران

ومنْ أهل الكتاب مَن أسموا أديانهم بأنفسهم.

وليس المراد هنا هو شرح الدين والعبادة والتّبحّر فيه، فإن الكتب كثيرة ووافرة للذين يريدون متابعة ذلك والعلم به، وإنما المراد هو شرح ما أنزل الله وما توعّد به العباد من قصّة دين الله القويم في يُسرٍ وسهولةٍ واختصارٍ ووضوحٍ. ولقد أسمى الله دينه الإسلام و شهد الله أن محمدًا (صلّى الله عليه وسلّم) آخر الأنبياء وخاتم المرسلين، وأن القرآن الكريم هو آخر ما يُنزل الله عزّ وجلّ على العباد من رسالات وكتب. فقد تبين الرّشد من الغيّ وليس أمام العبد سوى الدّخول في دين الله القويم أو التوبة عما فيه الناس من مخالفةٍ لتعاليم الخالق

الواحدِ الجبار.

و لقد أعلمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن عودة المسيح عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلم) مرّة أخرى ليقتل الدّجّال وليُقيم دين الله تعالى في الأرض وأن المسلمين هم الذين سينصرونه ويؤيدونه وأنه سيكون إمامًا عدلاً، وأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من يكون على الأرض من المسلمين مُناصرة المسيح عليه السلام واتّباعه عندما يُبعث إن شاء الله تعالى.

ويُغطّي هذا الكتاب ذلك الموضوع الذي هو من علامات الساعة. وهنالك الكثير من الكتب التي تُغطّي قصص الأنبياء والسيرة النّبويّة الشريفة و التي تناولها هذا الكتاب في شرح بسيط وسرد مختصر وعما كان منذ بداية الخلق إلى آخر يوم القيامة.

والجديد في **هذا الكتاب** هو جزء الأركان الخمس والآية فيه بما في ذلك من معلومات قيّمة، ثم الجمع بين كل تلك المعلومات في كتاب واحد مختصر وبسيط.

وإذا ما اتّخذ الإنسان الدين بقوّة وعزم فسوف تصلح الأمور ويهدأ البال، ولا يصير الإنسان ملهوفا على السعي إلى ما فيه دماره. وليعلم الإنسان أن كلّ ما كان وما سيكون إنّما بقَدَر من الله تعالى وليس باستطاعة الفرد تغيير الأقدار، والرضا بالقدر من علامات العبادة والتسليم.

وليعلم الفرد أن خَلْقَ الإنسان ليس بأعظم من خلق السماوات و الأرض. و لقد ظهرت آيات الله تعالى في الأرض وفي السماء وفي الكون العظيم الذي يحوط بالإنسان، ولقد أعطى الله تعالى الإنسان من العلم الشيء العظيم ولكن ذلك العلم هو لا شيء يَذكر بالنسبة لعلم من عنده العلم كلّه سبحانه:

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ الإسراء

وأمر الله تعالى الإنسان أن يتعلّم و يُعَلّم ما تعلم، وما فائدة العلم إذا لم يتّصل بالخالق سبحانه!

ولقد خلق الله تعالى الأرض وجعل فيها رزقها وأعدّها على أحسن ما يكون لاستقبال الخليفة الذي جعله عليها. فجعل الرزق فيها بمقادير من قدَره وما كان الإنسان ليعلم شيئا إلاّ بما يسمح به الله تعالى. وأمّا عن خلق السماوات والأرض فالآية أكبر من ذلك وما تحتوى عليه يفوق الإعجاز الفكري.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ
تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ
جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

الرّعد

فهذا إعجاز الله تعالى البيّن. السماوات مرفوعة بعمد ولكنها عمد مختلفة عن العادة وهنالك فوق ذلك كلّه العرش الجليل العظيم والشمس والقمر مسخرين لفترة وأمد محسوبين بدقّة والله يوضّح الآيات ليتيقّن الإنسان من وجوده فيطيعه ويعبده حق عبادته فهو الذي يدبّر الأمر وإذا لم يكن ذلك كذلك لفسدت الدنيا واخترب الكون. ثم جعل الأرض مبسوطة سهلة وجعل فيها الجبال والماء ومن كلّ النّبات والحيوان أزواجا من ذكر وأنثى وينطوي النهار في آية الليل.

وجميع الأجرام السماوية التي يراها الإنسان في السماوات والتي يستطلع عليها ويريد معرفة الغموض الذي بها، ما هو إلا بمقدار نقطة ماء في المحيطات والبحار. فإن ما يراه الإنسان من الكون ما هو إلا من ناحية واحدة من الأرض التي نحن عليها وأما البقية فعليها حجاب من نورٍ فلا يراها الإنسان. وما كان من ناحية الشمس فلا علم للإنسان به وبما فيه. والأرض تدور حول الشمس مرة كل سنة وفي سرعة مذهلة هي أربعين ألف ميل في الساعة تقريبا، وتدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة وتبلغ سرعة دورانها عند خط الاستواء حوالي ضعفي سرعة الصوت وكذلك فإن جميع ما نراه من الكائنات السماوية تدور مع الأرض حول الشمس. ثم المجموعة الشمسية بكاملها في دوران حول محور آخر لا نعلمه، فيا لعظمة قانون الخالق سبحانه، فإنه فوق كل خيال. أما الأبعاد بين المجموعات الكونية فإن العلماء يقيسونها بالسنوات الضوئية، والتي تُحتسب على أساس أن سرعة الضوء هي مائة و ثمانين ألف ميل في الثانية والدقيقة ستون ثانية والساعة ستون دقيقة واليوم أربعة وعشرين ساعة والسنة ثلاثمئة وخمس وستين يوما. ويُخبر العلماء بأن هنالك من الأجرام السماوية ما يبعد عن الأرض مليارات من السنين الضوئيّة. ولكن المؤمن بالله تعالى على علم بأن هنالك ما هو أسرع بكثير من سرعة الضوء، وهو نزول الملائكة من فوق السماوات السبع إلى الأرض و العودة إليها في أقل من طرفة عين. وفي هذا تتبدّى لنا قوّة الخالق الجبار

سبحانه الذي يقول للشيء {كُن فَيَكُونُ}.

وجميع تلك النجوم والكواكب في حركة مستمرّة بدون توقّف. وكل مجموعة من مجموعات الكون الكبيرة تسبح في الفضاء وهي في ذات الوقت تسبح حول بعضها البعض. ولن يعلم الإنسان ما سرّ القوة العظيمة التي تجعل الأرض التي عليها الحياة تدور حول نفسها ولا القوّة التي تجعل القمر في دوران حول الأرض والذي لا يدور حول نفسه.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ الزمر

وذلك الغلاف الجوى الذي على الأرض من أعجب ما يكون وليس له وجود على سطح القمر. وبعد هذا كله:

وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ يس

وهذا ما أثبته اكتشاف العلماء ومن عهد ليس بالبعيد. فيا لعظمة الخالق الجبّار في تلك الآيات العظام.

ومن آيات الله تعالى العظيمة، الأرض التي وضع الله تعالى خليفته عليها والتي عليها الحياة الآن: فعند بداية تكوينها استمرت درجة الحرارة عليه ألفين درجة حزارية لمدّة خمسمائة مليون سنة لم تتغير، وفي تلك المدّة أخذت الأرض في التفاعل المستمر والذي كان من نتيجته أن ذهبت المعادن المنصهرة الثقيلة الوزن إلى قلب الأرض، وأخذت تدفع بالمواد الأخرى التي ليس لها نفس الكثافة إلى أعلى، ثم أخذت القشرة التي عليها الحياة الآن في البرودة.

و ما بين القشرة الباردة و بين القلب المنصهر من الأرض طبقة من ألف وثمانمائة ميل من المعادن والمواد الأخرى التي تقارب درجة حرارتها درجة حرارة الانصهار. فهي طبقة ليست سائلة كل السيولة وليست صلبة كل الصلابة، وعليها تطفو القشرة الباردة التي عليها الحياة الآن. وحافظت الأرض على حرارة الباطن الغير معلومة على ما كانت عليه حين دحاها الله تعالى قبل مليارات من السنين. وأما القشرة الباردة فليست طبقة واحدة صلبة وإنما تتكون من عدة طبقات مختلفة التكوين بعضها يعلو الآخر وقد تكون غير متجانسة، وما زالت تتفاعل رغم مرور آلاف الملايين من السنين عليها، وسوف يظل التفاعل فيها إلى

ما شاء الله. وجميع المواد التي تتكون منها الأرض هي في الأصل من المواد الغازيّة، وكذلك جميع المواد التي منها الأجرام السماوية هي من أصل غازيّ كما الأرض. وجميع تلك القوة التي تحفظ بها الأرض ما عليها هي القوة المغناطيسية والتي تُسمّى الجاذبية الأرضية، وهي التي تحافظ بها الأرض على الطبيعة التي عليها بقدرة الخالق سبحانه.

والغالب أن هنالك حياة أخرى ولكنها بعيدة عن معرفة الإنسان الآن، وإن كان الله سيأتي بعلمها لنا فهذا من شأنه. والمعروف أن العلماء يخبرون عن وجود أراضيّ أخرى أو مجموعات شمسية أخرى قد تحتوي على كواكب أرضيّة أخرى حول الشمس حُجبت عن الرؤية بضوء الشمس وأن وجودها لازم لعمل توازن مع وجود هذه المجموعة الشمسية التي نعلمها، وهي ما زالت نظريّات لا يقين عنها بعد. والواجب الآن على هذا الخليفة الذي وضعه الله على أرضه، أن يُسلم نفسه وأمره إلى الله تعالى و يتجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له ويُؤمن به ويعبده حق عبادته وإلاّ فما فائدة العلم إذا كان ذلك يُبعد الخلق عن الخالق سبحانه؟

فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٥٠) الذاريات

وإن من الإنسان لأربعة فِئات:

الفِئة الأولى وهو الفرد المؤمن الذي يبدو للآخرين أنه مؤمن بالله العلي القدير وهو على ذلك. وهو الذي يسلك الطريق القويم ويُعطي كل ذي حق حقه، وهو في ظاهره كما في باطنه. وهذا النوع من البشر هو قليل وعادة ما يكون من غير الميسورين أو الفقراء ومنهم الفقهاء الذين يتبعهم الكثير من الناس. وهو يراعى الله تعالى في كامل شأنه وهو المؤمن الخالص الإيمان.

الفئة الثانية وهو الفرد الذي يبدو للناس أنه مؤمن في ظاهره ولكنه في الباطن غير ذلك. وهو يأتي العمل الصالح فيما يبدو للناس وهو في الباطن ليس كذلك، فيُكبرُونه في الدنيا لأن الناس لهم الظاهر الذي يعلمونه وليس لهم الباطن الخفيّ، وأما في الآخرة فليس له من ينصره من غضب الله عزّ وجلّ وهو المنافق.

الفئة الثالثة هو الفرد الذي يبدو للآخرين وكأن لا عمل صالح له، لأن أعماله الصالحة كلها في الباطن ولا يراها الناس. فهو عبد مؤمن صالح و لكن الناس يأخذون الأمر بظواهره، فهو مغلوب في الدنيا ومنصور في الآخرة وهو المرابط في سبيل الله.

الفئة الرابعة وهو الفرد الذي ظاهره باطل وداخله باطل لا يُخفيه عن الناس والناس

يعتبرونه تسلية لهم ويأخذون في النكات عليه. ومن أجل هذه الفئة أرسل الله الأنبياء والرسل، ولو أنهم أرسلوا للناس جميعا، إنما اختصوا بهذه الفئة. ومن العجب حقا أن هذا النوع من الناس إذا انقلب إلى الله تعالى فإنه ينقلب عكس ما كان عليه تماما، ولا تأخذه في الله لومة لائم، و يُظهر ورعه وينتهي عن الشر ويُصبح مثلا لكل من كانوا على شاكلته قبل أن يتوب إلى الله وهو التائب المُنقلب إلى الله تعالى.

***   قَالَ النَّبِيُّ (صلّى الله عليه وسلّم)، "إِنَّ النَّاسَ أَرْبَعَةٌ وَالأَعْمَالَ سِتَّةٌ، فَالنَّاسُ مُوَسَّعٌ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمُوَسَّعٌ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَقْتُورٌ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ، وَمَقْتُورٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مُوَسَّعٌ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَشَقِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَالأَعْمَالُ مُوجِبَتَانِ: وَمِثْلٌ بِمِثْلٍ، وَعَشَرَةُ أَضْعَافٍ وَسَبْعُمِائَةُ ضِعْفٍ. فَالْمُوجِبَتَانِ: مَنْ مَاتَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ مَاتَ كَافِرًا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ قَدْ أَشْعَرَهَا قَلْبَه وَحَرِصَ عَلَيْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبُ عَلَيْهِ وَمَنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ وَاحِدَةٌ وَلَمْ تُضَاعَفُ عَلَيْه، وَمَنْ عَمِلَ حَسَنَةً كَانَتْ عَلَيْهِ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَمَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ لَهُ بِسَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ." (عن خريم ابن فاتك الأسدي رواه أحمد والنسائي والترمذي)

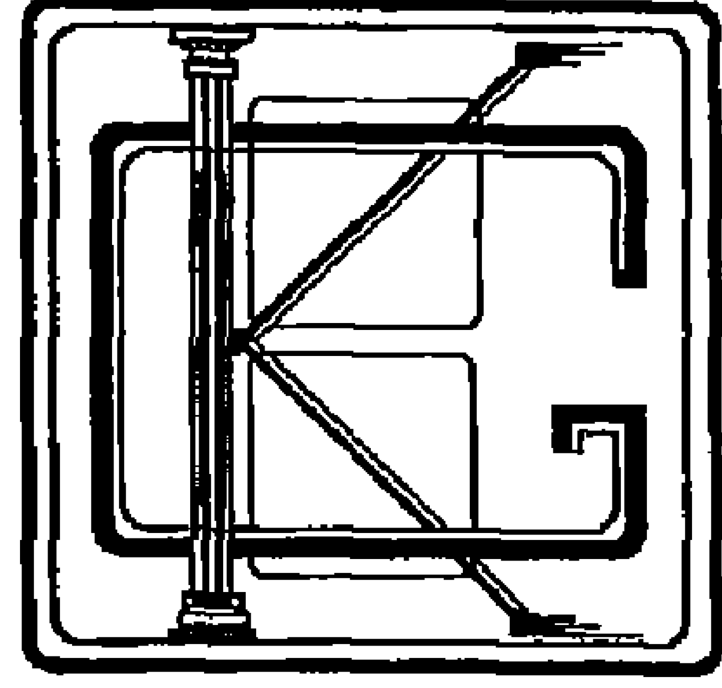
و لقد نسّقت كتابة مواضيع هذا الكتاب حتى أستطيع أن أتقدم ببعض الإفصاح عما يجتاح شعور البعض من الرّيبة، أو التزعزع عن الإيمان بالله تعالى ودينه القيّم. عسى أن يُرشد به الله عزّ وجلّ بعض القلوب و يُحفّزها على اغتنام الفرصة السانحة للتوبة والتحقق من أمر الدين الحنيف، دين الأنبياء و الرّسل جميعا عليهم أفضل الصّلاة والسّلام.

و الله تعالى أدعو أن يوفق القارئ لما فيه الخير. وعلى أنه عمل ليس بالخفيف و ما التوفيق إلاّ من عند الله، ولأن انتفع منه البعض فالحمد لله العلي القدير على التوفيق فهو من عند الله إذاً، وإن كان غير ذلك فهو منّي وعليّ، و الله يغفر لي فهو أعلم بقصدي من كتابته.

اللهم اكتبنا من عبادك و يسّر لنا حسن عبادتك و توفنا مع الصالحين الأبرار. والصلاة والسلام على سيدنا محمد آخر الأنبياء وخاتم المرسلين. والحمد لله العلي القدير.

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة

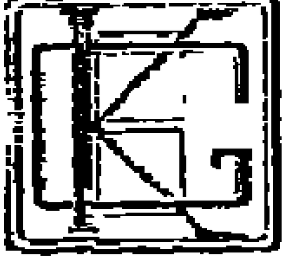


كتاب بقلم: د. جلال قرّاعة

الأَرْكانُ الخَمْسُ

الحَقِيقَةُ الكامِلَةُ

galalkorraa@hotmail.com
Alexandria Telephone : 3594983



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله.

له وحده الحمد كلّه. نستعينه ونتوب إليه ونستغفره. والله أكبر ولله الحمد.

هو الله لا إله إلاّ هو سبحانه.

هو الأول والآخر سبحانه وتعالى اسمه.

هو الرحمن الرحيم تبارك وجلّ في عظمته.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ سورة الحشر

البداية +

الله جل جلاله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ الفاتحة

كان الله تعالى قبل كل شيء. ولا علم لنا سوى ذلك عنه سبحانه وتعالى.

وهو الله الحيّ الذي لا يموت.

وهو الله القيّوم القائم على كل شيء.

وهو الله على كل نفس بما كسبت شهيد.

وهو الله خالق كلّ شيء، ولا وجود إلاّ لمن خلق الله سبحانه ولا خالق سواه.

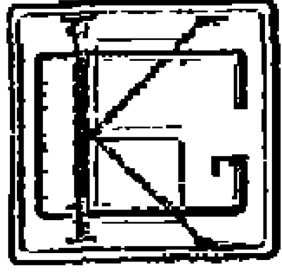
وهو الله الذي خلق الموت والحياة.

وهو الله ملك اليوم الآخر ومالك كل شيء في علمنا وخارج عن علمنا، فلا علم لنا سوى ما علّمنا الله سبحانه وتعالى.

وهو الله الذي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية.

وهو الله الذي لا يغلبه النعاس ولا ينام ولا يستريح ولا ينبغي له ذلك.

وهو الله الذي لديه الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه.



وهو الله الذي لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه.

وهو الله الذي أحاط علمه كل شيء وحصره ووسعه.

وهو الله الذي له جميع الكائنات من ماض وحاضر ومستقبل.

لا يطّلع أحدٌ على شيء من علمه إلا إذا شاء الله سبحانه الذي له وحده العلم كله.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ البقرة

هو الرحمن الرحيم خالق كل شئ.

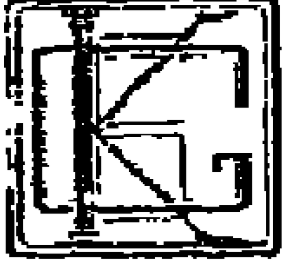
كل الذي نعلمه ولا نعلمه هو من خلقه، ولقد أحسن ذلك وأبدع سبحانه. خلق سبع سماوات طباقا والأرض سبع أراضيّ، وخلق من النجوم ما لا يحصره ولا يلم به أحد من خلقه لا في السماوات ولا في الأرض إلاّ الذي أذن له الرحمن، ولا يعلم العلمَ كلّه إلا هو وحده سبحانه. وذلك دلالة علي قدرة الخالق سبحانه :

في العلم والغيب والوجود والروح والنفس والقوة والقدرة والعظمة والجاه والملك والعرش.

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ الطلاق

خلق الله تعالى السماوات السبع والأرض في ستة أيام، وليست أيام الله كأيامنا التي نعلم، فهو خالق الوقت وتقديره له وحده سبحانه. وقدّر في الأرض أرزاقها في أربعة أيام، و جعل فيها ماء و أرسى فيها الجبال الشامخات، و بارك لها أقواتها و جعل فيها الهواء و سيّره رياحا في شتى الاتجاهات، و جعل فيها نارها و نورها.

۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي



كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فصلت

خلق الله تعالى الليل والنهار على أكمل ما يكون أبدع من ذلك لا يكون، وجعل الشمس آية النهار والظلام آية الليل، وأضاء الليل بقمر نوره فيه بردٌ وسلام للناظرين. وجعل حرارة الشمس دفئ ليثبت به الحياة، وهو الخبير الذي لديه الخبر كله والعليم الذي لديه العلم كله لا يناهزه أحد سبحانه وتعالى.

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ابراهيم

وأنزل من السماء ماءً وجعله في خزائن الأرض وهو من تحت عرش الرحمن عزّ ربنا وجلّ.

وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴿٧﴾ هود

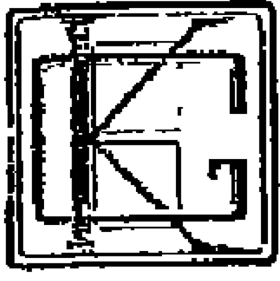
والماء وهو سبب الحياة بدورته المستمرة دون توقف، من ماء بحر غور لا ينتفع به أهل الأرض فيتبخر فيصير سحابا ثم تدفعه الرياح إلى ما شاء الله من أرض ويتنزل مطرا عليها فتنمو وتربو وتتكوّن الجنان والبساتين ويشرب الحيوان والإنسان وجميع المخلوقات ثم جعل في الأرض من النبات والحيوان من كل زوجين اثنين.

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ الذاريات

وبناء السماء أي خَلْقُها على أطوار بسعةٍ وعلمٍ من عنده وجعل الأرض كالبساط المفروش ومهّدها ويسّرها لتخدم خلقه من الحيوان والبشر وله الحمد والفضل كله عزّ ربّنا وجلّ. كل ذلك إنما خلقه الله تعالى بكلمة منه سبحانه، إنما إن أراد شيئا أن يقول: كُن فَيَكُونُ – وهي كلمة الله تعالى هي القدر الذي لا يُردّ والتي بها يَخلق كل شيء.

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ البقرة

حصر في علمه كل شئ وأحصاه فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وأحصى كل شئ عددا.



هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ الحديد

ولا يعلم الغيب إلا هو سبحانه ولا يستطيع أحد التنبؤ بما هو كائن إلا بإذن منه.

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ لقمان

فهذه خمس هُنّ من علم الله وحده عزّ وجلّ، ولا يصل أحد إلى علمها.

فلديه علم الساعة أي موعد قيامها (نهاية العالم) ولا يطلع عليه أحد من خلقه أبدا.

وهو ينزل الأمطار ، التي هي سبب الأرزاق والحياة على الأرض بِقَدَر من عنده.

ويعلم ما تحتوى عليه الأرحام جميعا من إنس وجان ودواب وطير وزحّافات ونبات وجميع المخلوقات من ساعة الخلق إلى نهاية العالم وقيام الساعة.

ولا يعلم إنسان أبدا ما سيكون له من رزق في المستقبل إذ لا علم لأحد عن ما يصيبه في ليله ونهاره وساعته من مرضٍ أو حادثٍ أو تحوّلٍ في الأرزاق التي تعتمد في وصولها على عواملٍ عدّة ليست تحت طاعة أحد من الخلق.

ولا علم لأحد عن موعد وفاته إذ الأعمار بيد الله وبقدرٍ محسوبٍ، وإذا جاء الأجل فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، لا عجلة فيه ولا أجل بل قضاء من الله تعالى.

ولا يعلم أحد موضع الأرض التي سيتوفاه فيها ملك الموت، إذ أن الله سيجعل حاجته إليها إن لم يكن بها فسيصير إليها لا محالة.

كل ذلك من أقدار الله تعالى وبحكمة عليا منه سبحانه. ولأنه خالق كل شئ فهو الموكل عليها وحده سبحانه في العمر والصحة والخلقة والرزق والأقدار.

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ الزمر

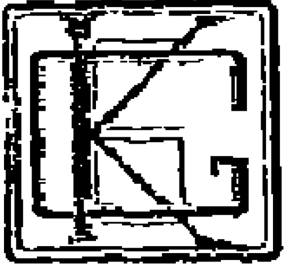
أما عرش الرحمن عزّ وجلّ شأنه فهو فوق ذلك كلية ولا علم لمخلوق به إلاّ بإذن الحق تعالى.

وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴿٧﴾ هود

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴿١٥﴾ غافر

ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ البروج

فالعرش إذاً أمرٌ عظيمٌ جليلٌ.



******* عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:

"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةِ أَعَدَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَوْ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ. (جزء من حديث أبي هريرة رواه أحمد والبخاري وروى الترمذي مثله)

******* عن أَبي ذَرٍّ (رضي الله عنه) أَنَّه سَأَلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) عَنْ الْكُرْسِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمْ):

"وَالذِي نَفْسِيَ بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلاَّ كَحَلَقَةٍ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ."

(رواه أبو بكر ابن مردويه وتدعمه أحاديث تحمل ذات المعنى)

وبدون الماء لا توجد حياة ولا تنعم المخلوقات ولا تكون الأرض إلاّ صحراءً غوراً جرداءً ميّتةً.

وجعل كل شيء به حياة من الماء، فبدون الماء لا حياة للمخلوقات.

وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿٣٠﴾ من الآية سورة الأنبياء

ولقد قدّر الله تعالى كل شئ وجعل علمه غيبا عن جميع خلقه وكتبه في كتاب لا يضل فيه أمر صغير أو كبير. وذلك هو اللوح المحفوظ:

فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ البروج

ولا ينبغي لأي مخلوق كان أن يطلع على ما فيه إلا بإذن من الله تعالى.

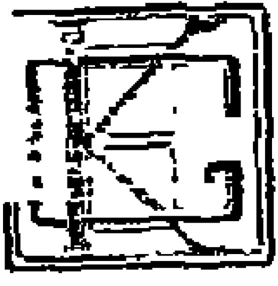
قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ طه

وذلك هو القدر المقدور من الله سبحانه وهو مكتوب في كتابٍ مُبينٍ محروس.

******* عن عبادة ابن الصامت (رضي الله عنه)،

قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمْ):

"إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم، ثُمَّ قَالَ لَهُ اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ." (رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى)



والله تعالى هو الطيب الذي لا يقبل إلا طيبا وله الأسماء الحسنى جميعا والله تعالى يحب من عباده أن يسبحوه بها ويذكروه ويشكروه.

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ الإسراء

ولقد أحسن الله عزّ وجلّ كل شئ تكوينا وألهم ما خلقهم تسبيحهم له، فهم يسبحونه أبدا. وخلق الطّيب والسّيئ واللّئيم، الملائكة والإنس والجان، وكلٌّ له عالمه. ولقد خلق الله تعالى الأرض وأقر فيها رزقها وجعل فيها ما نعلم وما لا نعلم، وجعل فيها من العوالم ما لا حصر له، وذلّلها بخيرها وشرها تمهيدا ليجعل عليها خليفة من خلقه ليعمر الأرض ويكتشف ما أعدّ الله فيها من نِعمه التي لا حصر لها ويتأمل الكون من حوله وليكتشف ما فيه مما أنعم الله عليه من علمٍ عزّ ربّنا وجلّ.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ النحل

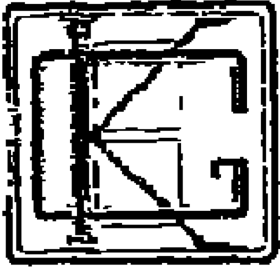
كل شيء لديه بحساب وقدر، فالنجوم والشمس والقمر جميعها مسخرات لأمره بقوانين من لدنه، ليعلم الخلق علم الحساب والفلك، عزّ ربّنا وجلّ.

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ هود

فلقد خلق الله تعالى هذه العوالم الكثيرة وقدّر أرزاق الجميع من أصغر كائن حيّ إلى ما لا علم لنا به. فالكلّ يرزقه الله تعالى بقَدَرٍ منه سبحانه. والله تعالى لا يخلق من لا رزق له ولا يرزق من لا يُخلق، وقد يرزق عالماً ليمد به الرزق للعوالم الأخرى تبارك ربّنا وجلّ شأنه، وذلك في جميع الأرزاق ولجميع الكائنات وفي كل الأوقات دوماً بلا توقف دون كللٍ ولا مللٍ.

*** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:



"أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ." وَقَالَ:

"يَدُ اللَّهِ مَلأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ." وَقَالَ:

"أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَق مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ! فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ." (رواه البخاري)

ثم أعلم الله تعالى الملائكة بأنه خالق بشرا وسيجعله خليفة على الأرض، أي يخلُف بعضهم بعضا، وأنه سيكون منهم أنبياء ومرسلين وأن منهم من هو راض وعابد وصالح ومن هو دون ذلك، وأطلعهم عما سيكون من هذا المخلوق والله تعالى أعلم. وكان ذلك إعلامٌ لهم وحِكمةٌ منه عزّ وجلّ تمهيدًا لهم حتى يُكلّفهم بواجباتِهم التي هي جزء من اختصاص بعضٍ منهم المكلفين بشؤون هذا الخليفة الذي جعل له الأرض مقاما ومماتا وبعثا.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ البقرة

وذلك إعلامٌ لهم وحِكمةٌ منه عزّ وجلّ تمهيدًا لهم حتى يُكلّفهم بواجباتهم.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ الحشر

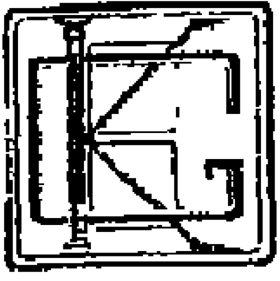
ليس كمثله شئ، وهو من الأزل وإلي الأزل وهو لا ينام ولا يستريح ولا ينبغي له.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمْ):

"إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، وحِجَابُهُ النُّورُ أَوْ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سَبحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُه" (عن أبي موسى رواه أحمد ومسلم)

والمعنى أن الله تعالى لو كشف حجابه على المخلوقات لأُحرقوا جميعا و أُبيدوا لأن بصره تعالى يدرك ويتناول كل شيء خلقه كل الوقت بلا توقفٍ ولا كللٍ.

وهذا هو أساس الإيمان بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفُوًا أحد فهو الخالق، الرازق، الحميد، المجيد، جلّ جلاله.



الملائكة +

الملائكة خلقهم الله تعالى جنودا مجندة وهم في طاعته مخلصون وعلى صلاتهم وتسبيحهم دائبون لا يَفْتُرون ويفعلون ما يُؤمرون.

وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ الأنبياء

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

"مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلاَ شِبْرٌ وَلاَ كَفٌّ إِلاَّ وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالُوا جَمِيعًا سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ إِلاَّ أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا." (من حديث جابر ابن عبد الله رواه الطبراني)

والملائكة لا يخالفون أمرا ولا يقصّرون في واجباتهم، ولا إرادة لهم، إذ أن إرادتهم إلهام من الله سبحانه وتعالى. ويخلقهم الله تباعا حسب الواجبات التي تُوكّل إليهم وليس لأحد علم أنهم يتناسلون أو يتزاوجون.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ فاطر

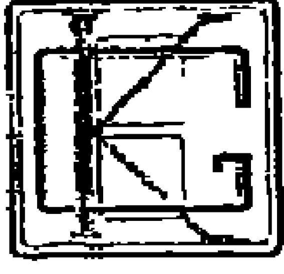
فهم في مجتمعاتهم وواجباتهم في عالم الغيب بالنسبة إلى معرفتنا والعلم عند الله تعالى. وهم مخلوقون من نور، خالصين صالحين، ومنهم القوى ومنهم من هو دون ذلك. ثم إن منهم رسلٌ مُكلّفون من الذات العليا رحمة من لدنه للعالمين.

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ الأنبياء

وهذه بعض من الملائكة العظام المكلفين بعظائم الأمور.

*** **جبريل** (عليه السلام)، وهو رسول الله تعالى إلى أنبيائه المكرمين وهو قوي البطش عظيم القوة أمين الأداء، وبقية الأمور المكلف بها في علمه سبحانه.

ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ التكوير



******* **ميكايل** (عليه السلام)، وهو مكلف بالرياح والأمطار وما في الأرض من خيرات ورزق وهو قوي البطش عظيم القوة أمين الأداء، وبقية الأمور المكلف بها في علمه سبحانه.

******* **إسرافيل** (عليه السلام)، وهو مكلف بالنفخ في الصور (القرن) وهو قوي البطش عظيم القوة أمين الأداء، وبقية الأمور المكلف بها في علمه سبحانه.

******* **عزرائيل** (عليه السلام)، وهو مكلف بقبض أرواح العباد وهو قوي البطش عظيم القوة أمين الأداء، وبقية الأمور المكلف بها في علمه سبحانه.

******* **مالك** (عليه السلام)، وهو مكلف بحفظ النار (جهنم) وهو قوي البطش عظيم القوة أمين الأداء، وبقية الأمور المكلف بها في علمه سبحانه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ التحريم

******* **رضوان** (عليه السلام)، وهو مكلف بحفظ جنة المأوى وهو قوي البطش عظيم القوة أمين الأداء، وبقية الأمور المكلف بها في علمه سبحانه.

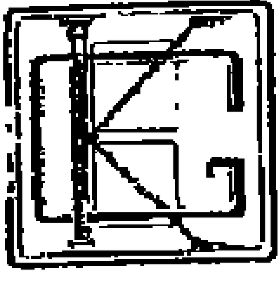
* وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران

وهذه أسماء الملائكة العظام التي سمح الله تعالى لنا بمعرفتها ولو شاء لأطلعنا على أكثر من ذلك، وواجباتهم هي على سبيل المعرفة لا الحصر له الحكمة العليا عزّ ربّنا وجلّ.

والملائكة جنود الله تعالى :

وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴿٣١﴾ المدثر

والملائكة مخلوقات مكلفة وهم من جنود الله تعالى ولهم عالمهم الخاص بهم ولا علم لهم إلا ما علمهم الله ﷻ، ومنهم الحفظة ومنهم الشهود ومنهم الكتبة الذين يكتبون أعمال الخلائق ومنهم فتاني القبور (ناكر ونكير) ومنهم من لا علم لنا به. وهم مثل كافة المخلوقات، خُلقوا لعبادة الله وحده، ولا إرادة لهم في غير ما كُلّفوا به ولا يستطيعون سوى الطاعة لله وحده فسبحان الله العلي القدير العظيم.



وخلقت الملائكة من النور بعلم من الله وحده سبحانه.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم):

"خُلِقَتْ الْمَلاَئِكَةُ مِن نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ." (عن عائشة رواه الإمامان أحمد ومسلم)

الجان. ومنهم إبليس. (لعنه الله) +

الجان عالم آخر من العوالم التي خلقها الله سبحانه، خالق كل شئ وله الحكمة العليا، وخلقت الجان من النار وهي نارٌ صافية.

وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ الحجر

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ الرحمن

وهم مخلوقات لهم الإرادة الحرة ولهم عقل للتفكر في خلق الله تعالى. وقد خُلِقوا لعبادة الله وحده جل شأنه. شأنهم في ذلك كبقية المخلوقات، إلا أنهم يستطيعون المعرفة والطاعة والعصيان. وهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويتناسلون. (يتكاثرون)

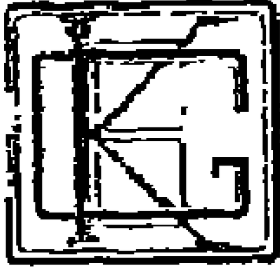
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ الكهف

ومنهم من أطاع الله ومنهم من عصاه. وأساس العصيان فيهم هو إبليس عليه اللعنة. فإن منهم من أطاع إبليس ومنهم من لعنه مع اللاعنين.

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ الجن

عندما نزل القرآن على سيدنا محمد (صلّى الله عليه وسلّم) كان الجان ينصتون، فالذين استمعوا منهم إلى قول الحق سبحانه آمن واتبع سبيل الرّشد واستقام أمره وابتعد عن الشيطان الرجيم ولعنه مع اللاعنين.

أما إبليس فكان في طاعة الله في السماوات العلي، ويقال أنه كان يسابق الملائكة في عبادة



الله تعالى، حتى أنه لو كان الحسد معروفا فإنه كان ليُحسد من كثرة عبادته، إلا أن الله الخبير العليم كان يعلم أن كل ذلك إنما لينافق به الملائكة ويتفاخر عليهم. إلى أن خلق الله تعالى الإنسان (آدم)، انقلب إبليس على عقبيه وعصى الله تعالى وأصرّ على عصيانه ولم يلجأ إلى التوبة، فأصبح عماد الخاسرين وسيد المضللين. ولذلك سمي شيطان.

والشيء إذا تشيطن خرج على القانون المألوف وأصبح المضاد له.

*** لم يكن (أي إبليس) من الملائكة طرفة عين، وأنه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر. (عن الحسن البصري)

*** فلما أراد الله خلق آدم ليكون في الأرض هو وذريته من بعده وصور جثته منها، جعل إبليس وهو رئيس الجان وأكثرهم عبادة إذ ذاك، وكان اسمه عزازيل يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك. وقال، أما لإن سلطت عليك لأهلكنك ولإن سلطت عليّ لأعصينّك. فلما أن نفخ الله في آدم من روحه وأمر الملائكة بالسجود له، دخل إبليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال، أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. فخالف الأمر واعترض على الرب عزّ وجلّ، وأخطأ في قوله وابتعد عن رحمة ربه، وأنزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته، وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم، لأنه مخلوق من نار وهم من نور، فخانه طبعه في أحوج ما كان إليه ورجع إلى أصله الناري.

(قالها شهر ابن حوشب وغيره في باب خلق الجان وقصة الشيطان لابن كثير)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴿٥٠﴾ الكهف

وذلك لأن إبليس لم يكن من طبيعة الملائكة فعصى الأمر بالسجود.

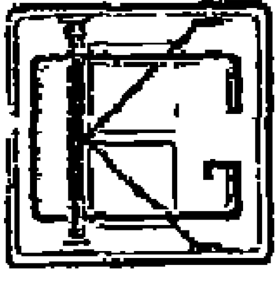
فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ص

وكل من اتبع سبيل إبليس سُمّي شيطانا، لأنه بذلك يكون خارج عن طاعة الله تعالى.

وإبليس له جنود مجندة لِيُبْلِسُوا عباد الله ويُضلُّونهم عن السبيل السّويّ.

الإنسان +

الإنسان خلقه الله تعالى فأصبح أحد العالمين من الخلق، وواجبه مثل جميع خلق الله تعالى هو عبادة الله جلّ وعَلَى. وامتاز الإنسان عن الملائكة بصفة خلقه، فهو يستطيع التعامل مع



عالم الماديات الذي جعله الله تعالى في الأرض. وقد أُعْطِيَ الإنسان عقلا، فهو يستطيع التمييز بين الطيب والخبيث، وألهمه الله تعالى في نفسه كل شئ، من التقوى إلى العصيان إلى الفجور.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ الشمس

ولقد أعطاه الله ﷻ حريّة الإرادة والإختيار، فهو بذلك شبيه بالجان، إلا أن الله تعالى امتازه عن الجان أيضا بطبيعة خلقه. فكونه مخلوق من المواد الأرضية (التراب) فهو يستطيع أن يستكشف ويعلم ويستثمر علمه في عمار الأرض التي جعله الله تعالى عليها لعمارتها بما يعبد الله سبحانه وأنه سيعمل لدنياه ولآخرته في ذات الوقت معا.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ المؤمنون

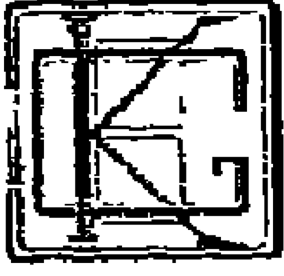
وهذا تطوّر خلق الإنسان، بدأ الخلق من الطين وهو سيدنا آدم عليه السلام، ثم جعله يبدأ من نطفة، وهو ما يودع الذكر في الأنثى، فجعله في قرار مكين وهو رحم الأنثى، ثم جعله علقة مع بويضة الأنثى، ثم جعل العلقة مضغة بدأ التطوّر، ثم صارت المضغة عظاما، ثم كُسيت العظام عصبا ولحما وجلدا، إلى أن يكتمل الجنين على هذه المراحل العظيمة فتأتي ثمرة معجزة الإنجاب العظيم. فيالعظمة الخالق تبارك وتعالى.

وفي الأرض يتعامل الإنسان مع الطبيعة والبيئة التي هو جزء منها ويستطيع التطلّع إلى الآفاق ليرى آيات الله سبحانه، وليس ذلك فحسب إنما الآيات في ذات الإنسان، في الحياة وفي الولادة وفي المرض وفي الصحة وفي الرزق وفي العمر، ثم في النفس ذاتها التي تحمل الكثير من المتناقضات فإذا هُذّبت أصبحت طائعة مُطيعة مُطمئنة، فيزداد خشوعا وتقوى ولجوءا إلى الله عزّ وجلّ.

سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴿٥٣﴾ فصلت

وعليه ألا ينسى حظه من الدنيا، لأن الدنيا لها واجبات ومنها العمل والعلم والإقبال على الحياة بقلب مؤمن صادق ووفي، فيعيش دائما في رغبة ورهبة في رحمة الله تعالى.

ولكن الإنسان سقط معظمه إلى الهاوية ببعده عن معاملته مع الخالق. عصى واستكبر وتكبر



وتجبّر وظلم القوى الضعيف والغنيّ الفقير وركب المتكبر منه آلات العنف والطغيان.

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ابراهيم

وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ الكهف

وأصبح الإنسان بأمس الحاجة إلى العودة إلى الله تعالى والانتشار في توبته ورحمته. والتوبة إلى الله تعالى مفتوح أبوابها على مصراعيها ولا تقفل إلا ساعة أن يرى الإنسان العذاب فيقبل على التوبة أو بعد أن يرى ملك الموت ساعة لفظ الحياة. فإن الله العلي، غافر الذنب قابل التوب، للذين يعودون إلى الله من قريب ويمتنعون عن مزاولة ما حرّم الله تعالى على العباد. إنه لمن المؤسف حقا أن ينسى الإنسان حق الله عليه ولا يزاول العمل الذي من أجله خُلق. والإنسان هذا المخلوق من الطين والذي فضّله الله تعالى الخالق الوهاب على كثير من خلقه ليس له إلا الرجوع إلى الله الغفور الرحيم ليتوب عليه ويغفر له ذنبه ويعده الله من لدنه عطاءً وافراً سبحانه.

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ الرحمن

فأصل خلق الإنسان من الصّلصال الذي تطوّر فخّارا أما الجان فأصلهم من النار.

وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ الحجر

و أصل خلق الإنسان من الطين اللازب الذي صار فخاراً وحمأً مسنوناً ونفخ الله فيه من روحه. وهو مخلوق لعبادة الله وحده وهو واجب عليه أوّل ولولاه ما خلق وإذا أخلف ذلك فله عذاب ما بعده عذاب، أما إذا وافق ذلك فله الخير الوافر العظيم.

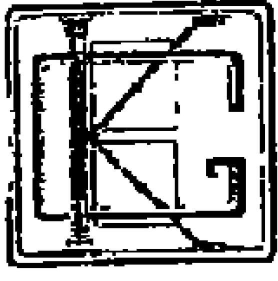
وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ الذاريات

فحق الله على العباد أن يعبدوه لا يُشركوا به شيئا، وأن يتواصوا فيما بينهم بالعدل والعمل الطيب وأداء ما عليهم من واجبات الآخرة ولا ينسوا حظهم في الدنيا.

*** عن معاذ (رضي الله):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم):

"يَا مُعَاذ، هَلْ تَدْرِى حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ ومَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟" قُلْتُ، اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ، "فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وحَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ



يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا." (جزء من حديث معاذ متفق عليه)

وأوّل من خلق الله عزّ وجلّ من الإنس هو آدم عليه السلام، فهو أبو البشر أجمعين.

كتاب آدم عليه السلام +

عندما قدّر الله تعالى خلق الإنسان، وكان أوّل من خلق آدم وهو أصل الإنسان، جمع الله الملائكة في الملأ الأعلى وأخبرهم بالأمر العظيم الذي هو بصدد جعله.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة

والظاهر أن الله تعالى أخبر الملائكة علما بطريقته التي لا علم لنا بها، أعلمهم بما سيكون من أمر هذا المخلوق الذي سيجعله على الأرض وللحظة بسيطة لم تكن بمقدار طرفة عين من الزمن تعجبت الملائكة من حكمة الله تعالى، وهو الغنى عن كل العباد، في أن يجعل الله تعالى في الأرض التي باشر فيها كل تلك العناية وهيئها لعبادٍ هو وحده العالم بما سيكون منهم وما سيفعلونه، ولم يكن ذلك على سبيل الاعتراض منهم وهم الذين لا يعرفون عصيانا بل يفعلون ما يُؤمرون. فقال إني أعلم ما لا تعلمون، أي فلم العجب. وهذه قدرة من الله سبحانه أن أوحى للمخلوق الذي لا إرادة لهم أن يتعجب ثم يسلم أمره لله العزيز الحكيم وليعلمهم الله تعالى عن كيفية خلق آدم.

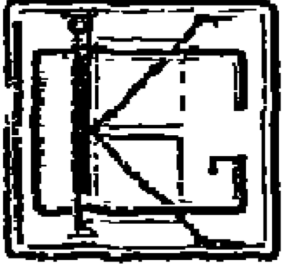
ثم جمع الله تعالى من كل الأرض حفنة من ترابها لخلق الإنسان ولذلك جاء الإنسان من ألوان وأشكال متفارقة. وبقدرته اللامتناهية شكّله وصوره من صلصال في هيئة فخار.

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ الرحمن

ثم كان كالحمإ المسنون، وهو الطين الذي من تراب ناعم أملس سهل التشكيل (الصلصال) لما أراد الله تعالى.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ الحجر

ثم أخبر الله تعالى أن تكون الملائكة حاضرة وقت بعث الروح في هذا الجسد الصلصال بعد أن صار حمأً مسنوناً حتى يشهدون عظمة الله في خلقه، وأمرهم بالسجود لآدم بعد نفخ الروح فيه إكبارًا لحكمة الله سبحانه وقدرته التي ليس كمثلها شئ ولأن فيه من روح الله



تعالى.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الحجر

*** عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال:

قَالَ النَّبِيُّ (صلّى الله عليه وسلّم):

"إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأرضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الأَبْيَضُ والأَحْمَرُ والأَسْوَدُ وبَيْنَ ذَلِكَ، والْخَبِيثُ والطَّيِّبُ والسَّهْلُ والْحَزَنُ وبَيْنَ ذَلِكَ."

(رواه الإمام أحمد)

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الروم

فاختلاف ألوان البشر وأجسادهم وتكوينهم، من كبير وصغير وقوي وضعيف وطويل وقصير وغير ذلك على الرغم من أنهم جميعا من أصل واحد وفى تكوينهم، قوانين الحق سبحانه لم تتغير، فذلك آية كبرى لمن يعلم ويتبع الحق.

وحينما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم انكشف إبليس على حقيقته وأظهر عصيانه، إذ أبى الانصياع للأمر الإلهي، وهو لم يكن أصلا من الملائكة ولكنه كان حاضرا ساعة النفخ، فعلمت الملائكة أن كل هذا الفخر في عبادة الله إنما كان تصنّعا وتكابرا من هذا العاصي لأمر ربه عند أول مبادرة.

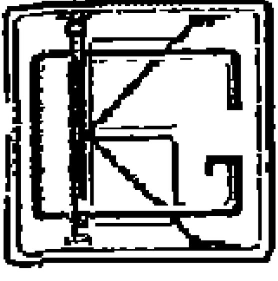
عصيان إبليس. +

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ الحجر

فلما أمرهم الله تعالى بالسجود وقعوا جميعا على وجوههم كبًّا في خشوع لأمر الله، إذ أن الله تعالى له الحكمة في أوامره، إلا إبليس الذي عصي الأمر وامتنع عن السجود.

﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الحجر

والله أعلم بما في نفس إبليس منه إلا أنه يعطيه الفرصة للتوبة مع هول الخروج عن طاعة الله وبين مخلوقات لا علم لها إلا الطاعة التامة.



قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ الحجر

هاهو أخذ فرصته للتوبة وبدلا من الرجوع إلى الحق غاص في المعصية ولاص.

قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ الحجر

وهكذا أخرج إبليس من حَضْرة الله ورحمته وأصبح العاصي الأوّل للرحمن. وسُمِّيَ شيطانا لأنه فسق عن أمر الله سبحانه. ولكنه تماديا منه في المعصية يذهب إلى إبراز غضبه على خلق الإنسان ويأخذ مكانا كله عصيان لإرادة الله العلي القدير.

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ الحجر

طلب إبليس من الله عزّ وجلّ النُّظرة أي الدوام في العيش. ولكن ذلك ليس ليعود إلى الله تائبا ومطيعا طالبا من الله المغفرة والرضوان ولكن ليستمر في الكبر والطغيان.

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ الحجر

وهنا أيضا كانت أمامه فرصة للتوبة، إذ لو قال مثلا أنه سيقضي الوقت كله في سجدة واحدة حتى يغفر الله له، لربما استجاب له الله برحمته وهو في الحضرة الإلهية وأمر التوبة كان من القبول بمكان. ولكن القدر كان يناديه فمضى في المعصية غيرةً وحسدًا للإنسان. إذ الإنسان هو المخلوق الوحيد غيره الذي له إرادة حرة وإذ هو يُؤمر بالسجود له.

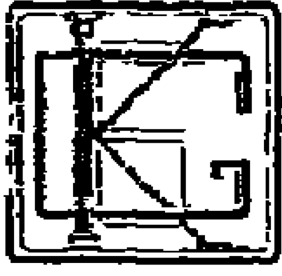
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ الحجر

هاهو يأخذ عداءه إلى بعدٍ آخر ويتعهد، لعنه الله تعالى، أن يغوى الإنسان ويدّعى على الله تعالى أنه أغواه، يا لسوء ذكره. ثم علم أن قدرة الله فوق كل شيء فاستثنى منهم عباد الله الذين يطيعون الله مصدقين بما جاءهم من عنده من ذكر حكيم.

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ الحجر

لأن الله اصطفي من عباده من أخلصه لنفسه ولا قدرة للشيطان على غزوهم وهم الأولياء الصالحين والرسل المكرمين ومن تبعهم ممن أراد الله تعالى لهم المغفرة والرضا.

قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ الحجر



فأجابه الله تعالى إلى مطلبه وعهد إليه البقاء إلى يوم الدين وأخبره بمصير من تبعه من بني آدم، وأن ليس من اتبعه من عباد الله، ولذلك فإن مصيرهم إلى جهنم التي أعدها الله تعالى للعقاب، وهم معه رفقاء لمن تبعوه. وأخبره الله تعالى عن أبواب جهنم السبع وأنها تسع جميع من يتبعه وأن أبواب جهنم تعرف الواردين إليها.

وآدم هو أبو البشر أجمعين وقد أشار الله تعالى إلى ذلك.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء

ولقد خلق الله تعالى آدم وصوّر جميع ذريته، الذين سيُخلقون في الدنيا من ساعة الخلق إلى يوم الدين، ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد أن أطلعهم على قدرة الخالق وعظمته اللامتناهية عزّ ربّنا وجلّ، فسجدوا جميعا إلا إبليس.

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ الأعراف

فذلك علمٌ من الله تعالى لآدم عن ذريته.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم):

"لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَه، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِه كُلُّ نَسْمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: "أَيْ رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ؟" قَالَ: "هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ."

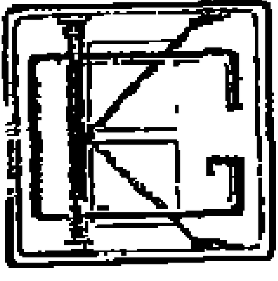
فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ، فَأَعْجَبَهُ وَبِيصَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ:

"أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟" قَال: "هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُد." قَالَ: "رَبِّ وَكَمْ جَعَلْتَ عُمُرَه؟" قَالَ: "سِتِّينَ سَنَةً." قَالَ: "أَيْ رَبِّ زِدْهُ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً."

(جزء من حديث أبي هريره رواه الترمذي)

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴿١٢﴾ الأعراف

والله العالم بما في نفس إبليس، وإنما يجعل له الله ﷻ فرصة التوبة وطلب المغفرة فيتمادى في ضلاله المبين.



﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ الأعراف ١٢

العاصي العنيد يعلم أن الله تعالى خلقه ويعصاه بحجة واهية ويقع في خطأ أكبر بتماديه في الفسوق والعصيان فيدعي ما لا علم له به.

من أين له العلم أن النار أسمى من الطين وأرقى منزلة، والعلم كله لله تعالى سبحانه! والله تعالى وحده هو العالم بما هو أفضل الماديات وأرقاها منزلة. فلقد خلق الله المادة جميعا وخلق لها خصوصياتها وله وحده علمها عزّ ربّنا وجلّ.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الأعراف ١٣

ويُريه الله تعالى غضبه فيتمادى في العصيان ويطلب منه الأبدية في الدنيا، ليس ليستقيم وإنما ليستمر ويصر على الطغيان والخروج عن طاعة الله عزّ ربّنا وجلّ.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ الأعراف ١٤

وفي هذا الطلب عصيان عظيم للخالق سبحانه ولكن الله تعالى يستجيب له في مطلبه وهو العالم بكل شئ. فهو قدَرٌ إبليس أن يكون شيطانا مريداً عاصياً خارجاً عن طاعة الله ولأمر لا يعلمه إلا هو سبحانه.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ الأعراف ١٥

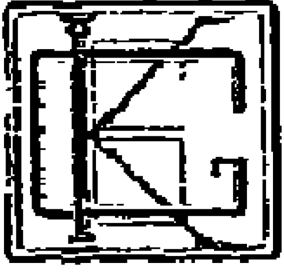
ولحكمة عليا أعطاه الله ما أراد من أبديّة الدنيا وقدّره ليكون امتحان فتنة وإغراء للإنسان في وجوده في الحياة الدنيا.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الأعراف ١٦

له العلم بصراط الله المستقيم ولا يأخذ به ويعصي ربَّه ويعده بأنه سيضل خلقه، فسيقعد مرابطا لهم في صراط لله المستقيم ليغريهم في الخروج عن طاعة الله بدلا من دخوله فيها.

﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ الأعراف ١٧

ويتزايد في العصيان درجة أخرى ويقول لله سبحانه العالم بكل شئ، أن خليقته هذا لن يكون من الشاكرين للخالق الوهاب وأنه سيأتيهم من شتّى غرائزهم وبأساليب متغيِّرة فينقادون له من حيث لا يشعرون، وعدم شكر الله تعالى على أنعمه هو كفر بمقدرة الخالق سبحانه، وعدم العرفان بالجميل خروج عن طاعته.



قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ الأعراف

صدر الأمر النهائي وسترفض التوبة له نهائيا إذ أن الله تعالى ثنّى عليه الأمر بالطرد من الحضرة الإلهية، ويعده ومن تبعه بنار جهنم. إذ أن من عصى الله عزّ وجلّ فلا قيمة له عند الخالق سبحانه، وسيعود عصيانه عليه وحده، ثم يواصل إبليس العصيان مُصرًّا.

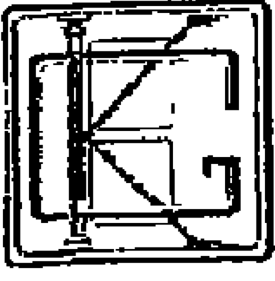
قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ الإسراء

وتم العصيان وعلم الجميع أن عباد الله الذين لا يتبعون الشيطان هم الْمُميّزون عند الله تعالى وأنهم معصومون بصلاتهم من نزغات الشيطان. وإنما أطلقه الله تعالى على الذين سيعصون الله عزّ وجلّ حتى من غير وجود الشيطان، وهم الضعفاء الذين يتملكهم غرور الدنيا وزخرفها ويبعدهم عن الله عزّ وجلّ فيبعدهم الله تعالى عن نفسه ويغضب عليهم ولا وزن لهم عنده، ولا قيمة لمن يعصى الله عزّ ربّنا وجلّ. ثم أخذ الله تعالى الشهادة الكبرى على آدم وذريّته.

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ الأعراف

مسح الله تعالى بظهر آدم وأخرج كل ذريته و شاهدوا قدرة الخالق ووحدانيته سبحانه وتعالى، وأخذ الله عزّ وجلّ شهادة الخلق وعهده عليهم، قبل خلقهم، وذلك على وحدانيته وعظمته وقوّته بطريق لا يعلمها إلا هو سبحانه.

ولذلك فإن الإنسان يخلق على الفطرة لعبادة الله وحده ثم يغوى. والطفل حين يبدأ الحديث يسأل والديه أين كنّا ومن أين أتينا.



ثم خلق الله المرأة.

أخذ ضلعا من آدم وصوّره امرأة حسناء غاية الحسن والجمال، ويفيق آدم ليجدها إلى جانبه فيأنس لوجودها ويتقرّب إليها ويتعجّب، ويسأل آدم الله تعالى ما تكون تلك المخلوقة ولماذا خُلقت! فيجيبه الله تعالى، لتسكن إليها. +

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم):

"اسْتَوصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا – فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَه، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجْ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا." (عن أبي هريرة متفق عليه)

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴿١٨٩﴾ الأعراف

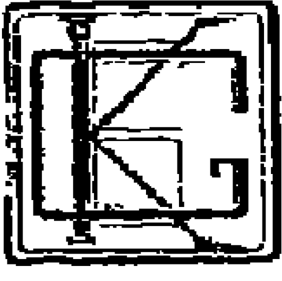
فلقد خلق الله تعالى آدم من تراب ومنه، من ضلعه، خلق زوجه ومنهما كان بقية الخلق من بني آدم. ويخبره العليم سبحانه أنها امرأة لأنها خلقت من امرءٍ وأنها خلقت لتكون سكناً له، وسألت الملائكة آدم ماذا أسميتها ويجيب آدم، حوّاء، لأنها جاءت من شئ حي.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴿١﴾ النساء

فلقد خلق الله تعالى آدم ومنه خلق حوّاء من غير أم وجعل منهما الذرّيّة التي منها البشر أجمعين. فكان خلق آدم من طين وخلق حواء من رجل من غير امرأة، ومنهما كان جميع الخلق (الإنسان) وهى الذرية التي أخذ الله تعالى عليها العهد وأشهدهم أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه.

إجابة الملائكة على تعجّبهم +

وفي الملأ الأعلى قدّم الله تعالى آدم إلى الملائكة بعد أن علمه الأسماء كلها، من وقت أن خلقه إلى يوم الدين، وألهمه التحية، فقال آدم، "السلام عليكم." فردّوا عليه التحية بزيادة قائلين، "وعليك السلام ورحمة الله." زادوا رحمة الله، وهم قد شاهدوا ما حدث من قبل وما كان من عصيان إبليس والعصيان الذي أبداه، وعلموا أن الإنسان سيكون في أمس الحاجة إلى رحمة الله عزّ وجلّ، وهل هناك غنى عن رحمته سبحانه! وأجاب الله عزّ وجلّ على استعلام الملائكة عن الحكمة في خلق آدم.



﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة

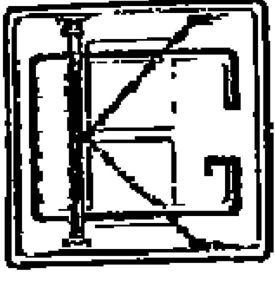
وأوحى الله تعالى إلى آدم العلم بأسماء المسمّيات من أول الخلق إلى يوم القيامة ولم يعلم الملائكة بذلك. وهذا منتهى الحكمة الإلهية شهادة لخلقه، إذ أراد الله من العباد دائما وأبدا أن يردّوا العلم لله الواحد القهار والاعتراف بأن المخلوق لا علم له إلا بما يسمح به الله تعالى من علم.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ البقرة

وأوضح الله تعالى لهم علمه بالغيب وما جال بصدورهم من تساؤل وأن آدم المخلوق الأرضي، خُلق لمهام أخرى غير التي لهم، ولذلك فإن علمه مختلف عن علمهم ولكنه أيضا محدود. ولا ينبغي للإنسان علم الملائكة ولن يفيده، ولا ينبغي للملائكة علم الإنسان ولن يفيدهم، وذلك لأنهما من طبيعتين مختلفتين. وأن منهم (الملائكة) من سيكون مُكلّفا ببعض المهام في الشهادة والرقابة والتدوين والحياة والموت والسجلات والصلوات ورفع كل ذلك إلى الله عزّ وجلّ في حال وقوعه وتدوينه في السجل وفي أوقات مُقدّرة تُقارن الدواوين مع كتب الأقدار.

كان كل ذلك وآدم تأخذه الدهشة تعجبا من هذا المخلوق الذي عصي أمر ربّه، لأن الإنسان خلق عل الفطرة، والفطرة تقتضي الطاعة والولاء وحسن الوفاء. ولِمَ كل هذا الحقد والكراهية في مكانٍ ووقتٍ لا حقد فيه ولا كراهية! ولِمَ يكره هذا المخلوق آدم ويتوعده هو وذريته بالضلال والإضلال، وكيف يجرؤ على ذلك في الحضرة الإلهية! ويزيد تعجب آدم من حلم الله تعالى وكرمه وعدم تسرّعه في غضبه، إذ أن بمقدوره أن يكبّ إبليس في النار، ولا أسف عليه، ولكنه يمهله ويجيبه لمطلبه ويقبل عليه العصيان اللئيم، والله صاحب اليد العليا في جميع الحال. هي إذاً حكمة الله تعالى في أن يرى آدم ويستيقن من عدوه ويحذر منه وتكون له شهادة لذريته.

سكن الجنة. هنا تدخل العناية الإلهية وبرحمة منه وحكمة سبحانه وجاء أمر الله بأن يسكن آدم وزوجه حوّاء الجنة ويتذوّقا من نعيمها ويتيقّنا من وجودها.



وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ البقرة

ويسكن آدم وحواء الجنة ويرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويعيش حياة هي هدف العابدين الخاشعين المصلّين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، الذين يعبدون الله رغبة ورهبة ما دامت السماوات والأرض. وكلف الله تعالى آدم وزوجه تكليفا واحدا لا غير. قال لهما لا تقربا هذه الشجرة، أي لا يأكلا منها، وليس في معرفة الشجرة فائدة، وما أسهل هذا التكليف! ولكن ما خُلق عليه الإنسان من ضعف وطلب للشهوات ولديه الإرادة الحرة وكل ذلك، ليس من خصائص الجنة. وكذلك كان القدر المكتوب فوق كل شئ، إذ لا يُنسى أن الله أخبر الملائكة أنه سيجعل على الأرض خليفة وليس في الجنة. ومضى الوقت.

ونسي آدم وزوجه حواء تحذير الله سبحانه وتعالى اسمه، وإبليس متأهب ومنتظر، فوسوس لهما أن كلا من هذه الشجرة فإنها شجرة الخلد، وأقسم لهما بالله العظيم أنه إنما لا يريد لهما إلاّ خيرا. وهما في مكان الخلود، فكيف صدّقاه فيما قال! إلا أنه أقسم بالله العظيم، وما كانا ليصدّقا أن أحدا يقسم بالله العظيم كذباً.

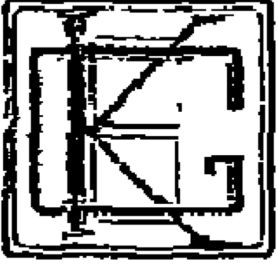
ذنب في الجنة. +

ولم يُخلق الإنسان ليكون مخلّدا، ولم يُخلق ليكون في الجنة، وإنما هو مخلوق أرضي وخلقه كان من مادة الأرض وليكون خليفة لبعضه البعض، جيل يخلف الآخر.

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴿٣٦﴾ البقرة

وهكذا أنسى الشيطان آدم ما حذّره الله تعالى منه. والنسيان هو رحمة من الله تعالى إذا ما كان في طاعته، ونقمة إذا ما كان النسيان فيما أمر الله به من عبادة وطاعة ويكون عصياناً، وأطاع الإنسان الشيطان وزلّ زلزلةً عظيمة.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ



بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ الأعراف

فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما مما هما فيه من النعيم و اللباس الحسن. وهذه عبرة للبشر إلى يوم القيامة. وفي هذا التكليف البسيط الذي لا قيمة له كان اختبار قوة العزم عند آدم وزوجه، وما كان للشيطان من سلطان عليهما. وكان من المكن أن يَعُفّا تماماً عن الأكل من تلك الشجرة، وكم هنالك من أنواع أشجار في الجنة، ووقعا في المحظور.

وكان آدم وزوجه لا يعلمان بسوءاتهما وكان لباسهما النور، فلما أكلا من الشجرة تبدّت لهما (علما أنهما عرايا)، وشعرا بالخزي والذنب العظيم الذي اقترفاه، وأخذا من أوراق الشجر في الجنة، في محاولة منهما لستر العورة التي تبدت لهما. عندها ناداهما الله تعالى وأنبأهما بما حذّر منه سابقا من أن الشيطان لهما بالمرصاد، وقد شاهد آدم مدى فسوق الشيطان والعصيان الغاشم الذي أبداه، وكراهيته لآدم وزوجه ونسلهما وكيف خرج إبليس من طاعة الله تعالى ورحمته بسبب خلق آدم.

التوبة.

فوقعا على وجهيهما في سجود خشوع وطلبا المغفرة من الله الغفور الرحيم، وأخبر آدم ربَّه أنه ما كان ليتخايل أن هنالك من يقسم باسم الله العظيم كذباً.

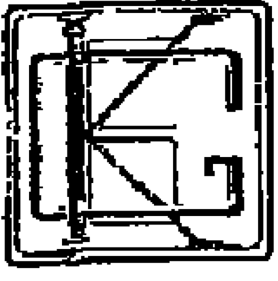
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ البقرة

والتوبة كلمات هُنّ إلهام من الخالق سبحانه ليتوب العبد إلى الله فيتوب الله على العبد، وكل عبد يأمل في طاعة الله يلهمه الله كلمات ليتوب عليه عزّ ربّنا وجلّ.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ الأعراف

المغفرة والتوبة لمن طلبهما صادقا في خشوع وعبادة، والله تعالى لا يمنعهما عن التائبين، ولكن المذنب لا يبقى في الجنة حتى يكفّر عن ذنبه، وآدم وزوجه لم يخلقا ليكونا في الجنة. بل هنالك رسالة أخرى يجب الوفاء بها أوّلاً، وهي عمار الأرض.

في الجنة الإرادة الحرة ليست ذات فائدة، والتعامل المادي لا يجدي نفعا، وما خلقا له بداءةً، لم يكن ليكون قائماً بالجنة، من تكاثر وتفاعل مع الطبيعة، وما بثّ الله في الإنسان



من نوازع لا سبيل لمعرفتها إلاّ في مواقعها، وهو ما خلق الله لهم في الأرض وفي الكون من حولهم وفي الأقطاب السماوية الأخرى المعدّة لمعرفة بني آدم على مر الدّهور. على أن ذلك لا يتم إلاّ بإرادة الخالق الجبار سبحانه. قد نادى عليهما قدرهما فاستجابا النداء ولا لوم عليهما فهو القدر المقدور مع عظم الذنب. قبل الله التوبة منهما واستجاب إلى مطلبهما من التوبة كما استجاب لطلب إبليس من قبل عندما طلب منه أن يكون من المنظرين، والجميع إلى أجلٍ هم بالغوه.

الهبوط من الجنة. +

قبل الله تعالى التوبة منهما وكان قد قدّر عليهما الهبوط إلى الأرض في كتاب الأقدار.

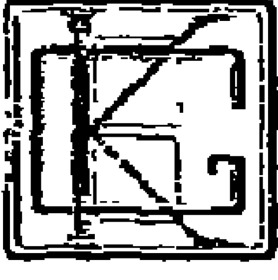
قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ البقرة

وجاء الأمر بالهبوط من الجنة إلى الأرض التي خلق منها آدم وهو القدر المقدور. إلاّ أنه سبحانه سيرسل إليهم من يهديهم ويقيم لهم دينهم الحنيف، وأن من تبع الهدي الذي يأتي به الأنبياء صلوات الله عليهم فإنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في يوم الموعد المعلوم، يوم يحاسب الله كل نفس بما أحضرت من أعمال.

قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ الأعراف

من الأرض خُلق الإنسان وفيها يعود بعد الموت ومنها يخرج عند البعث. وليكن منهم عدوٌّ لبعض، وليسيطر الشيطان على جزء منهم، فمصيره إلى جهنّم، ومن يتبع الهدى الذي سيرسله لهم الله الغفور الرحيم من أنبياء ورسل وأولياء صالحين فمصيره إلى الجنة التي رآها آدم أبو البشر وعاينها وعاشها، تأكيداً لوجودها لبني آدم فلا يقولون قولاً مغايراً.

يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ الأعراف



يمتنّ الله تعالى بما جعل لبنى آدم من اللباس والريش. فاللباس ستر للعورات وهي السوآت، والريش والرياش ما يتجمل به الإنسان ظاهرا فوق الستر. فالأول من الضرورات والأخير من الكماليات. ويحذر الله تعالى بنى آدم من السلوك الشيطاني الذي يلقونه، من إغراء الشيطان على كشف العورات. وأن الله تعالى يريد لعباده الستر الجميل في اللباس، وأن أفضل ما يلبس الإنسان للستر هو تقوى الله عزّ وجلّ.

فلا يكون هنالك حجة للمخالفة، فهي عبادة الله والخوف من عقابه والعمل الصالح والجهد في العلم النافع، هو أعظم ما يمكن أن يعمله الإنسان للقاء ربه يوم اللقاء.

ويهبط آدم وزوجه إلى الأرض ويطول الأمد، ويفلح الأرض ويزرعها ليأكل من الجوع، ويحول ويجول حول منابع المياه ليشرب من العطش، وتتبدى له سوأته في اليوم عدة مرات للتخلص من الفضلات، ويشقى.

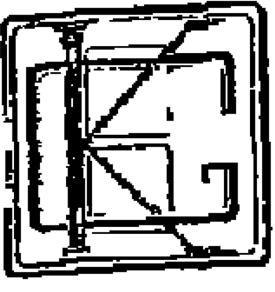
ولكي يتكاثر الإنسان كما أمر الرّب العليم، فإن آدم عليه أن يغشى امرأته غشياً جميلاً بمعروفٍ، من نتاجه تأتى ثمرة الإنجاب الجميل، لكي يتكاثر البشر على ظهر الأرض ويعمرها ويكتشف ما فيها من رزق وخير ويتعلم ويُعلّم ما تعلم من علم الله وينقل العلم من جيل إلى جيل ولا يتبع هاتف الشيطان فيغوى.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا ﴾ (١٨٩) الأعراف

فالإنسان لم يُخلق عبثاً ولا لهواً، إنما برسالة من السماء من أسمى ما تكون الرسالات. ويُخلق الإنسان بسُنّة الله تعالى بمعجزة الولادة من الأرحام التي يتكون فيها خلقه، على أمر قد قدّره الخالق سبحانه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ (١) النساء

فهذه معجزة الولادة وتكوين الإنسان وخلقه في الرحم من اتصال رجل وامرأة، وهي سُنّةٌ مُعجزةٌ ليراها الإنسان في كل ساعة فيعتبر وينيب إلى الخالق الجبار سبحانه، والله قد بيّن الإعجاز في كل شيء عزّ ربّنا وجلّ.



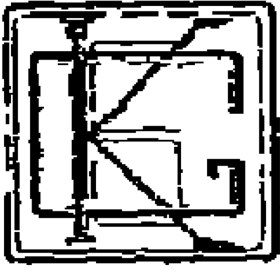
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ المؤمنون

فلقد بدأ الله خلق الإنسان من تراب صار طينا، ثم صلصالا، ثم حمأ مسنوناً، ثم نفخ الله فيه من روحه فسوّاه بشرا سويّا، ثم خلق منه من ضلعه امرأة، ثم يغشاها بلطف وحسن، ثم يصير نطفة ثم علقة مخلقة وغير مخلقة، أي ما كان قدر له الخلق يكون نطفة مخلقة، ومن لم يقدر له الخلق تنبذه الأرحام كنطفة غير مخلقة، ثم يصير مضغة، ثم يصير عظاما، فيكسو العظام لحما ثم يولد الإنسان خلقاً جديداً، عزّ ربّنا وجلّ.

إبنا آدم. +

كانا يُرزقان توأمين كلما تماسا، والنتاج كان دوماً من ذكر وأنثى. وبعد أن رُزقا أول توأمين مرتين وكبُرا حتى صار منهم رجلين وامرأتين، سنّ آدم أول قانون للزواج. فكان الرجل يتبادل أخته التوأم مع توأم الرجل الآخر للتزاوج. كان اسم أحدهما قابيل والآخر هابيل وأما أسماء الإناث فلم تُذكر في كتب الأولين. وكانت أخت قابيل غايةً في الحسن والجمال فأرادها لنفسه عن أخيه، لأن أخت هابيل وإن كانت هي الأخرى جميلة إلا أنها لم تكن بالحسن الذي لأخت قابيل. فاختلفا ورفعا خلافهما إلى أبيهما آدم. واقترح آدم لفض الخلاف، أن يقرّب كل منهما قربانا إلى الله تعالى، وأيهما تقبل قربانه فقد أستجيب طلبه ووثّقه الله له. فقربا قربانيهما، فاستُجيب لهابيل ولم يُستجاب لقابيل تأكيداً من الله سبحانه على شريعة آدم لبنيه. والقرآن الكريم لم يذكر اسم أي منهما ولكنه مأخوذ عن المأثورات التي لم تتعارض مع النص القرآني الكريم، كما أن سبب الخلاف لم يذكر أيضا في القرآن المجيد.

ويتوعد المرفوض قربانه أخاه بالقتل، ولم يقبل بقضاء الله العزيز، ولم يخفيه عن أخيه وأخبره، لسوف أقتلنّك. فكان هذا أوّل سلوك شيطاني من البشر. فقال له الذي تقبل الله قربانه، إن أنت أقمت على قتلي فلن أعارضك ولن أحاول قتلك، لعلك تبوأ بذنبي وذنبك فتكون من أهل النار على وزرك وعلى عدم خوفك من عقاب الله العليّ. ولسوف أغض النظر



والطرف عنك استحياء من ربى وخوفا من عقابه الأليم وسلّمت أمري لمن خلقني سبحانه فله ترجع الأمور والأقدار.

الجريمة.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ المائدة

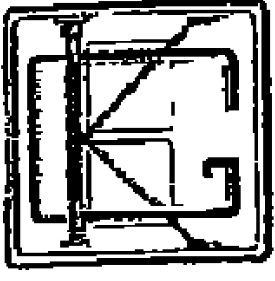
لم يُجد التّضرع الذي أبداه الولد الصالح لأخيه، وواصل العاصي خطّته لقتل أخيه. ورآه يرعى بعيدا عن الوالدين مستلقيا في الظل فجاءه مُخَفّيا نفسه حتى لا يشعر به أخوه، وتملكه الشعور بالغيرة الشديدة من أخيه، وركبه الشيطان كالْمَطِيّة، وتذكر قول أخيه المسلم أمره إلى الله، فلم يرعوي عن عزمه ولم يتراجع، بل أقدم يملؤه الجنون والحقد والغضب والغيرة، فقتله بلا هوادة ولا رحمة.

فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ المائدة

فسقط في يده، إذ لا علم له بالموت، والذي حدث لأوّل مرة، وكان معه جثمان أخيه الميت لا يعلم كيف يخفيه. وأخذه الذنب بمهالكه، وجعل يسوح في الأرض حاملاً جثمان أخيه. وبعد فترة رأى غراباً يحمل شيئا بمنقاره يريد إخفائه ولعله كان غراباً ميّتاً، فنكش في الأرض حتى كانت حفرة صغيرة، فوارى فيها ما أراد مواراته.

فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ المائدة

عندها أحس بهول الموقف وعظمة الجريمة الشنعاء، والتي لم يسبقه عليها أحد، ولم يوجد من يسبقه إليها. وندم حيث لا يُجْدي الندم شيئاً وتصاغر حيث تعلم من الغراب كيف يوارى سوءة أخيه الميت. فعلم أنه لا علم عنده، وأن هذا الطير الصغير كان على علم يفوق علمه فيتعلم منه هذا الواجب البسيط.



وخسرت الدنيا سُدُسَ سكانها. وانتقل الخبر إلى آدم وزوجه حواء، وحزنا حُزْناً تتفطّر له القلوب. وسن ابن آدم القتل، ورقص الشيطان طرباً، وبكت الملائكة. وخسر آدم ولدين في يوم واحد. هابيل إلى الموت وقابيل إلى نار جهنم. فواخسارتاه وواحسرتاه على ولدي آدم، أعمامنا جميعا فلقد هُدر الدَّمُ وسُنَّ القتل وحَلّت اللعنة!

هنالك الموعظة الكبرى:

عصيان إبليس وخروجه من رحمة الله تعالى شيطاناً مريداً رجيماً بعد أن كان عابداً زهيداً.

وعصيان آدم وزوجه بعد أن نسيا ما حذرهما الله تعالى منه ثم توبتهما عن الذنب الذي اقترفاه بزيغ الشيطان.

وأن الله يقبل التوبة من عباده إذا ما تابوا من قريب.

ثم هبوط آدم وزوجه حوّاء من الجنة إلى الأرض حيث الشقاء من بعد النعيم الدائم.

وهنالك ثمرة التزاوج العظيم، وهي سنّة الله تعالى لعمار الأرض.

ثم الغيرة والحقد والحسد والأنانية من بين الأخوة.

ثم عصيان الله والخروج من طاعته بجريمة القتل وسفك الدّم البريء.

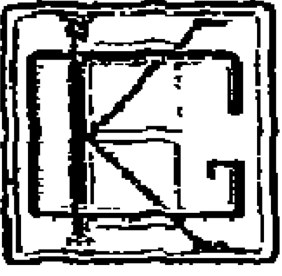
ثم الإهانة الكبرى بأن يتعلم الإنسان من الغراب، وهو أدنى منه في درجة الخلق بكثير، إحدى الواجبات الدنيا.

ثم الرضا والقبول بعزم وقوة بأقدار الله تعالى.

إذا كان الغراب دليل قوم فعلى القوم السلام.

تكاثر الإنسان.

إنه لمن المؤسف حقا أن تكون أوّل وفاةٍ على الأرض قتلاً، وأن تكون بين أخوين، والسبب الغيرة والحقد مع ما كان من تشجيع الشيطان عليه اللعنة. وأن يراق الدم البريء الطاهر على الأرض الطاهرة خروجا على الشريعة السماوية. وتجفّ الدموع وتستمر الحياة. ويباشر آدم زوجه وينجبان من البنين والبنات ما شاء الله أن ينجبا. ويقال أنهما أنجبا ثمانية وتسعين بطناً من توأم من ذكر وأخته الأنثى. وتكاثر بنو آدم بطريقة سريعة، وانتشروا في الأرض يعمرونها، وليس يعلم أحد إن كانت جرائم القتل قد بوشرت ثانية في حياة آدم. وعاش آدم ألف عام من أعوام الدنيا، وذلك يبين لنا أنه عاصر على الأرجح أكثر من عشرة أجيال في هذا الزمان. إذ المشهور أنهم كانوا يعمرون طويلاً. وكان آدم هو الرسول والنبيّ



البشر لهذه الأجيال. ثم توعّك آدم فعلم أجله، وجمع بنيه وأوصاهم بما أوصاه به الله تعالى، وأن الله لا يقبل من عبده إلاّ التسليم الكامل لأمره سبحانه. ثم جاءت ملائكة الموت فأسلم روحه الطاهر. ومات أبونا وأبو البشر أجمعين، داخل الجنة وطريدها، ونزلت الملائكة الذين قاموا عليه وأقاموا الصلاة عليه آمين الحاضرين بأمره من ذريته من الذين عاصروه له ثم واروه التراب.

ستة رجال فقط مارسوا الحضرة الإلهية رغبةً ورهبةً وكان آدم أولهم.

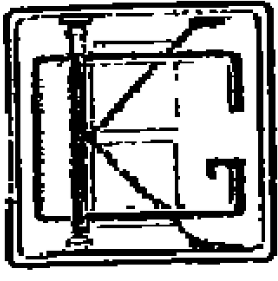
اللهم اقبل صلاتنا على روحه الطاهر واكتبه مع الصالحين. ولا يعلم أحد كم كان عدد البشر حين وفاة آدم، ولكن المتوقع أنهم كانوا عدداً وافراً لكثرة توالد التوأم عند بداية الخلق، وطول عمر الإنسان في هذا الوقت من التاريخ. ويقال أنهم كانوا بالملايين والله تعالى أعلم بالحق.

بعد آدم. +

تعاقبت الأجيال من بعد آدم، وحافظوا على عبادة الله وأقاموا الصلاة وذكروا الله كثيرا. وتبادلت الأجيال قصة الخلق وعدوّهم الشيطان وكيف أنه أخرج أبوانا من الجنة والجريمة البشعة التي كانت بين الأخوين، وكان في ذلك عِظة لهم عظيمة. ومر الزمان وكثُر الخلق وسيطرت الشهوات وضعفت العبادة، ولكن الله تعالى أوفي بعهده وأرسل رسلاً وأنبياءً ووعظةً، واستُقيم دين الله الحنيف مرّات عدّة يعود فيها الإنسان إلى عبادة الله مخلصا له الدين، ولم يكن هنالك من يكفر بالله العظيم. ثم تموت تلك الرجال الصالحة من أنبياء ومرسلين، ويُقيم الإنسان العبادة، ولكنهم يحزنون على مفارقة هؤلاء الرجال الصالحين ويريدون إحياء ذكراهم، ويريدون تذكّر صورهم.

هنالك وجد الشيطان الفرصة السانحة وتمثل لهم مدّعيًا أنه من الصالحين الناصحين، وأن لديه الطريقة التي تُخلّد ذكرى الرجال الصالحين. ويتعجب الإنسان كيف يكون ذلك وقد ماتوا وصاروا تراباً! فيخبرهم الشيطان أن أفضل الطرق إلى ذلك هي عمل تماثيل لهم على أشكالهم وصورهم. ثم يباشر الملعون هذه المهمة ويقوم بعمل تماثيل أقرب ما تكون لصور وأشكال هؤلاء الأنبياء و الرجال الصالحين.

ويطول الزمن وتمر الأجيال ويتساءل الناس فيم هذه الصور والتماثيل! فيخبرهم الملعون أنهم وسطاء لعبادة الله تعالى. ويتخذ الإنسان وسيطا بينه وبين رب العباد لأنه يرهب التقرب من



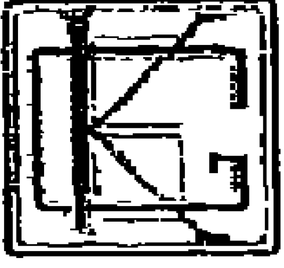
الله العظيم مباشرة. وتتوالى الأجيال ويتعجبون من هذه التماثيل، فيخبرهم الشيطان أنهم شركاء الله وأنهم بعبادتهم لهم إنما يعبدون الله عزّ وجلّ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ودخل الإنسان في الشرك بالله ونسى عبادة الله تعالى وحده من دون الإشراك به، وأصبح يعبد هذه الأصنام التي تطور العمل بها، وجعلوا لكل شئ ربّاً يعبدونه من دون الله ويذبحون الأضاحي لهذه التماثيل ويقدّمون لها القرابين ويُقيمون لها الشعائر المُبتذلة. حتى أنهم قاموا بصُنع تلك الشّخوص الصغيرة ليتسنّى لكل إنسان أن يأخذ نسخة من إلهه إلى بيته ليعبده وقت يشاء.

ثم يرسل الله تعالى أنبياءً ورسُلاً ليقيموا الدين الحنيف في الأرض من غير جدوى. ويرفض الإنسان السماع للرسل والأنبياء ويتبع الشيطان، فأضل كثيرا وبغى وطغى. القوى يقهر الضعيف، والغنى يأكل مال الفقير، والحاكم يتجبّر على الرّعيّة، وضاع الحق وظهر الباطل، وتمركز الشيطان، وعُبدت الأصنام والطواغيت، وزهق الحق واستمر بنو آدم على الضلالة والكفر. ولو أن هنالك في الناس بيت واحد من العباد يعبد الله تعالى لكان هناك أمل في الصلاح من الكفر، إنما الحال كان على غير ذلك ولم يكن هنالك إلا كافراً أو لئيماً.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١﴾ مريم

وغضب الله العزيز غضباً شديداً لأن الإنسان الذي خُلق على الفطرة وتعلّم علماً كثيراً لا يُقيم ما أمره الله تعالى به من عبادةٍ وعدلٍ وتهذيبٍ والرجوعِ دائماً إلى الله تعالى في طلب المغفرة. ولأنهم بعد أن طال بهم الأمد نسوا ما كان أنبياء الله يعظونهم به ونسوا ما كان من الشيطان وآدم وبنيه ولا يقيمون إلاّ ظلماً ولا يتعايشون إلاّ بغياً ولا يعطون صاحب الحق حقه. وبغى الإنسان بغياً عظيماً. ولم يكن هنالك من يعبد الله، والجميع في شغل عن ذلك بشهوات الدنيا الزائلة.

وقرر الله تعالى برحمةٍ منه أن يرسل لهم نبياً رسولاً نذيراً، لينذر الناس أن عذاب الله عظيم وأن عقابه وانتقامه شديد، ويرشدهم إلى الدين الحق القويم سنّة الله تعالى إلى العباد. وأنه من يتبع الرسول فسوف يدخل في رحمة الله العظيم ومن أبى فله عذاب مقيم. وأرسل الله تعالى أحد الرسل الخمس أولى العزم. أرسل الله نوحاً عليه الصلاة السلام.



- **كتاب نوح عليه السلام +**

غضب الله تعالى على هؤلاء القوم بعد أن طغوا وأبوا إلاّ الانجراف وراء الشهوات. ولا يعبدون إلاّ ما يشركون الله به أو يعبدون الأصنام، ولا يسمعون إنذار الرسل إليهم بغضب الله سبحانه وعذابه الأليم. وأرسل الله تعالى رسولا من أولى العزم، هو نوح عليه الصلاة والسلام لينذر القوم بغضب الله عليهم ويُنذرهم بعذاب أليم ويدعوهم إلى عبادة الله وحده. وكان قوم نوح لا يدعون معصية الله ولا يستحيون ولا يترفّقون بالناس. القويُّ على الضعيف والغنيُّ على الفقير، ولا تراحم بينهم، ولا يقيمون الصلاة إلا لهذه الأصنام التي لا حول لها ولا قوة، ولا يصدّقون الأنبياء ولا يتبعونهم في دعوتهم إلى الله تعالى. والشيطان الرجيم مُتربّع على عرشه يُرشد الناس إلى العصيان والطغيان.

- **رسالة نوح عليه السلام +**

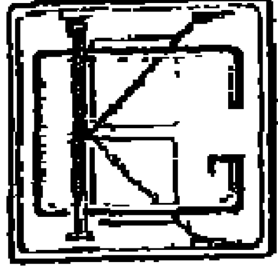
فأرسل الله نوحاً إلى القوم، أن أقيموا الصلاة لله الواحد القهار واعبدوا الله وحده لا إله إلاّ هو، من قبل أن تأتي ساعة لا تُقبل فيها الشفاعة. وأنه الله وحده هو الخالق لكل شئ ولا يضيره أن يذهب بكم بعذابٍ أليم.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ الأعراف

وبهذا القول يبدأ الأنبياء رسالتهم، وهذا القول يستظهر العداء الفوري من السادة في الأمم التي يُرْسَل إليها الأنبياء. والظاهر على مر الزمن أن الذين يبادرون العداء للرسل هم سادة القوم. أما الضعفاء منهم فيتهافتون على الدعاء ويُقبلون بقلوبهم على الأنبياء، لأن رسالتهم تحررهم من الطغيان والظلم وترفع من مقامهم ليتساووا مع المستكبرين عليهم، ولأنهم يجدون ملجأً في الله تعالى يُحصنهم من الغدر والاستعباد والظلم.

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ الأعراف

والملأ هم سادة القوم وهم أوّل المكذبين للرسل، وهم أصحاب الأصوات المسموعة وهم يخافون الرسل ويتهيّبُون منهم خوفا من أن يسلبونهم مواقعهم المتازة بين قومهم فيتهمونهم بالضلال، ثم تتطوّر الاتهامات إلى نقاش مرير ومن ثم إلى حرب شعواء هي حروب عقائديّة شرسة لا تنتهي إلاّ بتغلّب أحد الفريقين على الآخر مهما طال الزمن وفَنِيَت الأجيال.



﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ الأعراف

كان ذلك أوّل الرّفض له ولرسالته، ويحاول أن يخبرهم بأنه رسولٌ من رب العالمين إليهم، ولكن لا أذن سمعت ولا عقل وعى. وهم بدؤوا بتكذيبه فور إعلانه لهم أنه رسول الله بأنه هو بشر مثلهم فعلام يدعي أنه رسول الله. ومن أين له ذلك!

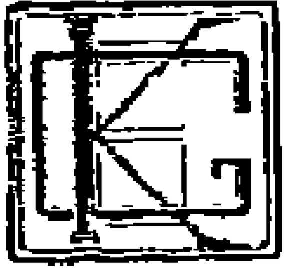
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ الأعراف

هاهم يتعجبون من أن يكون الرّسول رجلاً من بينهم وليس مَلَكاً مُنَزّلاً من السماء، وما كان الله ليرسل رسولا إلاّ من قومه. ولكن رسول الله نوح عليه السلام لا يستريح في أداء رسالته، بل يجب عليه أن يستمر رغم المعارضة والتي تصل في أغلب الأحيان إلى المعاداة وتبادل الحوار السقيم.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ يونس

وهو آخذ في تذكيرهم بآيات الله العلي وأنه لم يطلب أجراً على تلك الرسالة ولا ينبغي له. وهكذا أنبياء الله تعالى لا يتقاضون أجراً، لأن الله تعالى الذي أرسلهم كفيل بهم وما عليهم إلاّ البلاغ. ولو أن القوم استمعوا إلى نبيهم لأفلحوا واكتسبوا رضا الله سبحانه، وهو يقبل توبة العباد.

والله تعالى لا يرسل الأنبياء إلا من قومهم وحسب الحاجة، ولا يرسل من الملائكة رسلاً إلى البشر. إنما يرسلهم ببلاغات لأنبيائه أو يرسلهم لينتقم من القوم العاصين وبعذاب غير مردود. وليس النبيّ على شاكلة قومه، إنما هو ممتازٌ عنهم وغنيٌّ عن أهوائهم وأموالهم. فيخبرهم نوح أنهم إذا كانوا قد ملّوا من مقامه بينهم لينصحهم إلى الله تعالى ويدعوهم لعبادته ومن أجل أنهم غير راغبين، فليجمعوا أمرهم ويستفتحوا بينهم وبينه، حتى يُظهر



الله الحق ويفرقه من الباطل. أما هو فله الله، ويعلمهم أنه أُمِرَ أن يكون من المسلمين إلى الله تعالى عن غير حرف وأن الله تعالى لا يقبل من عباده إلاّ التسليم الكامل له سبحانه والشهادة بوحدانيته التي لا تناقش.

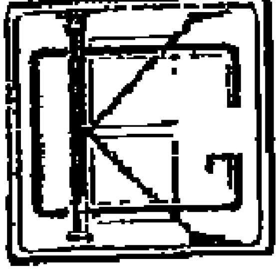
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ هود

إنّ مهمة النبيّ هي البلاغ والوعظ وشهادة أن لا إله إلاّ الله وتبشير البشر برحمة الله تعالى وتحذيرهم من غضبه سبحانه، وبدأ الصراع الذي لا مفرّ منه ويكذّبه القوم ويدّعون أنه لم يتبعه إلاّ صغار القوم منهم ويسمونهم أراذلهم، أي المحتقرين لديهم. وهل يختار النبيّ أتباعه! وهل يميز بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون إلا بما أمره الله به! وليس لنبيّ أن يصدّ الذين آمنوا عن الإيمان بالله الذي أرسله، والله تعالى وحده الذي يعلم من الصالح ومن هو غير ذلك فمن آمن يتغمّده برحمته ومن كفر عذّبه عذاباً أليماً.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ هود

ويتلاطف معهم نبيّ الله نوح عليه السلام ويسألهم، ألم يتفكروا أنه قد أُنزل عليه رسالةً من ربه، وأن ذلك لأن الله رحيم بالعباد ولا يريد عذابهم، وأن الرسالة فيها الْهُدى والبيان. ولكن إذا كان أمرهم الرفض دائما لما يدعوهم إليه ولا يُبالون برحمة الله وهُداه، فهو لا يستطيع إلزامهم بها وما على الرسول إلاّ البلاغ. والظاهر أنهم طلبوا منه أن يطرد الذين آمنوا معه حتى يتسنى لهم الدخول معه فيما يقول أو الاستماع لما يدعو إليه. وهل لنبيّ أن يطرد أناساً من الإيمان بعد إذ هم مؤمنون، وبعد أن هداهم الله تعالى ويسّر الإيمان إلى قلوبهم واجتباهم! ولكن ذلك شأن جميع من خالفوا نبيّاً، فهم يحتقرون من اتبعوه ويضطهدونهم ويتوعدونهم.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ



إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ هود

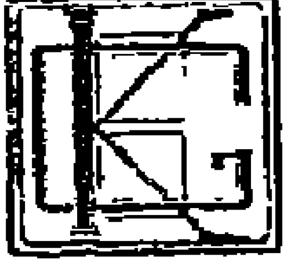
ويحاول نبيّ الله إقناعهم بأنه لم يطلب منهم مالاً ولا حُكماً ولا شيئاً من زوائل الدنيا، إنما هو الهدى والإيمان وحسب. ويُعلمهم أنه لا يختار الذين آمنوا ولكن الله هو الذي يختارهم وهو يهدى من يشاء، وهم سيلاقون الله في يوم مقدور، من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض، فماذا يكون من شأنه إن هو طردهم والله قد اصطفاهم. ومن يكون له نصيراً إن لم يكن غير الله ينصره في ذلك اليوم المعلوم.

وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ هود

فيخبرهم نبيّ الله أنه لا يمتلك خزائن الثروة المادية، إنما هو علمٌ من عند الله، ولا يستطيع علم الغيب لأن الغيب من علم الله، ولا يستطيع طرد من يرَوْنهم من أراذل القوم لأن الله تعالى له العلم في هداهم أيضا، فهو وحده الذي يعلم من خلص دينه لله أو من أشرك به أو من أسلم وجهه لله سبحانه. وهو يحذرهم من غضب الله تعالى على الذين يكفرونه. وهذه الحوارات تبدو سريعة وقصيرة، ولكنها مختصر من رسالة استمرت فيهم على أقل تقدير ستمائة سنه وعلى الأكثر تسعمائة وخمسين سنة.

قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ هود

ويرفض العاصون التوبة ويستصغرون الرّسل والأنبياء ويبدؤون التهكم والازدراء، ويدخلون في تحدٍّ واهٍ بلا بيّنة. ولقد بدأ القوم بالقول أن الجدل قد كثر فهات ما عندك من العذاب، يستعجلون العذاب وهو إن آتاهم فلا مفر منه وهو واقع عليهم. وكأنه هو الذي يُعذّب، فلقد حذّرهم عذاب الله وعذاب الآخرة، وهم يسألونه أن يأتيهم بالعذاب. والله لا يرسل عذابه



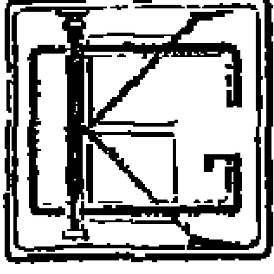
على قوم لمجرد سؤلهم، ولكن ذلك يتم بقدر من الله تعالى واجب الوفاء به قبل كل شئ، وحتى يشهد عليهم نبيّهم الذي أرسل لهم. وإذا جاء العذاب فأين لهم المفر من قوم عاصين!

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ نوح

فها هو يدعوهم أن يتّقوا الله تعالى في أعمالهم وأن يعبدوه، ومن أحق بالعبادة سواه، وليس من مُستمع ولا من مُجيب. ونجد في التعبير عن النقاش الدائر بين نوح وقومه ترددات متماثلة شكلا في الآيات القرآنية ولكنها في المعنى تزداد شدة وحدة وتعبر عن طول الزمن الذي قضاه نوح في عظة القوم بلا هوادة، وكلما أمعن في الدعوة ينفرون منه ويبتعدون عنه.

قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ نوح

ويبث همّه إلى الله العزيز ويشتكي عليهم مرّ الشكوى، ويخبر الله، وهو أعلم بهم سبحانه، أنّه لبث يدعوهم فلا يستجيبون، بل كانوا يضعوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يستمعوا له وأنهم كانوا يخفون أوجههم في ثيابهم حتى لا يروا الهدى الذي جاءهم به من عند الله،



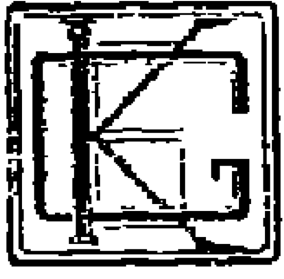
وأنهم مُصرّين على كفرهم ويستكبرون على الدعوة والهدى.

سواء عليهم كان ذلك في دعوة مفتوحة أمام الجميع أم كان ذلك في المجتمعات الخاصة بهم أو على انفراد بهم آحادًا في السّرّ إليهم. وهذا مرّ الشكوى من نبيّ كريم على قومه. والله وهو السميع العليم منتظر منه أن يدعو عليهم فيستجيب دعاءه. فيلجأ نوح عليه السلام إلى ربه عزّ وجلّ بعد أن مكث فيهم دهراً طويلاً يدعوهم إلى الله تعالى وهم رافضون، ويعدهم إذا ما عبدوا الله تعالى حق عبادته، بأن الله سيرسل عليهم بركات من السماء وهي المطر الذي يُخصّب الأرض ويرسل إليهم بركات الأرض ويخرج لهم كنوزها ويرزقهم بالبنين ويعطيهم القوّة والرّضا، وهو الله الذي لا إله إلا هو، الذي خلقكم على أطوارٍ مختلفةٍ، من مني يُمنى، إلى مُضغة، إلى حَمْلٍ، إلى مولودٍ، إلى طفلٍ، ثم إلى شابٍ، وكل ذلك والله يرزقهم من غير طلبهم الرزق. ففي مرحلة الأجنة يأتيهم الرزق من الأم، وفي مرحلة الطفولة وأول الشباب من الوالدين إلى أن يستطيع الإنسان السّعي وراء الرزق. وتلك آية كبرى لا يراها إلا من أراد الله هدايته، كل ذلك من غير جدوى.

وأمامهم الأرض المبسوطة المُذلّلة لهم يأخذوا منها كما يشاءون من خيراتها وجعل لهم فيها الجبال و الأودية و الأنهار ليسلكوا فيها طالبين الرزق من عند الله تعالى. وأشبههم بالنبات الذي يخرج من الأرض ضعيفا فيأتي الله بالأمطار وينزل الغيث فيهتز ويربو وينمو إلى وقت معلوم فإذا جاء الوقت كان مصير الجميع من بعد أن صاروا هشيما إلى باطن الأرض التي أُخرجوا منها أول مرة ثم بعد ذلك يُخرجهم ليوم الحساب، كما خلقكم أوّل مرّة تُبعثون.

- **دعوة نوح على قومه. +**

مكث نوح عليه السلام في قومه سنين طوال، ذكره الله أنه ألف سنة إلا خمسين عاما، وكل تلك الموعظة التي يقول لهم وهم يجادلونه ويتهمونه تارة بالكذب وتارة بالشعوذة، وهو مستمر في عظتهم. وبعد فترة طويلة لا يعلمها إلا الله تعالى، لا يجد نوح حوله إلا الجزء اليسير من الناس، والجميع على كفرهم وعصيانهم ولا يتكلّفون في السخرية من نبيّ الله وهم يستهزئون به ويسخرون منه. يعدهم الرخاء في عبادة الله وهم يعدونه الويل والثبور. وهو النبي الحليم الرقيق الطباع الطيب القلب يلقي إليهم بالموعظة وحسن القول وهم يلقون إليه بسوء الكلام ويتوعدونه ومن تبعه بالرجم والعذاب. ولما أن كثر الجدال على نبيّ الله نوح وآيس من عنادهم دعا على قومه.



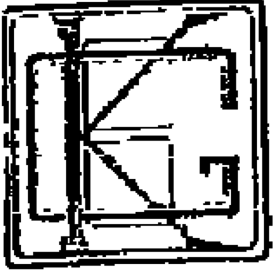
قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ
مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ
أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ
عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا
فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ نوح

يُظهر الله تعالى مدى الكفر الذي كان فيه قوم نوح عليه السلام وإصرارهم على إتباع الباطل، وأنهم اتفقوا على عدم ترك آلهتهم، وْدّا وسْواعا ويغوث ويعوق ونَسْرا، وهي أسماء ما كانوا يعبدون حين أرسل الله تعالى نوحا إلى قومه. وكانوا يُوَصُّون صغارهم ألا يتركوا هذه الآلهة أبداً وأن يظلوا عليها قائمين بالعبادة خوفا من أن يُضلهم نوح. وظلّوا على ذلك حتى بات حُلم نبيّ الله منتهيا، وعلم أنه ليس من سبيل لإصلاحهم والخلاص من أذاهم. فدعا عليهم هذه الدعوات، وأن يقض الله أمراً كان مفعولاً ولا يدع منهم أحدا على ظهر الأرض لأنهم حتى من نسلهم ميئوس منهم فلن يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً. إذًا فقد انتهي الأمر وهذا نبيّهم يدعو عليهم، وهذه شهادة يطلبها الله تعالى من أنبياءه قبل أن يُنزل العذاب على القوم. ثم جاء الأمر من الواحد القهار.

- **الفلك.** +

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم
مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ هود

أخبر الله تعالى رسوله بأن الأمر قد تقرر وانتهى وأن هؤلاء قومٌ مغضوبٌ عليهم، وأنه استجاب لدعاء نبيّه بعد أن أخذ شهادته على القوم. وأمَرَه ألاّ يشفع للقوم المغضوب علهم ولا يطلب لهم الرحمة أبدا. ثم أمره بصُنع الفلك تحت رقابةٍ من الله تعالى، وبوَحْيٍ منه في



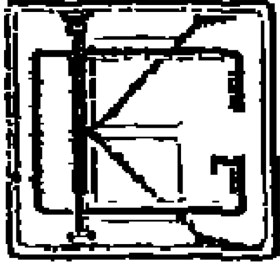
صناعة الفلك، ولأن الفلك من علامات الله تعالى الكبرى، إذ أن القوم مُغرقين. سيغرقهم الله سبحانه بقدرته الخارقة وهم في مكانٍ قليل الأمطار وليس به فيضانات كبيرة، وبه عدد محدود من الينابيع التي يستسقون منها. وهذا أمر شديد البلاغة لأنه أيضا لا توجد أخشاب لبناء الفلك. فأمره الله تعالى بزرع الأشجار التي عيّن له نوعها وأرشده إلى مكان زراعتها. وأطاع الرسول قول ربّه، وبدأ زراعة الأشجار.

وعلم القوم بزراعة نوح الأشجار لإنتاج أخشاب يصنع منها الفلك، فواصلوا الاستهزاء به. على أن ذلك لم يُثبِّط من عزيمة النبيّ، بل أخذ يخبرهم بأن الله له أساليبه الخاصة وأن أمره إذا جاء لا يُردّ. ويرد عليهم استهزاءهم به ويواسيه الله تعالى ويعلمه أنه لن يزداد عدد الذين آمنوا.

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ هود

كم مرّ من السنين ورسول الله نوح يغرس الأشجار ويرويها ثم يقطعها وينشرها ويجفّفها ويبدأ صناعة الفلك! كل ذلك ولم يزداد عدد الذين آمنوا معه، بل على العكس، منهم من توفي ومنهم من انقلب على عقبيه. والقليل أصبح أقل، والنبيّ لديه عزم شديد وإيمان بالله قويّ، فيُقبل على العمل مع القليلين الذين يساعدونه في هوادة وثقة بالله، وأنّ الله منجزٌ وعدَه لا محالة. يسخرون منه فيخبرهم بأن العذاب آتيهم وأنه عذابٌ غيرُ مردودٍ وأن فيه فناؤهم. وأعطى الله نوحا العلامة التي سيبدأ بها الانتقام من هؤلاء الكفرة المشركين. وانتهى صنع الفلك وأصبح جاهزا والناس يمزحون، أين الماء، وكيف سيقلع وليس له قلاع ولا دفة اتجاهات، ولِمَ هذا الحجم الكبير جدا والذي يتسع لأكثر من عدد الذين معه بمراحل كثيرة؟ ونوح يعلم أن الله لن يُضيّعه وأنه لحكمة خاصة أراد أن يكون الفلك بهذا الحجم الكبير.

ويقال أن طول الفلك كان حوالي ٢٠٠ ياردة وعرضه حوالي ٥٥ ياردة وارتفاعه ٣٥ ياردة، والله العالم وحده. إذ أن ذلك من كتب الأولين، وأيا كان فإنه كأن ضخم جدا ولو بالنسبة إلى ذلك العصر من الزمان. ثم يصدر الأمر الإلهي الذي لا مردّ له.



- **الطوفان.** +

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ هود

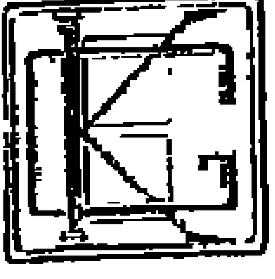
وكانت العلامة التي أخبر بها الله رسوله، إذا فار التنور، أي إذا جاءت المياه من غير أماكنها المعتادة المغايرة للطبيعة. والتنّور مكان للنار، وهو أبعد مكان يتوقع الإنسان أن تأتي المياه منه. وعلم نوح الآن الحكمة الإلهية في هذا الحجم الهائل للمركبة التي أعدّها بوحيٍ من الله تعالى وتحت رقابته سبحانه. إن الله يريد الحفاظ على الحياة، فيأمر العبد المطيع باصطحاب زوجين من جميع أنواع الحيوانات البرية والطير، لبداية حياة جديدة بعد التّخلّص من هذا القوم الكافر النّافر. وأيضا لِيُرِيَهُ الآيات فيما سيصير بعد ذلك لتكون لمن بعده من الأجيال من الآيات العظيمة.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ المؤمنون

وتأتي الملائكة بالحيوانات بجميع أنواعها وأشكالها، من كلّ زوجين اثنين، في هدوء ونظام عظيمين، والجميع طائع لا ينفر، ويدخل وأهله جميعا من الذين آمنوا، والذين هم في دعوته إلى الله التي قال فيها، ومن دخل بيتي من المؤمنين، إلا زوجه وأحد أبنائه رفضا الدخول، إذ هما كافران عن غير علم من نوح عليه السلام. واستعدّ الجميع وغلّقت الأبواب وأصبحوا في معزل عن الخارج وفي رحمة عظيمة من الله سبحانه اللطيف بعباده الصّادقين. وأصبح الفلك هو المكان الوحيد الآمن على ظهر الأرض، ولكن الناس كانوا لا يعلمون ذلك ظانين أنها أمطار عابرة.

۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ هود

وصدر الأمر الإلهي إلى الأرض واستجابت الأرض وتفجرت الينابيع من كل مكان وتكاثرت المياه وأخذت المركبة في الارتفاع عن الأرض ثم فتحت السماء أبوابها وهطلت الأمطار كما لم

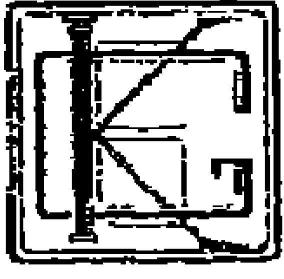


يشهدها العالم من قبل أو من بعد. وتدفّقت المياه كأنها شلال عظيم من جميع الجهات وأصبحت الأمواج كالجبال الشامخات. فإذا بنوح عليه السلام يرى أحد أبنائه فينادي عليه أن اركب معنا ودع القوم الكفرة الفجرة، قال أنه سيلجأ إلى جبل، ظانا أن هنالك نجاة من أمر الله، وهو لم يكن من المؤمنين وإذ هما في هذا الحوار حال بينهما الموج فلم يعد يره ولم يشهد مقتله رحمة من الله برسوله الكريم. وكانت أحد أزواجه من الكافرين أيضا والغالب أنها لم تقترب من المركبة.

واستمر السيل من السماء ومن الأرض إلى ما شاء الله. وأخذت المياه المنهمرة من السماء في الشدة والكثرة وكأنها شلّالات ليس لها حدود وكمية من الماء ليس كمثلها شيء ولفترة طويلة من الزمن حتى كست المياه جميع الأرض بما في ذلك قمم الجبال الشامخة. ويقال أنها كانت تعلو أعلى الجبال بنحو من عشرين مترا والله أعلم.

فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ القمر

ولم يكن من يقود الفلك ويوجهها، إنما صُمّمت فقط لتطفو على سطح الماء، ولكنها كانت مأمورة من الذي يقول للشيء كن فيكون سبحانه. ويقال أن هطول المياه استمر أربعين يوما، وكان المكان الآمن الوحيد هو الفلك حيث نوح والمؤمنون والحيوان البرى والطير مما اختار الله. ثم توقفت المياه وهدأ الجو، واستمر الماء يغطى اليابسة مائة وخمسين يوما ثم بدأ في التراجع واستمر ذلك مائة وخمسين يوما أخرى، حتى تكشفت الأرض مرة أخرى ورست المركبة على جبل الجودي، وهو سلسلة جبال أراراط والله تعالى أعلم. ويمكن للإنسان أن يتخايل حجم الموج العظيم بعد أن غطّت المياه الأرض بالمقارنة مع حجم الأمواج التي في المحيطات المحدودة الحجم. وفي داخل المركبة كانت دورة الحياة الاعتيادية، فالحيوانات يُغذّى بعضها بعضا وتتوالد وتتكاثر ونوح عليه السلام ومن معه في أشد الشّغل للقيام بالواجبات لهذه المخلوقات التي ائتمنه الله تعالى عليها. وكانت دورة الحياة الاعتيادية وكأنهم في عالم أو على كوكب صغير مغلق عليهم. وهذه المركبة العظيمة الهائلة التي أوحي الله تعالى لنوح بطريقة صنعها كانت على خير ما تكون من تحمل كل هذه الأمواج وطول الزمن الذي استغرقته رحلة النّجاة. ثم انكشفت البرية وخرج نوح والذين معه من الفلك



تقودهم الملائكة في نظام عظيم كما دخلوا أوّل الأمر، وقادت الملائكة كلُّ نوعٍ إلى حيث أراد الله تعالى له أن يبدأ ويتكاثر. وحفظ الله القليل من المؤمنين الذين كانوا مع نوح وذهب بكل ما على الأرض من إنسان وحيوان وكل ما بالسماء من طير، وهكذا تبدأ الحياة من جديد على أرض طاهرة ليس عليها إلا من كان يعبد الله سبحانه. وهم نوح وأهل بيته.

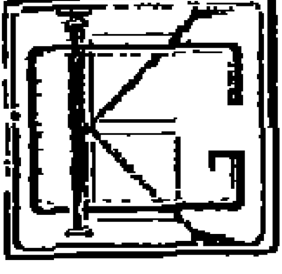
وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ هود

وأنْجَى الله تعالى من شاء مع نوح وأنزلهم حيث أراد، عندها نادى نوح ربه طالبا منه أن يرد إليه ابنه لأنه من أهله، فأخبره العليم جلّ جلاله أنه لم يكن ابنه طرفة عين ولم يكن من أهله ولو لوهلة من الزمن، إذ أن أهل الأنبياء هم من تبعوهم وليس أهلهم من كانوا بصلة قرابة رحم أو دم. فاستغفر نوح ربه وتاب إليه وحلّت عليه السكينة.

وهذه المركبة العظيمة والتي زرع لها نوح الشجر وقام على صناعتها مئات من السنين والتي كانت عنصر نجاة المؤمنين مع نبيّ الله نوح، كانت قد أنهت مهمتها. على أرض يابسة صُنعت وعلى أرض يابسة هُجرت.

وصار الطوفان مثلا عبر السنين والدهور وفيه العبرة لكل من خالف أمر الله. ظلموا أنفسهم وعبدوا من دون الله العلي تلك الخزعبلات التي لا تنفع ولا تضر وأثاروا غضب الله واستهانوا بأنفسهم فهانوا على الله تعالى فأغرقهم جميعا ولا أسف عليهم. فلا بكت عليهم السماء ولا تحسرت عليهم الأرض ولعنتاهم مع اللاعنين. وتبدأ الحياة من جديد وتستمر ما شاء الله العلي القدير.

***   قال الله لنوح، نهاية كل شئ بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلأت ظلما منهم. فها أنا مهلكهم. اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر. ثلاث مائة ذراع يكون طول



الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ارتفاعه. فها أنا آت بطوفان الماء علـى الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة تحت السماء. كل ما على الأرض يموت. ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك، ومن كل حيّ من كل جسد اثنين، ومن كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكر وأنثى. وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك. لأني إياك رأيت باراً لديّ في هذا الجيل. ولما كان نوح ابن ست مائة سنة صار طوفان الماء علـى الأرض. انفجرت ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء. وكان الطوفان أربعين يوما علي الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك، فارتفع عن الأرض. فكان الفلك يسير على وجه الماء. وتعاظمت المياه جدا على الأرض، فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء. فتغطت الجبال، فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض. ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا، وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه. وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر. وفي أول الشهر العاشر ظهرت رؤوس الجبال. واستقر الفلك على جبال أراراط.

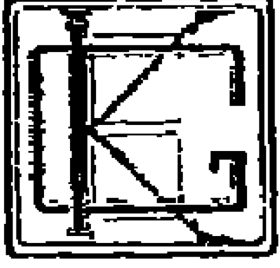
ثم ذكروا عهدا أقامه الله مع نوح: أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضا بمياه الطوفان. ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض. (مختصر ولكن نصا من سفر التكوين)

ولم يذكر القرآن الكريم أية نوع من العهود أقامها الله مع نوح عليه السلام ولم يذكر عهدا أخذه مع نبيّ إلاّ كان هو العهد الأصيل الذي أخذه علي جميع الأنبياء وهو وعده بالجنة للمتقين وبالنار الكافرين، إلاّ أنه كرّم جميع أنبيائه كلّ على حدة وبطريق لا يعلمها إلاّ هو وحده سبحانه، غير أنه اختص إبراهيم عليه السلام بحفاوة خاصة.

وأنجى الله رسوله نوح ومن معه من المؤمنين والحيوانات التي أراد الله الحفاظ عليها، وأنزلهم سالمين حيث أراد فسبحان الله العلي العظيم. وعادت الحياة على الأرض كما بدأت أول مرة، ووُلد الإنسان من جديد، وكل الإنسان الذي يعيش الآن هو من نسل سيدنا نوح عليه أفضل الصلاة والسلام.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ الصافات

ولقد أنجى الله تعالى ذرية نوح، وكل البشر على الأرض إلى يوم الحساب هو ممن أنجى الله مع نوح إذ هم جميعا من ذريّة نوح نبيّ الله. ولقد عاش نوح لفترة طويلة من الزمن بعد الطوفان وكان رجلا معمرا. إذ أن القرآن العظيم ذكر أنه أقام مع قومه تسعمائة وخمسون



عاما.

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ العنكبوت

ولسنا نعلم إن كان ذلك كل عمره أم أنه كان فترة الدّعوة لدين الله الحنيف، والمشهور أنه لا بد أنه عاشر على الأقل خمسة أجيال من أحفاده، أقام فيها الدين خير قيام. وتكاثر الناس ثانية، واحتُضِر أبونا الثاني نوح وأوصى بنيه، سام وحام ويافث وما جاءوا به من الذرية، بما أوصاه الله تعالى به. وحذّرهم من غضب الله وحذّرهم من الشّيطان الرّجيم الذي لا يدع حيلة إلا أتى بها. وحضرته الوفاة، وصلت عليه الملائكة والناس أجمعون. اللهم اقبل صلاتنا علي روحه الطاهر واكتبه مع الصالحين الأبرار، واقبل منا شهادتنا يوم الدين، أنه بلغ رسالتك وأقامها وكان من خير العباد، ومات أبونا الثاني، أبو البشر إلى يوم الدين عليه الصلاة والسلام.

ستة رجال فقط مارسوا الحضرة الإلهية رغبة ورهبة وقد مات ثانيهم.

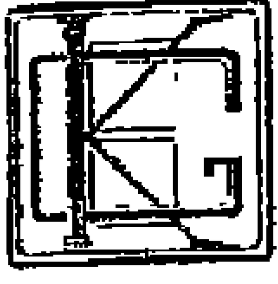
وأقيم الدين الحنيف وأقيمت الصلاة وتناولها الإنسان في إقبال عظيم، وكانوا حريصين على الاستقامة لفترة طويلة من الزمن لا يعلم إلا الله كم طالت.

- **بعد نوح.** +

ووُلِدَ الإنسان من جديد على أرض طيبة ليس عليها إلا نور الله تعالى الذي يهدى من يشاء، وعُلِم أنه لا فارق بين إنسان وآخر في الشكل أو اللون أو ضخامة الجسد والقوة، ولكن الفارق الحقيقي هو تقوى الله عزّ وجلّ وأن العبادة هي الأساس في جميع المعاملات، وأنه لا ميزة لأحدٍ على الآخر، وأنه لا يجب على طرف استعباد طرف آخر، وأن حرّية الإنسان هي أساس الحياة، ما زال ذلك في غير ما يغضب الله تعالى، فدستور الحياة هو حرية الفرد الإيجابية التي لا تعتدي على الآخرين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ الحجرات

فإن الله تعالى خلق الإنسان وهو أعلم بما سيكون منه ولذلك أخبر تعالى أن الأفضل لديه هو



من اتقى الله عزّ وجلّ في جميع شأنه وليس ما أوتى الفرد من حسن شكل أو هيئة أو قوة في الجسم أو النشأة أو كثرة مال، ولكن في تقوى الله تعالى. والجميع أمام الله عزّ وجلّ سواء، فالجميع من آدم وآدم من تراب. و ما أنزل الله من ذِكرٍ هو لك أو عليك، لك إن اهتديت وعليك إن ضللت، وجعل الله الشعوب والقبائل ليتعارفوا ويتحابوا وليس ليتحاربوا ويعدوا. وعلى الجميع أن يتحابوا في الله ويؤدّوا الفروض التي عليهم لله عزّ وجلّ.

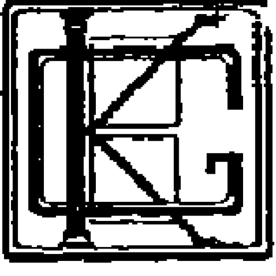
وتكاثر الإنسان بسرعة عظيمة، وتكونت القبائل ثم المدن ثم البلاد. وتذكر الإنسان ربّه لمدد طويلة. وتباعدت الناس بعضهم عن بعض وفرّقهم الله تعالى في أُمَمٍ وقبائل ولغات ولهجات مختلفة ومنهم من نسى عهد الله ومنهم من تذكر ولكن على ضعف.

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ مريم

وهكذا نسي الإنسان عبادة ربه ومن ينسى عبادة الله يُنسيه الله نفسه فيزداد ضلالا. وبدأ الإنسان مرة أخرى في عبادة الأوثان ودخل الشيطان وجيشه، والذي لم يمت منهم أحد في الطوفان، دخلوا بين العباد ليهلكونهم بالبعد عن طاعة الله تعالى وتبعه الكثير من الناس. وتتابعت الأزمنة ونسي الإنسان ربه كليّةً، وبعد فترة من الطوفان، لا يعلم إلا الله كم طالت، لم يكن هنالك على وجه الأرض من يعبد الله. وغضب الله تعالى ولكنه برحمة منه سبحانه لم يهلك من على الأرض مرة أخرى.

كانت البشر أغلبها في بلاد بابل وما بين البحرين حيث الكلدانيون وفي مصر إلى الغرب، وفى بلاد الهند والسند في الجنوب الشرقي وبلاد الصين إلى أقصى الشرق وفى الشمال حيث بلاد الروس وبلاد الترك وكانت أغلبها مدنيات متقدمة بالنسبة إلى هذا الزمان وإلى أقصى الجنوب بلاد اليمن وحضرموت.

وأرسل الله نبيّا من الخمس أُولى العزم هو إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام.



- **كتاب إبراهيم عليه السلام +**

نشأ إبراهيم (عليه الصلاة السلام) بين قومه الكلدانيين وفي بلادهم. وكان الناس في ذلك الزمان قد نسوا الله تماما، ولم يكن هنالك من يعبد الله على الأرض. وكان الكلدانيون منقسمين إلى فئتين. منهم من يدين للنجوم وهم قائمون على عبادتها، ومنهم من يدين للأصنام وهم عاكفون على عبادتها. ولكن الله اصطفي إبراهيم واجتباه وعلمه أحسن العلم وأعطاه القدرة على الجدال الطيب والنقاش المفيد وأنار عقله في نضوج لا يتأتى إلاّ لأنبياء الله الصالحين. وأعطاه رجاحة العقل وطول البال في النقاش ولقد بدأ رسالته صغيراً. ولم يسرّه ما وجد على القوم من عبادة النجوم والأصنام التي لا حول لها ولا قوة.

وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ الأنعام

- **رفض عبادة النجوم +**

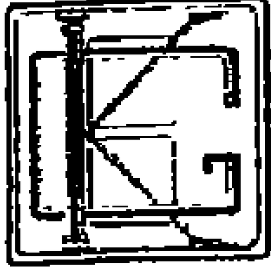
نظر إلى السماء في حضور عابدي النجوم فوجد نجماً مضيئاً فوجدها الفرصة المتاحة لانتقاد النجوم وعبادتها وانتقاد ما يعبدون من الإفك الذي افتروه،

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ الأنعام

وكان ذلك في محاولة منه لجذب انتباه القوم حتى يدخل إليهم في النقاش ليقنعهم أن ما يعبدون إنما هو من ضلالة الشيطان لهم. فالنجوم أجرام سماوية لا حول لها ولا قوة، وهي جميلة المنظر وهي زينة في السماء فيما يبدو للناظر ولكنها تعتمد في نورها على أجرام سماوية أخرى، فهي تصلح للذين يجدون متعة في قراءة الطالع، ولو أنه غير مستحب، ولكن من لديه العقل لا يعطيها الربوبية ولا يعبدها. ثم اتجه إلى القمر، ذلك كوكب أكبر وأجدر أن يلفت الأنظار أكثر من النجوم.

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ الأنعام

وهذا القمر الأكثر إضاءة في السماء والذي يعطى ضوءا جميلا في الليل، يعتمد في إضاءته على جسم سماوي أخر وهو الشمس. والقمر يختفي عند حلول النهار ويصغر ويكبر حسب نظام



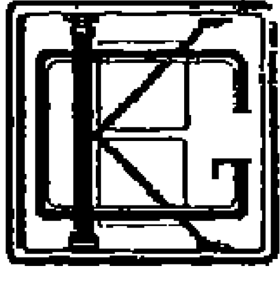
دائم، ولا بد أن هناك قانون موضوع له ممن هو قادر على ذلك، إذاً هو ليس للعبادة وإنما هو دليل على وجود من خلقه. ويبدأ إبراهيم بذكر الله سبحانه ويقول إن لم يهدني ربي، فيلفت انتباه قومه بأن الهداية هي من الله تعالى. وبعد ذلك يتجه إلى الشمس.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ الأنعام

والشمس هذا الجسم المضيء في السماء والباعث على الدفء على الأرض ومصدر الضوء عليها وإحدى بواعث الحياة واستمرارها، أجدر بالعبادة من بقية النجوم وهو أكبر من بقيتها، ولكن الليل يطغى عليها وتذهب عن الرؤيا وتغيب عن الأنظار وتختفي. هي إذا ليست للعبادة فهي أيضا تخضع لقانون مُحكم لا يكون إلاّ بصنع من عنده العلم كله. وهكذا يُسخّف إبراهيم كل عبادة النجوم التي في السماء ويحط من شأنها، ليثبت للقوم أنما هنالك إله واحد سبحانه، هو الذي وضع قوانين الكون كله، وله وحده يجب أن تكون العبادة. وأمامهم يتجه إلى الله تعالى في محاولة منه لجذب انتباه القوم إلى ما يجب عليهم إتباعه. فهذه الأجرام السماوية جميعا إن دلت على شئ إنما تدل على وجود الخالق لها جميعا سبحانه، وهو الذي وضع لها قانونا عليها إتباعه دائما ولا خروج منه سبحانه الخالق المبدع.

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ الأنعام

يتجه إبراهيم بوجهه للذي فطر السماوات والأرض، وهو الخالق الذي خلقهن جميعا وهو بهن عليم، فيأخذ بقلوب المستمعين إلى الله تعالى ويخبرهم أن يتجهوا بالعبادة إليه بدلا من هذه الكواكب التي لا ينبغي لها سوى أن تتبع قانوناً منزلاً عليها لا تخطئه. فتلك الأجرام السماوية لا تصلح للربوبية ولا يستقيم لها العبادة لأنها مخلوقة مدبرة ومسخرة، تبرز تارة في الظلام وتتواري تارة أخرى فتغيب عن الرؤيا وينزل عليها الحجاب والله عزّ وجلّ لا يغيب أبدا ولا يغيب عنه شيء لا في السماء ولا في الأرض، بل هو الدائم الباقي لا إله إلا هو ولا رب سواه. وهكذا أنهى إبراهيم انتقاده لعبادة الكواكب في رقة وقوة وإقناع للحاضرين. ولكنهم مجبولون على غير ذلك ولم تلق منهم أيّ قبول. وأخذوا يحاجونه



ويحاولون تهديده وإرهابه من أن يصيبه منها شيئاً إذا هو كفر بها أو أنهم سيدافعون عنها بالأخذ والنيل منه.

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ الأنعام

ويشرح لنا المولى عزّ وجلّ أن القوم أخذوا في ترهيب إبراهيم بآلهتهم ويتوعدوه بالويل والثبور وعظائم الأمور. فرد عليهم رسول الله بالحجة البالغة التي أدمغتهم، وكيف هو عليه أن يخشى منهم تهديدهم له أو يخشى من آلهتهم أن تصيبه بمكروه وهم لا حول لهم ولا قوة، وكيف بقومه أنهم لا يخشون أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا! أليس عليهم أن يخشوا الله بدلا من تهديدهم له! أليس هم أحق باللجوء إلى الله تعالى فيشعرون بالأمن كما هو شعوره بالأمن في عبادة الله عزّ وجلّ والإنابة إليه سبحانه!

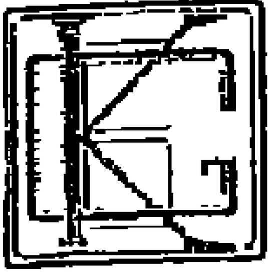
وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ الأنعام

وأن الله يرفع عباده درجات فوق درجات إلى حيث شاء بالحجة والبرهان القائمين فهو الحكيم في كامل الأمر والعليم بما كان وما سيكون.

- **رفض عبادة الأصنام +**

وهنالك الفريق الآخر الذي يعبد الأصنام. ويقال أن أباه كان من علية القوم لأنه كان من أحسن وأكبر وأغنى النحاتين في صناعة الأصنام. ولهذا اكتسب هذه الكانة من بين قومه والله أعلم. ولجأ إبراهيم لموعظة أبيه أولاً.

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا



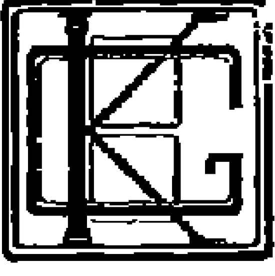
تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ مريم

وهكذا بدأ إبراهيم موعظة أبيه في محاولةٍ لإقناعه، ولكن هل يقتنـع أبـوه بهـذا! وكيـف أن إبراهيم قد دعا أباه بألطف الكلام وأحسن البرهان، وبين له بطلان مـا هـو قـائم عليـه مـن عبادة للأوثان التي لا تسمع ولا تعي ولا تعلـم، فكيـف لهـا أن تقـوم علـى قـوانين الكـون والمخلوقات وتتولاها! ثم أخبره أنه قد جاءه من العلم ما لم يكن لأبيه وهذه مشـيئة الخـالق وأن على الأب أن يتبع الابن على سبيل الاستدلال والاقتناع. أما أبو إبـراهيم فيتسـاءل مـن أين لإبراهيم العلم وهو أبوه الذي علّمه كل شئ! وكيف يتسنى لـن يعمـل الآلهـة أن يـترك الصناعة التي يرتزق منها، وهو من علية القوم، ويتجه إلى عبادة مـن لم يـره! إذاً فـإبراهيم قد خرج عن المألوف للقوم وأبيه فيجب مؤاخذته على هذا الكلام الذي لم يسبقه عليه أحد، فأخذ والده في تسفيهه والواقع أنها سفاهة منه هو.

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ مريم

وهذا هو رد الوالد على دعوة ابنه الصالح رسول الله بعبادة الله وحده. كذّبه ولم يصـدّقه ولم يأخذ في اعتباره أنه هو المخطئ في عبادة ما يصنعه بيده، وينقسم الوالد على الإبـن ويهـدده بالرجم ويطلب منه الابتعاد عنه حتى لا يرجمه فعلاً وعملاً. ويذهب إبـراهيم نـبيّ الله عـن أبيه إنما يُخبره بأنه سيدعو له الله فهو أبيه وإبراهيم رسول الله وله عنده مـودّة. ولم يـنس أن يقرأ عليه السلام. مِثال الولد الخاضع المطيع. ويذهب إبـراهيم بعيـداً عـن أبيـه، ولكنـه يأخذ في دعاء القوم بلا هوادة ولا يترك باباً إلاّ يطرقه في الدعوة إلى عبادة الله الحـق وإقامـة الدين الحنيف.

وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ



وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن
قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ العنكبوت

وهاهو إبراهيم يدعو إلى الله سبحانه في رفق ولين ويريد بالقوم الرفعة عن الإشراك بالله ويخبرهم بأن الله وحده هو المستحق للعبادة ولكن دون جدوى.

ولكن النبيّ إبراهيم لا يهدأ أبدا، وهكذا جميع أنبياء الله لا يستطيعون التكتم عن العلوّ بالحق، وكما أخبر الله عزّ وجلّ فما على الرسول إلاّ البلاغ، فعليه أن يبلغ رسالة ربه وليكن ما يكون. فالنتيجة المترتبة على الدعوة ليست من شأنه ولكنها متروكة إلى الله تعالى وحكمته، له في شأنه ما يريد سبحانه. إن أراد هداهم فإنه يأخذ بقلوبهم إلى الهدى والرشد وإن كان غير ذلك فلا جدوى منهم في الهدى فهو يعلم ما في قلوبهم من كفر وضلالة عزّ ربّنا وجلّ.

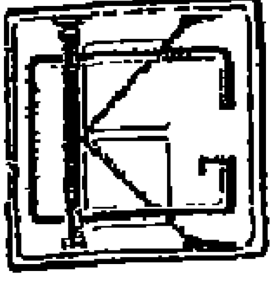
۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا
هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ
ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم
مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ الأنبياء

وبدأ الصراع الأزلي بين الحق والباطل. ويخبرهم إبراهيم بأنهم في ضلال عن الحق وأن الله هو رب السماوات والأرض والخالق لكل شئ وهو وحده الأحق بالعبادة، ولكن قومه مجبولون على الكفر بالله ولا يقتنعون وقلوبهم موصدة ويتوعدهم إبراهيم.

وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ الأنبياء

ويمكر بهم إبراهيم، إذ جاء يوم عيد يحتفلون فيه، وكلٌّ منهم يذهب إلى الحفل بما في ذلك الحرس والكهان القائمون على المعبد والذي به الأصنام التي يعتزّ بها القوم ويقدمون لها القرابين. فيأتي لتنفيذ خطته وحيلته على القوم في محاولة كبرى لإقناع قومه بأن هذه الآلهة التي يعبدون لا حيلة لها في الدفاع عن نفسها فكيف ستدفع عن الناس الأذى!

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ الأنبياء



يذهب القوم إلى حفلهم ويتركون المعبد الذي به الأصنام والآلهة، فيذهب إبراهيم ويجد لديها القرابين من الطعام لم يمسوها. فيتعجب استهزاءً من تلك الأصنام لا تأكل حتى القرابين التي يقدمها القوم لأصنامهم بل يأخذها كهنة المعبد بعد الاحتفالات. وينهال عليها إبراهيم بالقدوم تكسيراً حتى يُكسّرها جميعاً إلاّ أكبرها تركه سليماً.

فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ الصافات

ويقف إبراهيم أمام هذه الأصنام التي لا حول لها ولا قوة ويتعجب منهم ويسخر من أنها أضعف من أن ترد عن نفسها السوء ولا تأكل القرابين المقدمة لها. وأقام عليها تكسيراً وبعد أن فرغ منها جميعا إلاّ كبيرها علّق القدّوم في رقبة الصنم وترك المعبد. وجاء الكهنة من الحفل وإذ الأصنام جميعاً فتاتاً مُتَكسّرة بلا هوادة.

قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ الأنبياء

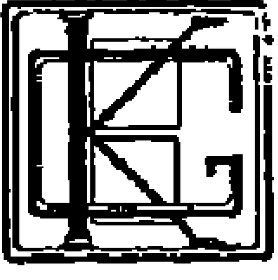
وبدلا من أن يكون في آلهتهم المحطمة عبرة لهم قالوا فاعل ذلك من الظالمين. ومن هو يا ترى، هو إبراهيم، إذاً فلنحضره على مشهد من الجميع، ولعل منهم من يشهد عليه حتى نحكم فيه أمامهم. تأكيداً على جرمه بالتصدي لآلهتهم، وتلك هي بغيته، أن يجمعهم جميعا في صعيد واحد حتى إذا أظهر الله أمرا كان أمام الجميع.

- **إلقاء إبراهيم في النار.** (صلّى الله عليه وسلّم) +

فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ الصافات

كانوا يحاجونه فقال لهم أن ما أغباكم تعبدون ما تصنعون!

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ الأنبياء



وأحضروا إبراهيم أمام الجميع ويحاورونه فيقول لهم أن اسألوهم وهذا كبيرهم هو الذي حطّمهم ولديه القدّوم معلق في عنقه والدليل عليه قائم. فيُبتلى القوم ويعلموا أنهم على الباطل ويحاورونه، أنت تعلم أن هذه الآلهة لا تتكلم. فأقام عليهم الحجة الكبرى. كيف يعبدون ما لا يستطيع الدفاع عن نفسه! ولا حتى الكلام ليدل على فاعل هذا العمل! ومن أين إذاً سيدافع عنهم أو يعطيهم خيراً أو شرّاً!

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ الأنبياء

فتأخذهم الحجة العظيمة ولكنهم يأبون الاستسلام لها ويتآمرون عليه فيما بينهم.

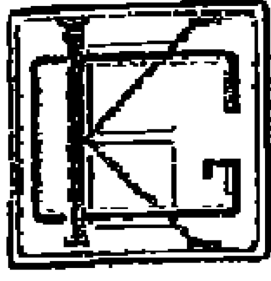
قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ الأنبياء

وصدر الحكم بعد المداولة وتقرر حرق إبراهيم رسول الله في النار، على غير علم ولا حق، بل على عناد للحق لَمّا جاءهم وعلى تمرغ في الكفر كبير.

قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ الصافات

وهكذا تقرر الحكم على إبراهيم رسول الله، أن يبنوا له بنياناً عظيماً وهائلاً ويجلبون عليه الحطب من كل مكان، وأودعوه السجن حتى موعد عيد لهم. ثم أشعلوا ناراً عظيمة يصل لهيبها إلى عنان السماء ويصل حرّها إلى أميال عديدة. ولكن الله له أمور لا يعلمها إلاّ هو، ولم يكن ليسمح لهم بتحريق نبيّهم. بل تنقلب الأمور عليهم موعظة لهم منه وتأديباً على فعلتهم ولتكون عبرة للأجيال القادمة إلى يوم الدين. وعند اشتعال النار أحضروا المنجنيق وكتفوا سيدنا إبراهيم من يديه ورجليه وألقوه في النار. ولكن في الإعداد لذلك جاء إليه الملاك جبريل عليه السلام يسأل إبراهيم إن كان يريد شيئا، فيرد عليه إبراهيم (صلّى الله عليه وسلّم) أن كل شئ بيد الخالق سبحانه وأن قَدَرَ الله إذا جاء لا يُرد، واستمر في صلاته إنابة إلى الله الواحد الحق واستمر في خشوعه لله جل شأنه. (وذُكر عن الإمام أحمد ابن حنبل أنه قال: إن إبراهيم لما رمي به في النار في المنجنيق عرض له جبريل فقال: هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: فسَلْ من لك إليه حاجة. فقال: أحبُّ الأمرين إليَّ أحبّهما إليه. (يعني الله سبحانه) **ويحكم الله.**

قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ



ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ الأنبياء

فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ الصافات

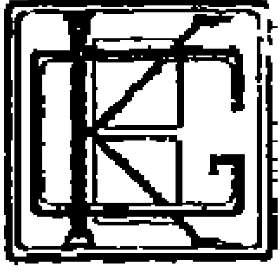
وأين كيدهم من كيد الله العزيز الحكيم! ولقد صدر أمر الله تعالى إلى النار بأن تكون برداً وسلاماً على رسوله إبراهيم. وتتلقاه النار كما تتلقى الأم وليدها، رفيقة وحنون وتأخذه لصدرها بعطف ورعاية. لم يصب إبراهيم لا لهيب ولا حر من النار. ولكن كما أخبر الله تعالى، فجعلناهم الأسفلين، فإن النار اشتعلت إلى ما شاء الله لها، وخرجت على سيطرتهم وامتدّت إلى منازلهم وبيوتهم. ولم يستفيق القوم من ذهولهم وعذابهم حتى انطفأت النار. منهم من يقول استمرت النار أسبوعاً من الزمان ومنهم من يقول أكثر من ذلك والعلم عند الله العليم الخبير. وهدأت النار ويذهل الجميع عند خروج سيدنا إبراهيم رسول الله منها وكأنه قادم من حقل على شاطئ نهر الحياة. لم تصب النار منه سوى القيد المربوط به وبدلاً من أن حرّقته أطلقته وحررته. أما القوم فإن النار فعلت معهم مفعولها وكان كل شئ يملؤه اسوداد التفحم وكان التعب والإرهاق واضحا على أجبانهم. والحمد لله القائم على أمره.

- **إبراهيم** (صلّى الله عليه وسلّم) **والملك الجبار.** +

يذكر القرآن الكريم هذا الجبار ولم يذكر اسمه. وتضاربت الأقوال عليه ولا يؤخذ بأيّ منها. ولكن المسألة كما جاءت بالكتاب الكريم، فهي واقعة عظيمة وفيها من العبر ما لا حصر له. وقد ذكره القرآن العظيم على أنّه من ادّعى الربوبية وظن أنه قادر على كل شئ لأن الله أعطاه الملك. غير واع أنه القدر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ البقرة

والراجح أن هذا الجبار كان أحد الملوك الكلدانية ولم يذكر في أيّ من كتب الأولين، ولم يُعرف كيف تم الاجتماع بين إبراهيم وبينه. والأرجح أنه هو الذي استدعى إبراهيم للقائه بعد أن سمع بمسألة النار التي ألقوه فيها وخروج إبراهيم منها. ويحاول الملك أن يُثني



إبراهيم ويجعله يركع له باعتباره ربًا للعباد. وهذا شأن كل جبار. هم ينسون الواجب المقدس الذي أناطه الله بهم ويسعون في الأرض الفساد، بدلاً من تأدية الواجبات التي عليهم حول الرعية، من إقامة العدل والأمن في البلاد التي ائتمنهم الله عليها. والأنبياء يرغبون في لقاء مثل هذا الجبار لإقناعه بالتضرع إلى الله العزيز، ومحاولة تثنيته عن الظلم الذي يستعبد به الرعية وطغيانه في الأرض. فيقول الملك لإبراهيم، من ربك؟ ألست أنا؟ يريد منه أن يعترف بربوبيته. فيقول له إبراهيم أن ربّه هو الله العزيز الحكيم الذي جعل أمثاله ملوكاً حتى يكون منهم عبرة للعباد. فيقول إبراهيم، إن ربى يحيي ويميت. ويعلم الملك أن إبراهيم صادق في قوله، ويعلم أنه لا يستطيع أن يحيي ويميت، ولكنه يجادل عن عمى وغرور وأنفة. فيقول، وأنا أيضا أحيي وأميت. ويأمر الملك فَيُفْرَج من السجن عن أحد المحكوم عليهم بالإعدام، ثم يأمر، فيحضرون رجلاً بريئاً من الطريق ويقطع رأسه كدلالة على ربوبيته.

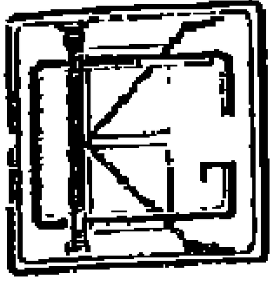
ويسقط في يد إبراهيم أنه في حضرة أحد الملوك المجانين، وأنه يجب عليه تقديم الحجة البالغة والغير قابلة للنقض بهذه الطريقة الغير عقلانية. فيقول له إبراهيم أن ليس كذلك إماتة البشر وليس كذلك إحياء الموتى، وليكن، فإن ربى يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب إن كنت بالحق إلها كما تدعي وإلا فاسجد لمن خلقك وسوّاك رجلا وحكّمك في أمور الناس فأخذت في ظلمهم. ويالها من حجة بالغة. فتلك هي قوانين الكون التي من وضع الله تعالى فإن كنت إلها فاستبدل بعض نظام الكون. قوانين الكون التي نسّقها الخالق الجبار من يستطيع تغييرها!

- **هجرة إبراهيم** (صلّى الله عليه وسلّم) **إلى أرض كنعان.** +

ويقيم إبراهيم عليه الصلاة السلام الحجة تلو الأخرى، ولكنهم قوم لا عقل لهم، غلاظ القلوب ولم يستطع إقناع أحد منهم بالتخلي عن الأصنام واللجوء إلى الله وإتباع الدين الحنيف، فتوجه إلى الله تعالى هو الهادي والناصر.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ الصافات

غير أن إبراهيم كان قد تزوج من سارة، وهي إحدى قريباته، وكانت جميلة غاية الجمال وآمنت معه وأسلمت معه وجهها لله تعالى الواحد القهار. وكان له أيضا ابن أخ اسمه لوط وكان من المؤمنين المصدقين لإبراهيم وعلى دينه.



﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ العنكبوت

بعد أن يئس إبراهيم من قومه وتوجه إلى الله يسأله العون فيما يعمل، أتاه أمر الله بالترحال إلى الأرض التي بارك الله فيها حيث يبدأ رسالته المقدسة لدين الله الحنيف.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ الأنبياء

وأخبره الله تعالى أن نسله سيكون مباركاً وأنه سيكون منهم الأنبياء والمرسلين. وعزم النبي إبراهيم عليه السلام على الرحيل مصطحباً معه زوجه سارة ولوطا ابن أخيه.

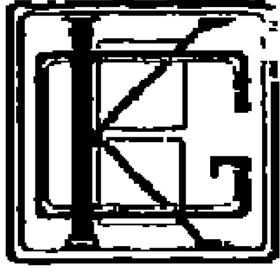
*** وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك. فذهب أبرام كما قال الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. (سفر التكوين)

واستقر إبراهيم في أرض كنعان لفترة من الزمن وهو ينشر كلمة الله ويدعو إليه، وآمن له كثير من الناس. ووجد بعض الكنعانيون بركة في رسول الله إبراهيم فالتفوا حوله وقدمت عليه كثير من القبائل وانتشر خبره وعظم أمره. وكانت سارة عاقراً لا تنجب وإبراهيم يتعجب من وعد الله له أنه سيكون له الذرية المباركة، وهاهو يكبر وامرأته عاقر، ولكنه على ثقة تامة بأن الله يصدق وعده ويفي به.

وبعد عدة سنين من المقام في أرض الكنعانيين حدثت مجاعة في الأرض، فأمره الله تعالى بالرحيل إلى مصر إلى حين انتهاء المجاعة في الأرض. والأنبياء لا يأتون أمرا إلاّ بوحي من الله عزّ وجلّ وهم على الفور يلبّون على السمع والطاعة.

• الهجرة إلى مصر. +

*** وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع كان شديدا. وحدث لمّا قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته، إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلوني ويستبقونك. قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك. فحدث لما دخل أبرام مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جدا، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيرا بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء



وأتنن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة أبرام. فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ ولماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك، خذها واذهب. وأوصى عليه فرعون رجالا فشيّعوه وامرأته وكل ما كان له. فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط إلى الجنوب. وكان أبرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب، وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل. (من سفر التكوين)

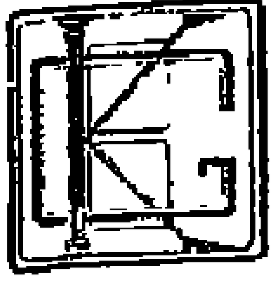
وكثير من المؤرخين العلماء اعترضوا على هذه الأقوال المتضاربة والتي فيها كثير من الريبة ولا يتوافق هذا الذي سبق مع خُلِق خليل الله إبراهيم وزوجه القديسة سارة (والجميع أجمع أنها قديسة والدليل مخاطبة الملائكة لها وبشارتها بإسحاق) ويُلاحظ هنا أنّه توجّه جنوبا وذُكر هكذا باختصار شديد. ولم يكن في جنوب مصر شيئاً، وليس من المعقول أن يتجه جنوبا وبيت إيل إلى الشمال الشرقي من البلاد. إنما المراد بالجنوب هاهنا أرض الجزيرة العربية، وهو الذي كان في وقت لاحق. لاحظ شرح رحلات سيدنا إبراهيم في كتاب:

The blood of Abraham. By President J. Carter.

الرواية على رأي العلماء.

حدثت آفة المجاعة في أرض كنعان فأمر الله إبراهيم بالهجرة إلى مصر وكان إبراهيم من الأغنياء. وأقام إبراهيم بمصر فترة وكان لا يدع سانحة إلا بلّغ فيها رسالة ربّه وهو النبيّ الرسول. وازداد الناس التفافا حوله فعلم به رهبان المعبد واعتبروه خطراً عظيماً عليهم. فاشتكوه إلى فرعون الذي طلبه ليمتثل بين يديه. وعلم فرعون فور رؤيته لإبراهيم أنه نبيّاً حقّاً، وعلم أن الكلام الذي يقول ما هو من العباد، إنما من كلام الله تعالى. فخشي فرعون رهبان المعبد إذا هو آمن لإبراهيم، وكانوا أصحاب سلطة عظيمة على الناس وفي المعبد، ومنح إبراهيم بعض الهدايا وسمح له بالمقام في مصر حتى تنتهي الآفة في بلاد كنعان.

فأقام إبراهيم لفترة من الزمن. وعند الرحيل أعطاه فرعون بعض الهدايا منها عبيد وإماء. ومنهم سرية حسناء وجميلة اسمها هاجر. وكانت ابنة أحد نواب فرعون على بعض بلاد الصعيد وذلك تكريما له، بالتمام كما فعل مقوقس الإسكندرية حين بلغته رسالة النبيّ عليه الصلاة والسلام، فأرسل له ماريّه وأختها سيرين وبعض الهدايا كردٍّ جميلٍ على رسالته. إن الملوك لا يصيدون زوجات الأنبياء. وإذا كان ملك في حضرة نبيّ فإنه يرهبه رهبته للموت، وترتعش فرائصه حتى وكأن عظامه تتحطم من الخوف والرهبة من الحضور الإلهي الذي



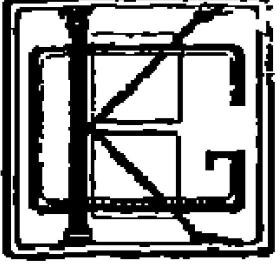
على وجوه الأنبياء. فما القول عن خليل الرحمن الذي ألقوه في النار وحماه الله تعالى! وما القول عن ذات النبيّ الذي وقف يتحدى من ادعى الربوبية وقال له إن ربي يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب؟ حينما يتحدث المرء عن سيدنا إبراهيم فالاحترام اللائق يجب أن يكون هو الظاهر، فهو نبيّ نصلى عليه إلى يوم الدين.

ما كان نبيّ الله إبراهيم ليقدّم زوجه أو يتركهم يأخذون زوجه إلى فرعون لتصبح زوجا للملك. ودعك عن قبول أو توقع الهدايا في غضون ذلك. يأبى ذلك الله ورسوله والمؤمنون. وفي ذلك الزمان لو أن مَلِكاً أراد من النساء أجملهن وأودعهن وأكملهن، ما كان أبداً شيئاً عسيراً. فكلّ ما عليه أن يُرسل أحد خدمه ببعض من المال ليبحث عن أجمل النساء وأحسنهن. ولم يذكر التاريخ أن ملكا طارد نساء الأنبياء. ولم يفتن الله أو يجرب الله رسولاً في زوجه، عزّ ربّنا وجلّ.

فضلا عن أن سارة ربما كانت جميلة جدا وإنما كانت قد جاوزت سن الافتتان بها، فهي إما كانت ستين سنة أو زادت على ذلك، وفوق ذلك فإنها كانت عاقرا ولم تنجب، وامرأة كهذه لا يفتتن بها الملوك ويتصارعون عليها ولو آنسوا إليها. وفي العهد القديم وفي فترة لاحقة لهذه الفترة، أُخذت سارة مرة أخرى لمَلكٍ من ملوك كنعان يدعى أبيمالك، وسارة كانت قد جاوزت الخمس وسبعين في ذلك الوقت. وبعد فترة طويلة أُخذت رفقة امرأة إسحاق إلى نفس الملك أبيمالك، فكم كان عمر الملك إذاً؟ وكانت رفقة أيضاً عاقراً لبعض الوقت وقيل أن أبيمالك هذا أخذها من أجل الإنجاب لأن أرحام نسائه كانت مغلقه. فكيف يأخذ الملك امرأةً عاقراً للإنجاب؟ وكأن الملوك ليس لديهم سوى مطاردة نساء الأنبياء. وأبيمالك هذا استعان بإبراهيم في وقت لاحق في بعض الحروب على حسب ما ذكروه فسبحان الله العلي العظيم الذي يعلم الحق وحده وليس عجبا أن ينصبّ عليهم غضب الله.

• العودة إلى كنعان.

وعاد إبراهيم إلى كنعان وأقام فيها في ذات المكان الذي كان له، وفرحت بعودته القبائل التي هناك. وأقام إبراهيم فترة من الزمن لم يفتُر فيها عن إبلاغ رسالة الله تعالى، وهابه الناس وأحبوه وأجلّوه. ومرة أخرى يتساءل إبراهيم متى وعد الله الذي وعد من ولد. ويوحي إليه الله أن لا تبأس ستملأ ذريتك أركان الأرض، وستكون إماماً للمؤمنين عظيماً ومن بعدك، وسيُذكر اسمك مع اسمي إلى يوم الدين.



﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة

ويعده الله تعالى بإمامة المتقين الذين يسلمون وجههم لله تعالى ولا يشمل العهد هؤلاء الذين يظلمون أنفسهم من ذريته. فإن ليس كل ذرية إبراهيم ستكون صالحة، بل منهم ظالم لنفسه خارج عن طاعة الله معتد أثيم، فهؤلاء لا عهد لهم عند الله.

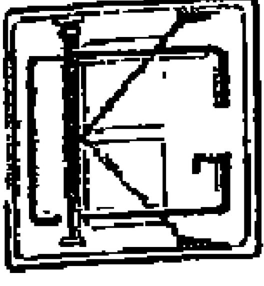
﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ الصافات

فكانت أوّل بشارة بالولد الحليم فهو يكون نبياً. وكان أنه في هذا الوقت بدأت نبوة لوط عليه السلام، وأمره الله تعالى بترك إبراهيم والذهاب إلى القريتين اللتين تعملان الخبائث، واسمهما سدوم وجامرة، وهما مجموعة من المدن. ولم تكونا بعيدتين عن مكان إقامة إبراهيم. وهناك بدأ لوط التبشير بدين الله القويم ولكن من دون جدوى، إذ أن أهل القريتين كانوا في غاية الضلال. ومكث معهم إلى ما شاء الله وإلى حين أن يبدأ الغضب العظيم عليهم.

ويمر بعض الوقت وتقول سارة لإبراهيم أنه ما زال لم ينجب منها الولد فلم لا يأت سريته هاجر، ولعلها تنجب له ابنا. ويتزوج إبراهيم من هاجر ويتغشاها فتنجب ولداً ذكراً أسماه إسماعيل. وإسماعيل بالعربية يعنى عبد السميع، قولا لأن الله استمع إلى ندائه واستجاب له. وفرح الجميع بقدوم المولود وكانت سارة أكثرهم فرحا. والقول بأنها شعرت بالغيرة وأن هاجر كانت عبدتها وتكبرت عليها هو قول مردود. فسارة من أولياء الله وهي أم لأنبياء فيما بعد، وهاجر من الأولياء وأم لأنبياء فيما بعد. فلا يعقل أن يكون بينهما مثل ما بين النساء الأخريات، وذلك لِمَ لهن من الفضل على البشر وحسن سلوكهن كزوجات لخليل الله صلى الله عليه وسلم. وهاجر لم تكن عبدة لسارة أبدا، ولكن كانت سرية لإبراهيم الخليل عليه السلام.

• الهجرة إلى الجنوب. +

مضت عدة شهور، وأوحى الله تعالى إلى إبراهيم أن يأخذ الصبي وأمه ويهاجر بهما جنوبا وأنه سيهديه الطريق. فقام سيدنا إبراهيم يوما آخذاً بالصبي وأمه ومهاجراً في اتجاه الجنوب إلى حيث يريده الله تعالى. وكانت سارة أشد الناس حسرة على فراق زوج وعلى بُعد صبيٍ لم تتم الفرحة به بعد. ويرحل إبراهيم عبر الصحراء والفيافي جنوباً إلى أن وصل



مكانا مهجوراَ لا حياة به. هو واد صغير بين سلسلة من الجبال من الاتجاهات الثلاث. وصفه الله تعالى بأنه واد من غير ذي زرع. وفي هذا الوادي المقفر أنزل إبراهيم زوجه هاجر وابنه الوحيد الذي أحبه، والذي جاء بعد طول انتظار. واقتسم معهما ما كان يحمل من ماء وطعام وعاد إلى مطيّته، ويدون أن يقول أيّة كلمة بدأ في الرحيل. وتلحقه زوجه بقلب يأخذه الهلع على هول ما يحدث حولها من انقطاع في الصحراء المقفرة وصبيّ رضيع وزوج مهاجر.

وهذا نص من الحديث:

*** * * عن عبد الله ابن عباس (رضي الله عنه):**

جاءَ بِهَا (هاجر) إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا.

فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ، "يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ." فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا،

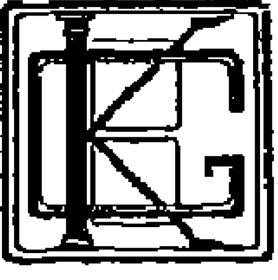
فَقَالَتْ لَهُ، "أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟" قَالَ، "نَعَمْ." قَالَتْ، "إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا."

ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ابراهيم

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا." فَلَمَّا أَشْرَفَتْ



عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ، "صَهٍ." تُرِيدُ نَفْسَهَا – ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ، "قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ." فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاس:

قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم):

"يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ، لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا." قَالَ:

فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ:

"لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلاَمُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ."

وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا:

"إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ."

فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ. فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ. فَقَالُوا:

"أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ." فَقَالَتْ:

"نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ." قَالُوا،

"نَعَمْ."

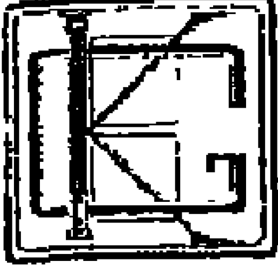
قَالَ ابْنُ عَبَّاس:

قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

"فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ."

فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ. (صحيح البخاري)

كان ذلك بداية أساس مكة المحرمة بلد البيت الحرام.



• الذّبيح.

وتمر الأيام. وبعد سنوات عدة يذهب إبراهيم لزيارة تركته في الصحراء وهو على علم بأن الله لم يترك تركته دون رعية ، ويقابل إبراهيم إسماعيل ثم يبدأ الحديث. يقول إبراهيم لابنه:

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴿١٠٢﴾ الصافات

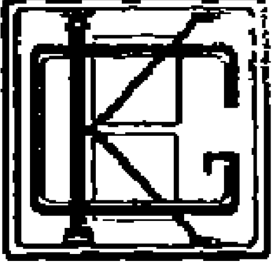
ويا للهول العظيم. الرجل الصالح خليل الله إبراهيم يرى في المنام أنه يذبح ابنه الوحيد الذي جاء بعد طول انتظار، والذي أُمر به فتركه في الصحراء الجرداء وأمه. ورؤيا الأنبياء حق وأمر واجب النفاذ، ولكي يكون رفيقا بالغلام يعلمه بالأمر ويقول له أنظر ماذا ترى. وهل هناك رأى في أمر الله! وبدلا من أن يخاف الصبي ويرتاع من الهول والمفاجأة فإنه يرد بأدب النبيّ الصالح والابن المطيع ويسلّم أمره لصاحب الأمر العلي العظيم:

قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ الصافات.

ما أروع إجابة النبيّ المنتظر إسماعيل لأبيه، فبلا خوف ولا تردد ولا سؤال عن كيفية الرؤيا أو طريقة الذبح أو سبب الذّبح، يستجيب إلى الواجب المقدس! ويسلّم إسماعيل الأمر لله ويدعو الله الصبر. وسلّما كلاهما لأمر الله تعالى وأخذ إسماعيل موقف المُعدّ للذبح وأخذ إبراهيم موقف الذّابح، وسَنّ السكين وأقام الذبح أو شرع فيه فناداه الله تعالى برحمة منه عزّ ربّنا وجلّ.

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ الصافات

وأسلما لأمر الله وليس أَلَمُ إبراهيم بأقل من ألم إسماعيل، ولا يعلم إبراهيم سبب أمر اللهِ الذي أخبره بأن نسله سيملأ الأرض وأن منهم الأنبياء والصالحين وهاهو يُؤمر بذبح ابنه الوحيد ولا يتراجع. ولكنه اختبار من الله تعالى للنبيّ الكريم إبراهيم ونبيّ المستقبل إسماعيل. ويناديه الله بأن قد صدقت الرؤيا، أي يأمره بالكف عن الشروع بالذبح فقد تم



الاختبار ولله الحمد. ثم قال عزّ وجلّ، وفديناه بذبح عظيم. ينظر إبراهيم فيجد كبشاً عظيماً سميناً مُذللاً للذبح، فيعلم أن الله قد فدا إسماعيل بهذا الكبش. فيحمدا الله تعالى على نعمته ورحمته، ويعلم إبراهيم يقينا أن ما أخبره الله به هو الحق وأن ابنه هذا الذي تركه في الصحراء في هذا المكان المقفر والذي بدأ يمتلئ بالناس، إنما هو نبيّ مرسل وهو أساس لأمة عظيمة. ودخلت الأضحية في المناسك إلى يوم الدين.

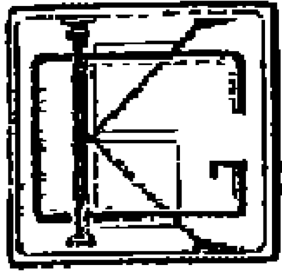
- **إسحاق عليه السلام** +

وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ الصافات

عندها بشره الله تعالى بإسحاق ولده الثاني والذي يكون من سارة وأنه سيكون نبيًا هو الآخر وأن من ذريتهما من سيكون من الصالحين ومنهم الأنبياء ومنهم الظالم لنفسه مبين، أي الجاحد الذي يغضب الله عليه، الذي يشذ عن الدين القويم. وظهرت الملائكة عند مخيم إبراهيم. تمثلوا أناسا من أكمل الناس وأحسنهم صورا، وليست معهم مطايا يركبونها وليس تعب الطريق بيّن عليهم. وسلموا عليه فرد السلام ولكنه أوجس خيفة منهم لأنهم ظهروا هكذا فجأة، إذاً فهم من الملائكة ولم يعلنوا عن أنفسهم فأخذته الرّهبة من ذلك.

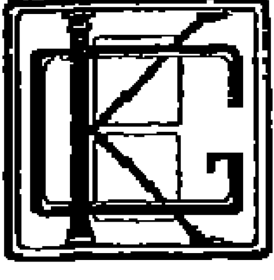
وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ الحجر

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ الذاريات



وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ
بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا
بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى
شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ هود

كان إبراهيم غاية الكرم والنبل إذ أخذه الشك في أمر هؤلاء الزوار الذين أطلّوا عليه فجأة وليس عليهم آثار السفر وليس معهم مطية يركبونها، فعلم أنهم ملائكة وامتلأ صدره خوفا ورهبة لعلمه أن الله لا يرسل ملائكته إلاّ لأمرين، إما رسالة نبوّة وبشرى، أو عذاب ينزله بقوم. فأقام لهم وليمةً استحياءً من سؤالهم، ولما تيقن أنهم من الملائكة إذ أنهم لم يَقْرَبوا الطعام، قام يسألهم. ولقد كانت البشارة لإبراهيم وسارة عند مرور الملائكة عليه قبل نزولهم على قوم لوط. وإذ بشروهما بإسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب، وتعجبت سارة زوجة إبراهيم إذ هي عاقر لا تلد وبلغت الكبر في السن وزوجها أصبح شيخاً كبيراً مسناً، فقالوا لها، كيف تعجبين من أمر الله وذكّروهما بأنهما من أهل بيت الله تعالى (بيت النبوّة)، أي لِمَا لإبراهيم من مكانة اختصّه الله بها. ويقع إبراهيم على وجهه ساجداً لله تعالى على بشارته الجميلة وشاكراً أنعم الله عليه وعلى أهل بيته وأن الله أوفي بعهده معه ولا ينبغي له إلاّ الوفاء عزّ ربّنا وجلّ. وبعد البشارة الجميلة وذهاب الرّوع عن إبراهيم وهدوء النفس بما للملائكة من حضور ربّاني كريم، تذكر إبراهيم ما قالته الملائكة من أنهم أُرسلوا إلى قوم لوط. وهو يعلم معنى إرسال الملائكة إلى قوم. إذ أنهم أخبروه أنهم مرسلين إلى القوم وليس إلى لوط، فلو أنهم أُرسلوا إلى لوط لكانت المسألة هيّنة، فلوط نبيّ وتصله تعاليم الرب. غير أن إبراهيم أخذ يجادل عن قوم لوط. يقول للملائكة، أتفنون قوما لأن بهم أقليّة من المشاغبين، ويخبرونه أنهم لا يفعلون ذلك. فيقول لهم افتراضا أن هنالك مائة من الصالحين ألا تتركون القوم من أجلهم، وأخبروه أن نعم لا يقربوهم بأذى. فيقول لهم إبراهيم، بالفرض أن بينهم خمسون من الصالحين ألا تتركون القوم من أجل الخمسين. ويخبرونه أنهم لا يقربون القوم بأذى من أجل الخمسين. وهكذا استمر الجدال وإبراهيم ينقص من عدد الصالحين إلى أن



استقر الأمر على أنه ليس هنالك من الصالحين إلا بيت لوط. وينتهي الجدال عند ذلك بأمرٍ من الله.

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ هود.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ الذاريات

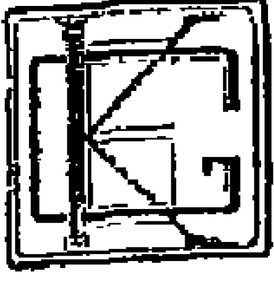
انتهى الحوار وعلم إبراهيم بأنه قد تقرر أمر قوم لوط ولا راد له. وتترك الملائكة إبراهيم وسارة وتتجه صَوْبَ قوم لوط. قرية الخبائث سادوم وجامرة. +

- **الملائكة ولوط** عليه السلام : تتوجه الملائكة بعد بشارة إبراهيم بإسحاق إلى قوم لوط.

وقوم لوط كانوا أناساً فاجرين لا يدعون معصية أو فاحشة من الفواحش إلا ارتكبوها. وكان من شأنهم أنهم يفضلون إتيان الرجال على إتيان النساء، وهم أوّل الخلق السابقين إلى هذه الفاحشة الكبيرة. ولم يُذكر شيئا عما كانت تفعله النساء لأن واجبات الرجال إليهم كانت إذاً منقوصة. والغالب أنهن الأُخر كن يمارسن السُّحاق. وغضب الله العزيز عليهم غضباً عظيماً على خطيئاتهم التي لا يرتدعون عنها وعن استهانتهم بالنبيّ لوط عليه السلام وأهله، وهو الذي كان فيهم ويدعوهم إلى تغيير ما بأنفسهم ليُرضوا الله تعالى بعبادته واللجوء إليه سبحانه. وتتمثل الملائكة رجال من أجمل الناس، ويقابلهم لوط على غير موعد على أبواب المدينة ويرحب بهم. فإذا هم يطلبون منه المبيت، فيقول هذا يوم عصيب. ويحاول لوط بلباقة أن يثني الرجال الأغراب عن مرادهم ولكنهم يصرّون على البقاء والمبيت.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ هود

فيقول لهم لوط أن أهل المدينة أناس أراذل جداً وأنهم لا يدعون موبقا إلاّ أتوه ولا فاحشة إلاّ ارتكبوها وأن إصلاحهم ميئوس منه. وأنه يجب عليهم الرحيل من قبل أن يعلم بهم أهل



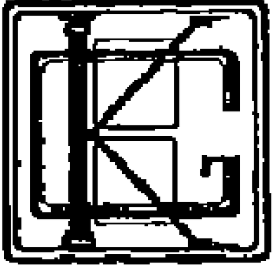
البلدة الخبثاء. وهذه هي الشهادة من النبيّ لوط على أهل القرية وهي شهادة يطلبها الله تعالى من أنبيائه قبل أن يُنزل عذابه على قوم. فالأمر غير قابل للرجوع فيه. وأدخلهم لوط إلى بيته خفية وبعيداً عن أعين أهل القرية. وكانت امرأة لوط من أهل البلدة وكانت من الفاسقين على الرغم من زوجها النبيّ، ففضحته عند أهل البلدة وجاءوا إلى بيت لوط يطلبون الرجال الحسنى المنظر الذين يستضيفهم لوط في بيته ليفعلوا معهم الفاحشة.

وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ
بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ
لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ هود

ويهرع القوم يتسابقون إلى بيت لوط يكادون اقتحامه من حبهم للشهوات الخبيثة واستهزائهم بنبيّ الله لوط عليه السلام. ويخبرهم لوط بأن هؤلاء بناتي هن لكم أطهر، إذ غشيان النساء من حيث أمر الله هو في ذاته أطهر، فهو يأمرهم بإتيان نسائهم بدلاً من الوقوع في الفاحشة المنكرة التي تُغضب الله تعالى. وأما القوم فيرفضون ويخبرونه أنه يعلم أنهم لا يريدون سوى ضيفه. ويستحي النبيّ لوط من أجل ضيفه ويتضرع إلى الله تعالى أن يؤويه إلى ركن شديد فلا يصلون إليه. وهذه أكبر شهادة من نبيّ يريدها الله تعالى على قوم لا يستحون إلى حدّ أن النبيّ بات خائفاً على ضيفه والعار الذي يقع عليه. عندها نادته الملائكة، أنت في ركن أشد. ولن يصلوا إليك أبداً.

قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ
أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ
بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ هود

ولم يُجْدِ أن يعرض لوط إناث القوم بدلا عن الرجال للطهارة وهي سنة الله تعالى للعباد وفطرتهم، واستمر أهل القرية على التمادي في غيّهم.



وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ الأعراف

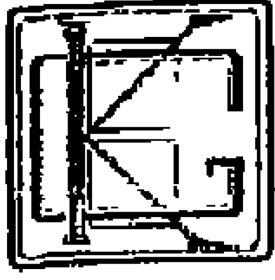
إن الجريمة التي ارتكبها لوط في حق قومه عليه أنهم أناس يتطهرون. انقلب الحق وظهر الباطل عليهم إلى أن اعتبروا في اعتقادهم الصفة الجرمية الطّهارة هي القبح بعينه وصفاتهم الرذيلة هي الأصلح لحالهم. ولهذا كشفت الملائكة عن سرّية بعثتهم إلى لوط وأخبروه بأن يترك البلدة قبل أن ينتهي الليل بقليل، وأن لا ينظر أحد خلفه لصوت العذاب الذي سيقع على القوم، وفي الوقت نفسه أخبروه عن امرأته وأنها ستلاقى قَدَرَها لأنها من أهل القرية الفاسقين عن أمر ربهم وأنها ليست امرأة صالحة. ثم جاء الوعد، وأمطرت عليهم السماء حجارة من سجّيل أي من الخزف المقوّى، مُسوّمة أي مكتوب عليه اسم كل هالك تصيبه فتتحول كبريتا فيه عذاب أليم. وترفع الملائكة القرية إلى أعلى وتقلبها رأسا على عقب وتنخسف بهم الأرض جميعا ولا يبقى لهم أثر، وبُعْدًا للقوم العاصين. ويقال أن مكان قريتي سدوم وجامرة هو البحر الميت المعروف في فلسطين فالله أعلم بالحق.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ
لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ
﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا
عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ الشعراء

- **بناء الكعبة. +**

ومر زمن طويل وذهب سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مكة ويجتمع مع ابنه إسماعيل ثم يبدأ الحديث، فيقول إبراهيم:

تكملة حديث ابن عباس:



"ثُمّ لبثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمّ جَاءَ بَعْدَ ذلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قرِيبًا مِنْ زَمْزَم فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصنعا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَال:

"يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ." قَالَ:

"فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ." قَالَ: "وَتُعِينُنِي!" قَالَ:

"وَأُعِينُكَ." قَالَ:

"فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا."

وَأَشَارَ إِلى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ على مَا حَوْلَهَا.

قَالَ: فَعِنْدَ ذلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ

قَالَ: فَجَعَلا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ:

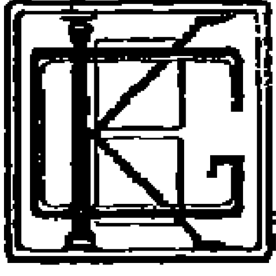
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ البقرة

هذا جزء من تكملة حديث ابن عباس السابق. (صحيح البخاري)

(الحجر المذكور هو الحجر الموجود في مقام إبراهيم عند الكعبة وكان هذا هو الحجر الذي أتاه به إسماعيل ليقف عليه سيدنا إبراهيم عليهما السلام حتى يتمكن من بناء الكعبة بعد أن ارتفع بناءها، ويقال أنه كانت ترفعه له الملائكة حتى يتمكن من البناء والله تعالى أعلم بالحق. أما الحجر الأسود فالمعروف أن الذي أتى به هو جبريل (عليه السلام).

ولم يذكر أحد إن كان هنالك من اشترك في بناء الكعبة المشرفة، وعلى الأرجح أنه اشترك فيها من أولاد سيدنا إسماعيل، إذ المعروف أيضا أنه أتاه من الذكور اثني عشر غير الإناث والأرجح أنه كان هنالك بعضهم في سن أول الشباب عند بناء الكعبة. وكان هذا أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى على الأرض.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ



مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ آل عمران

فكان مقام إبراهيم من آيات الله تعالى وهو هذا الحجر الذي أخبر عنه ابن عباس في الحديث السباق. ثم نزلت المناسك للدين الحنيف وفرض الله الحج فرضا على إبراهيم وأقامه سيدنا إبراهيم خير قيام وامتثل به هو وولده ممن عاشروه.

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ البقرة

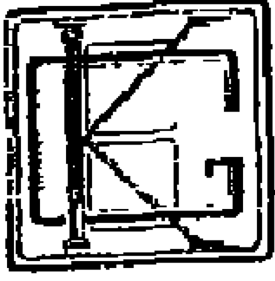
وكان هذا أمر من الله تعالى باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، ودعاء سيدنا إبراهيم بالأمان لهذا البلد وأن يهديهم ويرزقهم من الثمرات.

ثم أمر الله إبراهيم بالنداء على الحج.

وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ الحج

أذّن في الناس بالحج معلنا اقترابه حتى يستعد له السّاعون وسيأتون رجالا أي مشاة وعلى كل ضامر أي أيّة وسيلة نقل مذلّلة، حتى يشكروا الله على تسخيره وتذليله هذه الحيوانات الأليفة التي ينعم الناس بها. ويذكرون اسم الله في أيام مباركة عند الله، هي من أحب أيام الله إليه، وليقضوا تفثهم أي يستكملوا دينهم الحنيف من عبادة الله تعالى ويستكملون جميع المناسك وأركان الدين القيم.

وعاد إبراهيم إلى كنعان حيث يقيم وتزوج إسحاق من رفقة ابنة بتول (بتوئيل) ابن عم



إبراهيم. ووافت سارة المنية، وماتت المرأة الصالحة. والغالب الأرجح أنها حضرت ميلاد يعقوب. إذ كانت البشرى بإسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب. إلا إذا كانت البشرى بيعقوب المعني بها إبراهيم وحده. وهذا جائز وليس موضع خلاف. واشترى إبراهيم مغارة المكفيلة من عفرون الحثي ودفن فيها سارة وصلى عليها الجميع، وأصبحت المغارة مدفنا ملكًا لإبراهيم. وهي التي في مدينة الخليل في فلسطين الآن.واستتب دين الله القويم في الأرض وآمن من البشر أناس كثيرون. وبعد فترة طويلة من الزمن عاد الإنسان لما كان عليه ونسي عبادة الله وضعفت الصدور التي تحمل دين الله القويم.

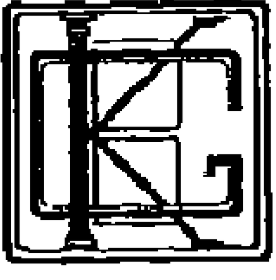
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا (٦٠) مريم

• ذرّية إبراهيم.

بعد وفاة سارة تزوج إبراهيم من قطورة، وأنجب منها، زمران، ويقشان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوحا. ولم يذكروا أسماء الإناث. وكانوا جميعا أمراء ورؤساء لقبائل سُمّيت على أسمائهم. والأشهر فيهم مديان والذي سيأتي ذكره مع موسى عليه الصلاة والسلام. وربما كان له ذرّية آخرين من أبناء السراري لم يُذكر عنهم تفصيلا. فالذّكور المعروفين من أبناء إبراهيم ثمانية، منهم إسماعيل وإسحاق، وهم الأنبياء ومن سلالتهما بقية الأنبياء جميعا. ثم شاخ إبراهيم فحضر إلى سرير موته جميع أبنائه وأوصاهم جميعا بما أوصاه به الله تعالى.

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ (١٣٢) البقرة

وهذا دليل على معاصرة يعقوب لإبراهيم والأخذ بوصيّته. ثم أسلم سيدنا إبراهيم (صلّى الله عليه وسلّم) روحه الطاهر للملائكة. وأقيمت الصلاة على سيدنا إبراهيم بحضور الجميع ومن حضر من الملائكة ودفن إلى جانب زوجه سارة في مغارة المكفيلة. وحزن الجميع عليه، من



أهل المدن والقبائل في هذه المنطقة، حزنا شديدا وأقاموا الحداد لفترة طويلة من الزمن على رحيل النبيّ العظيم أبى بقية الأنبياء قاطبة. فكل نبيّ من بعده هو من سلالته، منهم من كان من إسماعيل ومنهم من كان من إسحاق.

ستة رجال فقط مارسوا الحضرة الإلهية رغبة ورهبة، وقد مات ثالثهم.

صلى الله وسلم عليهم جميعا. اللهم اقبل صلاتنا على نبيّك الكبير إبراهيم وتغمده برحمتك واكتبه مع الصالحين، واقبل شهادتنا له بأنه وفّي ما عليه من الرسالة في الدين الحنيف، وهو النبيّ الذي نصلى عليه في صلاتنا إلى يوم الدين.

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ النحل

وهذا تكريم لإبراهيم وجميع الأنبياء و المؤمنين عليه السلام، يأمرهم الله باتباع دينه.

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ النساء

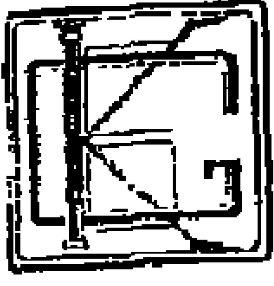
وهو وعد حق من الله تعالى لنبيه إبراهيم و عهد منه لمن آمن به و بأنبيائه الذين أقاموا الدين الحنيف و استمروا على عهد الله تعالى سبحانه.

- **يعقوب** عليه السلام. +

وهو ابن إسحاق الذي بُشّر به إبراهيم من بعد إسحاق وفيه كانت النبوة من بنى إسحاق. وقد أسماه الله إسرائيل، عبد الله بالعربية. وهو والد الإثنى عشر رئيسا لقبائل بنى إسرائيل، الأسباط. تزوج يعقوب أختين هما، ليئة وراحيل، ابنتي خاله لابان أخو أمه رفقة. وكانت مع كل منهما جارية لها، وأتاهن يعقوب جميعا وأنجبن له جميعا.

بنو ليئة: رأوبين، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، ويساكر، وزبولون. وابنا زلفه، جارية ليئة: جاد، وأشير. ابنا راحيل: يوسف، وبنيامين. وابنا بلهة، جارية راحيل: دان، ونفتالى.

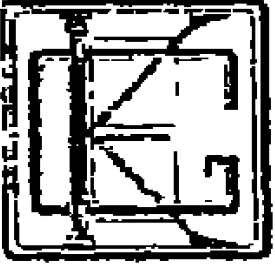
هؤلاء هم الإثنى عشر أميرا لقبائل بنى إسرائيل، ولم يذكر اسم الإناث إلا دينا.



وتاريخ يعقوب قريب جدا من تاريخ يوسف عليهما السلام. وهو الذي هداه الله تعالى إلى مكان إقامة البيت في بيت المقدس بعد بناء الكعبة بأربعين عاماً، والذي أنشئ في وقت لاحق في عصر النّبيّ سليمان عليه السلام و المعروف بهيكل سليمان في بيت المقدس. وفي قصة يوسف، وعلى الرغم من أنه ليس من الخمسة أولى العزم، ولم ينزل عليه كتاب والله أعلم، إلا أن ذكره يكمل قصة كمال الدين الحنيف دين الله القيّم، وفيه من العبر ما يأخذ الألباب.

ويوسف أُرسل إلى مصر لينقذ أهلها من آفة المجاعة مما يؤهله لدعوة قبيلة يعقوب بالكامل إلى مصر لينموا ويتكاثروا فيها، مُمَهّدا ومبشرا ببعثة سيدنا موسى عليهما السلام ونزول التوراة العظيمة، وموسى هو أحد أصحاب العزم الخمس عليه السلام.

وقصّة سيدنا يوسف عليه السلام مذكورة في سورة واحدة في القرآن المجيد وليس هنالك نبيّ هو في مثل كرامة نسبه فهو الرابع في سلسلة أنبياء من عائلة واحدة عليهم الصّلاة والسلام.



- **كتاب يوسف عليه السلام.** +

هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم. عليهم جميعا أفضل السلام.

تزوج النبيّ يعقوب عليه السلام من ليئة وراحيل، ابنتا خاله لابان أخو رفقة بنت بتول، وكانت لهما سريتين، وقد أتاهن جميعا وأنجبن له اثنا عشر ولداً ذكراً غير الإناث. وكانت راحيل أحب زوجاته إليه، ومنها بنيه يوسف وأخيه الشقيق بنيامين، وفضلهما يعقوب على بقية الإخوة ولم يخفي ذلك، لأن راحيل أمهما ماتت وهى تضع أصغر أبنائه بنيامين. إنما الإبن المدلل عن الجميع وكان حِبّ أبيه هو يوسف عليه السلام. ولم يكن يعقوب ليحب يوسف ويفضله على بقية بنيه حبّاً أعمى، إنما كان ذلك لأن الله تعالى آتاه حُكماً عِلماً خبأه على بقية الإخوة، وهو أن يوسف سيصبح نبيّاً، ويرث الكتاب والحكمة عن آبائه.

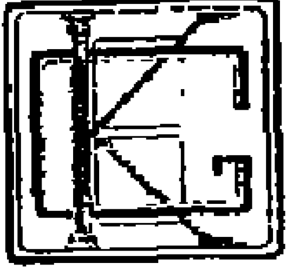
وتحقق علم يعقوب الذي أتاه من عند الله سبحانه. ففي ذات يوم جاءه يوسف وقال:

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ يوسف

وهذا هو النبأ الذي يعلمه يعقوب قد بدأ يتحقق، ولكنه كان يعلم أن إخوة يوسف لو أنهم علموا بالأمر لبغوا وعدوا على أخيهم، فقال له:

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ يوسف

حرص يعقوب ألاّ يعلم إخوة يوسف بالرؤيا التي قصها عليه يوسف، لما يعلم من غيرة الإخوة من تفضيله يوسف على بقيتهم. وحذر يوسف من أن يقص عليهم هذه الرؤيا عليهم وأخبره أن الشيطان ربما أزاغ قلوبهم، فيوقع العداء بين الإخوة. كل ذلك من العلم والحكمة الذي اجتباه به الله تعالى، ولم يخف ذلك على ابنه المفضل. والآن وبعد أن أطلعه الله تعالى على ما يخبؤه له من قَدَرٍ، سيأتي يوم يسجد ليوسف فيه إخوته وأمه وأبوه، ورؤيا الأنبياء حق واقع وقدر مُسلّم به.



وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ يوسف

ويوحي الله تعالى إلى يوسف أن الله قد اختاره وأتاه من العلم الذي ترتكز عليه نبوته حتى تتم عليه النعمة والحكمة التي أتاها من قبل على بقية آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام. وأن نبوّته سترتكز على تأويل الأحاديث وتفسير الرؤيا ومنها تنطلق رسالة يوسف عليه السلام الذي كرّمه الله تعالى في النسب والنشأة.

* * *

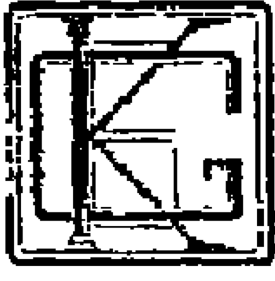
وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته. فصنع له قميصا ملونا. فلما رأى إخوة يوسف أن أباهم أحبه أكثر من جميع اخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام.

وحلم يوسف حلما وأخبر اخوته فازدادوا أيضا بغضا له. فقال لهم، اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت. فها نحن حازمون حزما في الحقل، وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتطت حزمكم وسجدت لي. فقال له اخوته، ألعلك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينا تسلطا. وازدادوا أيضا بغضا له من أجل كلامه. ثم حلم أيضا حلما آخر وقصّه على اخوته، فقال، إني قد حلمت حلما أيضا وإذا الشمس والقمر وإحدى عشر كوكبا ساجدة لي. وقصه على أبيه واخوته. فانتهره أبوه وقال له، ما هذا الحلم الذي حلمت؟ هل نأتي أنا وأمك واخوتك لنسجد لك إلى الأرض؟ فحسده اخوته، أما أبوه فحفظ الأمر. (سفر التكوين)

● المؤامرة.

ويجتمع الإخوة غيرةً وحسداً منهم على حب يعقوب ليوسف وتفضيله عليهم، والشيطان رفيقهم يقودهم ويلعب لعبته المفضلة التي برع فيها مع ابني آدم. واخذوا يتباحثون فيما بينهم كيف يتخلصون من يوسف حتى يصفوا لهم وجه أبيهم فيُبدي اهتمامه بهم بدلا من يوسف!

۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ



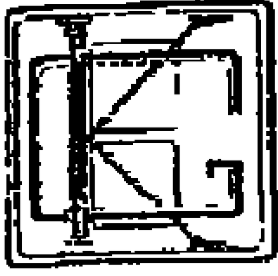
إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضًا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ يوسف

وهكذا الغيرة القاتلة ! ويتآمر الإخوة على أخيهم وهم والأمر كذلك يتآمرون على أبيهم. ويركبهم العمى والجنون ويمسّهم الشيطان، هل يقتلوه! ويتدخل الأخ الذي لديه بعضا من عقل، ويخبرهم ألاّ يقتلوا أخاهم وإنما يلقوه إلى داخل البئر ربما يلتقطه بعض القبائل المسافرة فيتخلصوا منه بدون القتل وإراقة الدم. على أنه فيما يبدوا لهم أن باستطاعتهم بعد إتيان الجرم أن يتوبوا ويخلصوا لله بعد تلك الجريمة الشنعاء والله تعالى يرى ويسمع وله شأن آخر مع الفاجعة التي سيوردونها أباهم. فهم يريدون التخلص من أخيهم والله عزّ وجلّ يريده لنفسه ويريد أن يخلّصه من بين أيديهم حتى ينقّيه ويهذّبه ويعلّمه ويجتبيه ويؤهّله رسولاً ولذلك أدخله هذا الامتحان الصّعب.

ويذهب الجمع إلى أبيهم يعقوب ليراودوه عن يوسف حتى يستطيعون تنفيذ الجريمة الشنعاء. ويعقوب يعلم بما أتاه الله من علم أنهم يراودوه لأمر بينهم وفي أنفسهم ويعلم أنه القدر المكتوب ولا سبيل لرد القدر فهو امتحان الله تعالى لرسله الكرام.

قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدًا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحۡزُنُنِىٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ يوسف

ويسألون الأب العظيم الذي أعلمه الله سبحانه بما في قلوبهم من تآمر وحيلة وفي محاولة إقناعه يخبروه أن ليس من الممكن أن يصيبه مكروه وهم الإخوة والقوّة الذين سيحمون أخاهم من أيّ سوء، وإنما يريدون له اللهو واللعب في هواء البادية الطلق فيزداد صحةً وشباباً. ويقرأ النبيّ يعقوب ما بأنفسهم من خداعٍ ويعطيهم الحجة التي سيأتون بها إليه من بعد فراغهم من جريمتهم. ويعلم أنه القدر وأنه لا يسلم حذر من قدر ويعطيهم أخاهم تحت

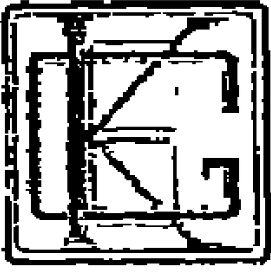


رعايتهم أمانة في أعناقهم. ثم يجرد الإخوة أخاهم من ثيابه ويلقونه في الجب (البئر) وهم يرعون أغنامهم ويتضرع أخوهم لهم وهم لا يسمعون، ويبكي وهم لا يرحمون، ويتوسل وهم لا يفهمون. لقد أخذهم الشيطان وأصمّ آذانهم وغلّف قلوبهم وامتلك ضمائرهم وأصبحوا عبيداً له مخلصين من بعد أن كانوا من عباد الله الصالحين. أبوهم نبيّ الله يعقوب وجدهم نبيّ الله إسحاق وجدهم الأكبر رسول الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء جميعاً من بعده، وبالرغم من ذلك يستحوذ عليهم الشيطان. ولولا لطف الله تعالى ورحمته في قدره لخسروا الدنيا والآخرة، كمثل ابن آدم قاتل أخيه الذي أضلّه الشيطان فأصبح من أصحاب النار.

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ يوسف

ويلقون أخاهم في البئر ثم يمكثون وقتاً. حتى أتت قافلة من قوافل التجارة المسافرة إلى مصر، فأرسلوا أحدهم ليحضر لهم ماءً فيدلي بوعائه في البئر فإذا بيوسف يخرج من البئر بدلاً من الماء.، ويستبشر به البشير إذ وجد غلاماً كفلق النهار حسناً وجمالاً. وتخفيه القافلة عن الأعين، ويأخذونه سروراً بما يمكن أن يربحوا من حصيلة بيعه عبداً في سوق العبيد في مصر. وتأخذه القافلة وتتجه إلى مصر، ويأتي الإخوة بذبيحة لهم ويلطخوا قميص يوسف بدمها ويعودون إلى أبيهم ويخبرون أباهم وهم يبكون ومعهم البرهان، أن الذئب أكل يوسف. وهذا دمه على قميصه كبرهان لصدقهم وهم حزينون على ما حدث. على أن البرهان والدليل الذي أتوا به كان برهاناً على كذبهم وليس على صدقهم. فلقد نسوا أن أباهم هو الذي قال أنه يخشى أن يأكله الذئب، ومهما كان من حجم الحيوان المفترس الذي أكناه القرآن ذئباً، فإنه لن يأكل الجسد كله. وليس يستطيع الذئب أكل يوسف ولا يتقطع قميصه. فالقميص ملطخ بالدم ولكنه ليس متقطعاً. وزادوا أنه لن يصدقهم رغم أنهم صادقين، علامة شك في أقوالهم. فأخبرهم أنه لا يصدقهم وأنهم يخفون في صدورهم ما الله سيكشفه بإذنه، ودعا الله تعالى أن يلهمه الصبر الجميل الذي يتطلبه مثل هذا الموقف العصيب.

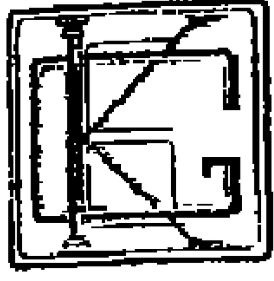
وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو



عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ يوسف

ويعلم النبيّ يعقوب كذب أبنائه ويلجأ إلى الله تعالى في تلك المصيبة ويطلب منه الصبر ومستعيناً بالله تعالى على ذلك، ويعلم أنه القدر، وهو يعلم أن الله سيرده إليه إن شاء الله ولكنه يخبرهم أنه يتشكك فيهم وفي أقوالهم وفي مكيدتهم. وتأخذ القافلة بيوسف وتتجه إلى مصر لتبيعه عبداً في سوق العبيد في بلاد مصر.

*** فقال إسرائيل ليوسف، أليس اخوتك يرعون عند شكيم، تعال فأرسلك إليهم. فقال، هأنذا. فقال له، اذهب انظر سلامة اخوتك وسلامة الغنم ورد لي خبرا. فأرسله من وطاء حبرون فأتى إلى شكيم فوجده رجل وإذا هو ضال في الحقل. فسأله الرجل قائلا، ماذا تطلب؟ فقال، أنا أطلب اخوتي، أخبرني أين يرعون. فقال الرجل، قد ارتحلوا من هنا، لأني سمعتهم يقولون لنذهب إلى دوثان. فذهب يوسف وراء اخوته فوجدهم في دوثان. فلما أبصروه من بعيد قبل ما يقترب إليهم احتالوا عله ليميتوه. فقال بعضهم لبعض، هو ذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار، ونقول وحش رديء أكله. فنرى ماذا تكون أحلامه. فسمع رأوبين ولينقذه من أيديهم وقال، لا نقتله. قال لهم رأوبين، لا تسفكوا دما واطرحوه في هذه البئر التي في البريّة ولا تمدوا إليه يدا. لكي ينقذه من أيديهم ويرده إلى أبيه. فكان لما جاء يوسف إلى اخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه. القميص الملون الذي عليه، وأخذوه وطرحوه في البئر. وأما البئر فكانت فارغة وليس فيها ماء. ثم جلسوا ليأكلوا طعاما، فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم محملة كِثْيْرَاء وبَلَسَاناَ ولاذانا، ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر. فقال يهوذا لاخوته، ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه! تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا. فسمع له اخوته. واجتاز مديانيون تجارا فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف إلى مصر. ورجع رأوبين إلى البئر وإذا يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه، ثم رجع إلى اخوته وقال الولد ليس موجودا، وأنا أين أذهب! فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسا من المعزى وغمروا القميص في الدم وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم. وقالوا وجدنا هذا حقق أقميص ابنك هو أم لا.



فتحقق وقال قميص ابني، وحش رديء افترس يوسف افتراسا. فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة. فقام جميع بنيه وبناته ليعزوه، فأبى أن يتعزى وقال، إني أنزل إلى إبني نائح إلى الهاوية. وبكى عليه أبوه.(سفر التكوين)

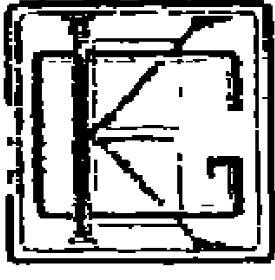
نرى هنا كثير من التناقض في الأمور مع بعضها البعض. وبالأخص عن الإسماعيليين والمديانيين لأنهم جميعا أبناء عم. فمديان ابن إبراهيم وقد جاء بعد موت سارة وبعد زواج إبراهيم من قطورة، وكان مولد يعقوب قبل مولده وعلى الأرجح أنه لم تكن له قوافل بعد. أمّا وجود الإسماعيليين في هذا الوقت وشرائهم يوسف من المديانيين فأمر غير معقول لأن المديانيين بالنسبة للإسماعيليين أبناء إخوة، وهذا يوسف يتحدث لغتهم وعمره حسب قولهم حوالي سبعة عشر عاماً، وقد كان يستطيع إخبارهم عن هويّته وهو في تلك السن بحيث كلّفه أبوه بالذهاب لتفقد اخوته وحده. هذا عدا أن يعقوب كان ثريّاً ومستعدّاً لفداء ابنه بأيّ ثمن. إذًا فهم قافلة تجار وحسب، من قوافل التجار الرُّحّل التي تسكن أرض كنعان.

• يوسف يباع عبداً. +

وأخذ التجار يوسف إلى مصر حيث كان سوق العبيد مستعداً لاستقباله وفوراً باعوه ليتخلصوا منه بعد أن تسبب حسنه وبهاؤه في كثير من الملابسات، قيل في ذلك الكثير من القصص التي لم تقم عليها الحجة. منها أنه عرض في المزاد في السوق والتف عليه علية القوم، وأن المزاد بلغ أرقاما هي من الخيال بمكان، وأن الذي اشتراه أرغم الجميع على الانصراف بعد أن أوصل ثمنه لأرقام خيالية، وأن فرعون مصر قام بسداد الثمن لأن ما كان مع الوزير من المال لم يبلغ الثمن الذي وصل إليه المزاد من شدّة إقبال القوم على شراءه. واشتراه عزيز مصر وهو الوزير الأول لفرعون.

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ يوسف

وباعوه إلى رجل من عظماء مصر، أسماه الله عزيز مصر، وهو الوزير الأوّل لفرعون مصر. ويقال أنه من كهنة المعبد وأنه كان خصيّاً. وكانت هذه عادة متبعة في بعض الأزمنة في مصر



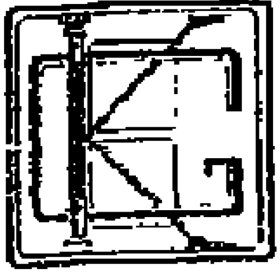
أن يكون الرجل الثاني في الحكم خصيّاً حتى لا يصير له أطماع في الملك أو الثروة. فليس له من يرث أيّ منها فيكون إخلاصه خالص للملك والحكم والله تعالى أعلم بمصداقية ذلك. أيّ كان ذلك فقد اشتراه هذا الرجل النبيل واصطحبه معه إلى بيته وأخبر زوجه أن ترعاه وتعامله معاملة أهل الدار، لِمَا كان ليوسف من هيئة عظيمة وهيبة أمينة، وعسى أن يستخدمه في بعض شأنه.

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ يوسف

وهكذا أنجاه الله تعالى من الإخوة الأشرار (أشرار في ذلك الوقت، إذ أنّهم جميعا صلحوا فيما بعد وكانوا نواة طيبة لأجيالٍ كثيرةٍ وليس لأحدٍ علم غير ذلك) وأعطاه مكاناً آمناً وعليّاً لينمو في وسطٍ عالٍ من العلم والمال. واستخدمه عزيز مصر في بعض أموره فوجده في أمانةٍ وعلمٍ وحكمةٍ بالغة، فأسلمه جميع شأنه وبارك الله في عمله وأثمر جيداً وكان محط أنظار الجميع. ومرت السنون وشب يوسف في هيئة جميلة وحسن خلقة باهر ووجه مضيء كالشمس في وضح النهار.

• امرأة العزيز. +

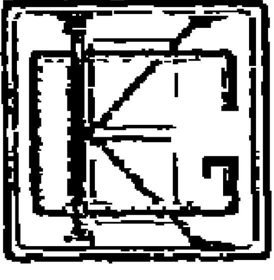
كانت امرأة العزيز صغيرة وذكيّة وفي مثل عمر يوسف وجميلة باهرة الجمال، ويقال أنها كانت ابنة أحد ملوك الغرب، وقيل بل ابنة أخ الفرعون. وكانت المرأة أنها رأت في منام متكرر يوسف وأحبته حباً عظيماً، وأخبرتها الرؤيا أنها ستتزوج من الرجل الثاني في حكم مصر. ولما أصبحت في سن الزواج عرض والدها المتقدمين لها فاختارت هذا الرجل لأنه الثاني على حكم مصر. وعلى الرغم أنها كانت في الظاهر تبدو زوجة للعزيز إلا أنها علمت أنه ليس هو الذي رأته في المنام وظلت على حبها لهذا الهيكل الغامض الذي بدا لها في أحلامها. ولما رأت يوسف علمت بأنه الرجل الذي رأت في منامها وعرفته تفصيلا. وبعد أن أصبح يوسف حقيقة في حياتها أحبته حباً جماً، ولكنها أخفت مشاعرها لبعض الوقت. إلاّ أن الرجل شبّ جميلاً وأصبح محط أنظار الجميع فزاد ذلك من لهفتها عليه. وبدأت معه



مراوغته بالتلميح ولكن يوسف الأمين إما أنه لم يلاحظ بالكلية وإما أنه تغاضى عن التلميحات في زهدٍ عن الدنيا. ولكن المرأة لم تكن لتكتم حبها له وولعها به وصارحته عدة مرات إلى أن كان يوماً وحده في جناح سيدهما بالبيت:

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ يوسف

وجدت امرأة العزيز يوسف وحده في الجناح الخاص بسيدهما وأنّ الفرصة متاحة لها في استدراكه فساهته وغلّقت عليهما الأبواب وقالت هيت لك، وأيضا تُقرأ هيئتُ لك، أي أجهزت نفسي لك لنكون سويا ونأخذ في عمل ما نشاء بعيداً عن علم أحد. وهذه الفرصة لو أتيحت لأحد غير يوسف لما توانى لحظة في أن يأتيها. ولكن الأمر يختلف بالنسبة للأنبياء، فهم معصومون عن الفواحش. ويخبرها أن سيدهما قد ائتمنه على كل شئ وأعطاه ثقته وآواه حُسنا، فكيف له بخيانته وهو النبيّ المعصوم! ويبدو أنها كانت مصرّة على ما هداها الشيطان له وأنه لا تراجع الآن بعد أن انفردت به وكشفت له عن لوعتها به. وأمسكته من قميصه وهو يشتد في الهرب منها فيتقطع القميص من الخلف، وهذا دليل على محاولته الهرب منها، أما لو كان تقطع من الأمام فهذا دليل على مقاومتها له. وهكذا كان إذ اشتد في الهرب جرياً إلى الباب وأرادت هي مسابقته إليه لتمنعه من الهرب منها، فإذا



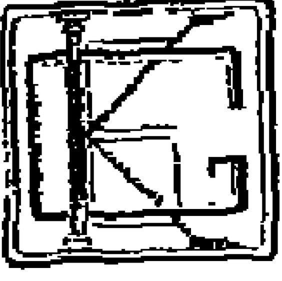
بالباب يُفتح وسيدهما داخل ومعه بعض الأقارب وكان منهم صبي رضيع. ومن هول المفاجأة الغير محسوبة اتهمت يوسف بأنه أراد التعدي عليها. ويُظهر سيدهما العجب لما يعلمه من أمانة يوسف.

ثم تأتى الحكمة من الرضيع، أن أنطقه الله سبحانه بقدرة منه ليبرّأ نبيّه، ولأن الأطفال والصغار لا يقولون إلا حقاً، فأخبرهم بأن يتفحّصوا قميص يوسف إن كان مقطوعاً من الخلف أم من الأمام ليتبين أيهما قائل الصدق من قائل الكذب والأطفال لا يعلمون الكذب فهو صادق إذاً.

ولمّا تفحص القميص ووجده متقطع من الخلف علم بجرمها وأمرها بالاعتذار ليوسف عما بدر منها. ثم أمرها بالتوبة عن هذه الخطيئة الكبيرة وعدم تكرارها أو العودة إليها. ثم يتجه إلى يوسف ويقول له أعرض عن هذا، أي انس ما حدث وكأنه لم يكن، فأنت ما زلت لدينا الصادق الأمين ولم يهتز مركزك لدينا. ثم أمر الحاشية بالمنزل والذين علموا بالأمر ألاّ يذكروا ما حدث لأحد وأن يكتموه عن الجميع. إلاّ أن هذا لا يصير في الوسط الذي هم فيه. فالخدم كثيرون ولهفة المجتمع المخملي في مصر تتلهف على مثل هذه الأخبار، حتى تكون موضع تسلية النساء في هذه الطبقة الأرستقراطية في ذلك الزمان.

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ يوسف

وانتشر الخبر في المدينة كالنار في الحصير. وعلمت نساء المجتمع الجاهز الذي لديه فراغ واستعداد لقبول الإشاعات عمّا كان من أمر المرأة ويوسف. وبدأت الألسنة تلوك سمعة امرأة



العزيز. مما يهدد كيانها. فأعدت لهم مأدبة ودعت النساء اللاتي أقبلن فور الدعوة للتحقق من الإشاعات وللتسلية من بعد الوليمة. ولكن السيدة الذكية أعدت لهن متكأً من بعد الوليمة وإذ كان الجميع في حال استرخاء، أعطت كل واحدة منهن سكيناً حاداً لتقطعن الفاكهة. ثم فاجأتهن بأن دعت يوسف ليدخل عليهن فجأة وهن جلوس.

فهالهنّ طالع يوسف الجميل وهبن حسنه وجماله الذي وهبه الله تعالى، وبدلاً من أن يقطعن الفاكهة قطعن أيديهن وهنّ لا يشعرن. وقلن جميعاً ما هذا بجمال بشر وارد، وما هذا إلاّ جمال مَلكٍ من السماء. هنالك أظهرت شغفها وحبها له بعد أن كشفت لهن ما بأنفسهن، وأخبرتهن أنه نعم أنا راودته عن نفسه وأنه أبى واستعصم وأنه إن لم يكن ليفعل ما تريد منه فسوف يسجنَنّ ويصبحنّ من النادمين الهالكين لرفضه إياها.

والظاهر أنهن جميعاً أردن ما أرادته امرأة العزيز منه. واستقر الرأي أنه ما زال عبداً لسيدته فليس من حقه أن يرفض لها أمراً، وأنه من حقها الطبيعي أن تأخذه بما تشاء. هنا دعا يوسف ربّه ليدفع عنه حيلهن ومكرهن، وإلاّ فما هو سوى بشر، وربما استحوذت عليه الغريزة البهيمية وأنزلته من مكانه الرفيع إلى مصاف الحيوان. وحتى إذا كانت العصمة من ذلك بدخوله السجن ما دام ذلك في رضى الله تعالى فليدخلنّ السجن فهو أحبّ إليه من خيانة نفسه أمام الله تعالى.

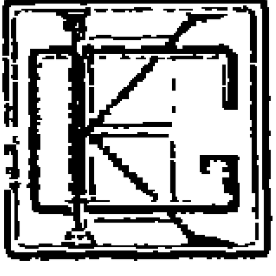
ويعلم بذلك رجال النسوة وهم جميعاً من المجتمع الراقي صاحب السلطة والسلطان، فأمروا به أن يحبس في السجن، حتى لا يطغى الخبر على مراكزهم الحساسة ومقامهم الرفيع في القوم. وطلبوا من العزيز أن يودع يوسف السجن. وهكذا أُدخل يوسف السجن بلا ذنب ارتكبه وبلا محاكمة وظلماً وطغياناً، ولأمرٍ ليس هو صاحب الخطأ فيه، ولكنه الحب المحموم الذي جرف سيدته إلى حد الجنون. ودخل يوسف السجن، ووقاه الله شرّ الفواحش سبحانه بما سبقت به المقادير.

• في السجن. +

ويودع يوسف السجن، إذ أن السجن لأمر العزيز وبكلمةٍ منه يدخل إنسان السجن أو يخرج منه.

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ يوسف

ويلاحظ عليه صاحب السجن الذكاء والحكمة فيوكّل إليه بعض الواجبات، من تعليم

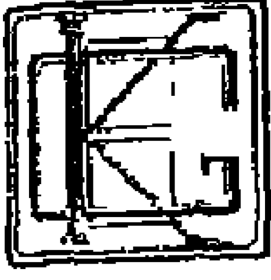


السجناء أو فرض النظام والتنسيق بين المهمات المختلفة، وينتهز يوسف الفرصة السانحة ويبدأ في تعليم السجناء وإرشادهم إلى الله تعالى ويدعو الناس لعبادة الله وحده من دون هذه الأوثان، واللجوء إلى الله والتوبة إليه. ثم حدث:

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ يوسف

ويدخل السجن رجلان وهما من خادمي الملك ولم تتم محاكمتهما بعد فلا علم لهما بما سيُحكم عليهما. ولما وجدا أن الجميع يتودد إلى يوسف ويسمع له فقد تبعا الجمع واستمعا لتبشيره إلى الله تعالى والدعوة إلى التوبة إليه.

وكان يوسف يخبر الجميع بما سيأتيهم من وجبات طعامٍ في السجن قبل أن تأتيهم ويعظهم ويهديهم إلى عبادة الحق عزّ وجلّ. وفي يوم رأى كل من خادمي الملك رؤيا في المنام، فأتيا يوسف وسألاه التفسير. وقبل أن يفسر لهما الرؤيا أخبرهم بما يثبت نبوته وأنه من عباد الله الصالحين، يريد بذلك هدايتهم للدين الحق، وبعد أن وعظهما فسر لهما حلميهما. قال

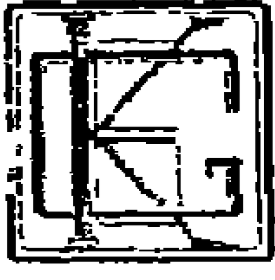


للأوّل وكان ساقي الملك أنه سيعود إلى وظيفته السابقة وسيرضى عنه الملك ويعيده إلى خدمته. ثم أخبر الآخر بمصيره السيئ، وهو خباز الملك، وأن الحكم سيكون بصلبه وستأكل الطير من رأسه.

وعلى الرغم أن الخبر كان مُفرحاً للساقي ومُحزناً للخباز، إلاّ أن الخباز علم أن رحمة الله معه إذ أن الله تعالى هداه إلى يوسف ليعظه ويتوب إلى الله تعالى قبل الموت فيتوب الله عليه، فكان ذلك إلهاماً بالصبر عند الشدائد والاتجاه إلى الله عزّ جلّ والتسليم إليه في كافة الأمور.

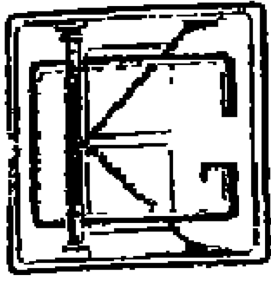
ويسأله الساقي إن كان يمكنه عمل شئ له بعد أن يُفرج عنه فقال له اذكرني عند ربك. أي أن الساقي يذكر للملك مظلمة يوسف، إذ هو في السجن لأمر ليس من شأنه ولا ذنب له فيه. وبعد أن خرج الساقي من السجن أنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند فرعون، وبقى يوسف في السجن عدد من السنين.

***   وحدث أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معي، فأبى وقال لامرأة سيده، هوذا سيدي لا يعرف ما في البيت وكل ماله قد دفعه إلى يدي. ليس في البيت أعظم منى، ولم يمسك عنى شيئا غيرك لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله. وكان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها. ثم حدث نحو هذا الوقت أن دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت، فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معي، فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى الخارج. وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى الخارج أنها نادت أهل بيتها قائلة، انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا. دخل إليّ ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم وكان لما سمع إني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى خارج. فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته، فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة، دخل عليّ العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني، ولما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى الخارج. فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك أنّ غضبه حمى. فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن، المكان الذي أسرى الملك محبوسين فيه، وكان هناك في بيت السجن. ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن، فدفع رئيس



بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن. وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل، ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئا البتة مما في يده لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه. وحدث بعد هذه الأمور أن ساقي ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر فسخط فرعون على خصيّه رئيس السقاة ورئيس الخبازين. فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرط في بيت السجن الذي كان يوسف محبوسا فيه. فأقام رئيس الشرط يوسف عندهما فخدمهما، وكانا أياما في الحبس. وحلما كلاهما حلما في ليلة واحدة، كل واحد حلمه، كل واحد بحسب تعبير حلمه، ساقي ملك مصر وخبازه المحبوسان في بيت السجن، فدخل يوسف إليهما في الصباح ونظرهما فإذا هما مغتمان. فسأل خصي فرعون اللذين معه في حبس بيت سيده قائلا، لماذا وجهكما مكمدان اليوم. فقالا له، حلمنا حلما وليس من يَعِ يُعبّره. فقال لهما يوسف أليست لله التعابير قُصّا علي. فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له، كنت في حلمي وإذا كرمة أمامي وفي الكرمة ثلاثة قضبان وهي إذ أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنبا وكانت كأس فرعون في يدي فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون وأعطيت الكأس في يد فرعون. فقال يوسف، هذا تعبيره، الثلاثة قضبان هي ثلاثة أيام. وفي ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك ويردّك إلى مقامك، فتعطى كأس فرعون في يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه. وإنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع لي إحسانا وتذكرني إلى فرعون وتخرجني من هذا البيت. لأني قد سُرقت من أرض العبرانيين، وهنا أيضا لم أفعل شيئا حتى وضعوني في السجن. فلما رأى رئيس الخبازين أنه عبّر جيدا قال ليوسف، كنت أنا أيضا في حلمي وإذا ثلاثة سلال حُوَّارَى على رأسي، وفي السل الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز والطيور تأكله من السل عن رأسي. فأجاب يوسف وقال هذا تعبيره، الثلاثة سلال هي ثلاثة أيام، وفي ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك. فحدث في اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون أنه صنع وليمة لجميع عبيده ورفع رأس رئيس السقاة ورأس رئيس الخبازين بين عبيده، وردّ رئيس السقاة إلى سقيه، فأعطى الكأس في يد فرعون. وأما رئيس الخبازين فعلّقه كما عبر لهما يوسف. ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه. (سفر التكوين)

• رؤيا فرعون. +

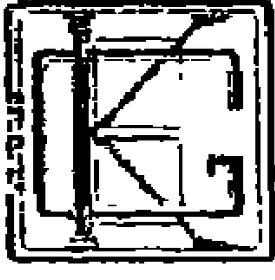


وعن كيدٍ من الشيطان الرّجيم نسي رئيس السقاة أن يذكر يوسف لفرعون ومرت عدة سنوات ويوسف في السجن. ولكن الله تعالى له آيات عجيبة في قدره لا يعلمها إلاّ هو وحده سبحانه. والخطّة الموضوعة ليوسف ومجيئه إلى مصر كانت تتحقق حرفياً. له الحكمة العليا سبحانه. ففي ذات يوم يرى فرعون رؤيا في منامه ولا يستطيع أحد التعبير عنها.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يوسف

وهذه الرؤيا لفرعون رآها عدة مرات فعلم أنما هي نداء من الله تعالى إلى فرعون يعلمه فيه بأمرٍ خطير سيحدث في البلاد فكان أن اهتم الملك أن يجد من يفسّر له الرؤيا والتي لم يستطع هو العلم بها. وكان الله تعالى يعلمه بما سيحدث في مصر من خير ثم بعد الخير المجاعة، وأنه يجب عليه الحرص والحيطة الآن ولكنه لا يجد من يفسّر له الرؤيا، وينادى في بطانة القصر أن من عنده التعبير، فيعجز الجميع عن التفسير على الرّغم من كونهم أهل العلم في ذلك الزمان.

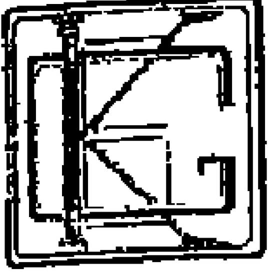
وهنا يتذكر الساقي الذي كان في السجن مع يوسف، ويقول للملك أنه سيحضر له التفسير لو أنه أمر بإرساله إلى السجن حيث هناك من يستطيع تفسير رؤيا الملك. ويُصرّح له الملك بزيارة السجن واللقاء بيوسف. ويسأل الساقي يوسف عن تفسير الرؤيا، ويجيبه نبيّ الله يوسف على طلبه دون أن يشير باللّوم على نسيان الساقي إياه ودون أن يطلب أجراً. وأعطاه



التفسير قائلا السبع بقرات السمان يمثلن سبع سنوات من الخير والسبع بقرات العجاف يمثلن سبع سنوات من المجاعة، والسبع العجاف يأكلن السبع السمان لأنهن يأتين من بعدهن مباشرة. والسبع السنابل الخضر يمثلن سبع سنوات خير والسبع سنابل اليابسات يمثلن سبع سنوات جفاف. فتكون الرؤيا واحدة وتكرارها في مثلين دليلٌ أن الله يُعلم فرعون أن وقوع الأمر قريب وأنه واقع. فعليهم أن يدّخروا من المحاصيل الكثيرة في السبع سنوات الخير ولا يستهلكون منها إلاّ القليل، لأن السبع سنوات التي تليها سيكون جفاف وجوع عظيمين ولهذا يأكلن ما ادّخروه في السبع سنوات الخير. غير أنه أعلمه بسنة أخرى لم يرها فرعون في الرؤيا، وهي سنة تأتى بعد سنوات الجفاف وهي سنة خير وافر عظيم، دلالة على نهاية الجفاف الذي أصاب البلاد.

وأعطاهم يوسف عليه السلام أحسن السّبل في الحفاظ على الحبوب، وأوصاهم أن يحفظوها في سنبلها حتى لا تأتى عليها الحشرات ولا تشيخ وتبقى نافعة بعد مرور هذا الزمن الطّويل. وهذا شأن الله الذي أراد. يرى فرعون، وهو الرجل الحكيم، رؤيا تحيّره فيلجأ إلى أهل القصر والكهنة وهم أهل العلم في هذا الزمان فيعجزوا جميعاً عن التفسير، حتى يتذكر الساقي ما عليه من وفاء لم يتحقق. ويفسر يوسف الرؤيا ويضيف إليه ويعطيهم الطريق التي يحفظون بها الغلال. وهذه سنين طويلة والحفاظ فيها على الغلال يتعين بطريقة عِلميّة تُطبّق لأوّل مرة في التاريخ. ولم يسبق أن حدثت مجاعة في مصر من قبل لمثل هذه المدة الطويلة من الزمن ولم تحدث بعد ذلك. ويرجع الساقي إلى فرعون بكل هذا العلم النافع والتفسير الصادق.

وكان فرعون ذلك الزمان ملك عادل تمام العدل. وصدّق الملك التعبير العاقل وعلم أن هذا لا يتأتى إلاّ من طريق إلهي، فيأمر بإحضار يوسف ليستخلصه لنفسه. فيذهب المندوب الملكي لإحضار يوسف من السجن معتقداً أن يوسف سيرقص فرحاً وطرباً لدعوة الملك. إذ من يتخايل أنه يخرج من السجن إلى الحضرة الملكية وبناء عن أمر الملك! والذي يريد أن يستخلص يوسف لنفسه. أي سيختصه ويُنصّبه ويقرّبه إليه. ويقول يوسف له، بل عد إلى الملك واخبره بما كان من شأن نساء القوم وكيف أنه موجود في السجن ظلماً وبدون مُحاكمة، طالباً أوّلاً كشرطٍ لمقابلة الملك أن يُبرّأ ذمّته من التهم المنسوبة إليه من غير أن يكون عليه من حرج.



وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ يوسف

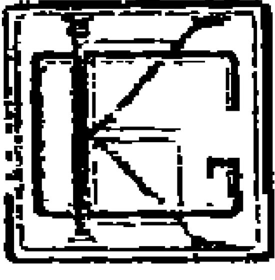
ولا يغضب الملك من طلب يوسف، إذ أن ذلك أكّد له أنه بصدد مقابلة أحد أولياء الله الصالحين الذين طالما سمع عنهم وكأنهم من الخيال، وبدأ التحقيق فوراً.

● فرعون والنسوة.

يعلم الملك العادل أن ذوى السلطة دائماً قد يبالغون في التصرف في شؤون الناس ظالمين البعض إرضاءً لشهواتهم، وأنه قد يكون ظلماً عظيماً حَدَا بهم إلى وضع يوسف في السجن، وبدون محاكمة ولسنين طويلة. ويستفسر الملك عن أمر النسوة الذي أُخبر به، ثم يأمر بإحضارهن جميعاً للمثول بين يديه ويبدأ الحوار.

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ يوسف

ويبدأ الملك الحوار مع النسوة بسؤال عام لهن جميعاً، وبأسلوب من لديه المعرفة أنهن بلا أدنى شك قد راودن يوسف عن نفسه، ولا تدفعن النسوة التهمة عن أنفسهن ولكنهن يبرّئن يوسف. فهو برئ من كل ما قيل ولا يعلمن عنه إلاّ خيراً. ثم تتقدم امرأة العزيز في شجاعة تامة وتعترف ذنبها وتقر أنها هي التي راودته عن نفسه ولكنه أبى واستعفف عن الوقوع في الفاحشة. ثم تصرح إعلانا أنها تحبه أمام الجميع في الحضرة الملكية، حتى لا يكون هنالك أدنى الشك في أنها خانته وهو غائب في السجن وتقول عليه كذباً. وأنه رجل صادق وأمين وليس عليه من غبارٍ وأنه في السجن ظلماً وعدواناً وخوفاً من الرجال من انتشار شائعات لا داعي لها. وهنا يقول البعض أن هذه السيدة كانت في حب جارف من حقائر الدنيا الفانية عندما بدأت مراودته عن نفسه ولكنها بعد أن دخل يوسف السجن أحست لوعة الفراق والبعد عنه. في هذه الأثناء مات زوجها، فما كان منها سوى أن أخذت زيارة يوسف في



السجن وهو آخذ في وعظها وهدايتها للدين الحنيف. ويرتقي بها حبها إلى أعلى الدرجات وتتوب إلى الله تعالى. ولذلك قالت، "إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ."

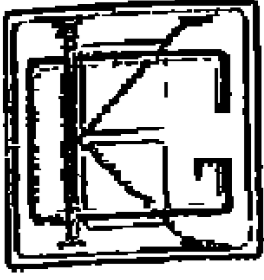
ولا يقول هذا إلاّ تائب إلى الله تعالى شديد الإيمان به. ويقال أنها تزوجت يوسف بناء على طلب الفرعون وأنها كانت ما زالت بكراً لم تعرف الرجال. فالله تعالى أعلم أيّها الحق. فما ذنبها إلاّ أنها أحبت نبيّاً. والآن برأ يوسف من التهم المنسوبة إليه، وردّ الله إليه حقه واستعاد له كرامته وشرفه الذي لاكته الألسن. والآن يستطيع فرعون مصر الاجتماع به بعد أن تحققت براءته. وإلاّ فقد كان سيمنن عليه فرعون بأنه عفي عنه وهو نبيّ الله لا يأخذ مِنّيّة من أحد.

• من السجن إلى الحكم. +

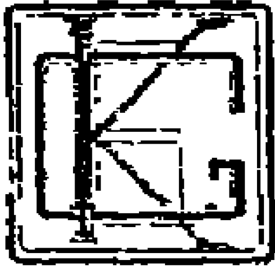
وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ يوسف

ويجتمع الملك بيوسف ويستمع إلى كل هذه الحكمة والعلم والدراية التي وهبه الله تعالى فيخبره أنه من الآن لا يصيبه مكروه أبداً، وأنه المخلص الأمين لديه. ثم يخبره أنه أعلى رجل في المناصب في مصر وأنه، فرعون، إنما يعلوه فقط بالتاج الذي على رأسه. وخلع عليه ونادي في جميع المدن أن يوسف هو الوزير الأول والحاكم الفعلي في البلاد وأن على الجميع أن يسمع له ويطيع، وما يقول يوسف سيصبح قانونًا يُعمل به وأن عصيان أحد ليوسف هو عصيان لفرعون.

*** وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلما، وإذا هو واقف عند النهر، وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر سمينة اللحم، فأرتعت في روضة، ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم. فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطئ النهر، فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات



السبع الحسنة المنظر والسمينة، واستيقظ فرعون. ثم نام فحلم ثانية، وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة، ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة واستيقظ فرعون وإذا هو حلم. وكان في الصباح أن نفسه انزعجت. فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكامها وقصّ عليهم فرعون حلمه، فلم يكن من يعبره لفرعون. ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا، أنا أتذكر اليوم خطاياي. فرعون سخط على عبديه فجعلني في حبس بيت رئيس الشرط، أنا ورئيس الخبّازين. فحلمنا حلما في ليلة واحدة أنا وهو. حلمنا كل واحد بحسب تعبير حلمه. وكان معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه حلمنا. عبر لكل واحد بحسب حلمه. وكما عبر لنا هكذا حدث. ردني أنا إلى مقامي أما هو فعلقه. فأرسل فرعون ودعا يوسف. فأسرعوا به من السجن، فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون. فقال فرعون ليوسف، حلمت حلما وليس من يعبّره، وأنا سمعت عنك قولا إنك تسمع أحلاما لتعبيرها. فأجاب يوسف فرعون قائلا، ليس لي. الله يجيب بسلامة فرعون. فقال فرعون ليوسف، إني كنت في حلمي واقفا على شاطئ النهر، وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة، فأرتعت في روضة، ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهزولة وقبيحة الصورة جدا ورقيقة اللحم. لم أنظر في كل أرض مصر مثلها في القباحة. فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينة. فدخلت أجوافها ولم يُعلم أنها دخلت في أجوافها، فكان منظرها قبيحا كما كان في الأول، واستيقظت. ثم رأيت في حلمي وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد ممتلئة وحسنة، ثم هوذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل الحسنة. فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني. فقال يوسف لفرعون، حلم فرعون واحد. قد أخبر الله فرعون بما هو صانع. البقرات السبع الحسنة المنظر هي سبع سنين، والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين. هو حلم واحد. والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين، والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعا. هو الأمر الذي كلمت به فرعون. قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع. هوذا سبع سنين قادمة شبعا عظيما في كل أرض مصر، ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا. فينسى كل الشبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض. ولا يعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده. لأنه

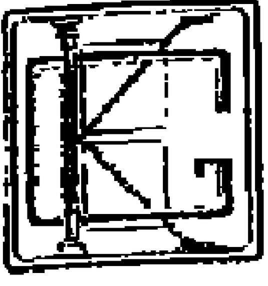


يكون شديدا جدا. وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله، والله مسرع ليصنعه. فالآن فلينظر فرعون رجلا بصيرا وحكيما ويجعله على أرض مصر. يفعل فرعون فيوكل نظارا على الأرض ويأخذ الخمس غلّة أرض مصر في سبع سني الشبع، فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويخزنون قمحا تحت يد فرعون طعاما في المدن يحفظونه. فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون بأرض مصر فلا تنقرض الأرض جوعا. فحسن الكلام في عيني فرعون وفي عيون جميع عبيده. فقال فرعون لعبيده، هل نجد رجلا مثل هذا فيه روح الله. ثم قال فرعون ليوسف، بعد ما أعلمك الله كل هذا، ليس بصير وحكيم مثلك. أنت تكون على بيتي وعلى فمك يُقَبِّلُ جميع شعبي. إلا إن الكرسي أكون أنا فيه أعظم منك. ثم قال فرعون ليوسف، أنظر قد جعلتك على كل أرض مصر. وخلع خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه وأركبه في مركبته الثانية ونادوا أمامه، اركعوا. وجعله على كل أرض مصر. وقال فرعون ليوسف، أنا فرعون فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر. (سفر التكوين)

ما هذا الملك العادل العظيم. لم يسبقه أحد ولم يخلُفه أحد في التقرّب من نبيّ والسماع له وطاعته. ثم أمر الرعية بالطاعة والوفاء لنبيّ الله الذي أرسله لينقذ أمّته من هول آفة المجاعة القادمة إلى البلاد والتي كشفها الله له. وهكذا اتبع الملك الرسول فاتبعه القوم ولا اعتراض على حكم الله. وآمن الجميع الذين في الحضرة النبوية الشريفة فاتبعتهم الرعية وآمن الجميع فكان حقّا على الله تعال أن يُنقذهم ويفي لهم بما وعد لعبادة المخلصين.

ويبدأ يوسف في تعبئة الناس للمهمة الصعبة التي ائتمنه الله والناس عليها والجمع من الملأ في بطانة فرعون. فوضع النظام وسنّ القوانين العادلة التي تتيح للجميع العيش في رخاء ولا تتعدى على مقدّرات البلاد. وأنشأ المخازن العظيمة الحجم والتي تستوعب هذا الكم الهائل الكبير من الفائض في السنين السبع الرغد والحسنة الإنتاج، ولم يذكر التاريخ سابقة مثل هذا الكم من التخزين ولم تحدث بعد ذلك أبدا فكان ذلك آية من الله تعالى للإنسان.

ومرت الأيام سريعة في سنين الخير السبعة. وثبت للناس بالعين أن تفسير حلم الملك حقيقة واقعة، لأن الأرض أعطت محصولا فوق جميع التوقعات بقدرة من الله العلي الحكيم، ليثبّت به قلوبا تزعزع فيها الإيمان. ثم انتهى سنون الخير والرّغد ويتوقّع الجميع سنين



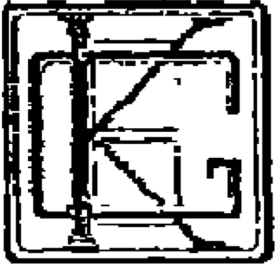
النقص في الطعام والغلال. وإذا كانت مصر قد استعدّت وحفظت ما لديها من خيرات، فإن بقية الأمم التي حولها لم تكن كذلك. هم سمعوا عن رؤيا الملك وعن السنين السبع الجيّدة العطاء وأن هناك سيكون سنون مجاعة عظيمة، ولكن حكامهم كانوا في لهو من الدنيا ولم يكونوا ليصدقوا أن بمصر سيكون مجاعة وجفاف. ومضت سنون الخير وبدأت سنون المجاعة.

• أخوة يوسف في مصر. +

وبدأ الجوع يأكل في الأرض وأحست البلاد الأخرى وطأته. وبدأت القبائل تتوافد على مصر لشراء حاجاتهم من الحبوب، إلاّ أن هذا كان محسوباً له من يوسف. فقد سنّ يوسف قوانين ينظم بها حركة توزيع الغذاء بدقة متناهية. وأخذ مسحاً شاملاً لجميع السكان، وخصصت لكل أسرة أو فرد شريحة، وتبع الجميع في سمعٍ طاعةٍ تامة. وكان الذي يريد أن يتكلم مع يوسف لا يرفع نظره إليه من الخشوع والاحترام، ولا يناديه أحد باسمه، إنما بلقبه عزيز مصر. وكان فرضاً على كل وافد أن يقابل يوسف ليشترى حاجته وحتى يدوّن ذلك في السّجل فلا يحدث خطأ بأن يعتدي أحد على حصص الآخرين. وأيضا منعا لسوق سوداء تزعزع ميزان حال البلاد والذي وضعه يوسف بكل دقّة. كل شئ محسوبا ومدروسا بدقة ألهمه بها الله العليم الخبير. ثم توافدت القبائل من الشرق. ومع إحدى هذه القبائل جاء أخوة يوسف العشرة من دون أخيه شقيقه لشراء حاجاتهم من الطعام (الحبوب). وكان عليهم مقابلة يوسف لطلب حاجتهم من الطعام. وهكذا يُحكم الله تعالى خططه من حيث لا يعلم أحد ويسوق الأخوة المعتدين إلى يوسف وهم لا يعلمون.

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ يوسف

ويدخل الأخوة المتآمرون إلى حُضرة يوسف فيعرفهم وهم لا يعرفونه، إذ أنهم لا يستطيعون

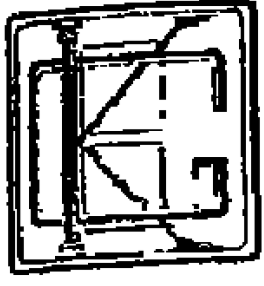


النظر إليه كعادة أهل البلاد. ويتكلم معهم عن طريق مترجم لغات وينكر عليهم نفسه. وهم يعطونه حساباً عن عدد أفراد الأسرة ويذكرون أباهم وأخاهم الصغير وأنهما لا يستطيعان الحضور. الأب لشيخوخته والابن لأن أخاه الشقيق مفقود. فالأب لا يستطيع فراقه. ويسمح يوسف بعد حوارٍ بإعطائهم حصة لأبيهم وحصة لأخيهم. إنما لديه قانون سنّه لحصص الأفراد، وعلى القادر الحضور لأخذ حصته، فإنه يتسامح معهم في حصة الأب لأنه شيخ كبير أما حصة الشاب فيجب عليهم إحضاره ليأخذها في الدورة القادمة، وإلاً فهم ليسوا بصادقين ولا حصص لهم عنده ولا يراجعوه. وكان هكذا القانون والنظام الذي وضعه، حتى لا يأخذ قومٌ أقوات آخرين ليس لهم وجود، فأخذ عليهم هذا القانون استغلالاً ليحضر أخاه الشقيق إلى رفقته ويبعده عنهم. ويقول لهم ألم تروا أني أحسن الكيل للجميع وأراعي الضيف خير مراعاة.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ يوسف

وبعد أن يوفي لهم طلبهم ويضع الخدّام الكيل على مطيتهم، يأمر خدمه أن يضعوا الثمن الذي اشتروا به الطعام في صرّة كل من اخوته، حتى تكون دعوة مفتوحة لعودتهم. وهم لا يعلمون أن الآفة ستكون لسبع سنين ولكن الله أعلمه بذلك. وهذا الطعام الذي اشتروه كان لموسم واحد. وبعد أن ينتهي الموسم وجب عليهم الحضور مرة أخرى لشراء الطعام. كل ذلك من الله سبحانه.

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا
لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ
فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ
رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ
مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ
وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ



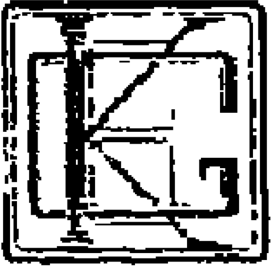
ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ يوسف

ورجع الأخوة إلى أبيهم ومعهم الحبوب التي اشتروها من مصر. ثم يفتحوا أحمالهم ليجدوا الثمن الذي دفعوه للبضاعة في أحمالهم. ويخبرون أباهم بما كان من معاملة عزيز مصر لهم، وكيف أنه رجل عدل وكريم، وأنه أخبرهم أن المرّة القادمة يجب عليهم إحضار أخيهم الصغير لكي يعطيهم حصصهم وإلاّ فلن يصدّقهم ولن يتعامل معهم.

فإن الجميع لهم حصص ولكل فرد حمل بعير. وأنه إذا لم يذهب معهم فإن الرجل لن يتعامل معهم إذ هم كاذبون. ولِمَ لا يرسله معهم وهنالك نفع من حمولة بعير، وفي هذا رخاء للعائلة، فتلك معاملة سهلة وعادلة مع عظيم مصر الذي يستقبل بحفاوة، ويقسم بعدل ويستضيف بكرم. والأب الشيخ يملأ صدره الشك من أفعالهم. فيقول لهم، كيف يأتمنهم على أخيهم وقد أمنهم على يوسف من قبل فلم يره. ولكن التوسل إليه بحاجة العائلة الماسة للطعام ألاَن قلبه. ولم يأذن لهم في اصطحاب أخيهم إلا بعد أن أخذ عليهم عهداً مُشدّدًا يُشهد عليهم فيه الله العظيم أنهم حريصون على أخيهم ولا يخرجون من العهد إلاّ بقوة قاهرة فوق إرادتهم، فإنه لا راد لقضاء الله سبحانه.

وطلب منهم أن يدخلوا مصر متفرقين من عدة أبواب ولو أنه لا مرد لقدر الله إلا أن الحرص واجب، حتى لا يلفتوا الأنظار إليهم في ظرف صعب تعيشه البلاد. ودخولهم من باب واحد قد يشكك في حقيقتهم. ويترك الأخوة أباهم ويتجهون إلى مصر مصطحبين أخاهم، ويطيعون أباهم في وصيته ويدخلون من أبواب متفرقة. ثم يسعون إلى مقابلة رجل مصر وعزيزنا. فيحتفي بهم أخوهم يوسف وهو ما زال منكراً نفسه عليهم. ويقرّب أخاه منه ويدعوه إلى الاطمئنان، إذ هو في صحبة أخيه الشقيق وطلب إليه ألاّ يكشف الأمر لأخوته وألاّ يجزع بما سيكون من أمور غريبة قد تحدث.

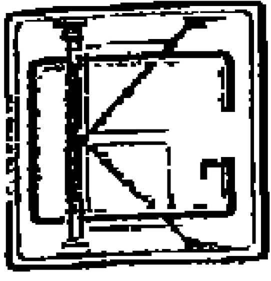
وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا



تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ
﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟
فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ
سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ
مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا
مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا
فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا
عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ
أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ يوسف

وبعد أن أكرمهم يوسف وأعدّ لهم ما يطلبون من الطعام أوصى خادماً لديه أن يخبئ صاع الملك وهو الكأس الخاص بالملك وهو ثمين ويستخدم في قياس الكيل، أمر به فأودعه في أوعية أخيه. وتركهم حتى إذا هموا بالانصراف نادى عليهم أحد من الخدم أن قفوا عندكم أنتم سارقون. فرجعوا جزعين إلى حيث يوسف وسألوا ما الخبر. فقيل لهم أن صاع الملك مفقود وأنهم يشكّون في أن أحدهم قد سرقه.

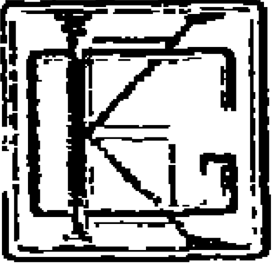
ثم يدور حوار حول من الذي سرقه، ويعده يوسف بمكافأةٍ عاليةٍ إن هو أرجعه وكشف عن هويته وأنه سيقرّبُه إليه. وينكر الأخوة تماما، ويقولون له أنه على علمٍ بأنهم ما جاءوا



سارقين. ولكن طالبين الشراء وليست السرقة من شيمتهم. بعدها سألهم يوسف عن العقاب الذي يؤول إليه السارق على عادة قبيلتهم. فيخبروه أن السارق يُؤخذ عبداً لمن سرق منه. ويوافق يوسف على تطبيق ذلك عليهم في حال ظهور السارق منهم. وكان يوسف حريصاً على أن يُطبّق عليهم قانون القبيلة، لأن قانون الملك يودع السارق السجن، وهو إنما يريد استبقاء أخيه لديه، وتأديباً لهم على أفعالهم اللئيمة التي قاموا بها عليه وعلى أخيه. ويبدأ التفتيش في أوعيتهم قبل أوعية أخيه ثم يستخرج السرقة من وعاء أخيه. وهم قد أصدروا الحكم مُسبقاً فهو إذاً لا يُردُّ عليهم. وأصبح الأمر على أخيه وتحقق مطلبه واحتجز أخاه عنده. ثم يبدأ النقاش في شيء من الحدّة، فيقولون أن له أخ قد سرق من قبل وإنما يعنون يوسف من شدة الكراهية له ولأخيه. ويتذكر يوسف الأخوة الذين تآمروا عليه وألقوه في البئر والآن يدّعون عليه السرقة أيضا. فيقول لهم، بل أنتم شرٌّ مكاناً، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون. وعندها يعلم الأخوة ما سينزل على أبيهم من حزن عظيم، فباءوا يتلاطفون مع يوسف ويرجونه من أجل أبيهم أن يترك أخاهم ويأخذ أحداً منهم بدلاً عنه لأن أباه شيخ كبير ولا يتحمل فراقه.

ولكنه يرفض الظلم ولا يقبل وشدد عليهم جدّاً فأسرعوا بالخروج من عنده من قبل أن تلحق بهم كارثة أخرى. وانتهى الأمر بالنسبة إليه وهو يعلم أنهم لابد عائدون إليه، إذ من غير المعقول أن يتركوا الحب الثاني لأبيهم بلا اهتمام وهو يريد لفت انتباه أبيه إلى وجوده. وأما هم فإن كبيرهم يُذكّرهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم مع أبيهم، ويقول لهم أخبروا أبانا أن هذا خارج عن إرادتهم، ومن أين لهم أن يعلموا أن أخاهم سيسرق من الملك!

وإن كان غير مصدقهم فليسأل القافلة التي كانوا في صحبتها. أما هو فسيبقى في الأرض حتى يرضى أبوه عليه أو أن يأتي أمر من الله تعالى. ويخبرهم أن ذلك الأمر الذي حدث إنما هو جزاء ما فعلوه بأخيهم يوسف حين أهملوه من بعد أن ألقوه في البئر من بعد أن نُزعت من قلوبهم الرحمة وتبعوا الشيطان. أما يعقوب فيتلقى الخبر منهم ببالغ الحزن والأسى على أولاده أجمعين. ويأخذ في البكاء الشديد ويتذكر يوسف وأخاه، والآن حتى أخاهم الأكبر أصبح مفقودًا أيضا. فيطلب من الله الصبر الجميل المناسب لمثل هذه الحال. ويواسونه أهل بيته من الرجال والنساء ويقولون له إنك لتبكي على يوسف وسوف يهلكك ذلك ولِمَ يكون كل هذا الحزن الكبير بعد طول السنين، بل أنت مريض في الشيخوخة ولا



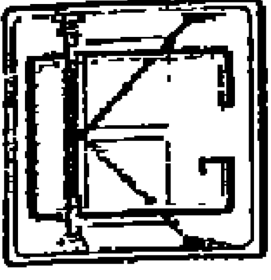
تعي ما تقول. ويجمع يعقوب أبنائه ويأمرهم بالذهاب والبحث عن يوسف واخوته وألا ييئسوا من روح الله. إنه إنما يقول لهم أنه لم يصدقهم من قبل وأنه لم يصدقهم الآن.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ يوسف

وأصبح يعقوب والحزن مهلك عمي من كثرة البكاء حزناً على يوسف ثم على أخويه، وأمرهم بالذهاب والبحث عن يوسف وأخويه داعياً المولى عزّ وجلّ، وأخبرهم ألا ييئسوا من روح الله إذ أن روح الله في كل شيء حسن. وأن ينسوا ما كان بينهم ويأخذوا الأمر بشدّة وإيمان حتى يرضى الله عليهم. وتذهب الأخوة عائدة إلى مصر مرة أخرى. إذ ليس من المعقول أن يتركوا اخوتهم بدون محاولة إرجاعهم حتى لا تتفكك الأسرة.

وهاهو أبوهم يكاد الموت يأخذه غمّاً عليهم. ويلتقي الأخوة مع أخيهم الكبير ثم يذهب الجميع إلى يوسف في مقرّه. ثم يبدأ حوار من نوع آخر، فالآن هم شديدا التوسل إليه، ويستحلفونه بأبيهم النبيّ وسيد القوم في قبيلته، أن يقبل أي شئ في سبيل إطلاق سراح أخيهم الصغير. ثم لم ينسوا أن يطلبوا حاجتهم من الطعام. ولكن هذه المرة بتوسل شديد لأن البضاعة التي يساومون بها بضاعة غير ذات قيمة. ثم يصرح يوسف لهم بهويته.

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾



قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ يوسف

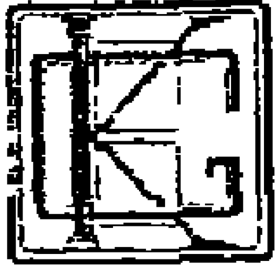
وبعد أن رجوه حتى ما بقي سوى التذلل له، لم يقبل عليهم ذلك وأفصح لهم عن أمره وبين لهم ماهيّته. فخرّوا على وجوههم ساجدين طالبين المغفرة منه والرحمة من الله العزيز الحكيم. واعترفوا بذنبهم وقالوا أنهم الآن يعلمون لم فضّله الله عليهم. ويتوب عليهم يوسف فيقول لهم، لا تثريب عليكم، أي فلننسى ما فات لأن الله له الحكمة العليا وهم لم يكونوا المسيئين له، إنما كل شيء بأمر الله لينقذ الله شعباً من المجاعة والجفاف ويفتح أبواباً أمام شعبٍ ينشأ. وأعطاهم قميصه ليلقوه على أبيهم فيبصر، وليس القميص بسحرٍ يُشفي ولكنه علامة أن يوسف ما زال حيًّا وبخيرٍ هو وأخاه معه وأن الله تعالى يشفي ما في الصدور فيشفيه الله عزّ وجلّ بإذنه وقدرته.

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ يوسف

بمجرد أن بدأ المسير في اتجاه أبيهم شعر يعقوب بما سيكون وقال إني لأجد ريح يوسف. شمّ رائحة يوسف من عالم الغيب وأخبرهم به، ولكنهم شعروا أنه كبر اختير ويقول من الماضي. هذا الأب الذي فقد ابنه من طول زمن، والآن فقد ابنين آخرين وقد ذهب بقية أبنائه ليتفقدوا الضائعين منهم، ويقول أنه يجد ريح يوسف!

ثم ما لبث أن جاء من يبشره بالخير من أن أبناءه جميعا بخير وهذا يوسف على مُلك مصر وهذا قميصه علامةُ صدقٍ، فيه من روح يوسف، وألقوه عليه فارتد بصره إليه بقدرة الله سبحانه من بعد طول عمى. وطلبوا منه أن يغفر لهم ما قاموا به من خطاياهم في اخوتهم وأبيهم. فقال أنه سيستغفر لهم الله تعالى هو غفّار الذنوب ولتبدأ صفحة جديدة في حياة إسرائيل. ثم يعدّون لرحلة الذهاب إلى مصر التي يصلونها في أمان. ويدخل الجميع على يوسف الذي يستقبلهم في ترحاب وإجلال.

قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟



مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ
هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ
ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي
لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي
مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ
تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ يوسف

ويشكر يوسف الله تعالى على نعمه، إذ علّمه من تأويل الأحاديث وتفسير الرؤيا وأتاه حكمةً ومعرفةً ونبوّةً والآن أتى بوالديه وأخوته من البدو إلى مصر . إذ هناك يبدءون في التكاثر وفي التحضير لأمّة يُعِدُّها الله لمستقبل، الله وحده العالم به سبحانه. ويسقط الجميع ساجدين له فيعلم أن هذا تفسير الرؤيا التي رأى وكانت سبباً في أن رماه إخوته في البئر على أمر هو من قدر الله تعالى سبحانه. وتستقبل مصر جميعاً أهل يوسف بفرحة عظيمة ويستقبلهم فرعون استقبالاً حافلا ويقول لهم هذه مصر أمامكم، ادخلوها بسلام آمنين، فأنتم أبناء حبيبها وعزيزها يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم، صلوات الله عليهم أجمعين.

*** فكلم فرعون يوسف قائلا، أبوك واخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قدّامك. في أفضل الأرض أسكن أباك واخوتك. ليسكنوا في أرض جاسان، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذووا قدرة فاجعلهم رؤساء مواشي على التي لي. ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفه أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون. فقال فرعون ليعقوب، كم هي أيام سني حياتك. فقال يعقوب لفرعون، أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة. قليلة ورديّة كانت أيام سني حياتي ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في غربتهم. وبارك يعقوب فرعون وخرج من لدن فرعون.

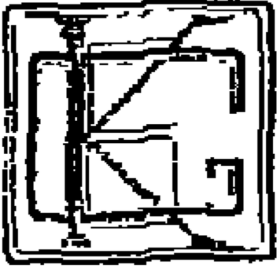
(العهد القديم سفر التكوين ٧،٨،٩،١٠ النسخة العربية)

(Arabic Bible 43 15M 1994)

أما في النسخة الإنجليزية :

English Bible NIV 63-00172/173/174/175 printed in Great Britain 10/93

فقال فرعون ليعقوب، كم هي أيام سني حياتك, فقال يعقوب لفرعون، سني الحج في غربتي



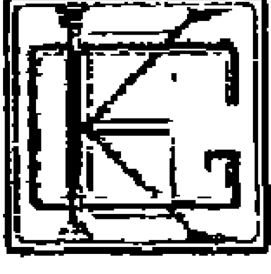
مئة وثلاثون. قليلة ورديّة كانت سني حجي، ولم تبلغ سني حج آبائي في أيام غربتهم.
(هكذا كانت أيضا في النسخ العربية القديمة ثم تم تغييرها لسبب غير معلوم)

وسكن يعقوب (إسرائيل) في مصر هو وبنيه وذريته جميعاً، وتنعّموا بما فيها من خيرات واحترام القوم لهم إعزازاً ليوسف، لفضله العظيم على البلاد. وعدد الذين جاءوا إلى مصر حوالي ٧٠ من الناس. وبعد فترة من الزمان كانوا يتكاثرون فيه وينعمون، حضرت يعقوب الوفاة. فجمع بنيه إلى سرير موته وأوصاهم بما فيه خيرهم وصلاحهم وهي ذات وصية إبراهيم.

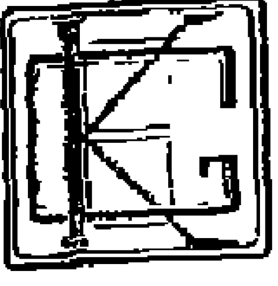
وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة

فقد أوصاهم بإتباع ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى لا يقبل من عبده إلا التسليم الكامل له. هكذا أتم يعقوب رسالته، ثم أسلم روحه إلى ملك الموت وصلى عليه أولاده وأهل مصر والملائكة. ونحن أيضا نشاركهم في الصلاة على روحه الطاهر، ربّنا وتقبّل منا شهادتنا أنه أتم رسالته وأكمل ما عليه أفضل الكمال. واستأذن يوسف فرعون واصطحب أهله جميعا وأخذوا جثمان يعقوب إلى كنعان ودفنوه في المغارة مع إبراهيم.

وحزن عليه أهل المنطقة هناك وأقاموا الصلاة عليه ثم أقاموا الحداد في كنعان. ثم رجع يوسف وأهله إلى مصر ليواصل حُكمَه العادل فيها مع أناس مؤمنين خاضعين وهم لله مصلين. وتنعم مصر في ظل حكم يوسف وبعد مرور المحنة لفترة طويلة من الزمن، وسعد الناس بالعدل العظيم الذي أقامه. وتكاثر بنو إسرائيل في حياة يوسف، إذ هو عاش ليرى حفيد ولده. ثم حضرت يوسف الوفاة، فجمع إخوته وكبار أبنائهم وأوصاهم بما أوصاه الله به وذكرهم وصايا يعقوب. وقال لهم أنهم سيكونون قبائل بنى إسرائيل، وليس فقط قبيلة إسرائيل، وأنهم سيتكاثرون جدا في العدد. وأنه بعد فترة طويلة سيكون في حكم مصر فرعون ظالم مستبد، سيستعبد بنى إسرائيل ويسوق فيهم القتل.



وعند حدوث ذلك فليتحلوا بالصبر والصلاة، ويتضرعوا إلى الله كثيرا. وأن الله تعالى سيرسل منقذاً إلى بنى إسرائيل. هو رسول كريم، وسينزل عليه كتاباً إذا استمسكوا به فإنهم سيفلحون، وأن هذا الرسول سيقتل الملك الجبار ويقود بنى إسرائيل إلى أرض كنعان. وأوصاهم باصطحاب جثمانه حينئذ ليدفن إلى جوار آباءه. ثم أسلم روحه الطاهر وصلى عليه الملائكة واخوته وأحفاده وكل المصريون. وأقاموا العزاء لفترة طويلة عليه. اللهم اشهد أنه أكمل رسالته وبلّغ ما عليه واقبل صلاتنا عليه واكتبه مع الصالحين.



• كتاب موسى عليه السلام. +

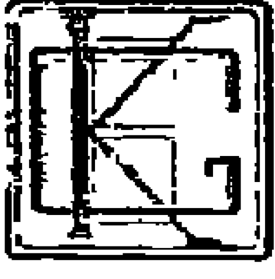
حكم بلاد مصر فرعون اختلفوا في اسمه وكان جباراً ظالماً. وجد فرعون أن بني إسرائيل يتزايدون في العدد بسرعةٍ مذهلةٍ وأنهم مع الزمن قد يفوق عددهم عدد المصريين أبناء البلاد. وقد كان بنو إسرائيل يختلطون بالمصريين ويعيشون معهم في سلام تام قبل أن يأتي هذا الملك. إلاَّ أنهم اختصوا أنفسهم فيما بينهم، فلهم مجتمعهم الخاص ويتزوجون غالبا من بعضهم البعض، وبعضهم آخذ في الثراء الفاحش.

وقرر فرعون أن هذا فيه خطر كبير على سلامة البلاد. إذ أن بني إسرائيل كانوا يعتبرون أنفسهم غرباء في أرض مصر رغم مرور الأزمنة الطويلة عليهم، واختصوا أنفسهم ببعض الحرف التي يأبى المصريون القيام بها. فخاف فرعون على أمن البلاد من خيانة هذه الفئة من التعامل مع الغرباء وكشف عورات مصر لمن يدفع أكثر. فأصدر الأمر بالتشدد في معاملتهم وإرهاقهم في العمل، بحيث يرهق الرجال منهم عملاً فلا يستطيعون غشيان زوجاتهم فيقل إنجابهم.

إلاَّ أنه لم تفلح هذه السياسة وظل التناسل على نفس السرعة. ثم بلغه نبوّة من بني إسرائيل أنه سيظهر فيهم نبيّ منقذ لهم. وأن هذا النبيّ سيقتل الملك، ويقود بني إسرائيل إلى أرض كنعان. سيقتله هو! وممّا ينقذهم وهاهم يعيشون في هدوء في مصر ويتكاثرون بطريقة مطردة؟ فما كان منه إلاَّ أن أصدر أمراً بقتل جميع مواليد بني إسرائيل من الذكور، وترك الإناث. وأحلّ للمصريين من الرجال إتيان النساء منهم. ووجه الرجال إلى الأعمال الشاقة وبأجور زهيدة. وكان هذا منتهى القسوة والاستعباد.

ففرق بين الناس وجعلهم شِيَعاً وتولّدت كراهية عظيمة بين الفئتين. واحدة تستعبد الأخرى، ولا جرم عليهم إذ أنه قانون مرسوم. ويريد فرعون القضاء على ظاهر هذه القوة التي قد تكون خطراً على أمن البلاد وكان الله يريد أن ينصر هذه الفئة ويجعلهم الوارثين الذين يحملون دين الله إلى بقية الناس. ويريد فرعون الحذر من القدر، ويريد الله تعالى أن يُري بأسه لفرعون، وأن يصيبه بنفس الذي كان يحذر منه وأنه لا ينفع حذر من قدر.

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ



أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ القصص

***

ثم قام ملك جديد على حكم مصر لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا. هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم. فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف. ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل. كل عمل عملوه بواسطتهم عنفا.

وكلّم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم أحدهما شِفرة واسم الأخرى فُوعة. وقال، ينما تولدان العبرانيات تنظرانهن على الكراسي إن كان ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا فتحيا. ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلّمهما ملك مصر، بل استحيتا الأولاد. فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الأولاد.

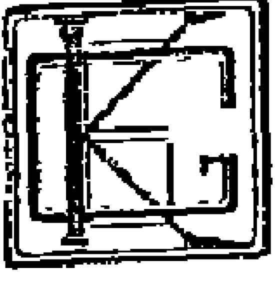
فقالت القابلتان لفرعون، إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات. فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة. فأحسن الله إلى القابلتين. ونما الشعب جدا.

ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلا، كل ابن يولد تطرحونه في النهر، لكن كل بنت تستحيونها. (سفر الخروج)

• ميلاد موسى. (عليه الصلاة والسلام) +

عندما صدر أمر فرعون بقتل جميع المواليد الذكور لبنى إسرائيل، هرع إليه عليّة القوم من المصريين وقالوا له أن ذلك ليس من الحكمة في شئ لأن البلاد تقوم في صناعتها، على الحرف التي يأبى المصريون العمل بها، على هؤلاء من الناس، وأنه بقتل الذكور جميعا فإن الرجال منهم ستفنى ولن يكون هنالك من يقوم بأعبائهم.

وبعد التداول تقرر أن يُقتل الذكور في سنة ويتركوا في السنة الأخرى. فبذلك لا يتزايد القوم ولا تنقص العمالة التي ترتكز عليها ثروة البلاد. واستراح فرعون إلى هذا الرأي استقر عليه.



فصدر الأمر بذلك وكوّنوا فِرَقاً من الذبّاحين، مهمتهم الوحيدة هي تتبع أخبار الحبالى من بني إسرائيل للحضور ساعة الوضع والقيام بهذه المهمة المخزية للبشرية جمعاء. ويتزوج رجل اسمه عِمران من بيت لاوى من امرأة قريبته من نفس البيت. وتحمل أنثى يسميانها مريم. ثم بعد وقت تحمل ذكراً ويسميانه هارون، وذلك في السنة المسموح فيها بالاحتفاظ بالذكور، فيهنأ لهما العيش.

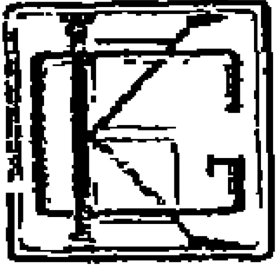
وبعد فترة تحمل ذكراً وتلده في السنة التي يُذبح فيها الذكور فلم يتسنى لهما تسميته. والقول، أن الله تعالى لم يظهر عليها أعراض الحمل البائن للجميع حماية لهذا المولود. وأوحى الله تعالى للأم أن ترضع وليدها، فإن هي خافت عليه الذبّاحين فلتلقيه في النهر، ولا تخاف عليه فإن الله تعالى سيرده إليها وسيجعله من المرسلين، وأن الله على كل شئ قدير. وكان هذا إعلام لأم موسى بأنه النبيّ المنتظر. وتستجيب أم موسى لنداء الرّب وتصنع صندوقا ليطفو على الماء، وكانت تضع المولود فيه بعد أن ترضعه. ثم جاء الوقت الذي يخاف فيه الجميع، وهو أن فرقة الذبّاحين يدخلون البيوت للتفتيش عن المواليد الذكور، وربما آذوا أهل البيت إن هم وجدوا مولوداً ذكراً يخفونه عنهم. فأطلقت الصندوق يطفو على صفحة الماء وأخبرت أخته (ابنتها) أن تتعقبه وترقُبُه من بعيد لترى ما سيصير إليه أمره.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ القصص

وطاف الصندوق على الماء يدفعه التيار إلى قصر فرعون. وكانت ابنة فرعون في حديقة القصر ورأت الصندوق، فأمرت وصيفاتها بالتقاطه وفتحته وإذا هي بغلام رضيع على وجهه نور يُشعُّ من الله تعالى ويجذب القلوب لمحبّته. وفرحت به أيّما فرح.

والقول أنها زوجة فرعون أيضا وارد ولا مخالفة، ولكن الأغلب أنها كانت ابنة هذا الفرعون وامرأة الذي يليه. وعلى ذلك فيكون هنالك فرعون المولد وفرعون الخروج وهو الأرجح لأن بين المولد والخروج أكثر من ثمانين عاماً، والله تعالى أعلم بالحق. على أيّة حال فقد أخذته وتبنته، ثم ذهبت به إلى فرعون وقالت، قرة عين لي ولك. فقال لها فرعون، لك ربما ولكن ليس لي واحتفظي به إن شئت.

وأسمته امرأة فرعون موسى. مو يعني ماء وسى هي شيء. فيعني أنه شئ من الماء. فإذا



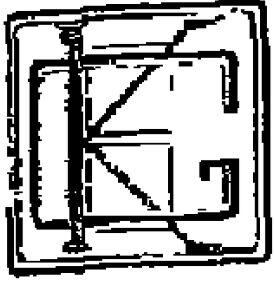
اسمه مصريّاً بحتاً. وهذا تقديرٌ من الله عزّ وجلّ، أن يلتقطه آل فرعون ليتربى في قصره وينشأ في عزّ القصور وهو الذي يقتلون أبناء بني إسرائيل من أجل ألاّ يُخطئوه. ولكن هذا المولود يرفض جميع المراضع اللاّتي أحضرتهن امرأة فرعون لإرضاعه، فتقدمت أخته متخفّية عليهم وقالت أنها تعلم أهل بيت قد يقبل منهم الرضاعة إلاّ أن المرأة لا تستطيع ترك بيتها من أجل أسرتها. وربما تستطيع أن تتعهد برعايته إذا أمرت امرأة فرعون بذلك.

وحاز هذا الأمر القبول وأُحضرت أم الوليد وتعهدت برعايته حتى الفطام. وهكذا أنعم الله تعالى على هذا المولود بأمه الأصلية وأمه التي تبنته وربته عوضاً عن أم واحدة فسبحان الله العلي العظيم في شأنه. وأنعم على الأم التي ترضع ابنها أن تتقاضى أجراً على ذلك من عدوّهما.

فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ القصص

وتمر السنون وينشأ ابن القصر ويكبر ويترعرع في وجاهة كبيرة، ويتعلم العلم النافع على أعلى ما يكون، وفي رعاية أمه امرأة فرعون. وينظر إليه المصريون بإكبار عظيم، وينظر إليه بنو إسرائيل على أنه أحدهم. وأما هو فنشأ على العلم والمعرفة والتفريق بين الخير والشر. وكان الله تعالى يتعهده برعايته ويُعدّه للرسالة وكل ذلك تحت عينه سبحانه. ولم يكن يقرب عبادة ما يعبد الملك ولكنه لا يتعرّض لهم ويخفي استنكاره في نفسه في صمت وإكبار.

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ



ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ ﴿٤٠﴾ طه

وشبّ موسى رجلا قوي البنية حسن الشكل مندفع في الرد، لا يقبل إلاّ ما هو حقّاً وخيراً. ولا يقبل ظلما ولا يردّ إحساناً. ورفض فيما بين نفسه الانخراط في دين الملك. وكان على علم بأمه التي أرضعته وأنه من هذه الطائفة المغلوبة على أمرها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾

القصص

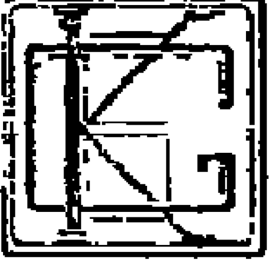
فكان محبوباً من الجميع، من هؤلاء لكياسته وحسن عشرته و من هؤلاء لعدله واستقامته وسعة إدراكه إضافة إلى محبة امرأة الفرعون له.

*** وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى، فحبلت المرأة وولدت ابنا. ولما رأته حسن خبأته ثلاثة أشهر. ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد، أخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الوليد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر. ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يُفعل به. فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أَمَتها وأخذته. ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكى. فرقّت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين.

فقالت أخته لابنة فرعون، هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد. فقالت لها ابنة فرعون، اذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أم الولد. فقالت لها ابنة فرعون، اذهبي بهذا الولد وأرضعيه لي وأنا أعطيك أجرتك. فأخذت المرأة الولد وأرضعته. ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار ابنها. ودعت اسمه موسى وقالت لأني انتشلته من الماء. (سفر الخروج)

• القتل الخطأ.

وفي ذات يوم في وقت ليس كثير من الناس في المدينة، إما بسبب الحر الشديد بعد الظهر أو ليلا حيث لا يخرج الناس. وجد موسى رجلا من بنى إسرائيل يمسكه رجل مصري وهما يتشاجران. وبدا لموسى أن المصري كأنه هو الباغي على الآخر وكان من شيعته أي من بنى

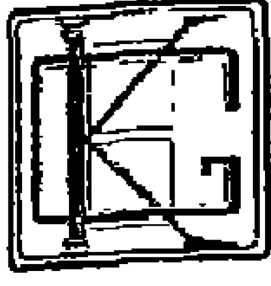


إسرائيل فكان يستغيث بموسى.

فأقبل يريد فض النزاع ولكم المصري لكمةً واحدة أطاحت به قتيلا. وهو لم يقصد أن يقتله، إنما أراد فقط نصرة الآخر. فاستغفر ربه فغفر الله له واختفي الرجل الذي هو من بنى إسرائيل. أما موسى فعاهد الله ألا يكون في نصرة الظالمين. وشاع في المدينة الخبر والناس جميعا يبحثون عن قاتل المصري والجريمة في غموض تام عن الشرط وأهل القصر. إذ لم يكن شاهد على الجريمة. وفي اليوم التالي كان يسير حذرا في المدينة يتخوف الأمور، وإذا بالرجل الذي من بنى إسرائيل والذي كان في اليوم السابق يستغيث به، إذا هو في شجار مع مصري آخر، فلما رأى موسى أخذ يستنجد به.

فقال له موسى، يبدو أنك رجل مشاغب ولا ترتدع. ولكن حسُنَ في نظره أن ينصر الذي من شيعته مرّة أخرى. فأقبل عليه لينصره وإذا به يخاف من موسى أنه يقصده، فقال، يا موسى هل تريد أن تقتلني كما قتلت ذلك الرجل بالأمس؟ فأُبلِس موسى وأصابه الارتباك. وإذا بالمصري يقول، وهكذا ترد على إكرام المصريين لك ونحن إنما نتوقع منك بعد نشأتك في القصر أن تكون رجلاً عدلاً ولكن ها أنت لست إلاَّ ظالماً جبّارا تقتل وتخرّب! ويهرب الرجل المصري سريعاً ويقع موسى في الورطة.

وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ القصص



ويهرب المصري من موسى فزعاً ويخبر الشرط. والشرط يعلمون أن موسى ابن امرأة فرعون ولا يقدرون عليه بالسهل، فيجمعون الأشراف من القوم ليستنصرونهم في القرار على حبس موسى للاقتصاص منه في القتيل المصري، والذي تكشّف الغموض في مسألة قتله.

وكان لموسى أصدقاء في أعالي القوم بحكم مركزه منهم. فبحث عنه أحدهم وبلّغه ما القوم يتآمرون عليه به، وكانت الفرصة لهم للخلاص من هذا الذي من بنى إسرائيل الذي تتبناه امرأة فرعون بعد أن ثبت أنه يطغى في الأرض. وينصحه الرجل بالتعجل بالهروب من البلاد من قبل أن يتمكنوا منه وخوفاً على سلامته.

إنما هذا كله من تقدير العزيز الحكيم. إذ يريد الله عزّ وجلّ إبعاده ليصفو قلبه من الضغائن ويبعد عن عبادة ما عليه المصريون. ويريد الله أن يبعده عن هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ويقدسون فرعون، فتصفي نفسه ويتقبل ما سوف يُؤتيه الله تعالى من كتاب وحكمة ونبوّة بقوّة وعزم شديدين.

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ القصص

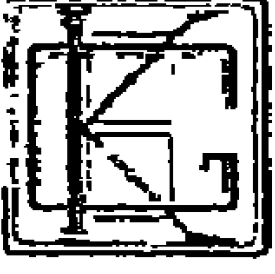
فحزم أمره على عجل وترك المدينة وهو يدعو الله تعال هدايته ورعايته.

***

وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى اخوته لينظر في أثقالهم. فرأى مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته. فالتفت هنا وهناك ورأى أنه ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل. ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان، فقال للمذنب، لماذا تضرب صاحبك. فقال، من جعلك رئيسا وقاضيا علينا. أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصري. فخاف موسى وقال، حقا قد عُرف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يُقتل موسى. فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر. (سفر الخروج)

• مقامه في أهل مدين. +

ويأتي هذا الأمر المهول فجأةً على موسى. وهو الذي كان آمناً في القصر والجميع يجلّونه ويكنّون له كل الاحترام والهيبة وهو على نعمة من العيش المترف، وليس معه شئ ما من



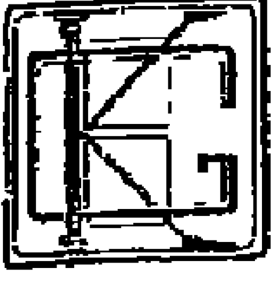
المأكل أو المشرب أو حتى المطيّة ليركب. فيغادر موسى مصر هرباً متخفياً من أهلها كله حذر وخوف من رهبة الموقف. ويتجه موسى شرقاً إلى مدين سيراً على الأقدام بلا زاد ولا رفيق. ويأكل من الأعشاب التي يجدها في الطريق. ولاقى الأهوال إلى أن وصل مدين. وإذا هو ببئر مدين الذي يستقون منه، فيشرب منه ويتجه إلى ظل شجرة ليستريح من وغثاء السفر. ثم يأتي بعض الرعاة بأغنامهم ومواشيهم إلى البئر ويفزعون سقياً لمواشيهم. وعن قريب امرأتان تجلسان إلى مواشيهما وكأنهما تنتظران الغوث.

فيسألهما موسى ما خطبكما، فيخبرانه أنهما بنات لرجل شيخ كبير وليس معهما أحد وأن الرعاة الأقوياء يستحوذون على الماء من قبل أن يتركونهما ليرويا مواشيهما. وتأخذ موسى الشهامة ويقبل على الماء مُبعدا الجمع عنه ويملأ لهما جرارهما ويروى لهما قطعانهما من المواشي. ثم يعود إلى ظل الشجرة ويدعو ربه أنه فقير وفي غاية الحاجة إلى نصر من عند الله. وتعود المرأتان إلى أبيهما مبكرتان على غير العادة ويستفسر منهما عما أعادهما مبكرا. فيخبرانه عن هذا المصري الشهم الذي روى لهما قطعان أبيهما وملأ لهما الجرار.

ويتحمس الشيخ لمكافأة الرجل، فتعود إحداهما إلى موسى يتملكها الحياء والخجل، وتخبره أن أباها إنما يدعوه ليتعرف عليه وليكافئه على حسن صنيعه.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ القصص

وجلس موسى مع شيخ مدين وحكى له قصتة إلى آخرها، فطمأنه الشيخ أنه في مدين ولا سلطة لمصر وحاكمها فيها، وأنه هناك في الأمن من هوالك الناس. ثم حدّثت إحدى الفتيات أباها وتقترح عليه أن يستبقيه ويستأجره.



قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾

القصص

ويعني هذا على عرف أهل البادية أن المرأة تطلب من أبيها أن يزوجها منه، ووصفته بالقوى الأمين ترغيبا فيه لأبيها. فيعلم الأب الحكيم أن هذا إنما هو صهر واجب الحفاظ عليه بعد أن آنس لحديثه وهو بحاجة إلى رجل يعاونه على أسرته.

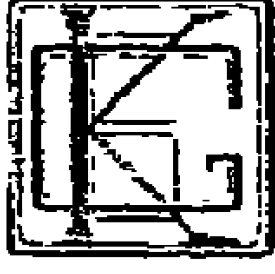
قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ القصص

وهنا تكمن عظمة شيخ مدين، فإنه يعرض جيرته على هذا الهارب ومكانا يطمئن فيه من المطاردين، ويزوّجه ابنته نظير أن يخدمه ثماني حجج كمهر للعروس (وكانوا يحسبون السنين بعدد مواسم الحج)، ثم يقول له ،فإن أتممت عشرا فمن عندك، أي إذا زدت اثنتين فهذا كرم منك، وهذا منتهى الكرم من الشيخ، لأن موسى وحده الذي يعلم بمدى حاجته إلى الاستقرار في مكان أمين، وربما كانت هذه هي المدة التي تنتهي فيها الفترة القانونية في قضية المصري المقتول. والله أعلم بالمقصود، ولكنه على أية حال ليس استغلالا لوضع موسى، وإنما هو دعوة مفتوحة له بالبعد عن القوم الظالمين، وإعطاءه المكان الآمن. ويمر الزمن وعاش موسى عيشة هانئة إلى جانب زوجه وشيخ مدين وانقضت مدة العهد الأكبر.

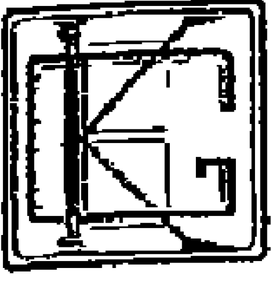
***

وكان لكاهن مديان سبع بنات. فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. فأتى الرعاة وطردتهن. فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن. فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال، ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم. فقلن، رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة، وإنه استقى لنا أيضا وسقى الغنم. فقال لبناته، أين هو. ولماذا تركتن الرجل. ادعونه ليأكل طعاما. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل.

فأعطى موسى صَفُّورة ابنته. فولدت ابنا اسمه جرشوم. لأنه قال كنت نازلا في أرض غريبة. وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات. وتنهد بنو إسرائيل من العبودية. فسمع الله



صراخهم من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب. ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله. (سفر الخروج)



• النداء المقدس. +

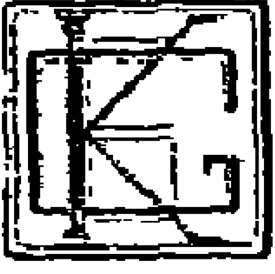
انقضت مدة العهد الأكبر التي كانت بين شيخ مدين وموسى، ولا يعلم أحد إن كان قد غادر بعد انتهاء المدة مباشرة أم أنه زاد عليها سنين إقامة ولكن بدون التزام بالخدمة. وكان من عادة أهل البادية أن يرعوا قطعانهم في رحلات عبر الصحراء بحثاً عن الماء والكلأ. ورحل موسى عبر سيناء. وفي ليلة مظلمة شديدة الظلام وعاصفة الريح وباردة شديدة البرودة، لم يستطيعوا فيها إشعال نارا لهم ، أبصر موسى ناراً عن بعد. فأخبرهم أنه أبصر ناراً وأنه سيذهب صَوْبها لعله يهتدي إلى طريق وربما أحضر معه شعلة من النار فيقيدون نارهم ويستدفئون. ويذهب موسى وإذ النار أعلى الجبل.

فصعد الجبل وكلما اقترب من النار يرى زيادة توهجها، إلى أن اقترب منها وإذا هي مشتعلة في عوسج (نوع من أشجار الصحراء) والنار نورها بياض وليس محمرا، والشجرة خضراء لا تضرّها النار فهي لا تحترق. وراح يتأمل بها ويتعجب لما لها من قدسيّة حاضرة تدعو إلى السكينة والاطمئنان وإذا بالنداء المقدس.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ سورة القصص

فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ سورة النمل

إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ



كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾
طه

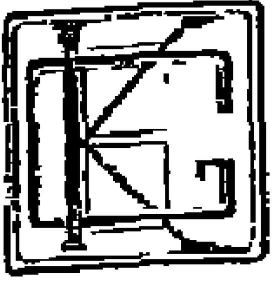
كان ذلك النداء المقدس هو بداية الرسالة لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام. فالله تعالى ناداه من نور النار المشتعلة التي لا تأكل الأخضر من البركة التي حلّت عليها. ويخبره الله تعالى أن يقيم الصلاة للذكر والشكر والعبادة، وأن الساعة لا محالة آتية، فمن قُربها من الحدوث يكاد يخفيها، أي أنها تشتد في القريب جدا. ليقوم الناس لرب العالمين وتواجه كل نفس حساب ما قدّمت في دنياها. يا له من موقف رهيب في الحضرة الإلهية الكريمة، واستماع موسى لكلمات الله تعالى من دون وسيط أو إيحاء. ثم يستمر الحضور الإلهي ويستمر التعليم ويريه الله تعالى الآيات.

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ طه

ألقى موسى عصاه فإذا هي حيّة كبيرة مخيفة لا قبل لأحد بها بعد أن كانت عصاً في يده يهش بها على غنمه ويتوكأ عليها، فطمئنه ربّه والتقطها فإذا هي عصاه التي يعرف. ووضع يده في جيبه فخرجت بيضاء تكاد تُشعّ من نقائها. ليست هذه كل الآيات بل ستتبعها آيات كبرى سيريه ويرينا الله العزيز الجليل. ثم يأت بعد ذلك أمر التكليف الكبير وعلى من يرسله الله عزّ وجلّ.

ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ طه

وأعطاه الله تعالى الآيات البينات التي ستُظهر دلائل نبوّته على القوم الذين أرسله لهم ثم أخبره بالذهاب إلى فرعون فإنه قد طغى وتجبر وظلم وتكبر. هنالك يبدأ موسى عليه السلام



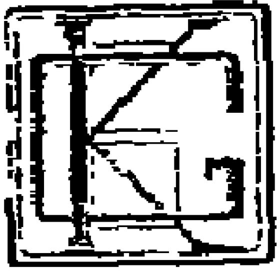
في التضرع إلى الله بطلباته التي الله أعلم منه بها ويستجب الله العلي.

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ القصص

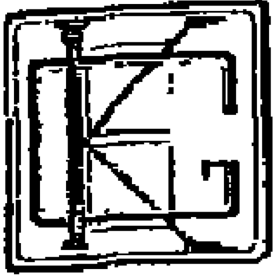
فأخبره العليم الحكيم أنه رسول الله إلى فرعون وقومه لأنهم طغاة، وليُخرج بني إسرائيل و يحررهم من العبودية والذل المقيم عليهم وأن الله سيريه الطريق، ودعا موسى أن يستجيب الله له في عدة مطالب أجابها له الله جميعا هو السميع المجيب.

***

وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مدين. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل حورب. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط علّيقة. فنظر وإذ العلّيقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أظل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال، موسى. فقال، هاأنذا. فقال، لا تقترب إلى هاهنا. اخلع حذاءك من رجليك. لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال، أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب، إني رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة. إلى أرض تفيض لبنا وعسلا. إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين. والآن هو ذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إليّ ورأيت أيضا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر. فقال موسى لله، من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر. فقال، إني أكون معك وهذه تكون لك



العلامة أنني أرسلتك. حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل. فقال موسى لله، ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم، إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى، أَهْيَهْ. وقال، هكذا تقول لبني إسرائيل أَهْيَهْ أرسلني إليكم. وقال الله أيضا لموسى، هكذا تقول لبني إسرائيل يَهْوهْ إله آبائكم وإله لإبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. اذهب واجمع شيوخ بني إسرائيل وقل لهم الرب إلهكم وإله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ظهر لي وقال إني افتقدتكم وما صنع بكم في مصر. فقلت أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا. فإذا سمعوا قولك تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقول له الرب إله العبرانيين التقانا. فالآن نمضي سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا. ولكني أعلم أن ملك مصر لن يدعكم تمضون ولا بيد قوية. فأمد يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم. وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين. فيكون حين تمضون أنكم لا تمضون فارغين. بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين. فأجاب موسى وقال، ولكن هاهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي. بل يقولون لم يظهر لك الرب. فقال له الرب، ما هذا في يدك. فقال، عصا. فقال، اطرحها إلى الأرض. فطرحها إلى الأرض فصارت حيّة فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى، مد يدك وامسك بذنبه. فمد يده ومسك به فصارت عصا في يده. لكي يصدقوا أنه ظهر لك الرب إله آباءهم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ثم قال الرب أيضا، أدخل يدك في عُبك. فأدخل يده في عُبه ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له رد يدك إلى عُبك فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه فإذا هي قد عادت مثل جسده. فيكون إذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى أنهم يصدقون الآية الأخيرة. ويكون إذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك أنك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة فيصير الماء الذي تأخذه من النهر دما على اليابسة. فقال موسى للرب، استمع أيها السيد. لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان. فقال له الرب، من صنع للإنسان فما، أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى! أما هو أنا الرب! فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلّمك ما تتكلم به. فقال، استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل. فحمي غضب الرب

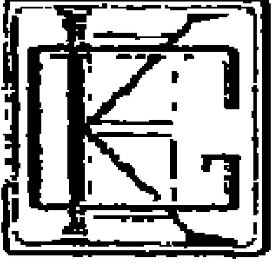


على موسى وقال، أليس هارون اللاوى أخاك. أنا أعلم أنه يتكلم. وأيضا هاهو خارج لاستقبالك. فحينما يراك يفرح قلبه. فتكلمه وتضع الكلمات في فمه. وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان. وهو يكلم الشعب عنك. وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها. وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع الآيات. (سفر الخروج)

ويُكلّفه الله تعالى بالذهاب إلى فرعون، إذ أنه استكبر وطغى ولا رادع له. وأعطاه من الآيات اثنتين كعلامة حق من عند الله. ويعلم موسى أن هذا أمر الله وأنه لا مُعقّب على كلماته، ولكنه يرجو الله تعالى أن يدعمه ويؤزره بأخيه هارون، وليجعله نبيّاً ووزيراً لموسى لأنه أفصح لساناً وأسهل طبعاً. وطلب من الله تعالى أن يحل عقدة من لسانه، إذ كان به لدغة في الكلام ثقيلة، ولم يطلب تحريره كاملاً إنما فقط بالقدر الذي يستطيع منه إفهام القوم ما يُبلّغهم به عن ربه. وهكذا أنبياء الله الصالحين لا يزيدون في الطلب عن الحاجة التي تحقق لهم بلاغ رسالتهم من الله سبحانه. ويستجيب الله له في كل مطلبه، وهو العالم بما سيطلب منه.

ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ طه

وهذا هو الأمر المحدد في هذا الوقت. أن يذهبا إلى فرعون ويكلماه بالطيب أولا، ربما ألان ذلك قلبه وارتدع عن هلاك نفسه وضلال القوم والرجوع إلى الله تعالى. والله يقبل التوبة ويغفر الذنب. وأن يمتنع فرعون عن تعذيب بنى إسرائيل ويرسلهم صحبة موسى ليؤدوا مناسك الدين الحنيف. ولكن الله تعالى يعلم أن ذلك لن يجدي مع فرعون، وإنما الحكمة في ذلك أنه وإن لم يرتدع فرعون فإن كثير من الناس سينقلبون عليه، ولو كان ذلك سرّا وقد حدث أن كثيرا من قوم فرعون آمنوا لموسى وتبعته امرأة فرعون.



ومهمة الأنبياء ليست لإنزال عقاب بقوم، فالعقاب من شأن الله تعالى، وإنما مهمتهم البلاغ ومحاولة الردع والارتجاع، أما التوفيق فبقدر من الله سبحانه. والآن وقد بدأت المهمة الصعبة، وهي لقاء فرعون وإلقاء رسالة الله إليه، وهو عدوّه الذي تربّا معه في قصره.

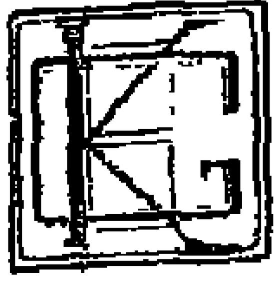
وبعد مجهود شاق و أيام طويله في محاولة لقائه، ينتقل بنا إلى اللقاء مع فرعون.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ طه

قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ الشعراء

وكان هذا بداية اللقاء مع فرعون. نقل موسى رسالة ربّه بالطيب والكيّس إلى فرعون في حضرة بلاطه، ويسأله فرعون مازحاً، من رب العالمين الذي تتحدث عنه، يا ناس هذا رجل مجذوب لا تلتفتوا إليه. ولكن موسى يواصل الإقناع بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وكل شئ، ومن النبات خلق زوجين اثنين وسوّى بحكمته كل شئ ثم رزقه من عنده. وكل شئ لديه في السّجل الذي لا يدع واردة ولا شاردة إلاّ ذكرها فيه. وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضلّ من كتب عليه الضلالة ولن يفلح الضّال أبداً وأنه من هذه الأرض خلقكم وفيها يميتكم وفيها تدفنون ثم بعد ذلك تبعثون للوقوف أمام الخالق الجبار يوم الحساب لتحاسب كل نفس بما قدمت.

قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلۡتَ

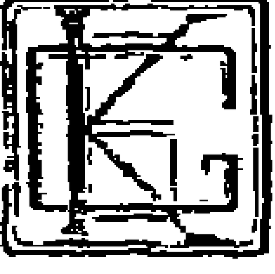


وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ الشعراء

وهل لأني تربيت معكم، وهربت منكم عندما خفتكم، فآتاني ربى الرسالة والنبوّة، هل تمن عليّ بذلك فيكون لك الحق في استعباد بنى إسرائيل وتعذيبهم؟ ولا جدوى مع فرعون من الحديث ولكن الهدف أسمى من ذلك. يريد الله تعالى أن يخرج بنى إسرائيل من مصر، ولكنه يريد أولا إعطاء الفرصة لمن يريد الهدى، وليرينا من آياته الكبرى. وليكون فرعون عبرةً لمن يعتبر. وإلاً فهو تعالى قادر على إخراجهم بدون جدال وبدون موسى. هو خالقهم وهو أدرى بخلقه. ثم ينتقل الحوار من الجدل إلى الآيات. فيقول له فرعون كيف تتخذ إلها غيري، وهل لأنك تدّعى الرسالة أنك من المرسلين؟ يريد بذلك البيّنة والدلائل.

قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ الشعراء

فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان هائل في الحجم ذات أنياب واسع الفم يتطاير الشرر من عينيه يكاد يلتهم الجميع. فتأخذهم رهبة الموقف ويسرى الخوف العظيم في القوم، وأما فرعون فيرتعد خوفاً وقهراً ورعباً من هذا الثعبان الذي لا يقدر عليه أحد. ثم أمسكها موسى فإذا هي عصاه التي كانت معه. فهدأ الجميع وابتسم فرعون أن ذهب الشر. ثم يضع موسى يده في جيبه ويخرجها بيضاء نقية البياض يكاد بياضها أن يشع نوراً، ثم يعيدها إلى جيبه ليخرجها مرة أخرى وهي كهيئتها الأولى. ويُؤخذ الجميع من هول ما رأوا من الآيات ويأخذهم الصمت للحظات تعجّباً وانبهاراً. ولكنهم يكذّبون ويعتقدونه سحراً، إلاّ الذين منهم على علم بالحقائق، فهؤلاء علموا أنها من عند الخالق ولكنهم كتموها في صدورهم من



أجل ألاّ يُغضبوا فرعون.

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ طه

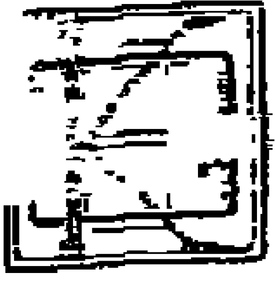
أما فرعون فبعد أن رأى الآيات وذهب عنه الخوف والفزع من هول ما رأى، ادّعى السحر على موسى واتهمه بأنه إنما يريد أن يُقوِّضَ مكانه من الناس والحكم. أمّا وقد حدث كل ذلك في البلاط حيث رآه المقربون من فرعون فليس أمامه إلاّ التحدي. فيستأنس فرعون من الموجودين برأيهم وأشار الجميع أنهم يمكنهم ملاقاته بسحر أعظم من ذلك وما عليه سوى أن يأمر بجمع السحرة ليتحدوا موسى ولسوف يغلبونه دون شك. فيطلب فرعون من موسى كإشارة إلى تأكيد غلبه له أن يحدد موعداً بينهم، وعلى اختيار موسى ومكان فيه يستوون في المنزلة، حتى لا يقول موسى حين يغلبه سحرة فرعون أنه مجنيٌّ عليه لأنه في سلطة فرعون. وهذا منتهى التحدي الذي أتى به ملك مصر. ويحدد موسى له يوم الزينة، وقيل هو يوم الربيع، وهو احتفال يوم من كل سنة كعادة المصريين في الربيع، لأن الجميع لديهم الفرصة في مشاهدة ما سوف يحدث. وهذا رد التحدي بأكبر منه ، فموسى يريد أن يكون ذلك أمام الرعية. (وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) تعال يا فرعون حتى أُسقطك من عاليك.

• موسى (عليه الصلاة والسلام) والسحرة. +

قال موسى لمن رأى منهم أنهم عقلاء، ألاّ يتحدوا الله في آياته، فإن ذلك يُغضب الله تعالى وهم يعلمون أنه الحق وأن الحق إذا جاء فمن يستطيع تكذيبه إلاّ الطاغون.

فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ طه

ويجمع فرعون أحسن من لديه من السحرة. وكان كهنة المعبد مشهورين بما يعملوه من سحر، وهم على علم قويّ يفرق بين ما يسمى سحراً وبين ما هو حقّاً. وكان الذين حضروا

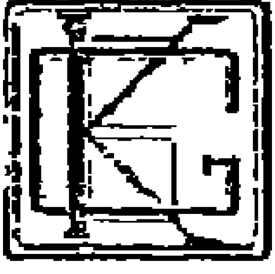


المواجهة من بلاط فرعون في شك من أن السحرة يستطيعون مجاراة ما رأوا، ولكنهم أظهروا عنادهم وإصرارهم ظلما وعدوانا، وللحرص على التقرب من فرعون أصروا على متابعة تكذيب الآيات التي جاء بها موسى. ومن العجب حقاً أنهم كانوا كأنما ذاهبين إلى نوع من أنواع ألعاب السيرك، وليس ليشاهدوا صراعا بين الحق والباطل في أشد ما يكون الصراع. وجاء فرعون وحضر السحرة وسألوا فرعون هل لهم من أجر إذا انتصروا له، فيعدهم بتقريبهم إليه وجوائز أخرى فزاد ذلك من حماسهم. كان همه الأكبر ماذا سيحدث للاقتصاد عند خروج ثلث السكان من مصر وكان يريد المنافسة بالأدلة الثابته بدلاً من العنف، ما دام منتصراً.

قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾
وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ
﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ
عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾
فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ الأعراف

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ۖ فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً
مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا
صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ طه

اجتمع الجميع في أهبة عظيمة وحضر فرعون ومعه البلاط واصطف كافة القوم، عاليهم وسافلهم، ليروا التحدي الكبير. وحضر موسى وهارون على الموعد. وكان معظمهم كلّه ثقة بأن الغالب هم السحرة وفرعون فكانوا متحمسين لهم أن النصر حليفهم. ورمى السحرة عصيهم وحبالهم فتحركت كلها كالثعابين العظيمة الحجم، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم. فيخشى موسى مما رأى من السحر الآخذ للقلوب من



شدّته، فيوحي الله إليه ألاّ تخف ما هذا إلاّ شعوذة ساحر ولا يفلح الساحر أبداً وارم ما بيدك وسترى كيف يُدمغ الحق الباطل. فألقى عصاه فإذا هي تكون ثعباناً ليس هناك من ضخامته ولا شكله المخيف بأنيابه البارزة وعينيه اللتان يتطاير منها الشرر والهيبة المخيفة التي تبعث في القلوب الرعب.

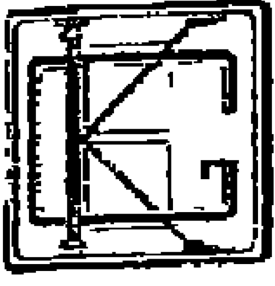
وأخذ هذا الثعبان يلقف أي يبتلع بسرعةٍ مذهلةٍ كل ما ألقى السحرة من عصيٍ وحبالٍ والناس مندهشون من التعجب لهذا الثعبان المخيف. وازدادوا رهبة من موسى وعظموه، وقُهر فرعون والسحر الذي جاء به وغضب غضباً عظيماً لِما يرى من تعظيم الناس لموسى. ثم حدث ما هو أعجب من ذلك، إذ تناول موسى الثعبان فيتحول عصا كما كان، لم يتغير حجمها. عندها علم السحرة أنهم ليسوا أمام ساحر، وأنّ ذلك لا يكون إلا بصنع الخالق الواحد القهّار، وخرّوا على وجوههم معلنين توبتهم شاهدين لله تعالى قوته وقدرته، فهم أهل علم أصلاً.

وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

الأعراف

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ
خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن
نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا
تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ
ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ
﴿٧٦﴾ سورة طه

فيقع السحرة سجّداً وخشوعاً لله العلي على آياته التي قدّمها على يدي رسوله موسى



ويعلنون ذلك جهاراً نهاراً أمام الجمع الحضور في الحفل، وهم العامة والخاصة من الشعب وفرعون مندهش لما يحدث أمامه آخذه الذهول والعجب. ويغضب فرعون غضباً شديداً ويدّعى أنّ ذلك لأنهم آمنوا قبل أن يأذن لهم بالإيمان. وكيف ينتظر المؤمن إذناً بالإيمان بالله الواحد القهار. ويتهمهم بأنهم إنما هم تلاميذ موسى الذين علمهم السحر، وأن ذلك لم يكن سوى مؤامرة ومكيدة منهم عليه.

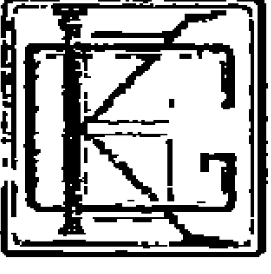
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ الأعراف

ثم يتوعدهم الملك بأنه سيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويُصَلِّبُهم على النخيل عبرة لمن يخافه. وكان ذلك مما يزيد من إيمانهم بالله ويقولون له أن ما يفعله من قضاء ظالم عليهم إنما هو قضاء الدنيا الفانية، وأما القضاء الحق هو عند الله سبحانه الذي وعد من جاءه بقلب سليم جنات تجرى من تحتها الأنهار. وفرعون له الآن أن يحكم بما شاء ولكن حكم الآخرة هو الحكم الحق وسيحكم الله بينه وبينهم حينئذ. ويُسلِمون وجهم للذي خلقهم ويطلبون من الله الصبر العظيم والرفق في الموت والنشور. وهكذا كانوا أوّل النهار كفرة فجرة وآخر النهار من الشهداء البررة، فهم أحياء عند ربهم يرزقون. رضى الله عنهم وأرضاهم.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ الأعراف

أسلموا أنفسهم إلى الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وليذهب فرعون بكيده. وطلبوا من الله تعالى صبراً لائقاً بهذا الموقف الشديد من الجهاد في سبيل الله. وهذا هو الفارق بين الحق والباطل عند أهل العلم. فما فائدة العلم إذا كان الإنسان يرى الآيات الحق ولا يؤمن بها! فهو إذاً من الجاهلين.

كم كان عدد السحرة؟ هذا في علم الله. البعض يقول سبعون ألفا والآخر يقول خمسة عشر ألفا، ولا يعلم أحد من أين جاءوا بهذه الأرقام المبالغ فيها. ولو كان ذلك هاما وذات فائدة لأعلمنا به الله تعالى. إنما لو كانوا عشرة فقط، فإن ذلك يكفي ليُبَيِّن الله آياته. فالمطلوب هو إظهار الحق على الباطل وليس ذلك بالكمية ولكن بالطريقة التي أظهر بها الله تعالى الحق

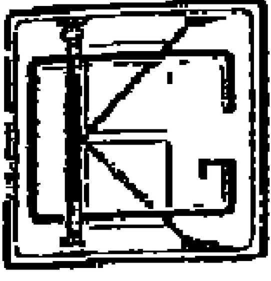


هنا. ولجوء السحرة إلى الله تعالى بعد بيان الحق ومخالفتهم أمر فرعون، هو الأمر الذي كان منشوداً أمام كل هذا الحشد من الناس. فهؤلاء السحرة إنما هم علماء وقادة القوم ومنهم رؤساء المعبد الذي يُصلّون فيه لأوثانهم ولفرعون بصفته إلها. ولكن بعد ذلك لا يذعن فرعون وتُشير عليه بطانته، هل ستترك موسى وهارون هكذا يخرّبان علينا ويبعدانا وإياك عن السلطة على أرض مصر! وماذا أنت فاعل حيال هذا الأمر الخطير. فهاهو يبعد الناس عنك وعن آلهتك. قال لهم، بل نُقتّل أبناءهم ونستحيى نساءهم ونخرّب ديارهم ونحن لهم بالمرصاد.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ الأعراف

ويبدأ العذاب المهين الذي ما بعده عذاب. ويبدأ تقتيل المواليد واغتصاب النساء وإذلال الرجال واضطهاد كل من تسول له نفسه بالصلاة لغير ما يصلى له فرعون وملأه. ويهرول بنو إسرائيل إلى موسى قائلين، لا عليك، لقد تأذينا من المصريين وقهرهم لنا من قبل أن تُبعث وبعد أن بُعثت والآن زاد العذاب علينا وتضاعف. وهم لا يعنون أذيته بالكلام ولكن العذاب يُخرج المرء عن خشوعه. فيقول لهم أن يتحلوا بالصبر ويقيموا الصلاة ويستغفروا الله تعالى، والله سوف يجعل لهم مخرجاً، وأن الأرض لله يورثها لمن يشاء من عباده الذين يُسلِمون أمورهم جميعاً لله ويشكرونه كثيراً. ولسوف يكون ذلك ليرى الله هل تعبدونه بعد وتسلمون له أم ستكفرون وتكونون من العاصين. وذلك لأن الله تعالى لا يدع عباده دون اختبار أو افتتان وهو العالم بما في صدور خلقه. وكان أكثر قوم موسى ضعاف الإيمان بالله العظيم ويتبعون موسى على غير يقين إنما لأنه من بنى إسرائيل وضد فرعون أي حميّة القبائلية.

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ الأعراف



*** وكلم الرب موسى قائلا، إذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهارون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون تصير ثعبانا. فدخل موسى وهارون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب. طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا. فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة، ففعل عرّافو مصر أيضا بسحرهم كذلك. طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين. ولكن عصا هارون ابتلعت عصيّهم فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب. (سفر الخروج)

• الجدال. +

هذا صراع بين الحق والباطل، ولكنه من الغريب جدّاً أن ملكاً عظيماً مُتجبّراً مثل فرعون والذي يدّعي الألوهية:

فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ النازعات

من العجب جدّاً أنّ مثل هذا الرجل لم يقض بقتل موسى ساعة اجتمع به أوّل مرة. ولكن الأعجب من ذلك، أن يحاول فرعون الأمر بقتله بعد أن يكون موسى له أرضية من بعض المؤيدين له في بطانة فرعون ولكن المعروف أن فرعون كان يهابه ويخشاه.

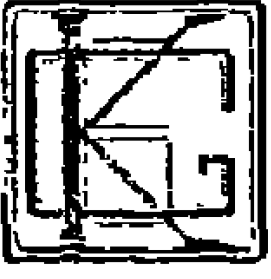
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ غافر

وهو هنا إنما يُشير على بطانته بقتله فهو يريد أن يقوم أحدهم للتطوع بذلك. لأن فرعون يخاف من دعوة موسى لربه وعلى الرغم من ذلك فإنه يتقبّل النقاش.

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ غافر

وكان أحد الذين آمنوا من بطانة فرعون من عليّة القوم حاضراً، وعند ذلك تخوّف على موسى من الحاضرين أن يهمّوا بقتله. فأعلن إيمانه بأسلوب السياسي المحنّك.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ



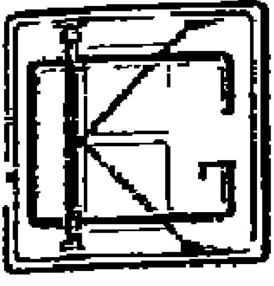
مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩) غافر

ويتدخل الرجل المؤمن ولا يخاف، ويقول لهم، ما هذا الذي تريدون إلاَّ ظلماً وما ذنب الرجل أن يقول ربي الله. ويؤكد لهم أنه إنما جاءهم بالبينات. فهو يُفصح هنا عن إيمانه. ويواصل، أنه ماذا عليكم أن تتبعوه، ولو كان كاذباً إنما الله يعاقبه بكذبه. وإن كان يقول الصدق. أفلا تخافون من عذاب الله الذي يعدكم به! وهو يعلن عن يوم الحساب وأن العذاب والنعمة هما من عند الله وليس شئ من عند فرعون. يقول كل ذلك في هدوء، ويهدأ فرعون لصوت الحق الخارج من رجل من بلاطه. فيدعى أنه إنما يريد الخير والإرشاد للرعية وليس أكثر. ويواصل الذي يريد حماية موسى بعد أن رأى أن الجميع يسمع وأن فرعون قد هدأ غضبه.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ (٣٠) مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ (٣١) وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢) يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ (٣٣) وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ (٣٤) ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ (٣٥) غافر

ثم يواصل الرجل المؤمن الجدال بقلب مطمئن، فالكل ينصتون إليه، وهو يقول لهم كلاماً لم يكن باستطاعة موسى أن يقوله ويجد مثل هذا الإصغاء. ولكن القلوب متحجرة وعصيان الله تعالى بادٍ على أجبانهم. وبدلاً من أن يؤمن فرعون ويهتدي، يتمادى في عناده ويفتري. ويطلب من وزيره هامان أن يبنى له صرحاً أي بُرجاً عالياً حتى يتسلقه صعوداً ويستطلع إلى آية تكذيب موسى.

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ (٣٦) أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ



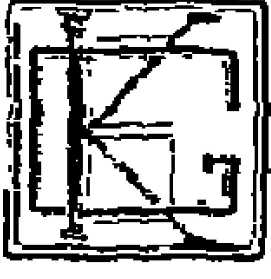
فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ غافر

يريد فرعون أن يصعد إلى أعلى حتى يكتشف أسباب السماوات والأرض ويتطلع لعله يجد إله موسى ولو أنه من المؤكد أنه كاذب. ويجد الرجل المؤمن الفرصة سانحة مرّة أخرى لمواصلة الحديث من بعد أن استبعد قتل موسى من نية فرعون.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ غافر

فهذا الرجل المؤمن سياسيٌّ محنك قادرٌ على الكلام والبيّنة وقد فرض نفسه فرضاً. وهو يريد الإرشاد للقوم بأية طريقة شاءوا، ويريد إقناعهم بأن هذه الدنيا ليست ما يسعى إليها الإنسان ولكن الباقية عند الله تعالى، وأنها ليست إلاّ لعباده الذين أرضوه في الحياة الدنيا ويسعون إليها وهم مُوقنون. وأنّ الله سوف يحاسبكم السيئة بمثلها ولكن الحسنات يجزى بها من عنده. والفائزون حقّاً هم الذين يدخلون الجنة، حيث النعيم الذي يدوم أبداً ولهم فيها رزق بغير حساب.

ويدخل الجدال في أخذٍ وردٍّ ويُواصل المؤمن دعوته. ويقول لهم إنما تدعون إليه هو الشرك بالله وهو يدعوكم إلى الإخلاص له وحده سبحانه. وشتّان الفرق بينهما فهذا له العذاب المقيم وذاك له النعيم المستقيم.



وهذا مثلٌ للجدال الذي كان يدور في بلاط فرعون وعند مناقشته بالأمر. واستمر هذا الجدل فترةً طويلةً من الزمن. وذاق بنو إسرائيل أهون آيات العذاب. وليس أن موسى كان لا يتشدد مع فرعون، إنما أخذ يحاوره أوّلاً باللين والصبر بأمر الله له.

فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ طه

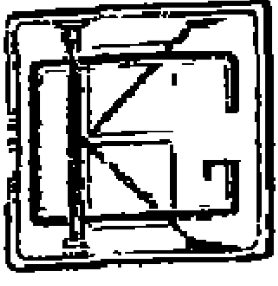
ثم يحاوره بالشدة بعد ذلك ولا يخشى أبدا. فكل ما سبق كان محاولة مع فرعون باللين وطول الصبر عليه، إلى أن فرغ الصبر وجاء وقت الشدة في الكلام، ليجعل الله أمراً كان مفعولاً.

• آيات الله في مصر. +

وكلما كلم موسى فرعون يريد إخراج بنى إسرائيل من مصر ليذبحوا ضحاياهم لله في البرية ثلاثة أيام، يأبى ويجحد وينهر فيصيب الله تعالى مصر بالأهوال.

تنقص المياه ويجف النهر إلى أن يحفر المصريون في قاع النهر لاستخراج الماء. ولكن في محل إقامة بنى إسرائيل العيون تعطى ماء طيبا وباردا. فينادى فرعون موسى ويطلب منه أن يدعو ربّه ليُعيد الماء إلى ما كان عليه وأنه سيسمح بعد ذلك بخروج بنى إسرائيل. فيدعو موسى الله تعالى إلى ذلك، ويعلمه الله أن فرعون لن يسمح بخروج بنى إسرائيل ولكن الله يُجيب نبيّه لمطلبه ويُعيد الماء للنهر. ويقسُ قلب فرعون بعد أن جاءه الرخاء ولا يسمح بما وعد به من خروج بنى إسرائيل. ويرسل الله هولاً آخر وهو الجراد، يدخل في غير موسمه وبكميات لم تعهدها البلاد، فيأكل الأخضر واليابس ولا يدع شيئا للقوم. أما إنه في محل إقامة بنى إسرائيل لم يظهر وظل المكان نظيفاً والناس في نعيم من غير جرادٍ. فينادى فرعون موسى ويقول له ادع ربك ليكشف الرجز وسوف نطلق معك بنى إسرائيل، ويدعو موسى ربه وينكشف الهول عن الأرض ويخون فرعون وعده.

ويرسل الله تعالى رجزاً آخراً وهو القمّل وهي حشرات صغيرة جدا تقرص الإنسان وتُنغّص عليه معيشته، والقضاء عليها صعب للغاية، إذ هي تتكاثر أسرع مما يُقتل منها. ولكن في محل إقامة بنى إسرائيل لا تدخل هذه الحشرة. وينادى فرعون موسى ويطلب منه دعوة ربه ليكشف الرجز وسوف يُرسل معه بنى إسرائيل. فيدعو موسى ربه ويكشف الرجز ويحنث فرعون.



ويرسل الله عليهم الضفادع التي تدخل في كل شئ ولا يستطيع المصريون عمل أي شئ للخلاص منها وتغطي كل ما لدى المصريين وتُنغّص معيشتهم. أما في محل إقامة بني إسرائيل فكل شئ نظيف ولا يدخله الضفدع. فيطلب فرعون من موسى أن يدعو ربه ليزيح الضفدع عن البلاد وسوف يرسل معه بني إسرائيل، ويدعو موسى ربه وينكشف الوباء ويحنث فرعون ولا يفي وعده.

ويرسل الله تعالى رجزاً آخراً أشد من ذلك كله وهو الدم. فيتحول ماء النهر دما وكذلك الآبار والعيون، إلا في محلة إقامة بني إسرائيل فإن ماءهم نقيّ وصاف ليس به أثر دم. حتى إذا أمر فرعون أن يأتوه ماء من محل إقامة بني إسرائيل فإنه يتحول دماً عبيطاً. فينادى فرعون موسى ليدعو ربه أن يكشف عنهم البلاء وسوف يُرسل معه بني إسرائيل ويدعو موسى الله وينكشف البلاء ويحنث فرعون.

ومن العجب ألاّ يقنع فرعون ولا ينتهي، وهو الذي يطلب من موسى أن يدعو ربه ليكشف الرجز ولا يؤمن بالله العظيم. إذ أنه يعلم أن الله هو الذي أرسل كل هذه الآيات ويعترف به لأنه يطلب من موسى دعوة ربّه.

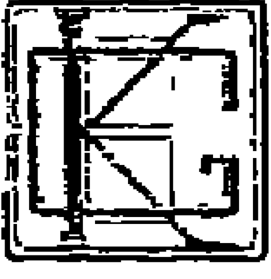
وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ الأعراف

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ الأعراف

كل هذه الآيات ولا يرتدع الفرعون ويأبى ولا يهدأ باله، ولا يرسل بني إسرائيل وهو الذي يريد الخلاص منهم ويريد كسر شوكتهم، ولكن الله اختارهم ليحملوا رسالته للناس ويريد الله خلاصهم وليس هلاكهم.

ولقد اختلف العلماء على تفسير كلمة الطوفان. فقال البعض إنما هو هطول الأمطار وطوفان النهر. وقال ابن عباس أنه شئ طِيفَ به عليهم. ولعل ذلك يوافي ما جاء في العهد القديم من الطواف على بيوت المصريين في ليلةٍ، وإماتة كلّ بِكرٍ في بيوت المصريين من أنفُسهم وعبيدهم ومواشيهم. وهو ما يسمونه يوم الطواف.Passover والله تعالى أعلم بما أراد فهو العزيز الحكيم.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن



كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ الأعراف

وهم يعدون موسى بالإيمان به وبربِّه في حال كشف الرجز عن أرضهم وليس فقط إرسال بني إسرائيل. ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. فبإذن الله فقط تسير الأمور وتقع الأقدار، والله تعالى لا يقبل من عبده بأقل من التسليم الكامل له سبحانه. هو خلقهم وهو أعلم بهم، ومن أراد به الله خيرا يَسَّر له الإيمان وفتح قلبه حبّا في الذات الإلهية وأراه آياته حتى يكون على بينة ويكون من الموقنين ولا يتزعزع إيمانه. ولعل ما سيأتي في هذه الفقرة من العهد القديم يفسر الطوفان.

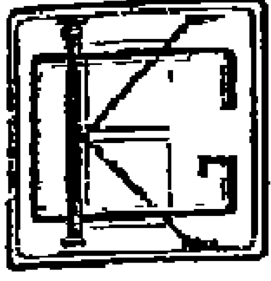
***

فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بهيمة. فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين. وكان صراخ عظيم في مصر، لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت. فدعا موسى وهارون ليلا وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعا. واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم. خذوا غنمكم أيضا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا، وباركوني أيضا. وألَحّ المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلا من الأرض. لأنهم قالوا جميعنا أموات. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين. وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة. (سفر الخروج)

وهذا المذكور في العهد القديم لا يتعارض كثيرا مع ما أخبر به العلماء في أمر الطّواف.

• الرحيل. +

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ
وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ
أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ



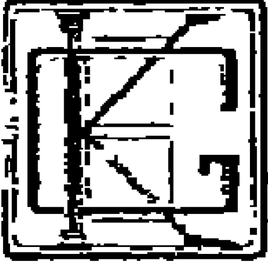
أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ يونس

وجاء أمر الله تعالى من بعد أن دعا موسى على فرعون وقومه، فليتخذ بنو إسرائيل من بيوتهم مُصلّى وليُقيموا الصلاة والإنابة إلى الله ويذكروا الله كثيرا حتى يُتمّ الله أمره ويفعل ما يُريد. ونلاحظ أن دعوة النبيّ هنا إنما كانت على بعض القوم فقط واستثنى الآخرين، فدعا على فرعون ومن تبعه من الملأ. وأذن فرعون لموسى أن يصطحب بني إسرائيل للذهاب إلى البريّة لعبادة ربِّهم وذبح مناسكهم لمدة ثلاثة أيام ومعهم كل ما يريدونه من متاعهم. ويأتي أمر الله تعالى على موسى على الإسراع بالخروج من مصر والقوم في حال من الاندهاش والذهول العظيم مما فعل بهم الله عزّ وجلّ.

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ الشعراء

أمر الله تعالى موسى ألاّ يطمئن إلى فرعون وأن يأخذ المبادرة ويَسْر بقومه في الليل ولا ينتظر، إذ أن فرعون سيغتاظ ويغضب، وأنه سوف يلحق بهم بعد فترة وجيزة. ويجمع موسى بني إسرائيل على عجل ويترك المدينة لأهلها وهم ذهول. وهو وإن كان متجهاً إلى أرض كنعان إلاّ أنه اتخذ طريقاً غريبة إلى صوب البحر الأحمر، والطريق إلى كنعان أقصر ومختصرة عن طريق سيناء قليلا إلى الشمال وليست في هذا الاتجاه الذي وافاه. إنما ذلك كله بأمر من الله تعالى. فالرسل والأنبياء لا يفعلون شيئا إلاّ بأمر من الله سبحانه. فيُحثّ موسى وهارون بني إسرائيل على الإسراع في السير. ويُظهر الله لهم العجائب. والمشهور أنه كان بالنهار يُرسل عليهم سحابة تُغَمّ عليهم وتُظللهم وبالليل كان يُرسل أمامهم عامودا من النور ليريهم الطريق. ويغضب فرعون على سماحه لهؤلاء القوم بالرحيل وينادى في البلاد ليهيئ جيشه من الفرسان والقوم المقرّبين منه ويدعوهم للحاق بالقوم إذ لم يعودوا في ثلاث أيام.

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

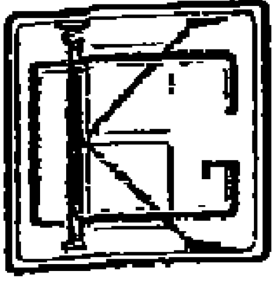


كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ۝ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝ الشعراء

نبيّ الله موسى وهارون ومعهم بنو إسرائيل يجتهدون في السير ويقاربون البحر ويكاد فرعون وجيشه من الخاصة اللحاق بهم. ويُخبر الله تعالى بأن فرعون وجنوده قد أُخرجوا مما كان لهم من جناتٍ وعيونٍ وكنوزٍ ومقامٍ كريم، إنما ليرث بنو إسرائيل القوّة والمركز والعُلاَ ويتبدّلون مقامهم من الذل مكاناً آخراً كريماً عند الله سبحانه وتعود لهم عزّة أنفسهم. وبعد أن كان فرعون وقومه هم أصحاب اليد العليا، يصبح بنو إسرائيل هم أصحاب اليد العليا. ويلجأ بنو إسرائيل إلى موسى، أن يا موسى هاهم قادمون سيلحقون بنا لا محالة وما العمل، إننا حقا هالكون. فيخبرهم نبيّ الله أن الله معه سيهديه ولن يخذله.

ثم يوحي عزّ وجلّ إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر. وهذه آيات الله سبحانه، فلا علاقة بالعصا وضرب البحر بها، وإنما يريد الله ليرى الجميع من بنى إسرائيل ومن أهل فرعون أنّ الله قادرٌ على كل شئ، وليس شئ إلاّ بأمره سبحانه. فيضرب موسى البحر بعصاه وينفلق البحر شقّين وينقسم الماء ضفتين وكأنهما حائطين مانعين عظيمين كالجبال. ويَظهرُ طريقٌ ممهدٌ يسير عليه بنو إسرائيل من غير شقاء أو تعب ويصلون إلى برّ الأمان بسهولة ويُسر والماء إلى جانبيهم كحائطين عظيمين. وإذ هم في غضون ذلك، يصل فرعون وجيشه وبنو إسرائيل بعد يسيرون في الطريق الممهد لهم. ولا يرتدع فرعون حين يرى البحر مُنفلقاً شقّين ولا يرجع ظاناً أن البحر مُنشقٌّ له أيضاً، وينزل هو وجيشه جميعاً ليلحق ببني إسرائيل.

وأمّا لفرعون ولجيشه فالحال كان مُغايرا، فالأرض ليست ممهدة والسير عليها في كثير من العناء وليس كما كان ممهدا لبنى إسرائيل، ولا يعود أدراجه ظاناً أنه لاحقٌ بهم. وبعد أن خرج آخر رجل من بني إسرائيل ودخل آخر رجل من آل فرعون يوحي الله تعالى إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه. ويعود البحر كما كان وتنطبق المياه التي كالجبال على فرعون وجيشه وتغمرهم وتطمّهم، فتقتلهم جميعا وينتهي الظلم ويظهر الحق ويرى بنو إسرائيل بأعينهم ما كان من أمر عدوهم وكيف أُغرقوا جميعا بقدرة من الله تعالى وليس بحرب معهم ولا مقاومة. وأصبحت أجسادهم طعاما لوحوش البر والبحر والجو.



فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ الدخان

إنما على العكس لعنتاهم مع اللاعنين. ولكن فرعون يرى الآيات يقيناً عندما حضره الموت وهو في هذا الموقف المشين، وهو في الغرق، فيقتنع ويحاول أن يؤمن حيث لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

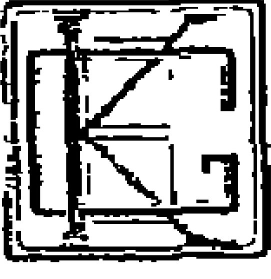
* وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ يونس

وهكذا يعلن فرعون إيمانه في الوقت الذي لا قبول فيه للتوبة والإيمان. وقد فسر بعض العلماء أن نجاته كانت بالبدن، وإنما نبذه البحر على الشاطئ وعليه درعه حتى رأوه بنى إسرائيل ويعلموا أنه لو كان إلها ما غرق. وفسر البعض الآخر أن نجاته كانت بالبدن وليست بالروح، وأنه عاش بعدها ليعود إلى قومه سيرا على الأقدام محطّما بعد أن فقد جيشه للبحر وخاب ظنه بالله. وهكذا كان آية لمن خلفه حتى لا يتبع طريق الشيطان وعلم أهل مصر أن إله موسى وهارون هو الحق وإلاّ ما كان لأحدٍ أن يقهر فرعوناً وجيشه. ولعنه الله ولعنته الملائكة ولعنه الناس إلى يوم الدين. وأيّ كان فإن توبته لم تُقبل وحلت عليه اللعنة فلا هو أخذ نصيبه من الدنيا ولا حرص على نصيبه في الآخرة وفقد الأهل والعز والجاه والسلطان هو والتابعين له من قومه معه.

كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ الدخان

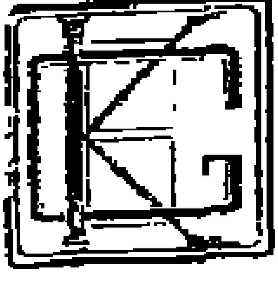
ولقد أخرج فرعون ومن معه من الجيش ومن عظام القوم تاركين وراءهم كل ما كان لهم من ملك عظيم وخير كثير.

*** فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جدا وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى، هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا



لنموت في البرية. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مص. أليس هذا هو الكلام الذي كلّمناك به في مصر قائلين كُفَّ عنا فنخدُم المصريين، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية. فقال موسى للشعب، لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضا إلى الأبد. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون. فقال الرب لموسى، مالك تصرخ لي. قل لبني إسرائيل أن يرحلوا. وارفع أنت عصاك ومدّ يدك على البحر وشُقّه. فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة. وها أنا أشدد على قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم. فأتمجد بفرعون وكل جيشه وبمركباته وفرسانه. فيعرف المصريون أني أنا الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه. فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر بني إسرائيل وسار وراءهم. وانتقل عامود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم. فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل وصار السحب والظلام وأضاء الليل، فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل. ومد موسى يده على البحر. فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم. جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر. وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود من النار والسحاب وأزعج المصريين. وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثُقلة. فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم. فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم. فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه. فدفع الرب المصريين في وسط البحر. فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم البحر. ولم يبق منهم ولا واحد. أما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين. ونظر إسرائيل المصريين أمواتا على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى. (سفر الخروج)

يُلاحظ أن الله تعالى في حال غضبه على قوم أحد الأنبياء أنه كان يُنزل الرجز على قومه جميعا ولكنه في حال قوم فرعون فقد ناداه الله إلى أن أخرجه هو والذين معه من عليّة القوم



مُدجّجين بالسلاح فأخرجهم مما كانوا فيه من نعيم ونبذهم في اليم غرقا وأبادهم، وأنقذ بنى إسرائيل ولكنه أنقذ مصر أيضا من هؤلاء الجبّارين.

• بعد عبور البحر. +

خرّ بنو إسرائيل على وجوههم في سجود شكر لله تعالى على إنقاذهم من فرعون وقومه. وكان من واجبهم أن يقنعوا الآن من بعد رأوا آيات الله جميعا بأعينهم وكيف أن الله يستخلصهم لنفسه وينجيهم من المهالك من غير حرب ولا كفاح ولكن الأمر كان مختلفا مع أناس تيبّست قلوبهم واستكانت نفوسهم للعبودية. وأخذوا في المسير من بعد ذلك وإذا بهم يتجاوزون بعض قوم من العابدين للأصنام فيطلبون من موسى أن يصنع لهم إلها مثل آلهتهم ليقوموا على عبادته فسبحان الله العلي العظيم.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ الأعراف

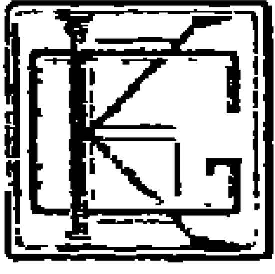
فنهرهم موسى وأمرهم بالتوبة إلى الله عزّ وجلّ وعدم العودة إلى هذا الفكر المُضيّع لكل الإيمان. والله يقبل التوبة من قريب ولا يقبلها من ذوى الإيمان المزعزع.

قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ الأعراف

وهكذا يبدأ عصيانهم لله مع أول سانحة لهم، وينسون العذاب الذي كانوا فيه وما أنزل بهم المصريون من مذلّة، ولا يذكرون آيات الله العظيمة التي رأوا بأعينهم وهم الذين فلق الله تعالى البحر لهم منذ قريب.

• نزول التوراة. +

ويوحي الله إلى موسى أن يصعد الجبل وهو صائم ثلاثين يوما. فيصوم موسى الثلاثين يوما ويأخذ شيئا من النبات يأكله ليُغيّر به ريح فمه قبل مُلاقاة الله عزّ وجلّ. فيتلقاه الله تعالى سائلا لِمَ أفطر قبل المجيء إلى ملاقاته. فيخبره موسى أنه إنما أراد أن يغير من رائحة فِيهِ



استحياءً من الله عزّ وجلّ. ويخبره الله بأن رائحة فم الصائم عنده أطيب من ريح المسك، ثم يأمره بصيام عشرة أيام أخرى حتى يستكمل مَوْقِتاً أربعين يوما.

۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ الأعراف

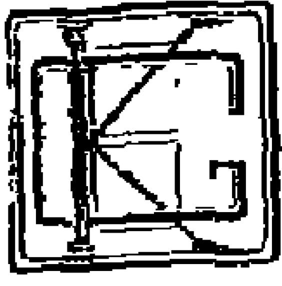
فكانت وصية موسى لأخيه هارون قبل أن يصعد موسى الجبل لملاقاة ربه. ولما جاء موسى لملاقاة الله سبحانه ليعطيه التعاليم والكتاب، طلب من الله الرؤية.

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ الأعراف

يطلب موسى من ربه الرؤية فيتجلى الله تعالى لجبل، فيخرُّ الجبلُ من هيبة الله ويتحوّل تراباً ويقع موسى صَعِقاً. قيل أماته الله، ثم لما عاودته الحياة أعلن توبته إلى الله عن طلب الرؤية، وعلم من الله تعالى أن ذلك لا يجوز لأحد من الخلق. وأخبره الله بأنه اصطفاه واختاره ليحمل الرسالة وأنه فضله على الناس بذلك الاختيار والميزة وفضله أيضا بأنه كليم الله سبحانه فالله يكلمه كلاما من خلف حجاب سبحانه.

وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ الأعراف

وهكذا يكتب الله تعالى في الألواح التوراة والتي فيها تفصيلٌ كلّ شئ وهو موعظةٌ لكلّ شئ،



فالتوراة كاملة شاملة لا ينقصها من تعاليم وليس هنالك من شئ غير مذكور فيها. فيها التأديب وسبيل الرشد والطاعة لله وسبيل المعاملات بين الناس بعضهم البعض، وما هو حلال لهم وما هو محرم عليهم. ويعده بأنه سيريهم دار الفاسقين، أي الخارجين عن سبيل الله القويم الذين لا يرتدعون ولا يؤمنون، وذلك بأنه سيدمّرهم ويجعلهم من السافلين.

والتوراة هي الكتاب الذي أنزل الله على رسوله الكريم موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والسلام. وما تبقى منه الآن هو ما يسمى بالعهد القديم. إلاّ أنه تحول من كتاب الله تعالى إلى كتاب تاريخ وبه بعض نصوص التوراة والتي لم تضيع بالكلية. وتشمل الكتب الواردة من بداية الخلق إلى دخول بنى إسرائيل الأرض المباركة.

• عبادة العجل. +

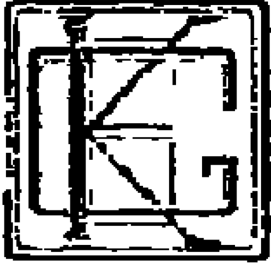
في غياب موسى عن القوم وهو في لقاء الله يتلقى منه التوراة العظيمة، حدث أمر عظيم. كان بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر أنهم سلبوا المصريين من حِليِّهم من الذهب والفضة. وكان هارون يتلاطف مع القوم حتى لا يخرجوا عن طاعة الله في غياب نبيّهم موسى وهو عند ملاقاة ربه. وطلب القوم من هارون أن يصنع لهم إلها إلى أن يعود موسى الذي تأخّر في العودة، ولكنه حاول موعظتهم دون ما جدوى. وكان بين القوم السّامريّ، وليس معلوم إذا كان هذا اسم شخص أم أن هذا لقب لمن كان فنّانا في علم المصاغ. فطلبوا إليه أن يأخذ الذهب الذي سلبوه من المصريين وأن يعمل لهم إلها يعبدوه. وأقام السّامرى على عمله حتى أخرج لهم عجلا من ذهب له خوار، أي يخرج صوتا كأنه خوار العجل. وقال لهم هذا ربكم فاعبدوه إلى حين عودة موسى. وأما هارون فإنه كان ينصح القوم ألا يفعلوا خوفا عليهم من غضب الله وهم رافضون الاستجابة له

قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ طه

ولكنه كان يتلاطف معهم أيضا حتى لا يُفرّق بينهم. وأعلم الله تعالى نبيّه موسى بفتنة القوم وهو يعطيه التوراة على الجبل.

قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ طه

فلما انتهى موسى من لقاء ربه وأخذ الألواح التي بها التوراة، انقلب راجعا في لهفة على القوم، وليس السمع بأنهم عصوا أمر الله وعبدوا العجل الذي له خوار من صنعة السامري كالشاهدة، فلما شاهدهم غضب لأمر الله أشد ما يكون الغضب.



وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ الأعراف

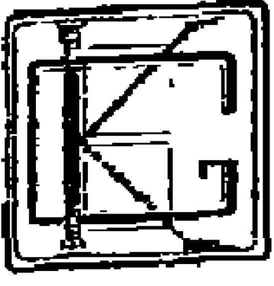
***** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم):**

"يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَيْسَ الْمُعَاينُ كَالْمُخْبَرِ. أخْبَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أنَّ قَوْمَهُ فُتِنُوا فَلَمْ يُلْقِ الأَلْوَاحَ فَلَمَّا رَآهُمْ وَعَايَنَهُمْ أَلْقَى الأَلْوَاحَ." (عن ابن عباس رواه ابن أبي حاتم)

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ الأعراف

ثم يعود موسى فيراهم في فجورهم فينقلب ثائراً غاضباً لأمر الله عزّ وجلّ ويُلقي الألواح والتي فيها الكتاب (التوراة)، وقد يتعجب البعض كيف يلقي الألواح وبها كتاب الله الْمُنزل عليه، ولكن ما فائدة الألواح والقوم في عبادة الشيطان والغضب آخذ مأخذه، فالأولى معرفة ما حدث ثم يعود إلى الألواح بعد العلم بما يجرى، فالأولى النظر فيما يغضب الله تعالى، فإن استقام ذلك كان للألواح الأهمية اللازمة. والله أعلم بالحق وما كان ليسمح لنبيّه إلا بما يريد.

فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى



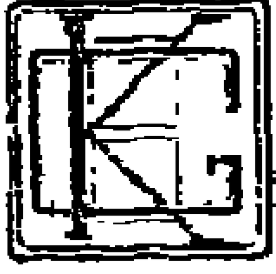
﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ طه

ويأخذ موسى برأس أخيه هارون ويشدّه من لحيته تأديبا، فيُذكّره هارون النبيّ بأنه أخاه قائلا له (يا ابن أم) ويذكره بأمه، إذ الأم رمز المحبة والعطف. وأنه كان يتلاطف معهم خوفا من أن ينقسموا على أمرهم فيكون خارجا عن أمر موسى، وما كان لنبيٍ أن يسمح بما حدث إلاّ مغلوباً على أمره. حينئذ يطلب موسى المغفرة له ولأخيه.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ طه

وكان القوم عندما تركوا مصر أنهم سلبوا المصريين كثير من الحلي الذهب والفضة، وعندما طال انتظارهم لنبيهم موسى عليه السلام لجأوا إلى هارون طالبين منه أن يجعل لهم صنما يعبدونه وحاول هارون تثنيتهم فكادوا أن يقتلونه، فتقدم السامري وأخبرهم أنه يفعل ذلك لهم. فأخذ منهم الحلي، وكانت له خبرة في فن صناعة الذهب، فجعل من الحلي تمثالا على هيئة عجل، وقال لهم هذا إلهكم إلى حين عودة موسى فأقاموا عليه الصلاة وأقاموا المذابح والأضاحي.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي



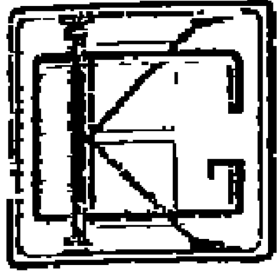
﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ
إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ
أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ طه

ثم يأخذ الغضب في الزوال وتأخذه الشفقة على قومه مما حدث منهم من عبادة العجل وليس ذنبٌ عند الله أكبر من الكفر أو الإشراك به سبحانه فيدعو موسى الله عزّ وجلّ أن يجعل لهم باب مغفرة، ويقيم الصلاة طويلا يدعو في خشوع هو وهارون.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ الأعراف

وهداه الله تعالى إلى طريقة التكفير عن الذنب التي يقبل بها توبة بني إسرائيل عن الكفر الذي أقاموه بعبادتهم العجل وهو يتلقى التوراة العظيمة من ربه.

ثم أقبل موسى على السامري قال ما خطبك يا سامري، أي ما حملك على ما فعلت! قال إني بصرت بما لم يبصروا فقبضت قبضة من أثر الرسول، أي أنه رأى شيئا ملفتا له من أثر الرسول جبريل عليه السلام فلما ألقاها في الذهب المسبوك كان من أمر العجل ما كان وهكذا سولت لي نفسي، أي حدثته نفسه بذلك. فقال له موسى داعيا الله عليه اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس، أي ينهى الناس عن مساسه لأنه كلما يمسه أحد تألم من ذلك كنوع من أنواع الوباء وهذا جزء من العذاب في الدنيا وله العذاب الشديد الأليم في الآخرة. ثم أخذ العجل المصنوع من الذهب وأوقد عليه النار حتى صار ترابا فأخذه وألقاه في سيل من الماء نازل من أعلى الجبل فذهب أدراجا ولم يظهر له أثر. وبعد ذلك رجع إلى الألواح ونسخه التورات الجليلة.



قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً
مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى
ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ طه

ثم يذهب عن موسى الغضب فيعود إلى الألواح فيصلح من شأنها ويأخذ في نسختها وذلك رحمة من الله تُؤتى عباد الله الصالحين فالتوراة فيها الهداية والرحمة للبشر.

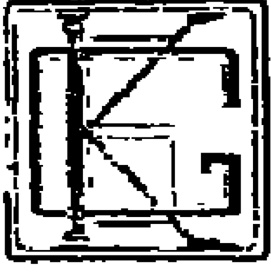
وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ الأعراف

وبعد أن انتهى موسى من ذلك بدأ في الدعوة إلى الله ليتوب على القوم. ويطلب الله منه انتقاء شيوخ القوم المختارة والصعود بهم إلى الجبل. ويختار موسى خير من في الناس من قومه سبعين رجلا ويصعد بهم الجبل. وإذا هم يطلبون سماع الله وبعد ذلك يطلبون رؤيته، والله أعلم بذلك، فأخذتهم الرجفة، أي أماتهم الله. فجلس موسى يتضرع إلى الله تعالى ليعيدهم إلى الحياة إذ أنهم خيار القوم وكيف يكون موقفه من الناس أن يعود من غير أهله.

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ
شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ
تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ
قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الأعراف

فأحياهم الله بإذنه إنه على كل شئ قدير وأعطى موسى طريق توبة بنى إسرائيل نظير عبادتهم العجل، فطلب المغفرة والهدى للجميع. ثم يعطيه الله تعالى آية النبيّ.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ



وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي

يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ الأعراف

وتتفق آية التنبؤ بالنبيّ عليه الصلاة والسلام مع ما جاء في العهد القديم والذي سيأتي ذكره ونفس الموقف. وأجاب الله لهم دعوتهم بالتوبة.

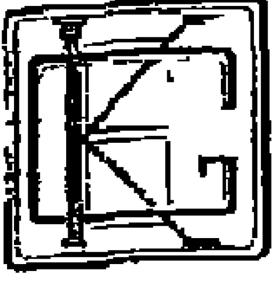
وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ

بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ

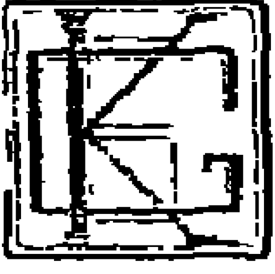
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ البقرة

وهذه طريقة التوبة إلى الله سبحانه وتعالى على بنى إسرائيل التي اختارها لهم. أمرهم موسى أن يأخذ كل من يستطيع حمل السلاح أن يأخذ سلاحه مسنوناً وحاداً وحاضراً، وأنهم ليلاً في الظلام الدّامس، يقتل كل إنسان من يستطيع أن يقتله من غير أن يرى أو يتحقق في الليل الشديد الظلمة حيث لا يكاد المرؤ أن يرى يده. فهرع القوم إلى السلاح بدون تردد واقتتل القوم فيما بينهم في ظلام الليل. وفي الصباح كان من القتلى بشرٌ كثير. وتاب الله على القاتل والمقتول. وسبحان الله الذي يفتح لعباده باب التوبة ولو بأغرب الطرق. وهاهو كلٌّ يقتل الآخر ولكن بحكمة من الله وبرحمة منه لم يعلم أحدٌ منهم من قتل الآخر فلا تبقى ضغينة ولا يبقى ثأر.

***   ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له، قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه. ونادى هارون وقال غدا عيد الرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. (وهذا كفرٌ يدّعونه على نبيّ الله هارون) وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب. فقال الرب لموسى اذهب انزل. لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل



التي أصعدتك من أرض مصر. وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم. فأُصيّرك شعبا عظيما. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال، لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أُكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه. فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده. لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين. وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه. فقال لموسى، صوت قتال في المحلة. فقال، ليس صوت صياح النصرة ة لا صوت صياح الكسرة. بل صوت غناء أنا سامع. وكان عندما اقترب من المحلة أنه أبصر العجل والرقص. فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما من أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه في النار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل. وقال موسى لهارون، ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيّة عظيمة. فقال هارون، لا يحمى غضب سيدي. أنت تعرف أن الشعب أنه في شر. فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقلت لهم، من له ذهب فلينتزعه ويعطني. فطرحته في النار فخرج هذا العجل. ولما رأى موسى الشعب أنه معرّى، لأن هارون كان قد عرّاه للهزء بين مقاوميه. وقف موسى في باب المحلّة. وقال من للرب فإليّ. فاجتمع له جميع بني لاوي. فقال لهم، هكذا يقول الرب إله إسرائيل، ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلف رجل. وقال موسى املئوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وأخيه. فيعطيكم اليوم بركة. فقال الرب لموسى من أخطأ إليّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب اهد الشعب إلى حيث كلمتك. هوذا ملاكي يسير أمامك. ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيّتهم. فضرب الرب الشعب. لأنهم صنعوا العجل الذي صنعه هارون. (سفر الخروج)



ويتفق هذا بشكل أو بآخر مع قلّة الاختلاف مع ما جاء في القرآن الكريم، ولكن اتهام النبيّ هارون بأنه هو صانع العجل وهو الذى أرشدهم للغواية. فهذا أمر لا يقبله عاقل. وإنما هو من صنيعهم الادعاء على نبيّ الله هارون لأنه كان ألين عليهم من موسى عليهما السلام. دعك عن الكذب الواضح في ادعاءاتهم لأن هارون لم يكن نحّاتاً أو مثّالاً ولم يكن من صانعي الفضة بل كان راعياً للأغنام. والأنبياء جميعا معصومون عن مثل هذا الإشراك. والواجب ذكرهم بما فيه الخير فقط، والصلاة والسلام عليهم أجمعين.

ثم طلب الناس من موسى ماء لأن الماء كاد ينفذ. ثم طلبوا منه الطعام.

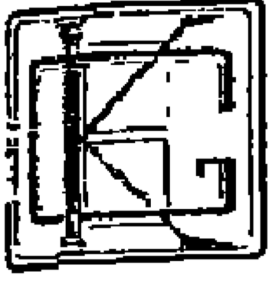
۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ البقرة

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ البقرة

فكان يأتيهم الطير ليلا فيأخذون منه حاجتهم وفي الصباح يجدون نوع من الخبز المنثور حلو الطعم أبيض اللون. قيل أن هذا استمر معهم أربعين سنة. ولكن ذلك لا يكفيهم فهم بطبيعتهم متمردون، فيخبرون موسى أنهم لا يستطيعون الاستمرار على ذات الطعام، فليسأل ربه أن يرسل عليهم بقول الأرض التي كانت لديهم في مصر.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ البقرة

ويستمر تمرّدهم إلى ما شاء الله ويطلبون من نبيّهم المستحيلات.



• البقرة. +

كان رجل شيخ مسن في بني إسرائيل من الأغنياء وكان له ابن أخ هو الذي يرثه وهو يحب عمه حبا عظيما، ولكنه كان يطمع في تركته حسب ظن الجميع. فكان يوم أن قتله بعض من القوم إلى جانب داره وبعيدا عن الشبهات. فتحيّر القوم من يكون القاتل وذهبوا إلى نبيّهم موسى ليجد لهم الحل لهذه الجريمة التي وجدوا قتيلها ولم يجدوا قاتله وكانوا يشكون في ابن أخيه، إذ هو الذي يرثه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ البقرة

هذا أمر الله، يأمرهم بذبح بقرة ليدلهم على أمر يحيّرهم، ولكنهم يتعجبون من ذلك ويهزؤون من نبيّهم. وكان ذلك امتحاناً لهم من الله تعالى.

أتسخر منا أن لجأنا إليك فتقول اذبحوا بقرة، وما علاقة البقرة بالأمر الذي نحن بصدده. ما كان له أن يمزح في أمور من عند الله ولكنه يُؤمر فينفذ ما أُمر به.

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ البقرة

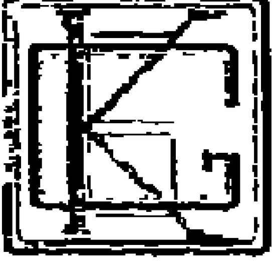
وزيادة في الاستهزاء به يقولون ادع ربّك، أي الذي يخصك بهذا الأمر الغريب فهو لك وحدك، ويطلبون الإيضاح عن البقرة وكأنما هو يطلب أمرا خطيراً عليهم.

كان يأمرهم بذبح بقرة والبقر كثير ورخيص ولكن باستهزائهم بدأ التشديد عليهم فيصف البقرة وصفاً عاماً، وإلى هذا فهي قريب وغير ذات بال. ويعلم موسى أنهم غلاظ القلوب فيخاف عليهم ويدعوهم إلي فعل ما يؤمرون به. هو أمر الله.

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ البقرة

ويزيدون في التشدد طالبين معرفة لونها فيزيد الله عليهم في وصفها.

وبالرغم أنها بقرة صفراء وفاقع لونها وهو شئ شبه نادر إلاّ أنّه ما زال متوافرا وما زال في المقدور عليه ولكنهم يزيدون في التشدد.



قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ البقرة

ويقولون ادع ربك، أوليس ربهم ولكنهم هذه المرة قالوا إن شاء الله، فما كان الله ليعذبهم أكثر من ذلك ولكنه تعالى شدّد عليهم شدّة كبيرة في الوصف والتحديد.

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ البقرة

الآن لهم وصفٌ دقيقٌ جدا وشديدٌ جدا، إذ أنهم بحثوا عن هذه البقرة فوجدوها لدى رجل فقير ولم يعطها لهم إلاّ بثمن مبالغ فيه، قال بعضهم وزنها ذهبا وقال البعض بل وزنها فضة. على أية حال فإن الله تعالى شدّد عليهم إلى أن كان لا بد لهم من شراءها وذبحها.

وهكذا يُغنى الله رجلاً فقيراً على حساب تعنت بنى إسرائيل. فيعطونها لكهنة المعبد ويذبحونها ويحتفظ الكاهن بدمها ويحرق كل جسدها قربانا ويخلط الدم بالرماد ثم يلقى بعضه على جسد الرجل القتيل، فتعود إليه الحياة بقدرة من الله لمدّة كافية لأن يخبرهم بوقائع الجريمة وكيف كانت ومن القاتل، ويعترف القاتل ويموت الرجل بعد الانتهاء من سرد تفاصيل جريمة قتله، وبرّأ ابن أخيه.

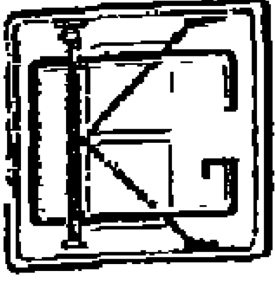
ولقد سردت هذه القصة بموضوعات كثيرة، تختلف في الموضوع ولكن لا تختلف في بيان ذبح البقرة، وأغلب ما ذكر مأخوذ من أقوال السابقين ولا يُعتمد عليه.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة

كان الله تعالى قادر على أن يخبر نبيّه موسى بأمر القاتل وينتهي كل شئ ولكن لحكمته سبحانه أراد أن يريهم غلظة قلوبهم وعدم استجابتهم لدعوة نبيّهم. ثم ليريهم كيف يحي الله تعالى الموتى وأن ذلك عليه هين. ثم ليريهم مغبّة الانصياع وراء الشيطان وأنه قادر على كشف الخبايا ساعة يشاء. سبحانه له الحكمة العليا.

• تعداد بنى إسرائيل.

قبل الوصول إلى أرض كنعان أمر موسى قبائل بنى إسرائيل بحصر التعداد ليفرز منهم من



يصلح لحمل السلاح. فأجروا تعدادا لإحدى عشرة قبيلة واستثنوا قبيلة لاوى لأنهم معهود إليهم خدمة تابوت العهد، وكان هذا شرف كبير لهم. فحصروا عدد جميع من يصلح لحمل السلاح من سن ما فوق العشرين سنة. فكان عددهم (٦٠٣ ٥٥٠). إذا كان هذا عدد من يحمل السلاح، فكم كان عدد بنى إسرائيل؟ إذا ما حُسب العدد من الذين تحت السن، ومن السن ولكنهم غير قادرين على حمل السلاح، وأضفنا الأطفال والشيوخ والنساء، ثم أضفنا تعداد سبط لاوى، فلا بد أنهم كانوا يفوقون المليونين ونصف المليون من الناس. وهذا يوضّح مدى عظمة الأمور الباهرة التي أجراها الله على يد نبيّه موسى وحمايته لبني إسرائيل وقت الخروج من مصر، وعلى الأخص عبور البحر بعد انشقاقه. فعبور البحر بهذا الكم الكبير الهائل من الناس وعلى أرجلهم شئ عظيم ويستغرق وقتا ليس بالهيّن. وأيضا يوضح لماذا كان خوف فرعون مصر منهم وهم فيها وبعد الخروج منها. إذ أنه من الممكن أن يأخذوا في التأهب لحربه بعد خروجهم. أيّا كان ذلك فهو في علم الله وحده سبحانه وهو الفعال لما يريد.

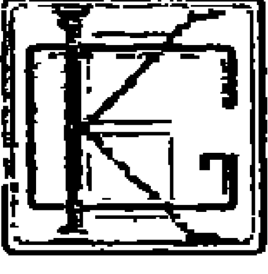
• العصيان في دخول الأرض المباركة. +

يواصل بنو إسرائيل اختراق الصحراء على مهل. وكان بين الفينة والفينة أن تقع حروب صغيرة محدودة كانوا فيها الغالبون بقليل من الجهد، إلى أن وصلوا إلى الأرض التي بارك الله فيها. وهنالك اتفق الأمر على إرسال اثني عشر رجلا. من كل قبيلة رجل ليدخلوا الأرض ويتجسسوا على أهلها ويعودون بالخبر اليقين، كما أن عليهم إحضار بعض ثمار الأرض معهم ليراها الجمع من بنى إسرائيل.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

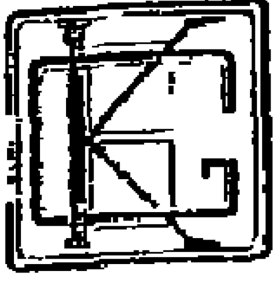
المائدة

*** ثم كلم الرب موسى قائلا أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبنى إسرائيل. رجلا واحدا من كل سبط من آبائه ترسلون. كل واحد رئيس فيهم. فأرسلهم



موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا الجبل وانظروا الأرض ما هي. والشعب الساكن فيها أقوىّ أم ضعيف وما هي المدن التي هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون. وكيف هي الأرض أسمينة أم هزيلة. أفيها شجر أم لا. وتشدّدوا فخذوا من ثمر الأرض. وأما الأيام فكانت أيام باكورات العنب. ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوما. فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش وردّوا إليهم خبرا وإلى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض. وأخبروه وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتزّ والمدن حصينة جدا عظيمة جدا. وأيضا قد رأينا بني عناق هناك. العمالقة ساكنون في أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن. لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها. وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا. فأشاعوا مذمّة الأرض التي تجسسوها في بني إسرائيل قائلين الأرض التي مررنا بها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها. وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة. فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم. فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل وقال لهما الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر. ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف. تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة. أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر. فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر. فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بني إسرائيل. ويوشع بن نون وكالب ابن يفنة من الذين تجسسوا عل الأرض مزّقا ثيابهما. وكلما جماعة بنى إسرائيل قائلين الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها الأرض جيدة جدا جدا. وإن سُرّ بنا الرب يُدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلا. إنما لا تتمرّدوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلهم والرب معنا. لا تخافوهم. ولكن قال كل الجماعة أن يُرجما بالحجارة. (سفر العدد)

هذا يُفصّل لنا عن مدى قساوة بنى إسرائيل وعدم تلبية ما أمرهم الله به من دخول الأرض التي بارك الله فيها. ورفضهم طاعة نبيّهم وعدم السماع للناصحين.



وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ المائدة

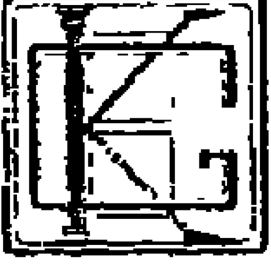
وبعد أن ذكّرهم نبيّ الله موسي بأنعم الله تعالى عليهم أمرهم بما أمره به الله تعالى وهوالدخول إلى الأرض التي بارك الله فيها ولكنهم ترددوا وخافوا من السكان الذين يقيمون في الأرض ومن قوتهم الكبيرة وضخامة أجسامهم.

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ المائدة

وهكذا يطبع الله تعالى على قلوبهم ولا يستمعوا لنداء الحق. وهم خرجوا من مصر من أجل الدخول إلى هذه الأرض. وما زالوا يسخرون من نبيّهم فيقولون اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. يا لهول ما يقولون وكيف يتحدث أناس إلى نبيّهم بهذه الطريقة، وهم الذين رأوا المعجزات الباهرات من قبل! فكيف إذاً أنهم يدّعون أنهم خرجوا من مصر متأهبين للقتال! بل لم يكن القتال عندهم واردا أبدا وهذه أعمالهم تشهد مدى الكذب الذي أضافوه في تأريخهم. ولقد أثاروا غضب الله عليهم الآن ولولا ذريتهم لانتقم منهم وأفناهم، وسيكون ولكن كما يريد الله.

قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ المائدة

وجاء أمر الله تعالى وفصل بينهم ونزل الحق عليهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة، ولا يرى أحد من القوم الأرض المباركة، إلا من لم يعرف بعد سن البلوغ أو كان بعد على



الفطرة. أما الكبار فسيحولون ويجولون في المتاهة أربعين سنة لا يعرفون فيها استقرارا ولا قرارا حتى يفنوا عن آخرهم. ولم ينفعهم عددهم ولا عدّتهم. وهاهو العدد الذي كان أن أخذوه ليعرفوا قوتهم ينقلب عليهم، فإذا بهم ليعلموا من سيعيش ليرى الأرض المباركة ومن سيكون من نصيب رمال الصحراء.

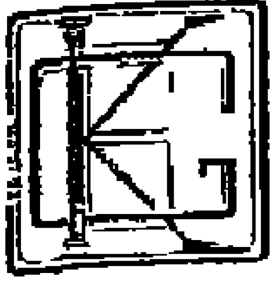
ولقد كان ذلك من الجبن حقا، إذ أن أهل البلاد كانوا سيتطيرون من الخوف منهم، لأنهم سمعوا بالأمور والأهوال العجيبة العظيمة التي جرت في أرض مصر، وكانوا على علم بوصولهم، وشاع بينهم أن بنى إسرائيل معهم إله يدافع عنهم ونبيّ يقودهم. فلو دخلوها واستمعوا إلى دعوة يوشع وكالب لفرّ القوم من أمامهم وأسلموا لهم الأرض بلا قتال ولا جدال. ولكن الله فعال لما يريد وأجابهم إلى طلبهم بعد أن قالوا لموسى، ألم يكن من الأحسن الموت في القفر (الصحراء) عن الموت بحد السيف. فهاهم سيموتون في القفر وليس بحد السيف، بل جبناء وليسوا شهداء.

***

وكلم الرب موسى وهارون قائلا، حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليّ. قد سمعت تذمر بنى إسرائيل الذي يتذمرونه عليّ. قال لهم حيّ أنا يقول الرب. لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني. في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمّروا عليّ. لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنة ويوشع بن نون. أما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها. فجثثكم أنتم تتساقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في هذا القفر. كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعين يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي.

(سفر العدد)

ولكن هل يستسلم القوم أبدا! فهم بدءوا المكيدة وأخذوا يعدون العدة لاختيار رئيس منهم يقودهم ويرتحلون للعودة إلى مصر. ألم يعلموا أن الله إذا قضى أمرا فهو واجب النّفاذ ولا راد لمشيئته! وظلوا يتشاورون ويتآمرون فيما بينهم كيف الخلاص من نبيّهم والعودة إلى مصر وكيف يختارون من بينهم من يقودهم في ذلك العمل المخزي. وهنا تبدأ قصة قارون، الرجل الثرى ذو الأموال الكثيرة والكنوز الطائلة.



قارون. +

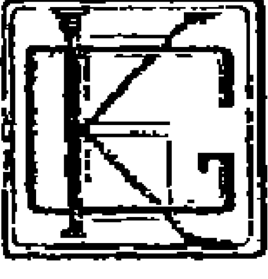
كان قارون من قوم موسى من سبط لاوى وهم السبط المكلفون بخدمة وحراسة تابوت العهد، كما أن لهم إمامة الصلاة وهو شرف كبير معهود إليهم. وكان منهم من يشعرون أنهم مقدّسون ولهم الحق في قيادة بني إسرائيل مثل موسى وهارون. وكان قارون غنيا شديد الثراء والسطوة والسلطان ولكنه كان يفتقد ما تركه في مصر من مقام رفيع عند أهل مصر. وكان في الظاهر مؤمنا وفي الباطن عكس ذلك.

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ القصص

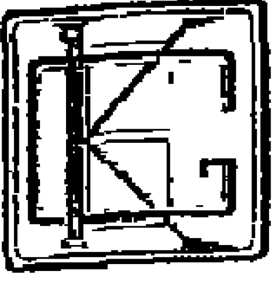
فكان لما تآمر القوم على موسى إثر عصيانهم عن الدخول في الأرض التي بارك الله فيها أن لجأوا إلي قارون، لأنه أحد القادة الكبار المرموقين بحكم ما أتاه الله من الثراء. وكان من الذين أحثّوا وشجعوا القوم على عصيان موسى، لأنه إنما كوّن ثروته بتعامله مع فرعون مصر وبطانته. فأراد القوم تنصيبه رئيساً عليهم ليقودهم إلى العودة إلى مصر. وأراد الناس الذين يريدون خيرا لبنى إسرائيل موعظته حتى يرتدع ويعود للحق. ولكنه ادعى أنه إنما جاءه الثراء على علم منه وليس هبة من الله سبحانه. وهذا قمّة التجبّر والكفر والطّغيان. والله تعالى لا يسمح بذلك.

***

وأخذ قوم قارون (قورح) وداثان وأبيرام ابنا ألياب وأون بن فالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بني إسرائيل مئتين وخمسون رؤساء الجماعة مدعوّين الاجتماع ذوى اسم. فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما، كفاكما، إن كل الجماعة بأسرها مقدّسة وفي



وسطها الرب، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب! فلما سمع موسى سقط على وجهه. ثم كلم قورح وجميع قومه قائلا غدا يُعلن الرب من هو له ومن المقدّس حتى يقربه إليه. فالذي يختاره يقربه إليه. افعلوا هذا. خذوا لكم مجامر. قورح وكل جماعته. واجعلوا فيها نارا وضعوا عليها بخورا أمام الرب غدا. فالرجل الذي يختاره الرب هو المقدّس. كفاكم يا بني لاوى. وقال موسى لقورح اسمعوا يا بني لاوى، أقليل عليكم أنّ إله إسرائيل أفرزكم من جماعة إسرائيل لكي تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدّام الجماعة لخدمتها، فقربك وجميع بني لاوى معك وتطلبون أيضا كهنوتا. إذًا أنت وكل جماعتك متفقون على الرب. وأما هارون فمن هو حتى تتذمروا عليه. فأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام ابني أليآب. فقالا لا نصعد. أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤسا. كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبنا وعسلا ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم. وهل تقلع أعين هؤلاء القوم. لا نصعد. فاغتاظ موسى جدا وقال للرب لا تلتفت إلى تقدمتهما. حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت إلى أحد منهم. وقال موسى لقورح كن أنت وجماعتك أمام الرب أنت وهم وهارون غدا. وخذوا كل واحد مجمرته واجعلوا فيها بخورا وقدموا أمام الرب كل واحد مجمرته مئتين وخمسين مجمرة. وأنت وهارون كل واحد مجمرته. فأخذوا كل واحد مجمرته وجعلوا فيها نارا ووضعوا عليها بخورا ووقفوا لدى باب خيمة الاجتماع فتراءى مجد الرب لكل الجماعة. وكلم الرب موسى وهارون قائلا افرزوا من بين هذه الجماعة، فإني أفنيه في لحظة. فخرا على وجهيهما وقالا اللهم إله أرواح جميع البشر هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة. فكلم الرب موسى قائلا كلّم الجماعة قائلا اطلعوا من حوالي مسكن قورح وداثان وأبيرام. فقام موسى وذهب إلى داثان وأبيرام وذهب وراءه شيوخ إسرائيل. فكلم الجماعة إ قائلا اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ولا تمسّوا شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم. فطلعوا من حوالي مساكن قورح وداثان وأبيرام وخرج داثان وأبيرام ووقفا بباب خيمتيهما مع نساءهما وبنيهما وأطفالهما. فقال موسى بهذا تعرفون بأن الرب أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال وأنها ليست من نفسي. إن مات هؤلاء كموت إنسان وأصابتهم مصيبة كل إنسان فليس الرب قد أرسلني. ولكن إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء إلى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا الرب. فلما فرغ من التكلم بهذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح من كل الأموال. فنزلوا هم



وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة. وكل بني إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم. لأنهم قالوا لعل الأرض تبتلعنا. وخرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور. (سفر الخروج)

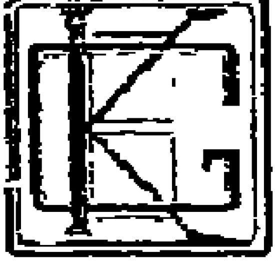
وفي الاستعداد لهذا اللقاء العظيم وليتظاهر بما أعطاه الله من الثروة، خرج قارون في استعراض عظيم مهول يتباهى يريد أن يُبهر القوم قبل التحدي مع موسى. وكان بين الناس من هم ضعاف النفوس فتمنوا أن لو كان لهم مثل ما لقارون من الثراء. ولكن العقلاء علموا أنه إنما يتحدّ ويتعدّ حدوده مع الخالق سبحانه، فوعظوا الضعفاء منهم بأن يتحلوا بالصبر فهو الثروة الحقيقية الدائمة للإنسان وليس الثروة الزائلة. وهكذا يُري الله القوم الآية تبع الآية لعلهم يتمسكون بالهداية.

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ القصص

فيخسف الله بالمعاندين الأشرار وتفتح الأرض فاها وتبتلع هارون ومن معه وأهله وكنوزه وبهائمه ولا يبقى له من أثر ولا ينفع غنى الدنيا عن غنى الدار.

• بعد التيه.

استمر التيه في أرض سيناء أربعين عاماً، غضباً من الله تعالى على هؤلاء القوم أصلاف القلوب الذين لا تردعهم رادعة. ويُحصنهم من أن يُنزل الله رجزاً عليهم من عنده أن بينهم رسول الله موسى ونبيّه هارون، وأن بينهم بعض الأتقياء الصالحين الذين يدعون الله رغبة ورهبة. وهؤلاء الذين يدعون الله للآخرين ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطلبون الهدى



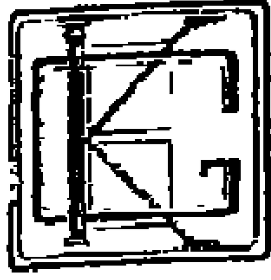
والتوبة للآخرين. ومرّت السنون الأربعين وفيها فني كل من كان فوق سن البلوغ والرشد. وتَبَقّى هذا الجيل الصالح الذي لم يعش تحت عبودية قوم فرعون ولم ير تقتيل الأبناء واستحياء البنات. وهؤلاء لم يروا جبروت فرعون وقومه وتسخير آبائهم واستعبادهم، لكنهم عاشوا تحت سماء الصحراء الصافية والليل السهل الجميل وهدوء الطبيعة من حولهم، وعاصروا كثيراً من موت الآباء والأجداد الذين نزلت عليهم اللعنة بما أصابوا من عصيان.

وهذا الجيل هداه الله تعالى بنبيّه موسى، وربّاهم موسى على الشجاعة والإقدام والسمع والطاعة تمهيداً للدخول إلى الأرض التي بارك الله فيها. وأخيرا انتهى العهد ووصل بنو إسرائيل إلى كنعان مرة أخرى ولكن بروح مغايرة. وهناك أقاموا فترة من الزمن قسّم موسى لهم الأرض فيما بينهم وأخبرهم أن الله اختار يوشع بن نون كنبيّ من بعد موسى. ويراجع موسى لهم التوراة ليذكّرهم ويوصيهم بما فيها. وقد ذكرت الوصية بشكل مطول جدا في العهد القديم سفر التثنية.

• وصايا موسى. +

***

إن سمعت لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب إلهك مستعليا على جميع قبائل الأرض وتأتي عليك جميع هذه البركات وتدركك إذا سمعت لصوت الرب إلهك. مباركا تكون في المدينة ومباركا تكون في الحقل. ومباركا تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك نتاج بقرك وإناث غنمك. مباركة تكون سلّتك ومعجنك. مباركا تكون في دخولك ومباركا تكون في خروجك. يجعل الرب أعدائك القائمين عليك مهزومين أمامك. في طريق واحدة يخرجون عليك وفي سبع طرق يهربون أمامك. يأمر لك الرب بالبركة في خزائنك وفي كل ما تمتد إليه يدك ويباركك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك. ولكن إن لم تسمع صوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك. ملعونا تكون في المدينة وملعونا تكون في الحقل. ملعونة تكون سلّتك ومعجنك. وملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ونتاج بقرك وإناث غنمك. ملعونا تكون في دخولك وملعونا تكون في خروجك. ويرسل الرب عليك اللعنة والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك



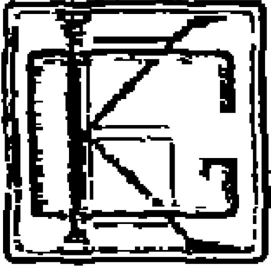
وتفنى سريعا من أجل سوء أفعالك إذا تركتني. يلصق بك الرب الوبأ حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. يضربك الرب بالسّل والحمّى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك. وتكون الماء التي فوق رأسك نحاسا والأرض تحتك حديدا. يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر أمّة لا تفهم لسانها. أمّة جافية الوجه لا تهاب الشيخ ولا تحنّ إلى الولد. فتأكل بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلك ولا تبقى لك قمحا ولا خمرا ولا زيتا ولا نتاج بقرك ولا إناث غنمك حتى تفنيك.

ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم، أنتم شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم في أرض مصر بفرعون وجميع عبيده وبكل أرضه التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة. ولكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا وأعينا لتبصروا وآذانا لتسمعوا إلى هذا اليوم. فقد سرت بكم أربعين سنة في البرية لم تبل ثيابكم عليكم ونعلك لم تبل على رجلك. ولم تأكلوا خبزا ولم تشربوا خمرا ولا مسكرا لكي تعلموا أني أنا الرب إلهكم. وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسم بل مع الذي هو معنا واقفا اليوم أمام الرب إلهنا ومع الذي ليس معنا اليوم. لأنكم قد عرفتم كيف أقمنا في أرض مصر وكيف اجتزنا في وسط الأمم الذين مررتم بهم ورأيتم أرجاسهم وأصنامهم التي عندهم من خشب وحجر وفضة وذهب لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبط قلبه اليوم منصرف عن الرب إلهنا. إحترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك. لأن الرب إلهك هو نار آكلة، إله غيور.

ثم أمرهم بنشر دين الله: وأما أنت فقف هنا معي فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التي تعلمهم فيعلمونها في الأرض التي أنا أعطيهم ليمتلكوها. (سفر التثنية)

• آية النبيّ. +

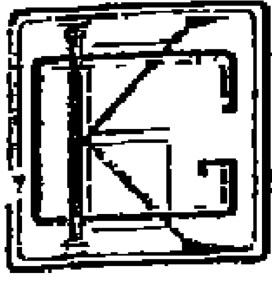
*** يقيم لك الرب إلهك نبيّا من وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون، حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت. قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم**



لهم نبيّا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بإسمى أنا أطلبه. *

حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. (سفر التثنية)

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ
شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ
تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ
قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ
ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ
عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ
وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ



يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ الأعراف

ولقد أُعطيت آية النبيّ تلك لموسى في ذات الموقف الذي ذُكر في القرآن المجيد على الجبل عندما تلقّى موسى من ربّه عزّ وجلّ كيفية التوبة ومعه شيوخ بنى إسرائيل السبعين وفيها التبشير بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم واضحة تامّة.

كل ذلك في تعاليم يُلقيها موسى لشعبه وهي طويلة جدا يُثنّى فيها تعاليم التوراة والوصايا العشر ويعلمهم بأيامهم القادمة إنما ذكرت هنا من أجل إيضاح آية النبيّ.

موت موسى عليه أفضل الصلاة والسلام.

***

قال الرب لموسى اصعد إلى جبل عبرايم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكا. ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضمّ إلى قومه. (سفر التثنية)

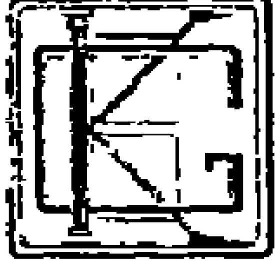
وانضم إليه من أراد من القوم وصعدوا الجبل حيث شاهد موسى الأرض التي بارك الله فيها ثم أسلم روحه الطاهر لملائكة الموت. وصلى عليه الحضور والملائكة وأقيم العزاء لفترة طويلة.

اللهم اقبل صلاتنا عليه واقبل منا شهادتنا أنه بلغ رسالتك كاملة وقام بما عليه ووفّى وفاء الصالحين الأبرار، اللهم فاكتبه في عبادك الصالحين.

ستة رجال فقط مارسوا الحضرة الإلهية رغبة ورهبة وقد مات رابعهم.

بعد موسى. +

تولّى بنى إسرائيل النبيّ يوشع ابن نون ودخل بهم الأرض التي بارك الله فيها وأقاموا الدين الحنيف لبعض الوقت. ولم يحرص الكهنة على إتباع الوصايا التي أعطاهم إياها موسى واتبعوا أهواءهم. وأرسل الله عليهم رجزا عدة مرات من نقص في الثمرات إلى الآفات المميتة من طاعون وفيضانات وأمطار، أو عدوّا يسلبهم ما هم فيه من رزق من بعد أن استخفّوا أمور الله تعالى، وأصبح الدين معهم مزعزع. وفي كثير من الأحوال كانوا يفقدون التوراة تماما من الصدور ومن الكتب، فكان الله يرسل عليهم أنبياء يذكرونهم بها ويصلحون ما أفسدوه على مر الزمن. واختلط بنو إسرائيل وكثير من الشعوب التي دخلوا عليها وأعطوا نساءهم للزواج وأخذوا من نساء الآخرين زوجات واختل الميزان في الدين.



فمنهم من عبد الأصنام مع قوم زوجه، ومنهم من كان لا يأخذ بالدين كلّية. ومرت سنون عديدة من بعد داود وسليمان حيث استتب الدين لفترة من الوقت وسلّمت الناس في المشارق والمغارب لله رب العالمين. ويشهد على ذلك قصة بلقيس اليمن وسليمان. وما زالت عدالة سليمان رائدة في العدالة إلى يومنا هذا.

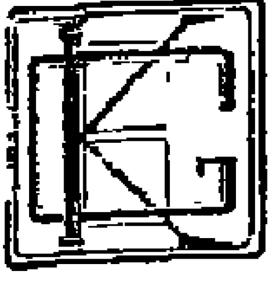
كما أن الثابت أيضا أن النبيّ سليمان تزوج من ابنة فرعون وما كان ذلك إلاّ لأن الدين أقيم في مصر في ذلك الوقت من الزمان. ثم جاء المستعمرون من كافة أنحاء الأرض تتوالى عليهم ويستعبدون منهم كثيرا. وفي بعض الأحيان كانوا يستعيدون قوتهم ويعاودون دولتهم إلاّ أنّ ذلك لأزمنة قليلة. ونسى الناس معظم واجباتهم الدينية وأخذوا بالقشور. أما الكهنة فكانوا يغيّرون لوائح الدين على حسب رغبتهم وحاجاتهم وأطماعهم. ولم يُبلّغوا رسالة الله إلى الناس ولم يدعوا أحدا للدخول في دين الله القويم. واتخذوا الدين من الخصوصيات التي لا يجب لأحد الإطلاع عليها. وأصبح الدين القويم من الكماليات الغير مستطاعة.

بعض الأنبياء المشهورين من بني إسرائيل.

صموئيل، داود، سليمان، عزرا، نحميا، أشعيا، أرميا، حزقايل، دانيال، هوشع، عاموس، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، حجى، وزكريا.

ثم جاء الروم واستعمروا البلاد بعد مرور حوالي خمسة عشر قرنًا من الزمان على أيام موسى. وانقسم الناس من بني إسرائيل إلى أقسام كثيرة وضاع الحق وانهدر. هذا غير الذين هاجروا منهم شمالا وشرقا واستوطنوا في الغربة. واندمج الجميع إلى شهواتهم وساء مثواهم. كان هناك الفرّيسيّون والصدّيقيون وكهنة المعبد. وكل منهم له وضعه ويسيطرون على كثير من الناس استغلالا. ويطالبونهم بأداء ما يطول شرحه ضلالة للناس. وكان يحكمهم ملك منهم. أما حكم البلاد فكان لممثل قيصر الروم في روما وكانوا يطلقون عليه لقب قيصر على أنه ممثل له. والملك يؤدى الإتاوات (الجزية) التي يفرضها على الناس ممثل قيصر والناس لهم الحق في ممارسة دينهم إلاّ أنّه كان من غير المستطاع. عند ذلك أرسل الله تعالى نبيّاً رسولاً كريماً. يسوع المسيح عيسى ابن مريم. عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا



﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ مريم

• مقارنة بين ملكين. +

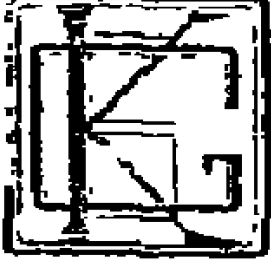
الملك الأول:

وهو ملك مصر فرعون في زمن يوسف. كان هذا الملك ملكا عادلا وعالما إذ أن الله أراه في المنام حلما، فعلم أنه رؤيا وليس أضغاث أحلام كما قال له المقربون من قومه. ولكنه علم أن الله قد أخبره بأمر هام يحدث في البلاد التي ائتمنه الله تعالى على رعايتها. وحين أُخبر بتفسير الرؤيا التي فسّرها له يوسف، علم على الفور أنه بصدد لقاء أحد أنبياء الله الصالحين. فلم يدّخر وُسْعاً في استقصاء قضية يوسف المسجون فيها ظلماً آخذا زمام المبادرة. وعلى الفور يبدأ التحقيق ويأت بالسيدات اللاتي كن السبب في الظلم الذي أودى بنبيّ الله إلى السجن، ولم يكن ليُحضر يوسف إلى مجلسه إرغاماً بعد أن علم بالظلم الذي وقع عليه. إنما أراد أن يُحضره معزّزاً مكرّماً محترماً من الجميع.

لم يغضب غضب الجبابرة العتاة حين رفض يوسف المثول بين يديه، ولكنه استقصى وعلم الحقائق، مما يدل على سعة إدراكه وبُعد بصيرته. وعندما حضر يوسف للقائه علم على الفور أنه بحضرة نبيّ كريم وليس مجرد إنسان من عامة القوم. وأخذ المبادرة ولم يُضيّع وقتاً وأعطاه وخلع عليه وأقامه على خزائن مصر وآمن له وأمر الباقين بالإيمان له واتّباعه والسّماع لأوامره. لم يكن هذا الملك ليتراجع عن التنازل عن عرشه ليوسف لو دعا الأمر إلى ذلك. إنما نبيّ الله يوسف ما كان ليطلب ما ليس له وكان يعلم من الله تعالى أن الله لن يخذله وأحبّ هذا الملك الصالح واعتبره بمثابة الوالد. وحين حضر يعقوب إلى مصر وقابل فرعون طلب من يعقوب مباركته عند الرّب وأسبغ عليه هو و قبيلته. فكان هذا مثال الملك العادل الصالح. لم يسبقه ملكٌ إلى ذلك ولم يخلفه ملكٌ إلى هذا أبداً. فدخل التاريخ من أوسع أبوابه. فنعم الملوك كان.

الملك الثاني:

وهو ملك مصر، فرعون عهد موسى. وهذا من أظلم الملوك في التاريخ. إذ أنه بدلاً من يأخذ المبادرة بيده وينقذ مصر جميعاً بعد أن أرسل الله له رسولا تربّى في قصره ويعلم أنه لا يكذب، فقد انقلب على عقبيه وأخذ أسلوب العناد والحوار السقيم.



أما عن الحوار مع موسى فكان الله يريد به أن يبيّن على مر الزمن آية الكذب والتظاهر بالألوهية والخداع الذي كان عليه فرعون. لقد فرّق بين الشعب وأدخل تفريقا عنصريًا وأيديولوجيًا عقيماً وأخذ في تذبيح الأبناء واستحياء البنات وسن القوانين الجائرة التي تودي بالملوك والشعوب إلى الهلاك في الدنيا ولعقاب الآخرة أشرّ من ذلك وعذاب الله عذاب شديد عليه. حتى غضب الله عليه غضباً من أشد الغضب الذي وصفه الله تعالى في الذكر العظيم.

لقد كان وباءً ووبالاً على قومه من أهل مصر أكبر من جميع الأوبئة التي أنزلها الله عليهم أثناء الحوار لإخراج بني إسرائيل من مصر. وما كان إخراجهم أو خروجهم أمراً وارداً لولا هذا الملك الظالم الكافر الذي أضاع على قومه فرصة الإيمان بالله وإتباع الرسول الكريم. ولكن غضب الله عليه وعلى من اتبعه من سادة القوم.

فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ الشعراء

فأخرج الله من القوم من يستحق الهلاك ثم توعدهم بالشديد والحديد في الآخرة.

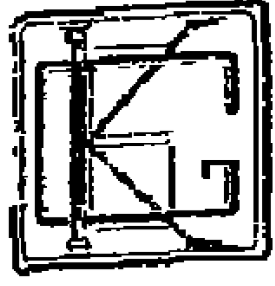
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ القصص

وأكثر من ذلك وأقبح فإن غضب الله شئ عظيم.

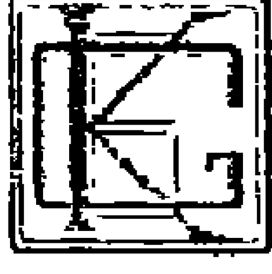
يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ هود

أضلّ قومه فأضلَه الله تعالى وأضاع الفرصة على كثير من الناس، لولاه لكانوا من أصحاب الجنة. ولو أنه كان أعلم من أن يكفر بالله، إذ أنه رفض الإيمان بالقلب ولكنه كان متيقنا من وجود الله تعالى سبحانه. واتخذ الأمر هُزُراً وهُزُواً، فَوزراً له ولمن أطاعه وعليه ا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين حين نشتكيه إلى الله مع الشاكين، إذ لولاه لصلح جم غفير من آباءنا الماضين.

ملكين اثنين على مصر أحدهما مؤمن مصيب، كبير القلب واسع الفكر ثاقب البصر والبصيرة، فؤاده ملآن ونفسه شبعان وروحه قنعان فأورثه الله الجنان. والآخر كافر من الحق



نافر. لربّه غير ذاكر، بصره غشيان وفؤاده بالكره ملآن وعقله بالشيطان ولهان، فـأورده ربّـه أشد اللعان وآخرته في حسبان في النار مع اللئام. فسـبحان الخـالق رب العبـاد الـذي ينـزل الآيات برحمة من لدنه، والله أكبر ولله الحمد.



- **كتاب المسيح عيسى ابن مريم** (عليهما الصلاة والسلام). +

مقدمة لكتاب المسيح عيسى ابن مريم:

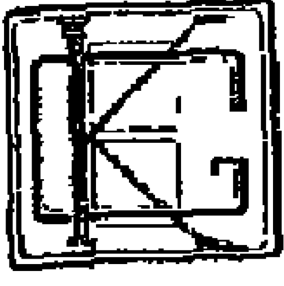
جميع الأنبياء والرسل ينتمون روحيًا إلى نفس العائلة في دين الله القويم. لا يتعد أحدهم على الآخر. فالإنسان الذي يحب الله تعالى ويطيعه وجب عليه أن يُحب جميع الأنبياء ولا يُفرّق بينهم. إنّ حبّ الإنسان لهم هو اختبار حبّه لله تعالى وطاعتهم هي من طاعته. كمقدمة لكتاب عيسى ابن مريم، فإنه لدينا مولد العذراء مريم ومولد النبيّ يحي ابن النبيّ زكريّا، ومولد عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه علهم أجمعين. وفي العهد الجديد من الكتاب المقدس ذكروا كلا من مولد المسيح ابن مريم ومولد يحيى ولكنهم لم يذكروا شيئا عن مولد العذراء مريم ابنة عمران عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ميلاد يحيى وبشارة عيسى. (في العهد الجديد)

***

كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيًا وامرأته من بنات هارون واسمها إليصابات. وكانا كلاهما بارّين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد إذ كانت إليصابات عاقرا وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما. فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخّر وكان كل جمهور الشعب يصلّون خارجا وقت البخور.

فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له ملاك الرب، لا تخف يا زكريا لأن طُلبتك قد سُمعت وامرأتك إليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا. ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته. لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويردّ كثيرا من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فِكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعبا مستعدا. فقال زكريا للملاك، كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها! فأجاب الملاك وقال، أنا جبريل الواقف قدّام الله، وأُرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين



من إبطائه في الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل. فكان يومئ إليهم وبقى صامتا. ولمّا كملت أيام خدمته مضى إلى بيته.

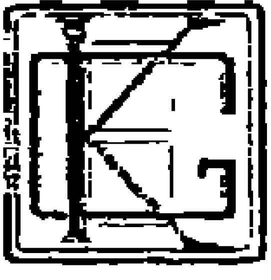
وبعد تلك الأيام حبلت إليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة، هكذا فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إليّ لينزع عاري بين الناس. وفي الشهر السادس أُرسل جبريل الملاك من الله إلى مدينة في الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال، سلام لك أيتها المُنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء. فلمّا رأته اضطربت من كلامه وفكّرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك، لا تخافي يا مريم لأنّك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العليّ يُدعى ويُعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحلُّ عليك وقوّة العليّ تظللك فلذلك أيضا القدّوس المولود منك يدعى ابن الله. وهو ذا إليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوّة عاقرا. لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله. فقالت مريم هو ذا أنا أمة الله. ليكن لي كقولك. فمضى من عندها الملاك. (لوقا)

ولم يأت ذكر مولد العذراء مريم ابنة عمران أم عيسى عليهما السلام في أيّ من الكتب المقدسة الأربعة أو أيّ من الكتب المتعلقة بها.

• ميلاد مريم العذراء. +

كان رجل دين اسمه عمران من بيت هارون وكان عمران إمام الصلاة في هذا الوقت في بني إسرائيل. وهارون هو ابن عمران وأخ موسى (عليهما الصلاة والسلام). وكان متزوجا من إحدى قريباته يقال أنها كانت أخت إليصابات زوجة زكريا. وكان هو وزكريا من الكهنة الجليلي الاحترام في بني إسرائيل، إلا أن زكريا كان نبيّا كريما. والجميع ينتسبون إلى هارون ابن عمران. وكانت زوجة عمران قد آيست من الحمل فهي كانت من قبل عاقراً والآن زوجها رجل كهل وهي قد مضت عليها أيام سن الحمل الطبيعي.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ آل عمران



آدم هو أبو البشر ومن سلالته نوح، وهو الذي أنجاه الله تعالى من الطوفان، ومن ذرية نوح كل بنى آدم من بعده. ثم اصطفي الله إبراهيم ومن ذريته إسماعيل وإسحق ومنهما جميع بيت النبوة من بعده. ولقد اصطفي الله عمران أبا موسى وهارون عليهما السلام. ومن ذرية هارون ابن عمران وهو من سبط لاوى كل أنبياء بنى إسرائيل من بعده. ولما كبرت امرأة عمران نذرت لله إن رزقها خِلفة ستُخصِّصُها في خدمة المعبد. فأقامت عل الصلاة رغبة ورهبة فحملت بإذن الله وأقامت نُذْرها. والظاهر والله تعالى أعلم بالحق أن زوجها عمران توفته المنية قبل الوضع.

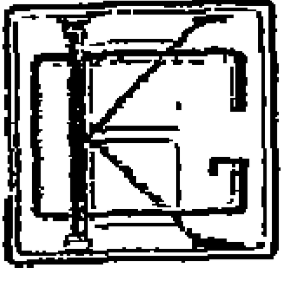
إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ آل عمران

كان المعتاد أنهم ينذرون لخدمة المعبد من بيت لاوى من الرجال الذكور ولم يسبق أن خدم المعبد أحد من النساء، وكان ذلك هو العرف القائم تلك الأيام. ولهذا طلبت من الله قبولها على الرغم أنها أنثى. فاستجاب الله لدعائها وهو العليم بما صار وسيصير. واستعاذت بالله من الشيطان أن يمسها أو يمس ذريها.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ آل عمران

ولما وُلدت مريم كفّلها الله زكريا وهو زوج خالتها وكان أحق الناس بكفالتها. إلا أن عمران كان من الكهنة الروّاد في إقامة الصلاة، وأهل بيته من الكهنة الذين لهم كثير من الاحترام والود، فلم يسمح الكهنة بكفالة زكريا لها، لأنهم جميعا كانوا يتنافسون على كفالتها، على الرغم من أنه زوج خالتها وهي أحق الناس بها بعد أمها. فدعوه ليرمي القرعة بينهم فخرجت عليه ثلاث مرات بعدها أحالوا كفالتها إليه.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ



يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ آل عمران

فأودعوها في المعبد فكان يأتيها الرزق من قبل أن يأتيه به زكريا. وهذا من كرم القوم وحرصاً منهم على أهل زكريا واحتراما لمَا لهم من المكانة في القوم، فكان زكريا يسألها من أين لك فتقول أنه من عند الله فلا تتعجب. والكل بركة من الله تعالى على قومه الذين اصطفاهم سبحانه. والقول أنه كان يأتيها الرزق من عند الله خالصاً وليس من طريق أحد من الناس وأنه كانت تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، أما والأمر كذلك فقد كان الله يُعدّها لما خُلقت له من الأمر العظيم الذي غيّر وجه التاريخ ومساره.

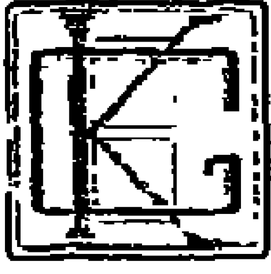
وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ آل عمران

فكانت كثيرة السجود والركوع والعبادة وتقوى الله استعداداً للحدث الكبير. فكان هذا كيفية مولد مريم عليها السلام.

• ميلاد يحيى. (في القرآن العظيم) +

كان أن آنس زكريا عليه السلام رفقة مريم وإشرافه على نشأتها. فلما رأى هذا النور الذي يشع منها، عندها اشتهى الولد. وكان شيخا كبيرا هو الآخر وامرأته غير منجبة. فدعا ربه صمتا وصلاة أن يهبه الولد البار الكريم حتى لا تضيع رسالة الدين الحق بموته. إذ أن عمران كان قد مات، وكان إمام الصلاة، وزكريا نبيّ الله رجل شيخ كبير فإن مات تضيع بنو إسرائيل وتضيع الرسالة.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ آل عمران



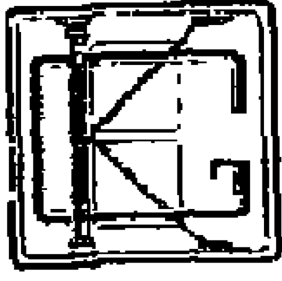
ولقد ذكر القرآن الكريم مولد يحيى في سورتين، آل عمران ومريم.

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ مريم

فكان زكريا يدعو ربه صمتا وصلاة حتى بشّره الله تعالى بالغلام، وأنه سيكون سيّداً أي صاحب رهبة وحصوراً أي لا يقرب المسكرات والفواحش شأن الأنبياء وأن اسمه يحيى ولم يسبق أن جاء نبيّ قبله بهذا الاسم. وهذا ليس صعب على الله فهو يخلق ما يشاء بقوله للشيء كن فيكون، فكيف تتعجب من أمر الله وأنت لم تكن شيئا من قبل وإذ أنت مخلوق! وله من الله تعالى العلامة أنه إذا حملت امرأته فسوف لا يستطيع النطق ثلاث أيام فيعلم عندها أن امرأته حامل بإذن الله تعالى. ويلجأ إلى التسبيح والصلاة في باكورة الصباح (الفجر) وعشيا أي بعد العصر. وبعد فقد ولد يحيى وعهد الله تعالى إليه رسالته ليؤديها.

- **ميلاد المسيح عيسى ابن مريم** (عليهما الصلاة والسلام). +

كان مولد مريم معجزة، وكان مولد يحيى معجزة، ثم مولد عيسى المعجزة الكبرى. كانت مريم في جناحها الخاص بها في المعبد وهي قائمة تصلى وإذا بالملاك جبريل عليه السلام واقف إلى جوارها كأجمل ما يكون صورة إنسان. فنظرت إليه ورأت أثر السجود على وجهه منذ الأزل، نورا يشع عليه واستأنست لذلك، ولكنها تذكرت أنه في مقامها الخاص وليس لأحد أن يدخل عليها في صلاتها. فأخذتها الرهبة وشعرت بخوف عميق من هول ما حولها



إن لم يكن ملاكا.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨﴾ مريم

أي إن كان غير ما اعتقدت من أنه الرسول الملاك، فإنها تستعيذ بالله تعالى من هلكته وفتنته.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩﴾ مريم

هو إذًا كما اعتقدت أنه الرسول الملاك. ولكنه يقول ليهب لها غلاماً زكياً، وكيف ذلك وهي دائما في الصلاة ولم تعرف رجل وليس لها أن تفرط في عرضها، والله أعلم.

﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ۝٢٠﴾ سورة مريم

فمن أين هذا الغلام الزكي إذاً!

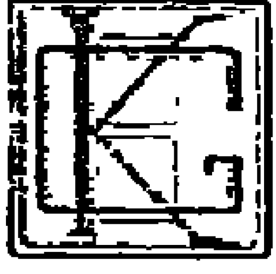
﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٢١﴾ مريم

إنه أمر الله العليّ القدير ويخبرك أنه ليس أهون عليه من الخلق، فهذه من قدرته التي لا نهاية لها سبحانه. إنما سيكون آية للناس لم يروا مثله وهو مُرسل رحمةً للعالمين. أي أنه رسول من الله سبحانه، وذلك أمر قُضِي به. وإنما هذا إعلام لها بما سيكون، وذلك رحمة من الله تعالى حتى تصير على أُهبّةٍ لأمر الله تعالى. وتم أمر الله عليها وأصبحت حاملاً بإذن الله القادر على كل شئ. فكانت حامل لهذا المولود الطيب الزكي الذي اصطفاها الله تعالى لحمله.

﴿۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ۝٢٢﴾ مريم

لما أن ظهر عليها أعراض الحمل البائن تباعدت عن أهلها ومعارفها إلى مكان منعزل.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ۝٢٣﴾ مريم



فاجأها مخاض الوضع وهي مرتكزة إلى جذع نخلة. وليس بالضروري أن يكون هذا مكان الولادة، إلاّ أنه أمر وارد أيضا فالله أعلم. وربما كانت النخلة مبنى عليها الحظيرة المذكورة في العهد الجديد.

وعند بيان الوضع تمنت أن هذا لم يكن وأنها لم تولد وكانت عديمة الذكر في الدنيا من هول الموقف العظيم حال الولادة.

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ مريم

أي قال لها الملاك القائم على خدمتها، أي لِم الحزن وقد تولاّها الله تعالى برعايته وها هو تحتك سريّا، أي مجرى ماء رهن خدمتك تتصرفي فيه كيف شئت لتشربي ولتغتسلي للطهارة والوضوء.

وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ مريم

وهذه آية أخرى لك من عند الله، هزّي إليك بجذع النخلة، وهذا بالعادة ليس بالأمر الهيّن ولكن الله تعالى سخّر لها جذع النخلة لمجرد أن تلمسه سيتساقط عليها الرطب الشهي في غير موعده، وهو شهيٌّ وفيه غذاءٌ كاملٌ عظيمٌ لأنّه من عند الله مُسخَراً لها لغذاء الوليد العظيم، وحتى لا تحزن وتقرّ عينُها برحمة الله لها ولوليدها.

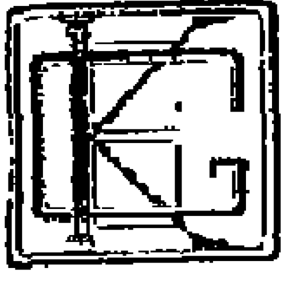
فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ مريم

فهذا الغذاء أمامها والماء، ولها أن يهدأ بالها ولا تحزن ولا تخشى الناس وتستريح نفسها. وإن حدث وقابلت أحدا من الناس فلتسكت ولا تتكلم معهم ولتعلمهم أنها في صومٍ نذرته لله تعالى فلن تتحدث إليهم، وتترك البقية على الله تعالى. هو أدخلها هذا المدخل وهو وحده الذي يُخرجها منه ويُنجّيها من القوم ويُبيّن لهم الحجّة البالغة.

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ مريم

وأتت ساعة اللقاء التي كانت تخشاها للقاء القوم وهم الذين يعلمون عنها كل خير، إنما هم يروا أنها تحمل صبيا وليدا وهي لم تتزوج بعد فمن أين لها. إذًا فقد أتت الفاحشة، وذلك من سوء ظنّهم التلقائي.

يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ مريم



كيف يتأتى لها عمل الفاحشة وهي من بيت هارون النبيّ، ولم يكن أبوها الذي هو إمامهم في الصلاة يأتي الفواحش ولم تكن أمها تمارس البغاء ولم تكن من المستهترات. وهذا غاية في المسبّة والتّقبيح والاتهام بالفاحشة. أي إذا أبويها ليسا كذلك فكيف هي تكون. وكل ذلك قبل أن يعطوها حقّها في الرد عليهم. إذ اتهامهم أحدًا بالفاحشة والتي كانت دارجة في هذه الأيام بدا لهم أمرا مألوفا.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ مريم

عند ذروة الاتهام أشارت إليه أن يا رب وعدتني الإفصاح فأت عليهم بالحجّة البالغة. وهم يزيدون في التهكم عليها ، أتريدينا أن نتكلم مع غلام في المهد بعد! ونسأله من أين أتى وأمامنا البرهان القائم! أتتهكمين علينا، أوليس لنا عقول!

قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ مريم

وجاء البلاغ فهو عبد الله ورسوله، وقد آتاه الله الكتاب أي الحكمة (الإنجيل) والعلم بالتوراة، وجعله الله نبيّا ليرشدهم إلى الطريق القويم. وأقام الله الحجة وتكلم من كان في المهد صبيًّا، وصلّت مريم صلاة شكر صامت إلى الله عزّ وجلّ. وتستمر الحُجّة عليهم والإرشاد إلى ما هم قادمون عليه بعد ووعظٌ عظيمٌ.

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ مريم

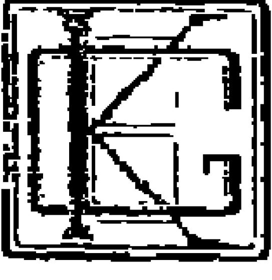
ليس أنه أقام الحجة وأنه أنقذ أمه وبرّأها فقط، ولكنه يُنبئهم بأنه نبيّ الله تعالى وله كرامته. فأينما حَلّ كانت البركة وحَلّت، ولكنه أيضا يُبلّغهم وصيّة ربّه بالصلاة والزكاة ما دامت النَّفَسُ في الصدر وما دامت السماوات والأرض، فهذا واجبٌ شرعيٌّ ينبغي عليه وعليهم. وليستغفروا الله على ما قالوه عن أمه.

وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ مريم

وهنا زيادة التأكيد على براءة أمه فيما ينسبون إليها، إذ لم يقل بَرّاً بوالديّ ولكن بَرّاً بوالدتي، فصح نسبه إلى أمه فقط. ولذلك لم يكن لا جبّاراً ولا شقيّاً، لأن البرّ بالوالدين ينفي ذلك. فهو مطيع وخاضع لأمر الله وبرٌّ بأمه وحامل رسالة ربّه.

وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ مريم

ويسلم عيسى على نفسه يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث وهو حقّه أصابه برضا المولى عزّ



وجلّ، وهذا تأكيد أنه وُلد كأي مولود، وسوف يموت لأجله كأي مخلوق، وسوف يبعث يوم النشور مع بقية المخلوقات، ليقف أمام الله العزيز الحكيم يوم القيامة يوم، يقوم الأشهاد وفي ذلك بلاغ أنه من الشاهدين عليهم يوم الحساب.

ميلاد عيسى. (العهد الجديد).

***

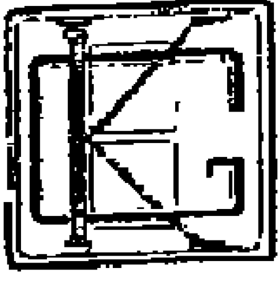
أما ولادة المسيح فكانت هكذا. لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان بارًا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرًا. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في الحلم قائلا، يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابنا إسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبيّ القائل، هو ذا العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعون إسمه عمانويل الذي تفسيره الله معنا. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. ودعا إسمه يسوع. (لوقا)

- **رسالة يحيى.**

وجاء الأمر المباشر إلى يحيى ابن زكريا.

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ مريم

يأمر الله تعالى يحيى بالتمسك بقوّة بكتابه الكريم (التوراة)، وهو الحكمة والتوراة وأتاه الله علمًا وهو بعد صغير، وليعلّمها لبنى إسرائيل ويشتدّ في تعليمها ولا يتهاون. وإنما ذلك محبة من الله تعالى وتزكية له، وشهد الله له الخوف من الله والتقوى وأنه كان يبر والديه ورحيمًا بهما وليس كبقية الناس الذين بهم جحد وأنهم يأتون بعض الشرور ضد أهليهم ولا يأخذه الكِبْرُ على الغير، بل هو دائب التواضع والخشوع إلى الله عزّ وجلّ. وكرامة له فقد سلّم الله تعالى عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا. وجميع الأنبياء والرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين مباركين في مولدهم ومباركين في موتهم ومباركين في بعثهم يوم النشور. وذلك



من القدسيّة التي أتمها الله عليهم سبحانه.

***

في أيام رئيس الكهنة حنّان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا في البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب في سفر أقوال إشعياء النبيّ القائل صوت صارخ في البرية. أعدوا الطريق للرب واصنعوا سبله المستقيمة. كل واد يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجّات مستقيمة والشّعاب طرقا سهلة ويبصر كل بشر خلاص الله. وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه، يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة. فكل شجرة لا تضع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار. وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل. فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا. وجاء عشّارون أيضا ليعتمدوا فقالوا له يا معلم ماذا نفعل. فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فُرض لكم. وسأله جنديون أيضا قائلين وماذا نفعل نحن. فقال لهم لا تظلموا لأحد ولا تشوا أحدا واكتفوا بعلائفكم. وإذ كان الشعب ينتظر والجموع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح أجاب يوحنا الجميع قائلا، أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائه. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسيُنقّي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ. وبأشياء أخرى كثيرة كان يعظ الشعب ويبشّرهم. ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا. (لوقا)

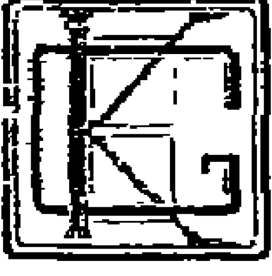
ولقد أُودع يحيى السجن ثم قُطعت رأسه.

• وقتلهم الأنبياء بغير حق.

وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ (١٥٥) النساء. +

***

أمّا هيرودس رئيس الربع فإذا توبّخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه لسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها. زاد على هذا أيضا على الجميع أنه حبس يوحنا في



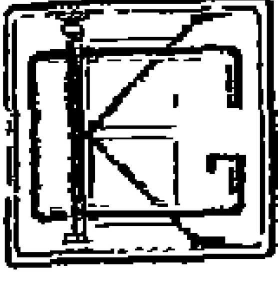
السجن. (العهد الجديد لوقا)

***

لأن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة أخيه إذ كان قد تزوجها. لأن يوحنا كان يقول لهيرودس لا يحلّ أن تكون لك امرأة أخيك. فحنقت هيروديا عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر، لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالما أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه. وإذا سمعه فعل كثيرا وسمعه بسرور. وإذ كان يوم موافق لما صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقوّاد الألوف ووجوه الجليل دخلت ابنة هيروديا ورقصت فسرّت هيرودس والمتكئين معه. فقال الملك للصبيّة، مهما أردت اطلبي مني فأعطيك. وأقسم لها أن مهما طلبت مني سأعطيك حتى نصف مملكتي. فخرجت وقالت لأمها ماذا أطلب. فقالت رأس يوحنا المعمدان. فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك بسرعة وقائلة أريد أن تعطيني حالا رأس يوحنا المعمدان على طبق. ولأجل الأقسام والمتكئين لم يْرد أن يردّها. فللوقت أرسل الملك سيّافا وأمر أن يُؤتى برأسه. فمضى وقطع رأسه في السجن وأتى به على طبق وأعطاه للصبيّة والصبيّة أعطته لأمها. ولما سمع تلاميذه جاءوا ورفعوا جثته ووضعوها في قبر. (العهد الجديد مرقص)

ماذا كان هذا الملك الخبيث؟ وأي نوع من الرجال هو؟ هو ملك يهود وقد وُصف بأنه كان يخاف الله لأن يوحنا كان نبيّا وكان يحب الاستماع إلي يحيى! وماذا كان هو فاعل لو كان لا يخاف الله؟ وماذا كان يحتوى قلب هذا الملك الذي أمر بقطع رقبة نبّي من أجل راقصة؟ وما قدر الكراهية الذي يستحوذ على قلب امرأة ترفض نصف مملكة في سبيل قتل نبّي؟ وما هي هذه الإبنة التي استحوذت إعجاب الحاضرين حتى أمر الملك بقتل نبيّ؟

إن الله يحب من العبد إن أقسم أن يبرّ قسمه ولكن شرط أن يكون القسم بارًا وليس من أجل معصية. أما قسم المعصية فيجب التكفير عنه والتوبة منه وعدم الرجوع إليه. ولا مبرر لأي كان أن يؤدّى قسما أخذه في معصية الله تعالى. إن هذا الملك من غير شك أسوأ الملوك قاطبة. إنه دخل التاريخ من أوسع أبوابه، أنه الملك الذي قتل نبيّا ليتسلى بقتله. فكيف سيواجه ربّه يوم القيامة؟ ولكن الله لا يغفر إلى أمثال هؤلاء. من أجل هذا الملك وأمثاله خلق الله النار وأعدها إعدادًا لتستقبلهم استقبال الفاتحين للتهلكة. إن الشيطان ليخجل من أمثاله.



أما عن الفتاة فيقال إنها كانت من الجمال بمكان، ساحرة جميلة صغيرة ضاحكة ماجنة راقصة ومثيرة. وكان المدعوّون في الشراب ماجنين وقد دخلت عليهم راقصات كثيرات وطارت العقول وحضرت الشياطين وأصبح الجميع بحاجة إلى الإثارة. وكانت الأم تُعد ابنتها لهذه الرقصة، وهي تعلم أن الملك كان يشتهيها هي أيضا، وعلى الرغم من أنها كانت ابنة أخيه وابنة زوجته. فكان أن ألبستها سبع فساتين للرقص كل فستان بلون مختلف عن الآخر. فكانت ترقص الرقصة ثم تخلع فستانا ليتبدّى جزءٌ من جسدها المثير مع الفستان الذي يليه وهكذا حتى وصلت إلى آخر وصلة رقص ولم يكن عليها سوى الفستان الأخير والذي لم يكن يغطّي الكثير من هذا الجسد الفائر المثير، عندها توقفت وقالت للملك ماذا تعطيني الآن لأكمل هذه الرقصة وأخلع هذا الذي عليّ.

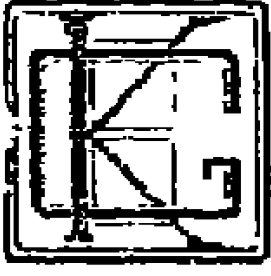
فقال لها، اطلبى ما شئت حتى نصف مملكتي. فقالت له أن يُقسم لها أنها مهما طلبت منه فسوف يعطيها. ففعلت ذلك ثم طلبت رأس يحيى. عليهم لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين وإلى حيث نشهد على ظلمهم أمام الواحد القهار ونقول لله تعالى، اقتص لنا من هؤلاء من الناس. وهنالك قول أن الفتاة الصغيرة كانت تراود يحيى عن نفسه وكانت مُتيّمة به حبًّا، ولكنه رفض الإذعان لها وتلبية طلباتها الشيطانية وأخذ في وعظها مما أشعل بنفسها الغضب لجرح كبرياء جمالها النادر. والله أعلم بالحق. إن أشدّ الناس عذابا يوم القيامة، رجل قتله نبيٌّ أو قتل نبيًّا.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ البقرة

*** قال المسيح (عليه الصلاة والسلام):

وويل لكم (أيها الفريسيون) لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم. إذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم. لأنهم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم. لذلك أيضاً قالت حكمة الله إنّي أرسل إليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون. لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم. من دم هابيل إلى دم زكريّا الذي أهلك بين المذبح والبيت. (لوقا)

*** ولقد قال المسيح (عليه الصلاة والسلام) لليهود:



ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتُزيّنون مدافن الصدّيقين. وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم. أيّها الحيّات والأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنّم.

(لذلك ها أنا أرسل إليكم الأنبياء وحكماء وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة.) (ما بين القوسين ليس إلا من كلام الله تعالى)

لكي يأتي عليكم كل دم زكيّ سُفك علي الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريّا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترك لكم خرابا. (متى)

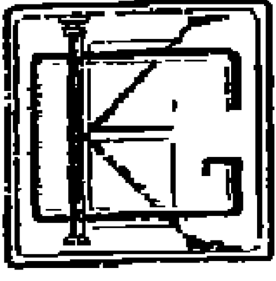
ولقد أنزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين لقتلهم الأنبياء من غير حق وأنهم يدّعون على الله تعالى الباطل ويُحَرّفون الكلم عن بعض مواضعه بالتزوير في كتبهم المقدسة.

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ آل عمران

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ النساء

وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ البقرة

ولهم من ذلك أمثلة كثيرة جدا من قتلهم الأنبياء وليس فقط زكريا ويحيى وذكروا ذلك واضحا فيما أسموه العهد القديم (بدلا من التوراة) والعهد الجديد (بدلا من الإنجيل) وذلك رغم التحريف والوضع والتزوير الذي أدخلوه على هذه الكتب المقدسة والتي هي أصلا كلام الله تعالى عزّ وجلّ.



عيسى وإبليس. +

كجميع أنبياء الله ورسله المبجّلين يحاول إبليس غوايتهم حتى يعلم أنّ ذلك نبيّ وهو معصوم منه بقَدَرٍ من الله سبحانه. ولعلّه يأتي بطريقة مختلفة في محاولاته الفاشلة. فيأتي إبليس إلى عيسى ويطلب منه أن يسجد له.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ الحج

*** [وقال إبليس، إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل (من أعلى جناح الهيكل) لأنّه مكتوب أنّه يوصى ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصْدِم بحجر رجلك. قال له يسوع، "مكتوب أيضا لا تُجرّب الرب إلهك."] (متى)

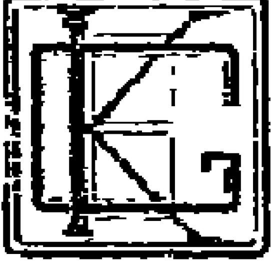
ولو تأمل الإنسان لوجد أن إبليس لا يملك أي سلطان عليه وأنه يأتي معه ببرهان كذبه دائما. وهنا برهان الكذب واضح تماما، يقول له أن الملائكة موصّون من الله بأن لا يدعوا رجله تمس الحجر من الرفق به، فلِمَ يسجد لإبليس إذًا، إنما السجود واجب لله تعالى لأنه هو الذي يحميه. ودائما يأتي إبليس معه بدليل كذبه. وفقط الإنسان الواعي الذي له بصيرة صادقة ومسلم أموره كلها لله تعالى، هو القادر على كشف برهان كذب إبليس مهما كانت الغواية التي يأت بها. ولهذا وعد الله تعالى أتباع إبليس بجهنم وعدا حقا.

*** ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له، أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي. حينئذ قال له يسوع، "اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد." (متى)

ورفض عيسى ما طلبه منه الشيطان وعلم إبليس أنه لا سبيل له عليه.

جاء رد عيسى قويّا على إبليس، شأنه شأن الأنبياء الصالحين الذين لا همّ لهم سوى إبلاغ ما عليهم من رسالة. وهو يأمر بعبادة الله وحده، إذ لا يشرك بالله من آمن بالله. والسجود هو قِمّة العبادة، وفيه يكون العبد أقرب ما يكون من الله تعالى.

والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم جميعا ذوى مرتبة واحدة بالنسبة لعبيد الله. إذ أن كلاً منهم قد أدّى رسالته وأكمل ما أمره الله به. ولقد أُمرنا أن نحترمهم ونحبهم جميعا وألا



نفرق بين أحد منهم. هم قد يكونوا ذوى مراتب عند الله سبحانه، فهذا شأن الله. أما نحن فليس علينا سوى التسليم للخالق وإتباع ما أنزل على رسله والطاعة التامة لهم جميعا.

ومن يخرج عن هذه القاعدة فهو من أتباع إبليس. ويكون بذلك هو الذي اختار المصير الذي سيلقاه. وهل من إنسان عاقل يقبل بجميع الدنيا وما فيها إلى الأبد، وأبد الدنيا هو إلى يوم الدين، فهو إذاً زائل، ثم بعد ذلك يكون مآله نار جهنم ليخلد فيها أبد الآبدين الذي لا نهاية له؟ حقا إن مثل هذا الإنسان يستحق عقاب الله تعالى. فما بال الناس يستبدلون آخرتهم بهذه الدنيا الفانية القصيرة جدا مهما طالت.

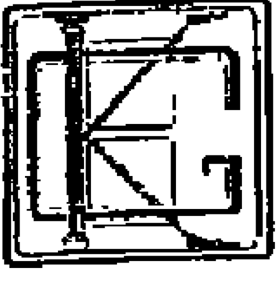
فليس أمام الإنسان سوى أن يتوب إلى الله تعالى ويسلم له كل شئ فيه، أليس الإنسان ملكا لله تعالى؟ أليس الله هو الذي يرزقه؟ إذاً فيما الإرهاق في سبيل شئ غير ذات قيمة! والإنسان بحاجة دائما إلى التوبة، حتى وإن كان لا يفعل ذنبا، وهذا غير ممكن، وسوف يجد الله هو التوّاب الغفور. يقبل التوب ويغفر الذنب سبحانه.

• نسب المسيح. +

ينسبون المسيح في العهد الجديد إلى داود عليهما السلام. والواقع أن الذي ينسب إلى داود إنما هو يوسف النجار. أما مريم فهي من سلالة هارون. وإن كان داود أيضا من سلالة هارون إلاّ أنها قرابة ليست مباشرة فهي ليست من بيت داود. هو ابن العذراء مريم وهذا لا شك فيه، ولكنه لا يمت بصلة قرابة ليوسف زوج أمه مريم. ومن قال أن المسيح ابن يوسف النجار فقد كفر بكل شئ. المسيح هو كلمة الله ألقاها على مريم وبكلمة من الله كان. والقائل بأن المسيح ابن يوسف فقد رفض التسليم بأن مريم كانت عذراء عندما أُلقي عليها كلمة الله لتحمل المسيح. ومن رفض التصديق بعذرية مريم فقد رفض الدين كله. ولقد رفض المسيح أن يكون منتسبا إلى بيت داود.

*** وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا، "ماذا تظنون في المسيح. ابن من هو؟" قالوا له، ابن داود. قال لهم، "فكيف يدعوه داود بالروح ربّا قائلا، قال الرّب لربّي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربّه فكيف يكون إبنه؟" (متى)

أما عن استخدام كلمة ربّ، فالإنسان يقع في خطأ كبير في استخدامها. إذ هي تعنى "الله"



إذا ما استخدمت بطريقة معينة، وفي الوقت نفسه قد تعنى ربّ القوم، أي رئيسهم. ثم هناك ربّ البيت وهو العائل في الأسرة. وإساءة الاستخدام لهذه الكلمة توقعنا في أخطاء قد تؤدى بنا في النهاية إلى نار جهنم من حيث لا نعلم. فلنسأل الله التوبة إليه والرحمة منه.

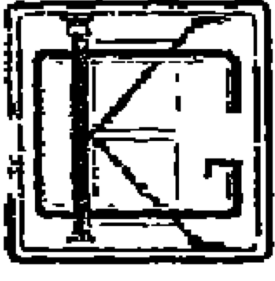
رسالة المسيح (عليه الصلاة والسلام).

لقد جاء المسيح ابن مريم ليصلح ما أفسده العصاة من التوراة وأُنْزل عليه الإنجيل.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ الحديد

*** "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل، فإنّي الحق أقول لكم، إلى أن تزول السماوات والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيما في ملكوت السماوات. فإني أقول لكم إنكم إن لم يزد برُّكُمْ على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات" (متى)

هذا هو الذي جاء به، ليقوّى ويدعم ما جاء به النبيّون من قبله، وعلى التحديد التوراة التي أنزلت على الرسول الكريم موسى عليه السلام. وليسهّل الأمر على الضعفاء والمساكين ويمكنهم من آداء ما عليهم من الواجبات في هذه الدنيا فيصلح أمرهم في الآخرة. ليوقف الطّغاة ويقود الناس إلى الإيمان الصادق والتقرب إلى الله العزيز الحكيم. ثم ليعود بهم إلى



التوبة والإنابة لله. كيف سيفعل ذلك؟

*** "لا تظنّوا أني جئت لألقى سلامًا على الأرض. ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا. فإني جئت لأفرق بين الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنّة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. (متى)

وهذا لابد وأن يكون دائما في صراع الأيديولوجيات، أو صراع الحق والباطل. فإنه من النادر تماما أن ترى أهل بيت واحد على ذات الطريقة بل الجميع يختلفون وإن كان الخلاف ليس على شاكلة واحدة في تحديد مواقعه. والله يقبل فقط التسليم الكامل إليه بدون قيد مهما كان.

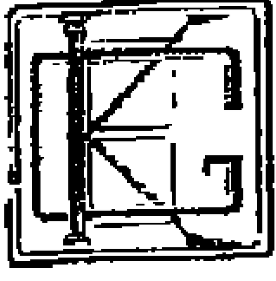
*** تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين، فمن هو أعظم في ملكوت السماوات. فدعا يسوع إليه ولدًا وأقامه في وسطهم وقال، "الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السماوات."] (متى)

إذًا فهي الفطرة. لأن الإنسان يُخلق على الفطرة مُوحّدا لله ولديه الإحساس ببراءة وجوده وينكر أيّ تغيير في ما أوجد الله. ولكنه بعد فترة من الزمن ينسى ويستجيب لنداء الشيطان.

- **نبذة عن حياة المسيح** (عليه الصلاة والسلام) **قبل الرسالة.** +

الحقيقة أن حياة عيسى في الصغر يشوبها الكثير من الغموض. والمثير للانتباه أن مولد طفل بالطريقة هذه، وبعد مولد أمه مريم لأناس من أئمة الناس، وبعد ذلك مولد يحيى، كل ذلك لم يُدوّن. المعروف أن هنالك كان ملك جبار، عندما علم بمولد المسيح أمر بذبح المواليد من عمر سنتان إلى حاضره. ولا يوجد ما يدعم ذلك وهو مذكور في العهد الجديد والمشهور أنه كان يطلب القضاء عليه لسبب غير معروف.

وكان يوسف النجار قد تزوج من مريم وأصبح ربًا للعائلة المقدسة وحامياً لها. ولما خافت مريم على حياة ابنها رحلوا إلى مصر ومكثوا مدّة من الزمان غير معلوم طولها وبعدها عادت العائلة المقدسة إلى الناصرة وأقامت فيها. ولم يذكروا أية شئ ذات أهمية مما كان من شأن عيسى في فترة الطفولة، اللهم إلاّ هذه الحادثة البسيطة.



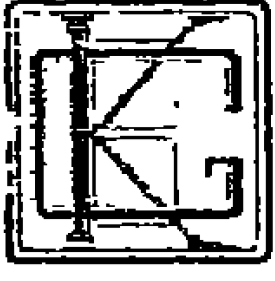
*** لما كانت له اثنتا عشرة سنة، صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. ولما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبّي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما. وإذ ظنّاه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأهل والمعارف. ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بُهتوا من فهمه وأجوبته. فلما أبصراه اندهشا، وقالت له أمه، يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا! هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك مُعذّبين. فقال لهما كنتما تطلباني، ألم تعلما أن أكون في ما لأبى. فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما. وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها. أما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس. (لوقا)

وبعد ذلك لم يأت أي ذكر لنشاطه إلى أن جاءه الأمر المقدس بأن يبدأ بنشر الرسالة من الله تعالى. وكان بداية ذلك حين ذهب لمقابلة النبيّ يحيى (يوحنا) على نهر الأردن حيث تعمّد على يده للتوبة من الذنوب وهو من المعصومين عليهم السلام.

كان يسانده الروح القدس غالب الوقت. ومعنى الروح القدس يختلف في كيفية استخدام الكلمة. فمرة تعنى روح الله تعالى، وقد تعنى الروح القدس سيدنا جبريل عليه السلام. والمقصود في التعامل مع البشر هو جبريل عليه السلام. إذ أنه رسول رب العالمين إلى رسله وأنبيائه الموقرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هو الذي يرسله الله تعالى برحمة منه وهدىً إلى أساتذة البشرية، إما ليبلّغهم رسالات ربه وإما ليُدْعِمهم بالأعمال الخارقة. وامتاز الله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بدعمه بالروح القدس جبريل أغلب الأوقات. والمعروف أن بعثة عيسى كانت في سن حوالي الثلاثين من عمره. وليُثبّت الله تعالى رسوله ونبيّه الكريم على الأرض فقد أسند إليه القيام بعدة عجائب من الأعمال الخارقة. والتي هي بعيدة عن المفهوم البشرى. ولقد أدّى عيسى هذه الأعمال وقام بها خير قيام. وكانت حياته كلها أعمالا خارقة من مولد أمه مريم ومولده واختفائه لأحقاب من الزمان لم يستطع أحد أن يتابعها ولم يُعلم عنها شيئا. وإلى أن رفعه الله تعالى إلى السماء لحكمة منه سبحانه.

كان مُفوّضا بأمر من الله أن يشفي المرضى، وأن يجعل الأعمى بالولادة يرى، وأن يشفي



الأبرص، ويشفي الأكمه الذي لا يسمع ولا يتكلم، وأن يقيم الموتى ويعيدهم إلى الحياة، وأن يسير على الماء، وأن يأمر الأرواح الشريرة بالخروج من الأجساد التي تحتلها، وأن يطعم خمسة آلاف ويُشبعهم بقليل من الطعام. ثم هو يعلن الدين القويم ويُصحح مساره، ويعلّمهم التوراة التي أُهملت والإنجيل الرباني الذي أنزل عليه، ولا يهاب العصاة بل يواجههم بقوة. ولقد كان له كثيرا جدّا من الأعمال الخارقة والتي لا يستوعبها كتاب واحد. وهذه بعض الأعمال الخارقة التي قام بها المسيح بإذن من الله تعالى سبحانه.

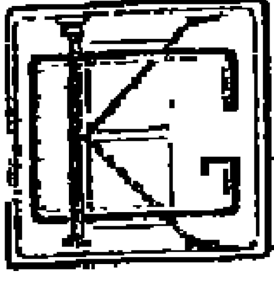
• بعض الأعمال الخارقة للمسيح. +

******* **رجل أبرص** قد جاء وسجد له قائلا، يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني. فمدّ عيسى يده ولمسه قائلا، "أريد فاطهر." وللوقت طهر برصه. فقال له يسوع، "انظر أن لا تقول لأحد، بل اذهب أرِ نفسك للكاهن وقدّم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم." (متى)

******* **رجل مفلوج** يقدمونه إليه مطروحا على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج، "ثق يا بُنيّ، مغفورة لك خطاياك." وإذا قوم من الكتبة قد قالوا في أنفسهم، "هذا مجدّف." فعلم يسوع أفكارهم فقال، "لماذا تفكرون في بالشر في قلوبكم، أيّما أيسر! أن يقال مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم أمش. ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا." حينئذ قال للمفلوج، "قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك." فقام ومضى إلى بيته. فلما رأى الجموع تعجبوا ومجّدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا. (متى)

******* **رجل به روح شيطان نجس** فصرخ بصوت عظيم قائلا، "آه ما لنا ولك يا يسوع الناصريّ. أتيت لتهلكنا! أنا أعرفك من أنت، قدوس الله." فانتهر يسوع قائلا، "اخرس وأخرج منه." فصرعه الشيطان في الوَسَط ولم يضره شيئا. فوقعت دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين، "لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج." (لوقا)

******* **ميت محمول** ابنٌ وحيدٌ لأمّه، وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها، "لا تبكي." ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال،



"أيها الشاب لك أقول قم." فجلس الميت وبدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه. (لوقا)

*** عيسى يسير على الماء.

ولما كان المساء نزل تلاميذه البحر. فدخلوا السفينة وكانوا سيذهبون إلى عبر البحر إلى كفر ناحوم. وكان الظلام قد أقبل ولم يكن يسوع قد أتى إليهم. وهاج البحر من ريح عظيمة تهب. فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشيا على البحر مقتربا من السفينة، فخافوا، فقال لهم، "أنا هو لا تخافوا." فرضوا أن يقبلوه في السفينة وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها. (يوحنا)

*** رأى إنسانا أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه قائلين:

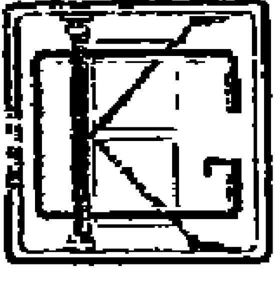
"يا معلم من أخطأ، هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى؟"

أجاب يسوع، "لا هذا أخطأ ولا أبواه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. ما دمت في العالم فأنا نور العالم." قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين عيني الأعمى، وقال له، "اذهب اغتسل في بركة سِلُوَامَ." الذي تفسيره مُرسل. فمضى واغتسل وأتى بصيرا. (يوحنا)

*** إقامة الميت (ليعازر).

قال لهم (التلاميذ)، "ليعازر حبيبنا قد نام، لكننى أذهب لأوقظه." فقال تلاميذه، "يا سيد إن كان قد نام فهو يُشفي." وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول في رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذ علانية، "ليعازر مات. وأنا أفرح لأجلكم إني لم أكن هناك لتؤمنوا، ولكن لنذهب إليه." فقال توما الذي يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه، "لنذهب نحن أيضا لكي نموت معه." فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر. وكانت بيت عَنيا قريبة من أورشليم نحو خمسة عشرة غلوة. وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مارثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما. فلما سمعت مارثا أن يسوع آت لاقته. أما مريم فاستمرت جالسة في البيت. فقالت مارثا ليسوع، "لو كنت هاهنا لم يمت أخي. لكننى الآن أيضا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك

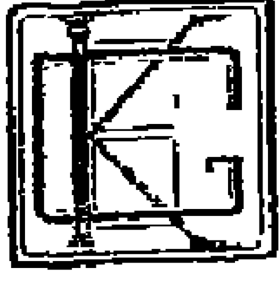
الله إياه." قال لها يسوع، "سيقوم أخوك." قالت له مارثا، "أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة



في اليوم الأخير." قال لها يسوع، " أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا." قالت له، "نعم يا سيد. أنا قد آمنت أنك المسيح ابن الله الآتي إلى العالم." ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سرّا قائلة، " المعلم قد حضر وهو يدعوك." أما تلك لما سمعت قامت سريعا وجاءت إليه. ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان في المقام الذي لاقته فيه مارثا. ثم إن اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزّونها لما رأوا مريم قامت عاجلا وخرجت، تبعوها قائلين إنها ذ تذهب إلى القبر لتبكى هناك. فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرّت عند رجليه قائلة له، " يا سيد لو كنت هاهنا لم يمت أخي." فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب، وقال، "أين وضعتموه." قالوا له، "يا سيد تعال وأنظر." بكى يسوع . فقال اليهود. "انظروا كيف كان يحبه." وقال بعضهم، "ألم يقدر هذا الذي فتح عين الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت!" فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء إلى القبر. وكان مغارة ووُضع عليه حجر. قال يسوع. "ارفعوا الحجر."

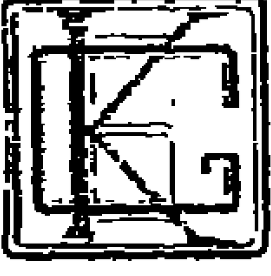
قالت له مارثا أخت الميت، "يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام." قال لها يسوع، "ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله!" فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال، "أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليُؤمنوا أنك أرسلتني." ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم، "ليعازر هلمّ خارجا." فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع، "حلّوه ودعوه يذهب." فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به. وأمّا قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع. (يوحنا)

- <u>**المعتقد**</u> فيما تقدم أن بعض ما قيل كان من كلام الله والبعض الآخر من كلمات المسيح عليه السلام والآخر من كلمات الراوي. فعندما قال المسيح لمارثا أخت ليعازر، "أنا هو القيامة والحياة." كان هذا كلام الله سبحانه لأن ذلك هو الله، وكلمات المسيح هي الكلمات التي دعا بها الله تعالى ليستجيب له حتى يؤمن الناس به وبرسالته، والبقية من عند الراوي.



• بعض تعليم المسيح عليه السلام. +

- طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات والأرض.
- طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون.
- طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.
- طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يُشبعون.
- طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون.
- طوبى للأنقياء لأنهم يعاينون الله.
- طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون.
- طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السماوات.
- طوبا لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم.
- قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رفقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم.
- قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تُعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك أو يلقى جسدك كله في جهنم.
- وإن كانت يدك اليمنى تُعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.
- لا تكنزوا لكم كنوز الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل أكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد السوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك.
- لا تَدينوا لكي لا تُدانوا.
- لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك لا تفطن لها.
- اسألوا تُعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ، وكل من يطلب يجد، وكل من يقرع يُفتح له.



• أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا، وإن سأل سمكة يعطيه حيّة. فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحرى أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه.

• كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء.

• كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم، يا رب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوّات كثيرة. فحينئذ أصرخ لهم، إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. (في يوم الحساب)

• لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويُحقّر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال. (متى)

• ليس أحد يوقد سراجه ويضعه خفية ولا تحت المكيال، بل على المنارة لكي ينظر الداخلون النور. سراج الجسد هو العين، فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيْران، ومتى كانت شريرة فجسدك كله يكون مظلما. أنظر إذًا لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة. (لوقا)

• اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية. (يوحنا)

• لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قِبل الله وأتيت، لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني. (يوحنا)

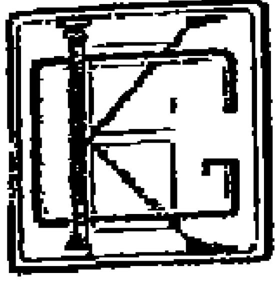
• **بعض أمثلة المسيح** (عليه الصلاة والسلام). +

********* **مثل الزارع.** "هو ذا الزارع قد خرج ليزرع. وفيما هو يزرع سقط بعض (الحبوب) على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته."

"وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة، فنبت حالا إذ لم يكن له عمق في الأرض. ولكن لما أشرقت الشمس احترق، وإذ لم يكن له أصل جف. وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوك وخنقه.

وسقط آخر على الأرض الجيدة، فأعطى ثمرا، بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين. من له أذنان للسمع فليسمع."

فتقدم التلاميذ وقالوا له، "لماذا تكلمهم بأمثال!"



فأجاب وقال لهم، "لأنه قد أُعطى لكم أن تعرفوا م أسرار ملكوت السماوات، وأما لأولئك فلم يُعط. فمن له سيُعطى ويُزاد، وأما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه. من أجل هذا أكلمهم بأمثال. لأنهم مبصرون لا يبصرون، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون. فقد تمت فيهم نبوّة إشعياء القائلة، تسمعون سمعا ولا تفهمون، ومبصرين تُبصرون ولا تنظرون. لأن قلب هذا الشعب قد غلُظ. وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأُشفيهم."

"ولكن طوبى لعيونكم لأنها تُبصر، ولآذانكم لأنها تسمع. فإني أقول لكم إن أنبياءَ وأبرارًا اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا. فأسمعوا أنتم مثل الزّارع. كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه. هذا هو المزروع على الطريق."

"والمزروع على الأماكن المحجّرة هو الذي يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح، ولمن ليس له أصل في ذاته بل هو إلى حين، فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر."

"والمزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة، وهمّ هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر."

"وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين." (متى)

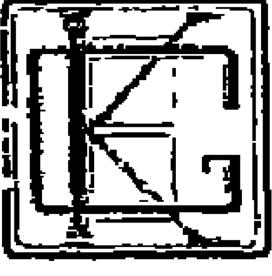
*** مثل الزّوان. (العشب العشوائي)

يشبه ملكوت السماوات إنسانا زرع زرعا جيدا في حقله. وفيما الناس نيام جاء عدوّه وزرع زوّانا في وسط الحنطة ومضى. فلما طلع النبات وصار ثمرا، حينئذ ظهر الزوّان أيضا. فجاء عبيد رب البيت وقالوا له، "يا سيد أليس زرعا جيدا زرعت في حقلك، فمن أين له زوّان؟"

فقال لهم، "إنسان عدوّ فعل هذا."

فقال له العبيد، "أتريد أن نذهب ونجمعه؟"

فقال، "لا، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوّان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كلاهما معا إلى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين، اجمعوا أوّلا الزوّان واحزموه حزما ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني. الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان، والحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزوّان هو بنو الشرير، العدوّ الذي زرعه هو إبليس،



والحصاد هو انقضاء العالم، والحصادون هم الملائكة."

"فكما يُجمع الزوّان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم. يُرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم. ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان."

"حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. من له أذنان للسمع فليسمع." (متى)

*** مثل العذارى العشر.

يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس. وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات. أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا. وأما الحكيمات فأخذن زيتا في آنيتهن مع مصابيحهن. وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن.

ففي نصف الليل صار صراخ، "هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقائه."

فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن. فقالت الجاهلات للحكيمات،

"أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفئْ."

فأجابت الحكيمات قائلات، " لعله لا يكفي لنا ولكُن، بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لَكُـن."

وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس، والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأُغلق الباب.

وأخيرا جاءت بقية العذارى أيضا قائلات، "يا سيد يا سيد افتح لنا."

فأجاب وقال، "الحق أقول لكُن إني ما أعرفكن."

فاسهروا إذا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة. (متى)

*** الوليمة الكبرى.

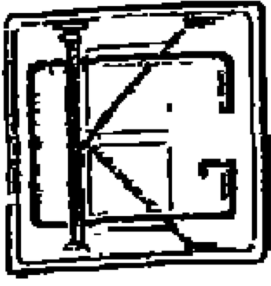
إنسان صنع عشاء عظيما ودعا كثيرين. وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين، "تعالوا لأن كل شئ قد أُعد."

فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون. قال له الأول، "إني اشتريت حقلا وأنا مضطر أن أخرج وأنظره، أسألك أن تعفيني."

وقال الآخر "إني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماض لأمتحنه، أسألك أن تعفيني."

وقال آخر، "إني تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجئ."

فأتى ذلك العبد وأخبر سيده بذلك. حينئذ غضب رب البيت وقال لعبده، "أخرج عاجلا إلى



شوارع المدينة وأزقتها وأدخل إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمى."
فقال العبد، "يا سيد قد صار كما أمرت ويوجد أيضا مكان."
فقال السيد للعبد، "اخرج إلى الطرقات والسّياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي.
لأني أقول لكم، إنه ليس واحد من أولئك المدعوّين يذوق عشائي." (لوقا)

*** الحمل الضائع.

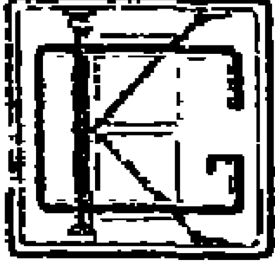
أيّ إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحدا منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده. وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحا. ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلا لهم، "افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضّال."
أقول لكم إنه هكذا يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة. (لوقا)

*** إصرار الأرملة.

كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا. وكان في تلك المدينة أرملة. وكانت تأتي إليه قائلة، "أنصفني من خصمي."
وكان لا يشاء إلى زمان. ولكن بعد ذلك قال في نفسه، "وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنسانا، فإني لأجل هذه الأرملة تُزعجني أُنصفها لئلا تأتي دائما فتقمعني." وقال الرب، "اسمعوا ما يقول قاض الظلم."
أفلا يُنصف الله مُختاريه الصّارخين إليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم. أقول لكم إنه يُنصفهم سريعا. (لوقا)

• تعليق.

كانت مدة رسالة السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، سنتين ونصف إلى ثلاث سنوات.
كان فيها مُطارداً أبداً من اليهود الذين كانوا يريدون القضاء عليه. وكان لا يبقى في مكان واحد زمناً طويلاً خشية من انتقامهم.
اختار المسيح اثني عشر تلميذا (الحواريون) وكانوا رجالا عظاما. ولقد أعطاهم بعض قوّته التي من الله ليُثبّت وجودهم بقوة، حتى يتسنى لهم تبشير الرسالة للناس.
لقد كانوا رسل رسول الله إلى الناس. والحق يُقال أنّهم لم يُضيّعوا وقتا في القيام بمهامهم



التي أسندت إليهم. ولكن الكلمة، وهي الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على سيدنا المسيح لم تُكتب. وفيما بعد أُخذ عنهم تاريخ قصير عن حياة المسيح وهذا قام البعض بتسجيله على أنه الإنجيل.

التلاميذ أنفسهم قاموا بمهمتهم خير قيام، وأعطوا الإنجيل حسب ما حفظوه للغير. ولكن من خلَفَهُم لم يستطيعوا الإمساك بكل الإنجيل حسب ما أنزل. وكان الجميع مطاردين أينما حلّوا، ولم تكن أدوات الكتابة متوفرة في هذه الأزمنة. فكان من الصعب جدا أن يقوموا بتدوين الأحداث في هدوء.

أما اليهود فواصلوا عدم التصديق به والإيمان له معلنين أنهم ما زالوا ينتظرون المسيح مدّعين أن الله أعطاهم علامة المسيح المنتظر وهم عاكفون على ذلك حتى يأتيهم.

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ آل عمران

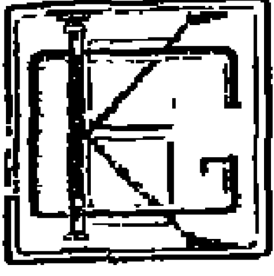
وفيما بعد دخل بعض اليهود مع خلفاء التلاميذ معلنين أنهم مؤمنين، وفي الباطن كانوا يحيكون المكيدة لتغيير ما كانوا يذكرون من إنجيل.

والظاهر أنهم أفلحوا إلى حد كبير. وفي هذه المدة القصيرة لرسالة سيدنا المسيح عيسى ابن مريم، فإن ما قاله وما فعله كان أكثر بكثير من أن يستطيع إنسان واحد حمله وتذكّره ليقصه بالتمام كما حدث. ولم يخطر ببال أحد أن يكتب ويدوّن أيّ شئ، وكان الاعتماد على الذاكرة.

وبعد سنين عديدة أخبروا بما تذكروا وعندها بدأ التسجيل كتابة بعد فناء تلاميذ المسيح.

من هذا كان سيدنا المسيح يُحذر الناس قائلا، يرفعه إلى الله سبحانه:

*** "يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا. وباطلا يعبدونني وهم يُعَلِّمُونَ تعاليم هي وَصَايَا الناس." (العهد الجديد)



ثم قال عيسى عن معلمي التوراة:

***"تحرّزوا من الكتبة، الذين يرغبون المشي بالطيالسة، والتحيات في الأسواق، والمجالس الأولى في المجامع، والمتكآت الأولى في الولائم. الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلّة يطيلون الصلوات. هؤلاء يأخذون دينونة أعظم." (العهد الجديد)

ولما كان هؤلاء هم المعلمون أثناء وجود سيدنا المسيح فيهم، فما الذي يجعل البعض يظن أن هذا تغيّر الآن! وهل هناك رادع لهم من أنهم يُعلّمون الناس تعاليم هي وصاياهم أو وصايا أناس آخرين! ولقد كان هذا هو الهدف الأول عندما دخلوا هؤلاء المنافقين من اليهود في رهبان المسيحية الأولى حتى يحيدوا بهم عن الطريق السويّ. وهكذا لم يحُافَظ على الكلمة (الإنجيل) من الضياع عند تبليغها.

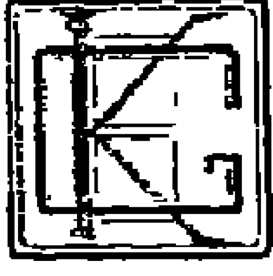
ولماذا يتخذون إذا ما يسمّونه التوراة، العهد القديم، وهم يُعَلّمون تعاليمها وهم يعلمون من أقوال سيدنا المسيح أنها إنما أعراف موضوعة من الناس؟

*** هذا كان السبب في أن ظهرت أناجيل كثيرة جدا في أثناء عهد الإمبراطور قسطنطين. ولقد جعل مجمعا جمع فيه كل أعضاء الكهنوت، وكان عددهم حوالي ألف وثمانمئة، وقام هؤلاء بجمع الأناجيل فكانت في مجموعها أكثر من خمسمئة. ثم اختاروا أو بالأحرى وافقوا بين الأناجيل واختاروا هذه الأربع أناجيل. ثم قاموا بإحراق البقية ظنًا منهم أنه الحق، وحتى لا يتيه الناس. وفقط بعد هذا الاجتماع قرّروا أن المسيح ابن الله وأعلنوا ذلك على الناس.

(معلومات مأخوذة من دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٦٧)

(وإنما الإنجيل المقدس هو كلام الله أنزله على سيدنا المسيح عيسى ابن مريم وهو واحد وليس أربعة كما أنزل الله تعالى التوراة على سيّدنا موسى ابن عمران وكما أنزل الله تعالى القرآن المجيد على سيّدنا محمد ابن عبد الله) ولم يُنزّل الله تعالى أربعة كتب على نبيّ واحد أبدا. والإنجيل الأصل هو كلام الله تعالى المُنزّل على رسوله ونبيّه عيسى عليه الصلاة والسلام.

*** **الإنجيل** بكل تأكيد ليس هو ذلك المسمّى بالعهد الجديد والذي يشمل على كتب الكلمة الأربعة كما هو مطبّق في الكنيسة المسيحيّة. ولكن الإنجيل العظيم هو الكلمة



الأصل التي نزلت إيحاءً على المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وأعلنه، مثلما نزلت إيحاءً التوراة العظيمة على النبيّ موسى عليه الصلاة والسلام وأعلنها، ومثلما نزل إيحاءً القرآن المجيد على النبيّ محمد عليه الصلاة والسلام وأعلنه.

والعهد الجديد كما هو مُعلنٌ الآن، يشتمل على أربعة كتب محتوياتها مختلفة: (متّى، ومرقص، ولوقا، ويوحنّا) وبعض المحتويات الأخرى: أعمال الرسل (والأغلب أنها كتبت بواسطة لوقا) وتشمل الشرح التقدّمي للكنيسة تحت بطرس وبولس من تاريخ ما سُمّي صلب المسيح حتى حوالي سنة ٦١ ميلادية): مجموعة من إحدى وعشرين خطابا أو رسالة إنجيلية، (أغلبها من القدّيس بولس إلى بعض الكنائس والأفراد، وقليل مما ذكره بعض التلاميذ وجميعها ليس لديها خاصيّة إنما هي عن مواضيع شتّى): كتاب رُؤيا يوحنا (تنبّؤات يوحنا)، الرُّؤيا التنبّئيّة، (وهي مرفوعة إلى القدّيس يوحنا وتحتوي على بعض الرّؤيا والأمور الغير واضحة أو غير سهلة الفهم من المقصود بها وتحكي عموما عن أهوال الآخرة.

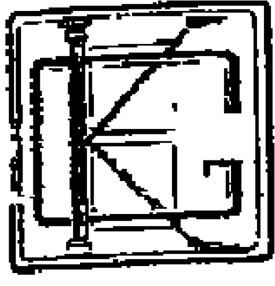
كما جاء في كتاب (Canon of The New Testament) مُدوّن على أنه موضوعات متناقضة. "القصص الأربعة لحياة المسيح ليست جميعها مستقلّة أو مُنفردة أحدها عن الآخر ولم يكن من نيّة أحد ممن كتبها أنّها ستُشكّل رُبعًا من تنسيق كتاب واحد، وقد وُضعت جميعها جنبا إلى جنب بدون تنسيق دقيق، وأحدها ليس دقيقا في نهايته وآخر يبدو أنّه كان جزءًا من كتاب أكبر." والنص السابق من ترجمة كتاب من الكاتب الإنكليزي:

(By Prof. C. Burkitt)

وكل المحتويات كانت مكتوبة بطريقة غير مرتّبة علميًا ولا لوم على ذلك لأن عصر المسيحيّة الأولى كانوا يتوقّعون قرب نهاية العالم. والكتب المقدّسة الأربعة هي أجزاء من كثير من الكتب التي كُتب لها أن تبقى. وكان كل من الكتبة يكتب أمورا متفارقة عن ما تذكّرة من أعمال السيد المسيح كما تذكّرها.

ومُؤلّفي كتب مرقص ولوقا لم يكونا من التلاميذ الذين اختارهم المسيح عليه السلام. وأما عن كتاب يوحنّا فهنالك اختلاف حول الكاتب والمؤلّف والتاريخ الذى كُتب فيه أو إذا ما كان كُتب من قبل مُؤلّف واحد.

وأحد الكتب العظيمة والتي يحتويها المتحف البريطاني منذ ١٩٣٤ وتُسمّى:



(Codex Sinaiticus)
قد يرجع تأريخها إلى القرن الرّبع الميلادي، وهي مُدوّنة باللغة الإغرقية.
وقد وُجدت أيضا بعض المقتطعات من عدّة كتب مؤلفيها غير معروفين وهي مختلفة في كثير من النقاط مع الكتب الأربعة المتداولة.

والمسلمون إذاً على حقّ أن يحترموا الإنجيل الحاليّ (العهد القديم والعهد الجديد) ويستأنسوا إلى ما فيه من غير تصديق أو تكذيب مع رفضهم ما جاء به من متناقضات من الكنيسة الأرثوذكسية واليهودية. وهم يأخذون ما أتى به النبيّ إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وهو الدين الحنيف ودين التوحيد عن طريق ما جاء به الرسول النبيّ محمد (عليه الصلاة والسلام) مُنزّلاً إيحاءً لبيان الحق من الباطل، وبذلك فإنّه لا يجب الأخذ بأيّ مما جاء سابقاً مع عدم التصديق أو التكذيب والاكتفاء بما جاء في آخر رسالة الأنبياء وخاتم الرّسل (عليه الصلاة والسلام) حيث أن بها كلّ ما يُغني عن الرّجوع إلى ما سبق من الكتب.
(ترجمة مُعدّلة من ملاحظات العلاّمة \ عبد الله يوسف علي، ترجمة معاني القرآن المجيد)

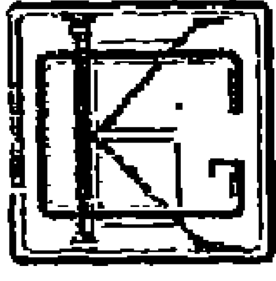
ابن الله. هذا تعبير لا يقوله رسول كريم من رسل الله تعالى عن نفسه. فهو عندما أخبروه أن أمه وإخوته يقفون بالخارج يريدون رؤيته، قال المسيح:

*** "من هي أمي ومن هم اخوتى!" ثم مد يده نحو تلاميذه وقال، "هاهى أمي واخوتى. لأن من يصنع مشيئة أبى الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي." (متى)

*** قال له اخوته، انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية لكي يرى تلاميذك أيضا إعمالك التي تعمل. لأنه ليس أحد يعمل شيئا في الخفاء وهو يريد أن يكون في العلانية. إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم. **لأن اخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون.** (يوحنا الإصحاح ٧ الباب ٥،٤،٣)

مريم. تلك القدّيسة الطاهرة، والتي اختارها الله واصطفاها على نساء العالمين لتكون أمّاً للسيد المسيح عليهما الصلاة والسلام، كانت رسالتها أن تحمل هذا الابن المعجزة وأن تتولّى رعايته صغيرا. وعلى الرغم من أنها قدّيسة ومُبجّلة إلى الأبد، فإن رسالتها انتهت بعد الوضع وبعد أن أصبح عيسى شاباً مستعداً للقيام برسالته. تلك الرسالة التي أعدّته لها وكان عيسى الرسول الذي حملها رحمة للعالمين.

لم يتتبع أحد حياتها على الرغم من أنها كانت ابنة إمامهم في الصلاة وتربّت في ولاية



زكريا، ثم وضعت من كلمهم في المهد صبيا. ثم لم يتتبع أحد حياتها بعد أن تزوجت من يوسف النجار. ولم يُتابع عنها شيئا طوال حياتها بعد الصلب وبعد أن رفع الله تعالى المسيح إليه.

إخوة عيسى من أمّه كثمرة لزواجها من يوسف النجار، لم يذكر أحد من المؤرخين شيئا عنهم لا في أثناء حياة عيسى ولا حتى بعد الصلب وبعد الرفع.

يوسف زوج مريم ابنة عمران (عليهما السلام) النجار وبرغم من قدسيّته، فلم يذكر شيئا عنه لا أثناء حياة عيسى ولا أثناء المحاكمة والصلب ولا تابع أحد حياته بعد الرفع.

*** قال المسيح: "ليس نبيّ بلا كرامة إلا في وطنه وبيته." (العهد الجديد)

أليس ذلك كله أنه يخبر الناس أنه نبيّ الله تعالى ورسوله الكريم؟ فلماذا إذًا يقولون عنه ما لم يخبر به هو عن نفسه؟ معاذ الله. ما المسيح عيسى ابن مريم إلا رسول قد خلت قبله الرسل. مختارٌ، مقدّسٌ، كريمٌ، مُرسلٌ، ونبيٌّ عليه من الله أفضل الصلاة والسلام.

نبذة أخرى قصيرة عن حياة المسيح. +

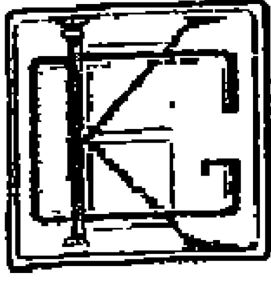
اختار المسيح اثنا عشر نقيباً (حواريّاً) تلميذاً، ليأخذوا عنه تعاليم الدين القيم ومناسكه وأمرهم بحمل الرسالة بعد ذهابه._وأسماء هؤلاء الرجال العظام:

*** سِمعان الذي سمّاه أيضا بطرس، وأندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبّس وبرثُولَمَاوُس. متّى وتوما. يعقوب ابن حلفي وسِمعان الذي يُدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطيّ الذي صار مُسلِّماً أيضاً. (متى)

ما كان يسوع يقوله ويوصى به بسيط وواضح للغاية ومعناه:

أكثروا من الصلاة لله وحده. اسألوا الله وحده. توبوا من سريع ومن قبل أن يأتي وقت لا تقبل فيه التوبة، وإلا فالمصير عذاب أليم. استمروا على الطريق القويم ولا تحيدوا. واطلبوا رحمة الله فهي تسع كل سائل. وتمسّكوا بالدين القيّم والمناسك الطيبة بقوّة وعزم. واعملوا لآخرتكم أكثر مما تعملون لدنياكم وخافوا الله تعالى تدخلوا جنته.

كان تعليمه من أرقى الأساليب في الترغيب والترهيب، وملآنة بالحكمة مستخدماً أرقى أنواع الأمثلة في الغالب. وكان متواضعا لله ومُحيًّا للمؤمنين الذين أسلموا وجههم لله عزّ وجلّ، فإنهم إن لم يروا الله فإن الله يراهم من شدّة إيمانهم. وكان يُعلّم الناس في الصّوم،



وأن يتجهزوا لمقابلة الله تعالى في الآخرة عوضا عن السعي وراء كنوز الحياة الزائلة وأن هنالك يوم القيامة والحساب ثم إلى الجنة أو إلى النار.

مثل كل رسل الله تعالى كان يُبلّغ الناس الرسالة بقوّة وحنان. وحتى في الكتب الأربعة لم يقل أبدا اعبدوني من دون الله أنا وأمي ولا أن يتخذوه شريكا في العبادة معاذ الله. لكنه من وضع الرّواة أو الذين خلفوهم.

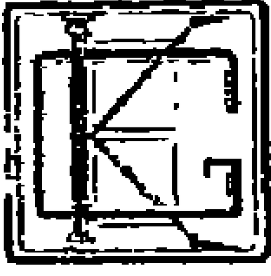
إخوته. ذُكر أنه كان له أربعة إخوة. أسماءهم: يعقوب، ويوسى، وسِمعان، ويهوذا. (متى) ولكن في نسخ أخرى من الكتاب المقدس هم: جيمس، ويوسف وسِمعان، ويهوذا. (متى) ولا بد وأنه كان له أكثر من أخت واحدة إلا أنهم أسقطوا أسماءهن كعادتهم في ذلك. هم جميعا اخوته وأخواته من أمّه مريم ثمرة زواجها من يوسف النجار. ولم يتابع عنهم أحد من الرّواة.

الخيانة:

*** دخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الإسخريوطي وهو من جملة الإثنى عشر. فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلّمه إليهم. ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة. فواعدهم، وكان يطلب فرصة ليُسلّمه إليهم خِلْواً من جَمْعٍ.

وجاء يوم عيد الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح. وبينما هو (عيسى) يتكلم إذا جمعٌ والذي يُدعى يهوذا أحد الإثنى عشر يتقدّمهم، فدنى من يسوع ليُقبّله. فقال له يسوع، "يا يهوذا أبقبلة تُسلّم ابن الإنسان." فلما رأوا الذين من حوله ما يكون قالوا، "أنضرب بالسيف." وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. فأجاب يسوع وقال، "دعوا هذا." ولَمَس أذنه وأبرأها. ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقوات جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه، "كأنه على لص خرجتم بسيوف وعِصِيّ، إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا عليّ الأيادى، ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة." فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة. (لوقا)

وإنه من الملفت للإنتباه هنا أنهم كانوا بحاجة لمن يدلهم على عيسى و أنه سلّمهم إياه بقبلة وهو الذي كان بينهم في المعبد يعرفونه و يعرفون تعاليمه و من أجل ذلك كانوا يريدون التخلص منه، فما كانت حاجتهم إلى دليل يتعرف عليه؟

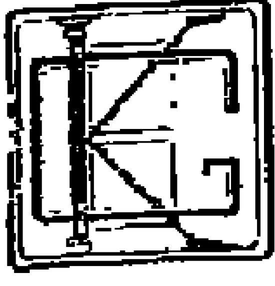


التآمر والحكم.

*** ثم إن الجند والقائد وخدّام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا بـه إلى حنّـان أوّلا، لأنه كان حما قَيافا الذي كان رئيسًا للكهنة في تلك السنة. وكان قيافا هو الـذي أشـار على اليهود أنّه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب. ثم جاءوا بيسوع من عنـد قيافـا إلى دار الولاية، وكان صبحٌ. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكـي لا يَتَنَجَّسُوا فيـأكلون الفصـح. فخرج بيلاطس إليهم وقال، "أيّة شكاية تُقدمون على هذا الإنسان؟" أجابوا وقالوا لـه، "لـو لم يكن فاعل شرّ لما كنا سلّمناه إليـك." فقـال لهـم بـيلاطس، "خـذوه أنـتم واحكمـوا عليـه حسب ناموسكم." فقال له اليهود، "لا يجوز لنا أن نقتل أحدا." ليتم قول يسوع الذي قاله مشيرا إلى أيّة ميتة كان مزمعا أن يموت. ثم دخل بيلاطس أيضا إلى دار الولاية ودعـا يسـوع وقال له، "أنت ملك اليهود؟" أجابه يسـوع، "أمـن ذاتـك تقـول هـذا أم آخـرون قـالوا لـك عني؟" أجابه بيلاطس، "لعلّي أنـا يهـودي! أمّتـك ورُؤسـاءُ الكهنـة أسـلموك إليّ." أجـاب يسوع، "مملكتي ليست من هـذا العـالم. لـو كانـت مملكـتي مـن هـذا العـالم لكـان خـدامي يُجاهدون لكي لا أُسلّم إلى اليهود، ولكن ليست مملكتي من هنا." فقال له بيلاطس، "أفأنت إذًا ملك؟" فأجاب يسوع، "أنت تقول إني ملك. لهذا قد وُلدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي." قال له بـيلاطس، "مـا هـو الحـق!" ولمـا قال هذا خرج أيضا إلى اليهود وقال لهم، "أنا لست أجد فيـه عِلّـة واحـدةً. ولكـم عـادة أن أطلق لكم واحدا في الفصح. أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهـود؟" فصـرخوا أيضـا جميعهم قائلين، "ليس هذا بل باراباس." وكان باراباس لِصًّا. (يوحنا)

*** ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشـعب ورؤسـاء الكهنـة والكتبـة وأصـعدوه إلى مجمعهم قائلين، "إن كنت أنت المسيح فقل لنا." فقال لهم، "إن قلت لكم لا تصدقون. وإن سألت لا تجاوبونني ولا تطلقونني. منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عـن يمـين قـوة الله." قال الجميع، "أفأنت ابن الله؟" فقال لهم، "أنتم تقولون إني أنا هو."

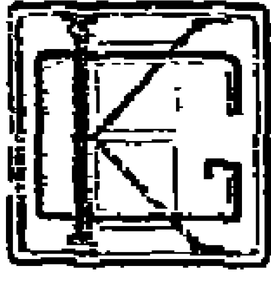
فقالوا، "ما حاجتنا بعد إلى شهادة، لأننا نحن سمعنا من فمه." فقام جمهورهم وجـاءوا بـه إلى بيلاطس، وابتدءوا يشتكون عليه قائلين، "إنا وجدنا هذا يفسد الأمـة ويمنـع أن تُعطـى جزية لقيصر قائلا هو مسيح ملك." فسأله بيلاطس قائلا، "أنت ملك اليهود؟"



فأجاب هو قال، "أنت تقول." فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع، "إني لا أجد عِلّة في هذا الإنسان." فكانوا يشددون قائلين، "إنه يُهيّج الشعب وهو يُعلّم في كل اليهودية مبتدئا من الجليل إلى هنا." فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل، هل الرجل جليلي. وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس إذ كان هو أيضا في تلك الأيام في أورشليم. وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وتَرَجَّى أن يرى آية تُصنع منه. وسأله بكلام كثير فلم يُجبه بشيء. ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد. فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا وردّه إلى بيلاطس. فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم لأنهما كانا من قبل في عداوة بينهما. فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم،

"قد قدّمتم إليّ هذا الإنسان كمن يُفسد الشعب. وها أنا قد فحصت قدّامكم ولم أجد في هذا الإنسان عِلّة مما تشكون عليه. ولا هيرودس أيضا، لأني أرسلتكم إليه. وها لا شئ يستحق الموت صُنِعَ منه. فأنا أؤدبه وأطلقه." وكان مضطرا أن يطلق لهم كل عيد واحدا. فصرخوا بجملتهم قائلين، "خذ هذا وأطلق لنا باراباس." وذاك كان قد طُرِح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة وقتل. فناداهم أيضا بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع. فصرخوا قائلين، "أصلبه أصلبه." فقال لهم ثالثة، "فأيّ شرّ عمل هذا؟ إني لم أجد فيه عِلّة للموت، فأنا أؤدبه وأطلقه." فكانوا يلحّون بأصوات عظيمة طالبين أن يُصلب. فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة. فحكم بيلاطس أن تكون طِلْبَتُهُم. فأطلق لهم الذي طرح في السجن لأجل فِتْنَةٍ وقَتْل الذي طلبوه، وأسلم يسوع لمشيئتهم. (لوقا)

<u>***</u> الذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ. وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه. فلم يجدوا. ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا. ولكن أخيرا تقدم شاهِدَا زورٍ وقالا، "هذا قال إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه." فقام رئيس الكهنة وقال له، "أما تُجيب بشيء. ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكتا. فأجاب رئيس الكهنة وقال، "أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟" قال له يسوع، "أنت قلت. وأنا أيضا أقول لكم من الآن تُبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوّة



وآتيا على سحاب السماء." فمزّق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا، "قد جدّف ما حاجتنا بعد لشهود. ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟ "فأجابوا وقالوا، "إنه مستوجب الموت." حينئذ بذقوا في وجهه ولكموه. وآخرون لطموه قائلين، "تنبّأ لنا أيها المسيح من ضربك." ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به فدفعوه إلى بيلاطس البنطى الوالي. فوقف يسوع أمام الوالي، فسأله الوالي قائلا، "أأنت ملك اليهود؟"

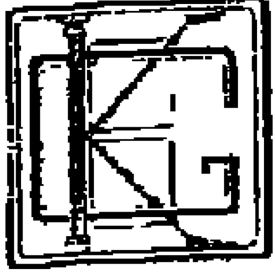
فقال له يسوع، "أنت تقول." وبينما رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء. فقال له بيلاطس،" أما تسمع كم يشهدون عليك!" فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جدا. وكان الوالي معتادا أن يطلق للجموع أسيرا واحدا مَنْ أرادوه. وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس. ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس، "من تريدون أن أطلق لكم، باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح." لأنه علم أنهم أسلموه حسدا. وإذ كان جاسا على كرسي الولاية، أرسلت إليه امرأته قائلة، "إياك وذلك البار، لأني تألمت اليوم كثيرا في حلم من أجله." ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع. فأجاب الوالي وقال لهم، "مَنْ مِنَ الإثنين تريدون أن أطلق لكم؟" فقالوا، "باراباس."

قال لهم بيلاطس، "فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟" قال له الجمع، "ليصلب." فقال الوالي، "وأي شرّ عمل؟"

فكانوا يزدادون صراخا قائلين، "ليصلب." فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحريّ يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدّام الجمع قائلا، "إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم." فأجاب جميع الشعب وقالوا، "دمه علينا وعلى أولادنا." حينئذ أطلق لهم باراباس. وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب. (متى)

***   وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس. فسأله بيلاطس، "أنت ملك اليهود."

فأجاب وقال له، "أنت تقول." وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا. فسأله بيلاطس أيضا قائلا، "أما تجيب بشيء. أُنظر كم يشهدون عليك." فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس. وكان يطلق لهم في كل عيد أسيرا واحدا مَنْ طلبوه. وكان المسمى باراباس



مُوثقا مع رفاقه في الفتنة، الذين في الفتنة فعلوا قتلا. فصرخ الجميع وابتدءوا يطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل لهم. فأجابهم بيلاطس قائلا، "أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود."

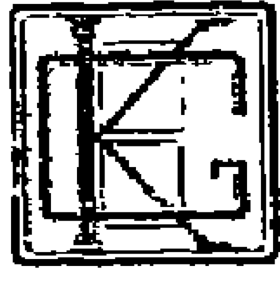
لأنه عرف أن رؤساء الكهنة قد أسلموه حسدا. فهيّج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلقوا لهم بالحرِى باراباس. فأجاب بيلاطس أيضا وقال لهم، "فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود." فصرخوا أيضا، "أصلبه." فقال لهم بيلاطس، "وأي شرّ عمل!" فازدادوا جدا صراخا، "أصلبه." فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم، أطلق لهم باراباس وأسلمَ يسوع ليُصلب. (مرقص)

• الصّلب.

******* وفيما هم خارجون وجدوا إنسانا قيروانيا اسمه سِمعان فسخّروه ليحمل صليبه. ولما أتوا إلى موضع يقال له جُلْجُثَةُ، وهو المسمى موضع الجمجمة، أعطوه خلّا ممزوجا بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يُرد أن يشرب. ولمّا صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. لكي يتم ما قيل بالنبيّ اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قُرْعَة. ثم جلسوا يحرسونه. وجعلوا فوق رأسه عِلّته مكتوبة، **هذا هو يسوع ملك اليهود.** حينئذ صلب معه لصّان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار. (متى)

******* بعد ما استهزءوا به، نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه، ثم خرجوا به ليصلبوه. فسخروا رجلا مُجتازا، كان آتيا من الحقل وهو سِمعان القيرواني أبو ألكسندرس وروفس، ليحمل صليبه. وجاءوا به إلى موضع جُلْجُثَة الذي تفسيره موضع جمجمة. وأعطوه خمرا ممزوجة بمرّ ليشرب فلم يقبل. ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، ماذا يأخذ كل واحد. (مرقص)

******* ولما مضوا به، أمسكوا سِمعان رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كن يلطمن أيضا وينحن عليه. فالتفت يسوع إليهم وقال، "يا بنات أورشليم، لا تبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن. لأن هوذا أيّام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثّديّ التي لم ترضع حينئذ يبتدئون يقولون للجبال أسقطي علينا، وللآكام غطّينا. لأنه



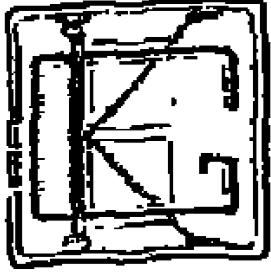
إن كانوا بالعُود الرَّطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس." وجاءوا أيضا باثنين آخرَين مُذنبين ليُقتلا معه. ولما مضوا إلى الموضع الذي يُدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحدا عن يمينه وواحدا عن يساره. فقال يسوع، "يا أبتاه اغفر لهم لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون." وإذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها. (لوقا)

*** فأخذوا يسوع ومضوا به. فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية جُلْجُثة، حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط. وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب. وكان مكتوبا، **يسوع الناصري ملك اليهود.** فقرأ العنوان كثيرون من اليهود، لأن المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريبا من المدينة. وكان مكتوبا بالعبرانية واليونانية واللاتينية. (في نسخة أخرى بالآرامية) فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس، "لا تكتب ملك اليهود، بل إن ذاك قال أنا ملك اليهود." أجاب بيلاطس، "ما كتبت قد كتبت." ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكلّ عسكريّ قسما. وأخذوا القميص أيضا. وكان القميص بغير خياطة منسوجا كله من فوق. (يوحنا)

• حقيقة ما حدث. +

استمرت بعثة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من سنتين ونصف إلى الثلاث سنوات، من سن الثلاثين إلى حوالي الثلاث وثلاثين وانتهت عندما صلب كما يعتقد أعداؤه. بدأت بعثته حين وعد الله تعالى مريم أن الله سيعطيه الكتاب والحكمة، وهي ما في التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام والإنجيل الذي أُنزل عليه. وأنه سيبعثه نبيّاً ورسولاً إلى بني إسرائيل. (هو مرسل للعالم ككل ولكن لبني إسرائيل خاصة)

آتاه الله تعالى القدرة على الآيات الخارقة التي أرسله بها. وقد ذكر سابقا بعضا منها من العهد الجديد، وهي ليست جميع الآيات التي جاء بها، وحتى ما هو مذكور في العهد الجديد ليس جميع ما قدَّمَ من آيات. وإنما القدر الذي ذُكر يكفي لكشف الضوء عن الأعمال العظيمة والقدرات الخارقة التي أُخرج بها لينير الطريق لكثير من البشر، والذين تملكهم الشيطان ما كانوا ليؤمنوا به. وحتى بعض من هؤلاء الذين شفاهم الله على يد عيسى عادوا وكفروا به وصاروا من أعدائه، فذاكرة البشر ضعيفة وإيمانهم قليل. وقليل من الناس من



ثبت على إيمانه بالمسيح بعد حادث الصلب. وعلى الرغم من أن الرواة الذين كتبوا الكتب الأربعة حاولوا كثير جهدهم ليقدّموا الحقيقة للعالم، إلا أن ذلك كان غير المستطاع. فاليهود الذين تداخلوا في عملية إبلاغ الرسالة لم يسعوا جهدا في طمثها وتغيير ما فيها من الحقيقة. وذلك واضح تماما في تناقض كتابتهم للحوادث. ويمكن بقليل من الجهد معرفة ما صاغوه هؤلاء الذين غيّروا كلام الله ووضعوه في كتابة المبشّرين الأوائل. وراح عن ذهنهم أن المسيح لم يقل أنه ابن الله أو أنّ أمّه أم الله في كل الكتب وأن ما جاءوا به من تزييف سيكشفه الله بإذنه (تعالى الله عن قولهم علوّاً عظيماً). وأن ما نقلوه من تعليم المسيح لبنى إسرائيل هو من الأحاديث، وما كتبوه من الكتب هي قصّة لحياة المسيح كما عَلِموها من الذاكرة.

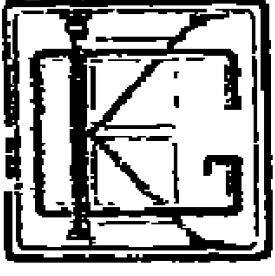
وأمّا ما أنزل الله تعالى على سيدنا المسيح عيسى من إنجيل، فقد غاب عن الجميع أن يعوه ويحافظوا عليه. والتلاميذ، وهم الذين كانوا رجالاً عظاماً، قد قاموا بالبلاغ الصادق والأمين، ولكن كلمة الله التي أرسل إلى سيدنا عيسى، لغرض ما لم يُدوّنها أحد منهم أو من غيرهم. وأيضا هؤلاء الذين أخذوا من التلاميذ كانوا صادقين في أداء الرسالة وتبليغ الدين الحنيف للناس ولكنهم أيضا نسوا، وأما من خَلَفهم فقد أضاع.

رفع المسيح. +

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ آل عمران

إنه رسول كريم علّمه الله تعالى التوراة وأنزل عليه الإنجيل وآتاه من آياته ودعّمه بجبريل عليه السلام وأجرى على يديه الأعمال الخارقة بإذن الله تعالى. وآية الطير الذي كان من الطين مذكورة في بعض الكتب القديمة ولكنه واضح تماما في القرآن الكريم.

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ



عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ آل عمران

وهذا يوضح أنه ما جاء لينقض التوراة، مطابقا لما ذُكر عنه فيما تقدم، وإنما ليذكرهم بها وليتسامح لهم في بعض ما كان محرّما عليهم، إذ أنهم هم الذين حرّموه على أنفسهم. وهذا يطابق ما جاء في العهد الجديد بدون الخروج عن الإيمان أو الادعاء بأنه ابن الله، بل هو رسول الله تعالى، والله ربّه وربّهم فليعبدوه ولا يستهينوا بعبادته، فالعبادة هي الواجب الأول للبشر، فكانوا يتآمرون عليه.

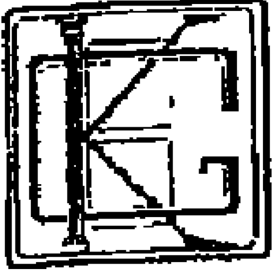
۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ آل عمران

وعندما تآمر اليهود عليه وأصبح الكفر واضحا على الناس ولم يكونوا ليؤمنوا بما أنزل الله على نبيّه وخاف فجورهم، أكّد إيمان تلاميذه وهم الحواريون وأخذ عليهم وأعطاهم العهود. وهم الذين أسماهم النصارى فيما بعد لأنهم ناصروا الله ورسوله الكريم وأسلموا وجوههم لله عزّ وجلّ. وثمن إيمانهم ورغبتهم في أداء الرسالة للدين القويم، ليس من هذه الدنيا الفانية إنما هي طلبهم من الله تعالى أن يكتبهم من الشاهدين. إذ أنهم آمنوا واستعدّوا للقيام بمهامهم فهم والحال هذه موعودون بالجنة. واستمر العداء على أشده، واشتدّ الذين لم يؤمنوا في حياكة المؤامرات.

وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝ آل عمران

وكان الله يعلم ما كانوا يخَبّئون من الأمور العظيمة لِصَلْب المسيح، ويبين الله تعالى أن ليس تخفي عليه خافية، فهو مدبّر الأمر كله، وبأمره تقع الأمور وتُقدّر الأقدار.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ آل عمران



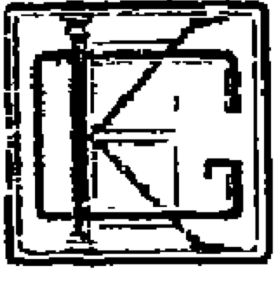
استعداداً لذلك اليوم الرهيب الذي كان فيه حادث الصلب، يُخبر الله أنه أطلع رسوله ونبيّه عيسى على ما تآمر عليه القوم وأنهم لا بد قاتلوه. إلاّ أن الله لن يسمح لهم بذلك، فسَيُوفّيَهُ أجره على ما قام به خير قيام. فلقد أرسله الله تعالى إلى قوم صِلاف الرقبة لا يؤمنون، فلم يؤمنوا وأخذ الله تعالى شهادة نبيّهم عليهم. وسيرفعه الله إليه في الوقت المناسب رِفعةَ عظيمة حتى يكون في الحضرة الإلهية كرامة له وحظوة. وأما إنه سيُطهّره من الذين كفروا، فهم لن يصلوا إليه ولن يلمسوه بسوء. وهذا غاية في التشريف أن العدو لا يصل إلى الحظيّ. ثم يَعِدُه الله عزّ وجلّ بأن يجعل من آمن به هم المنصورين على الكافرين العصاة الذين لا يؤمنون.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ آل عمران

وهكذا فالأعداء الذين حاربوا الرسول سينتقم الله تعالى منهم في هذه الحياة، وليس هذا النهاية، إذ هم كافرون، لأنّ عذاب الآخرة والذي فوق الْحُسبان هو العذاب الأكبر الذي ينتظرهم. وأما الذين آمنوا به فليس الأمر كذاك، فسيهديهم الله إلى مواصلة الدين الحنيف وييسر لهم أمورهم في طاعة الله. وهذا هو نصر الذين آمنوا على الذين كفروا. والله سبحانه هو العالم بذلك. إنما كل هذا ليهدأ من روع الرسول ويؤهله للرفع إلى السماء. ويُبيّن الله كيف أنّ كفرهم وكيدهم كان عظيما والله له سبيل آخر عزّ ربنا وجلّ.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ النساء

نقضوا المواثيق والعهود التي عاهدوا عليها أنبياءهم وهي عهود الله تعالى، فأغضبوه وقتلوا أنبياءه الكرام. ثم بعد ذلك ادّعوا أنهم ليسوا بحاجة لأنبياء أو رسالة أخرى، إذ أنّ قلوبهم غُلفٌ للتوراة، أي التوراة محفوظة في قلوبهم (كالشيء المحفوظ في غلافه). وهم لا يعلمون أن ذلك خاتم الله تعالى على قلوبهم الصّلفة التي هي بعيدة كل البعد عن الإيمان. إن الله لا يقبل من عبده بأقل من أن يُسلّم له طائعا وخاشعا، وراضيا بالأقدار جميعها، خيرها



وشرها، رزقها وحلالها وحرامها، يسرها وعسرها وأن يجعل خوف الله في قلبه فيقيم الصلاة لذكر الله عزّ وجلّ.

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ النساء

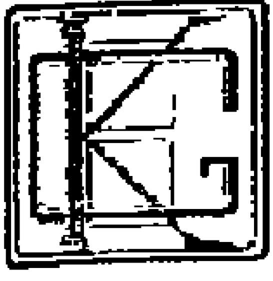
إن الله ليعاقب على الأخذ في سِيَر الناس، ثم الأكبر من ذلك الطعن في المرأة المُحصنة الغافلة، فما البال في الطعن فيمن اصطفي الله على نساء العالمين. فلقد أخرجها لهم بآية وأخرج من بعدها يحيى بآية ثم أخرج عيسى بآية فوق جميع الآيات. ومريم قد نشأت في عبادة الله تعالى وتحت عينيه وإشراف زكريا عليها ورأوها تكبُر أمامهم في غاية الطّهر والعفّة، ليؤهلها الله تعالى لحمل من يحمل الرسالة. وبعد ذلك يتهمونها بهتاناً وكفراً. فما بقي سوى أن يؤمن الناس بعد أن رأوا الآيات، ولكن، هل هم يبصرون! فكل من يقول على مريم كلمة غير الحق الذي نزل من عند الله تعالى فهم أناس يفترون عليها الكذب وخارجون على الدين ولو كانوا حاجين صائمين مصلين، لأنهم كذّبوا ما أنزل الله العليّ العظيم.

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ النساء

يسخر الله تعالى من هؤلاء الذين ادّعوا أنهم قتلوا المسيح، وهو ما كان واضحا في العهد الجديد فيما تقدم. ويؤكّد أنّهم لم يقتلوه ولم يصلبوه ولكنه شُبّه لهم. أي أن الله بالقدرات الخارقة التي تفوق قوى العقل البشرى، والذي لا يمكن لأحد الوصول إلى مقدار ذرّة منها، قد قام بانتشال نبيّه ورسوله الكريم منهم وجعلهم يتيهون في مسعاهم في صلبه، كأحد الآيات التي يُقدمها الله تعالى على مرّ الأزمنة.

وكيف يتعجب الإنسان من ذلك، ولا يتعجب أكثر أنه مخلوق من العدم! ويتساءل البعض كيف حدث وبأي طريقة! وهل سبق أن أطلع الله العبد على شئ إلا حسب القوانين التي وضعها هو؟ وما الإنسان إلا جزءٌ من الكون والذي يخضع للقوانين الربّانيّة، فالإنسان لم يَخْلُق أيّ من القوانين إنما هو يتبعها وليس له أن يعيش بغيرها.

ومن العجب أن الذين يعتقدون أنهم تابعي المسيح يبالغون في تَعْلِيته ويَدّعون أنه ابن الله،



ولا يَصِلُون إلى مقدار ما أعطاه الله من العُلا والكرامة. والتي منها أنه لم يمسه سوء وأن الله رفعه إليه يحفظه ويكرمه إلى وقتٍ هو بالغُه.

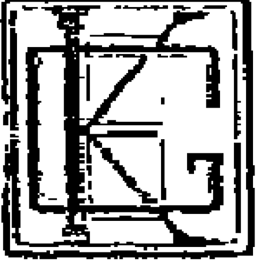
كيف ذلك؟ هذا ليس للإنسان أن يعلمه. وإلاّ فكيف الرّوح وكيف الخلق وكيف الموت وكيف البعث وكيف وكيف. وهذا ما لا نهاية له. المؤمن يُؤمن ولا يَسأل، يَخشع ولا يَظن إلا حَسَنا، يُصلّي ويعلم أن الله ليس بحاجة إلى صلاته.

والحقيقة أن الكثير من المجتهدين أرادوا أن يصلوا للحقيقة في الغموض العظيم الذي أحاط مسألة الصّلب. ولكن ذلك لا يفيد في قليل ولا كثير. الله رفعه وأنقذه وهذا ما أخبر به في القرآن الكريم، وليس أمام من يريد الإيمان سوى أن يُؤمن، وهو يؤمن بوجود الله ولم يره. نَتَساءَلُ فنَضِل ونَغْوَى.

ولا فائدة أبداً من وراء ذلك، فستشرق الشمس كل صباح وسيحل الليل كل مساء ولسنا نعلم ما هي القوة العظيمة التي تدور بها الأرض حول نفسها. ثم هنالك ما هو أعظم (والشمس تجرى في مستقر لها) فمعرفة الإنسان لا شئ بالمقارنة بمعرفة من خلق المعرفة. فالكل مخلوق ويجب عليه الإيمان والتسليم لله وحده سبحانه والغيب.

*** إن نهاية بقاء المسيح على الأرض معجزة إلهية كريمة والله ينشئ الخلق ويجعل ما يريد، والأسرار التي أحاطت بحياة سيدنا المسيح قبل الرسالة وعند صعوده هي في علم الله . ولو كان أحد من الصادقين قصّ عنها شيئا أو تابعها لأُخذ به ولكن الناس يقعون في تكهنات لا سبب لها. والكنيسة الأرثوذكسية تعتبر أن موت المسيح على الصليب إحدى أسس قيامها (الكنيسة)،وأنه صُلب ومات على الصليب وفي اليوم الثالث قام من الأموات، وأنه رُفع إلى السماء بالجسد وجروح الصلب بيّنة عليه، وأنه ظهر لتلاميذه ورأوه وتحدثوا إليه بعد أن قام وقبل أن يُرفع. وبعض الفرق المسيحية تعتقد أن المسيح هو الله وأنه نزل على الأرض ومات على الصليب من أجل خطايا البشر.

وفي إنجيل برنابا والذي وُجد في وقت متأخر، أن الله ألقى شبه عيسى على أحد المؤمنين به وأنه رُفع من فتحة من السقف بعد العشاء الذي كان في عيد الفصح وقبل دقائق من وصول أعدائه للقبض عليه. وبعض الفرق المسيحية الأولى كانت تعتقد أن المسيح لم يُصلب ولم يمت على الصليب وإنما وجوده أمرٌ مسلّمٌ به غيبا.



والباسلديين يعتقدون أن أحداً آخر قد أُخذ مكان المسيح على الصليب بعد أن شبّه به وأنه مات بدلا عنه على الصليب ولم يكن المسيح عليه السلام هو الذي صُلب.

والكلمة المارسونية (حوالي سنة ١٣٨ بعد الميلاد) لم تعترف بأن المسيح قد وُلد وفقط أنّه قد ظهر في صورة آدميّة.

وأما تعاليم القرآن الكريم أن المسيح لم يْصلب ولم يُقتل على الصليب، وأن الله بالقدرة الخارقة، قد جعلهم يظنون أنهم قتلوه، وأن ما قاموا به في شأن التشهير به والإهانة التي أهانوه بها قبل الصلب، لم يكن سوى قوّة خارقة من الله سبحانه حتى يعتقدوا أنهم قتلوه.

وبعض علماء المسلمين الأولين يعتقد أن المسيح لم يمت فيزيائيا ولكنه رُفع بجسده إلى السماء وما زال حاضرا في السماء بهيئته الكاملة.

في حين أن البعض الآخر يعتقد أن الله إنما أنامه إنامة طويلة وأنه رُفع في هذه الحالة إلى السماء وأنه لم يقع في أيدي أعداءه، وأن الله شرّفه بذلك تشريفا عظيما كرسول الله في الأرض، وحفاظا عليه حتى يعاود إرساله في حينه.

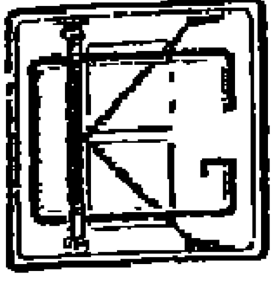
وذلك كله في علم الغيب، والله تعالى أعلم بالحق، وما على الناس سوى التسليم له سبحانه فله يرجع الأمر كله من قبل ومن بعد.

(ترجمة معدلة من ملاحظات الإمام العلاّمة: عبد الله يوسف على– عن الإنجليزية)

ليس على الإنسان إلاّ التسليم الكامل لقدرات الله تعالى. وليس الاجتهاد محرّما ولكنه لا يقود إلى شئ من العلم النافع. وحتى إذا توصل المجتهدون إلى الحقيقة الكاملة وعلموا، وهذا غير مستطاع، ولكن حتى إذا علموا فسيستمر الناس على غير هدى. هم لم يهتدوا عندما كان بينهم فما القول وهو ليس سوى ذكرى ضائعة.

والمسيح قال للنساء اللاتي بكينه، حسب ما جاء في العهد الجديد في كتاب لوقا، وهم آخذوه للصلب:

*** "يا بنات أورشليم، لا تبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن. لأن هوذا أيّام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثديّ التي لم تُرضع. حينئذ يبتدئون يقولون للجبال أسقطي علينا، وللآكام غَطّينا. لأنه إن كانوا بالعود الرَّطب



يفعلون هذا فماذا يكون باليابس.

وفي الأيام الحاضرة قد ثبت بالعلم والعمل أنه من المستطاع غسل عقل الإنسان، وجعله يؤمن بشيء لم يكن ليصدّقه وهو في حاله الطبيعية. أفليس الله قادر على ذلك!

ولقد توصل العلماء إلى ما يسمى(Simulation) وهو وضع تصوير كامل لحوادث لأشخاص كاملين في تشخيص كامل، بحيث لا يقول إنسان أن هذا لم يكن، وكأنهم يحضرون مسرحية إنما من واقع الحياة، ويعتقد الإنسان أنه حدث فعلا. أليس الله قادر على ذلك! وإثبات أن المسيح رسول الله تعالى ونبيّه من العهد الجديد كتاب متّى (إصحاح ١٢ فقرة ١٥):

*** وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا، وأوصاهم أن لا يُظهروه. لكي يتم ما قيل بإشعياء النبيّ القائل، هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سُرّت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق. (انتهى). ولكن في النسخ القديمة للعهد الجديد لم يستخدموا لفظ فتاي، إنما عبدي. وفي اللغة الإنجليزية:

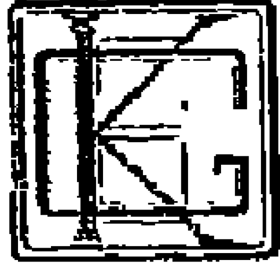
Here is my servant whom I have chosen, the one I love, in whom I delight.

وتعبير – عبدي – عند الله هو رسوله ونبيّه، وهو باللغة الإنجليزية Servant. والمقصود أنّه مهما حوّروا وأرادوا تغيير شئ، فقد دلّت عليه ألفاظ التغيير والتحريف الغير حميدة.

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ مريم

إذا كان هؤلاء من الناس يفترون على الله تعالى الكذب وعلى رسوله عيسى عليه السلام، ويعتقدون أنهم بذلك إنما يُشرّفون عيسى، فإن تشريف الله تعالى له أعظم وأجل وأحق. فهو عبد الله ورسوله ونبيّه ولقد رفعه الله إليه وهو من الصادقين الذين لا يقولون إلا ما أمرهم الله به. فهل تشريف أعلى من ذلك؟

ومن ادعائهم أن عيسى ابن الله فإن السماوات تكاد أن تتمزق وتتمحي خوفا من قولهم



ورهبة من الله، وتكاد الأرض أن تنفجر وتتحلل وتسقط الجبال من هول ما يدّعون. فالسماوات والأرض ستحضر الشهادة يوم القيامة وسيشهدون بقدرة من الله. فسيشهدون الكذب على هؤلاء، فكيف سيلفظون هذا اللفظ السقيم في شهادتهم. ولا يستقيم لله أن يتخذ الولد. هم يعتقدون أنهم يرفعون من مقام المسيح مبالغة منهم في ذلك، والمسيح غنيّ عنهم وعن تكبيرهم له. فله الله عليهم. ولا يعلمون أنهم بذلك يُحطّون من مقام الله تعالى وينزلون به إلى مستوى التكاثر، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا وغضب عليهم.

ولذلك قال سبحانه:

إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ مريم

وهذا وعد من الله تعالى أنّ ليس في السماء ولا في الأرض سوى خلق خلقهم وهم عبيده فمنهم من عبده ومنهم دون ذلك، وهو أعلم بما في صدورهم، ولقد أحصاهم وعدّهم عداً ولن يُفلت منهم أحداً. والأعظم من ذلك أنهم سيقفون بين يدي الرحمن تعالى، الجميع أمام الله الحق وهم فُرادى، كأنهم كل فرد وحده.

لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ مريم

وهذا لا بد واقع في يوم الحشر أعاذنا الله منه، وسيشعر كل فرد أنه أمام الله قادم إليه وحده سبحانه فردًا – فردًا في آن واحد.

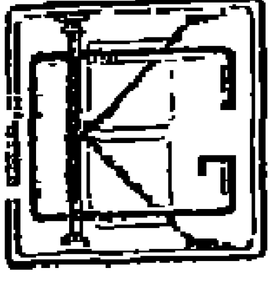
فليفكّر الناس فيما يقولون، فهذه القدرة الإلهية، فما بال الإنسان الذي يعتقد ذلك لا يصدّق ما أنزل الله، أو أن يصدّق بعضا ويُنكر الآخر.

أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ البقرة

وقد قال الله تعالى:

لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴿٦٤﴾ يونس

وهم يُؤمنون بذلك على حسب ما ذُكر في العهد الجديد، (كتاب متى، إصحاح ٥ فقرة ١٧،١٨):



*** "ما جئت لأنقض بل لأكمّل، فإني الحق أقول لكم، إلى أن تزول السّماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس."

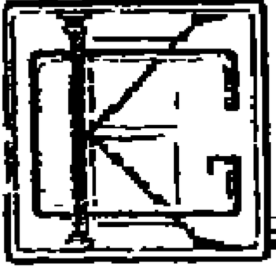
وغضب الله العظيم من ذلك غضبا شديدا وأنزل حواراً افتراضيًّا مُسبّقا مع عيسى ابن مريم يطلب منه فيه شهادته على أمّته ومن قال عليه أنه ابن الله أو على مريم أنها أم الله.

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ المائدة

ففي هذا الحوار الافتراضي الآن والواقع في يوم القيامة، يسأل الله تعالى رسوله، وهو أعلم بما كان، هل هو قال ذلك للذين أرسله إليهم، يريد شهادته، فيجيب الرسول الكريم، أن كيف يكون ذلك لي، وأنت يا رب تعلم ما قلت لهم، هو يُشهد الله على ما قاله لبنى إسرائيل. وليس له أن يقول إلا حقًّا وكما أمره الله تعالى به. اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً هو ربّي وربّكم، الواحد الأحد الصمد، الذي ليس كمثله شئ. وأنه كان قائم على ذلك إلى أن توفاه الله تعالى ورفعه إليه، فعند ذلك كان الله تعالى هو الشهيد عليهم. ثم يتضرع إلى الله تعالى شفقة على من صدّق به.

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ المائدة

وتلك هي حدود الشفاعة. الرجاء إلى الله تعالى بأن لا يُعذّب الصّادقين من عبيده الذين صدّقوا الرسول وتبعوه، فيغفر الله لهم بتصديقهم لنبيّهم، ويدخلهم الجنات، وهذا هو رضا



الله تعالى عليهم فأرضاهم بما خبّأ لهم من النعيم الدّائم، فهو مالك الملك بيده مفاتيح الأمر كلّه. أما من لم يصدّقوا الرسول ولم يتبعوه فالأمر مختلف.

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(١٧) المائدة

يُشير الله تعالى إلى مدى الكفر في ادعاء أن المسيح هو الله، ويدعهم يتساءلون أليس الله بقادر على هلاك من في الأرض جميعا، فهو مالك الأمر جميعا في السماوات والأرض، وكل شئ في الوجود من صنعه وخُلق لعبادته. فكيف يتسنى أن يكون إله غيره. يرسله رسولا بآيات من عنده فلا يصدّقونه، ومن يصدّقه يعبده ويحسبه إلها!

مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

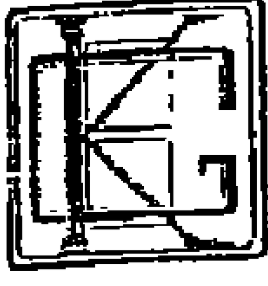
(٧٥) المائدة

هو رسول من عند الله، ولقد أرسل الله تعالى من قبله الرّسل والأنبياء وكلٌّ أدّى رسالته، وهاهو وأمّه الصّدّيقة كانا يمشيان في الأسواق للمبايعات ويأكلان الطعام كبقية المخلوقات وفي ذلك آية ودلائل أنه ليس الله. تعالى الله عن ذلك سبحانه.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

(٥٩) آل عمران

لقد خلق الله تعالى آدم من تراب وذلك من غير أب ولا أم، ثم خلق حوّاء من ضلع آدم ومن غير أم، ثم خلق عيسى من امرأة ومن غير أب. وكل ذلك بقوله للشيء كن فيكون. فما وجه العجب! الله يخلق ما يشاء وكيف يشاء سبحانه له في ذلك الحكمة العليا. فإذا أراد أن يُرسل للناس آيةً، أفيكفر الناس به بدلا من أن يؤمنوا ويزداد إيمانهم! وكيف يؤمن من



يؤمن ولا يصدّق آيات الله تعالى؟

- تأكيد المسيح (عليه الصلاة والسلام) وحدانيّة الله العظيم المتناهية. +

وهذا من العهد الجديد. (كتاب متى)

*** فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنّه أجابهم (المسيح) حسنا، سأله أيّة وصيّة هي أوّل الكل. فأجابه يسوع، إن أوّل كلّ الوصايا هي، اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌّ واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. (بكلمة الأولى يُقصد الأولى في الأهمية) وذلك أوضح في اللغة الإنجليزية:

One of the teachers of the law came and heard them debating. Noticing that Jesus had given them a good answer, he asked him, "Of all the commandments, which is the most important one?" "The most important one," answered Jesus, "is this: {Hear O Israel, the Lord our God, the Lord is one. Love the Lord your God with all your heart and with all your soul and with all your mind and with all your strength.}

وهذا يوضّح تماما بما لا يدع مجالا للشك في أن المسيح ما قال عن نفسه ما ينسبون إليه، وأن الله واحد لا إله إلا هو ليس له نظير ولا معين وهو القويّ على كل شيء ووكيل عليهم جميعا، وهذا من كتابهم الذي يقرؤون وبه يؤمنون. فالحمد لله الذي أطلعنا على ذلك وأخبرنا عن كل شئ وهدانا من الضلال وأعلمنا بذلك.

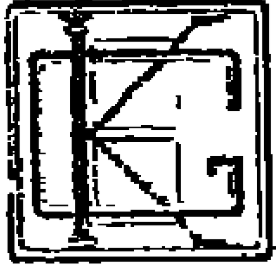
مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

المائدة

- **ما قاله المسيح عن النبيّ** (عليهما الصلاة والسلام):

*** إن كنتم تُحبّونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم مُعزّيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. **روح الحقّ**. (يوحنا إصحاح ١٤ فقرة ١٥-١٦-١٧)

فمن وصايا المسيح التي طلب منهم ألاّ يُخالفوه فيها هي التنبّؤ بالنبيّ عليهما الصلاة والسلام.



*** ومتى جاء الْمُعزّي الذى سأُرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. (يوحنا الإصحاح ١٠ فقرة ٢٦-٢٧)

والْمُعزّي معناها في النص الإنكليزي (Counselor) وهي تعبير عن نصح الأنبياء لقومهم وهي أصلا مأخوذة عن الترجما ت الأخرى من الرومانيّة والإغريقية و الأراميّة وهي اللغات الأم للإنجيل والترجمة عن اللغة الإغريقية أصلا تعنى (أحمدا) صلى الله عليه وسلم.

*** لكني أقول لكم الحق، إنّه خير لكم أن أنطلق لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم الْمُعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يُبكّتُ العالم على خطيّةٍ وبرٍّ وعلى دينونةٍ. أمّا على خطيّة فلأنهم لا يُؤمنون بي وأما على برٍّ فلأنني أذهب إلى أبي ولا تروني أيضا، وأمّا علي دينونة فإن رئيس هذا العالم قد دِينَ.

(يوحنا إصحاح ١٦ فقرة ٨-٩-١٠-١١)

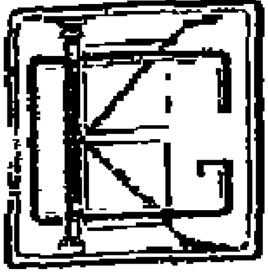
لأنه لن يجتمع الرسول النبيّ عيسى ابن مريم مع الرسول النبي وخاتم الأنبياء محمد عليهما الصلاة والسلام في الحياة الدنيا ولا ينبغي لهما ولذلك فهو يتعجّل الذهاب في رحاب الله عزّ وجلّ حتى يتسنّى للنبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبا لديهم في التوراة وفي الإنجيل، الحضور بالكتاب الأم العظيم وهو الرسالة الحق الكاملة والخاتمة للرسالات في القرآن الكريم ولأن رسول الله عيسى عليه السلام سيعود حاملا وحاميا لتلك الحق الرسالة المجيدة. ولا شك أبداً في أن القرآن المجيد قد بَكّت كل من قال عن المسيح عيسى ابن مريم كلاما غير صحيحا وأوّله من يدّعي أنّه على مِلّة المسيح والمسيح ابن مريم هو على ملّة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وما كان كافرا أو مشركا إنما حنيفا مسلما.

*** الذى يُؤمن بي ليس يُؤمن بي بل بالذي أرسلني. (يوحنا إصحاح ١٢ فقرة ٤٤)

ما قال المسيح عليه السلام عن الساعة.

*** وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء. انظروا واسهروا وصلّوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت.

كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله، وأوصى البوّاب أن يسهر. اسهروا إذاً، لأنكم لا تعلمون متى يأت ربُّ البيت، أمساءً أم نصف الليل أم صياح



الدّيك صباحا، لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياما.

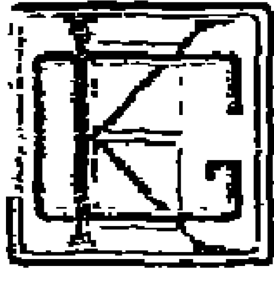
*** فالشمس تُظلم والقمر لا يُعطى ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السماء تتزعزع. (مرقص)

ولكن ما الفائدة التي تتأتّى للإنسان من العلم بموعد الساعة! فهو لا يعلم موعد ساعته هو، والتي قد تأتي بغتة وهو في جرمه وبُعده عن الله. فساعة كل إنسان هي نهاية حياته بالموت. فليتب إلى الله تعالى ويستغفره من جميع عمله وليقيم الصلاة ليلا ونهارا، فهو لا يعلم متى تكون ساعته. أما عن الساعة الكبرى فماذا يفيد الإنسان علمها، فلإن كانت بعد ألف سنة، فإنها بعيدة عليه وهو لن يعيش هذا القدر ليراها، وإن كانت الآن فقد فات عليه أوان التوبة إذا علم بها.

وعدم المعرفة بالساعة هو رحمة من الله تعالى على العباد، إذ أن الله يقبل التوبة من العبد ما دام ذلك قبل أن يرى ملك الموت، ولو علم الإنسان ساعته ما كان ليتوب إلا قبل أن يموت بلحظات ولم تكن توبته مقبولة. وإن عدم علمه بها يُقرّبه من الله تعالى، فينيب إليه ويُصلّى ويصوم ويعمل العمل الصالح، خوفا من أن تكون ساعته عن قريب، فتقبل توبته حتى وإن مات من لحظته. فسبحان الله العلي العظيم.

بعد الصّلب: بعد ما سُمِّيَ بحادث الصلب، انتشر التلاميذ في جميع الاتجاهات حاملين معهم دعوة رسول الله. فكانوا رسل رسول الله إلى العباد. ولقد أدّوا رسالتهم حق الأداء. وكانوا رجالا تملأ نفوسهم محبّة الله ومحبّة نبيّه عيسى ابن مريم عليه السلام. ولقد أثبتوا أنهم رجالا عظماء في مواجهة هذا الاضطهاد الذي واجه كلاّ منهم. وأخذوا في نشر دين الله القويم، وأخذت الناس في الدخول في الدين.

وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ



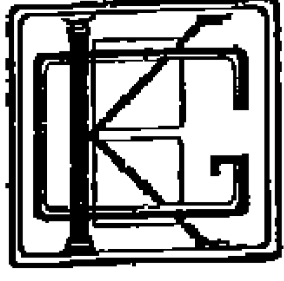
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ النساء

ولكن لم يكن اليهود أن يتركونهم وشأنهم. فقد حاولوا دائما الدخول في الدين حتى يغيّروا فيه. فغيّروا كلمات الله وضاعت مع الأجيال. وذلك بعد أن ترك هؤلاء الرجال العظماء هذه الدنيا الفانية، ولجأوا إلى بارئهم ليكافئهم على ما قدّموا من معروف. وسيعاود الله تعالى إرسال سيدنا المسيح عليه السلام مرة ثانية إلى الأرض في آخر الزمان وسيكون نزوله من إحدى علامات اقتراب الساعة. وهذا ما نحن موعودون به إن شاء الله على لسان سيدنا محمد رسول الله وحامل القرآن الكريم صلى الله عليه وعلى جميع أنبيائه وسلم تسليما كثيرا. ووعد الله أن الجميع سيؤمنون به قبل موته أي موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ مريم

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ مريم

وصدق الله العظيم



- **كتاب محمد** (صلّى الله عليه وسلّم). +

مكة المكرمة.

تأسست مكة المكرمة عندما هاجر إليها إبراهيم عليه الصلاة والسلام مُهجّرا إليها إسماعيل عندما كان وليدا، وأمّه هاجر عليهما السلام. وكان هذا المكان الذي أرشده الله تعالى عليه وهداه إليه. تركهما إبراهيم في هذا المكان المقفر الذي وصفه الله أنه وادٍ من غير ذِي زَرْع . وبعد عدد من السنين غير معلوم، عاد إبراهيم لزيارة تركته في الصحراء، حيث قاما سويّاً، هو وولده إسماعيل، على بناء البيت العتيق، الكعبة المشرفة. وتأسست مكّة حول البيت العتيق من قبل أن يُبنى البيت، إلا أن البقعة المقدسه كان قد بيّنها الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ الحج

***** عن عبد الله ابن عباس** (رضي الله عنه):

جَاءَ بِهَا (هاجر) إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا.

فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ،

"يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ."

فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ،

"أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟" قَالَ، "نَعَمْ." قَالَتْ، "إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا."

ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:

رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ إبراهيم



وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ.

فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا، أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ. حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاس:

قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)،

"فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا."

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: "صَهٍ." تُرِيدُ نَفْسَهَا – ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ:

"قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ."

فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ "بِجَنَاحِهِ" حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ. فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاس:

قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

"يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا."

قَالَ: "فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا. فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ:

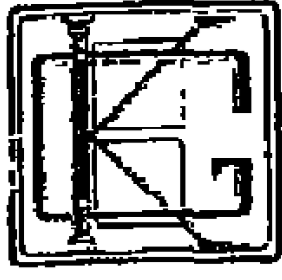
"لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلاَمُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ."

وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ.

فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ. فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا:

"إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ."

فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ. فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا.



قَالَ: وَأُمّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ. فَقَالُوا،

"أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ." فَقَالَتْ،

"نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ." قَالُوا،

"نَعَمْ." قَالَ ابْنُ عَبَّاس:

قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

"فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ."

فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ.

ثُمّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ (أي إبراهيم عليه الصلاة والسلام) ثُمّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ.

فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمّ قَالَ:

"يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ." قَالَ،

"فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ." قَالَ.

"وَتُعِينُنِي!" قَالَ، "وَأُعِينُكَ." قَالَ:

"فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا."

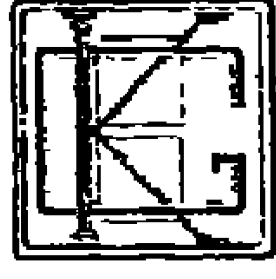
وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا.

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولاَنِ:

قَالَ فَجَعَلا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ:

رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ البقرة

الحديث السابق عن ابن عباس. (صحيح البخاري)



وبعد الانتهاء من بنائها أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم بالنداء لحج البيت العتيق. وأصبحت مكة محط أنظار الجميع منذ هذا الوقت. وأصبح الحج من أساس دين سيدنا إبراهيم الحنيف، دين الله القويم. وأصبحت الكعبة المشرفة مقصد الجميع للقيام بمناسك الحج. ولقد قام سيدنا إبراهيم بالحج وأداء المناسك جميعا هو وجميع ولده وأهل بيته من بعده.

وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) الحج

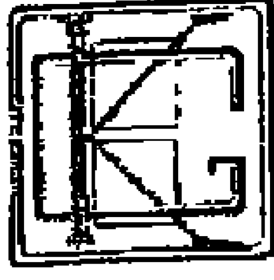
وكان هذا هو الأمر بأذان الحج. فإن إبراهيم يُؤمر بالأذان أي النداء، فكيف كان النداء في هذا الزمان! أوحى الله تعالى إليه أن ناد به حيث أنت وسنجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم. وليس ذلك فحسب، بل سيأتون رجالاً أي مشياً على الأرجل وسعياً. ثم هم سيأتون على كل ضامرٍ، أي على كل وسيلة للنقل ستكون مذلّلة للوصول لأداء الحج. فسبحان الله العظيم الذي أعلم نبيّه وأعلمنا عن وسائل النقل، وأنها لن تُقتصر على الحيوان. وأنهم سيأتون سعيًا من كل فج عميق، أي من أي مكان كانوا فيه مع بعد المسافة ومشقّة التّرحال.

ويُذكر أنّ إبراهيم عليه السلام قال: "يا رب كيف أبلّغ الناس وصوتي لا ينفذهم." فقال: "ناد وعلينا البلاغ." فقام على مقامه وقال:
"يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجّوه."

فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك. (مختصر عن ابن عباس وأوردها ابن جرير وابن حاتم)

لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ (٢٨) الحج

لأن في الحج ما ينفع الناس من خلاص أنفسهم من الذنوب، والتوبة إلى الله العزيز الحكيم، وبرحمة من الله تعالى الذي يُحب أن يُذكر اسمه في أيام معلومات، بكثرة الصلاة والذكر فيها، فهي أحب أيام الله إليه.



ثم ليشكروا الخالق الذي أعطاهم الرزق الوافر في بهيمة الأنعام. وهي الثروة التي ذللها الله تعالى لعبيده في الأرض. وأمرهم أن يأكلوا منها لأنّها الرزق الطيب المحمود، وأن يُطعموا الفقير المسكين الذي لا شئ له. فهم من عباد الله الذين يختبر الله بهم عباده الذين يسّر لهم رزقا أوفر، والعطاء هو رمز الطاعة والوفاء.

ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ الحج

والله تعالى له الحكمة العليا في كل شئ، فهنا الناس تقضى ما توجّب عليهم من المناسك المتممة للدين الحنيف، في الضحيّة ووفاء النّذر، إذ أن النذر حلال إذا كانت في غير معصية الله وواجبٌ الوفاء بها. ثم يطّوّفوا بالبيت العتيق، إجلالا لله عزّ وجلّ وعبادة له وشكراً على النعم التي أنزلها وذللها للعباد، وهم لم يكونوا حاصلين عليها إلا برحمة من الله سبحانه.

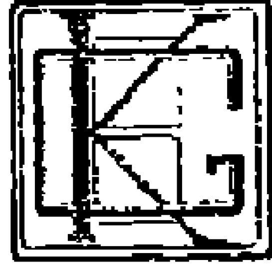
فالحج أقامه سيّدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبدأه ونادى إليه، وأصبح جزءاً من الشروط الواجبة في الدين الحنيف.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ آل عمران

وهكذا فرض الله على الناس حج البيت الحرام وأصبح أمل كل المؤمنين أن يقوموا بهذا المنسك الديني العظيم، حتى أن من بعض العلماء من أسمى الحجة الأولى هي حجة الإسلام وكأن من لم يحج فلم يكمل دينه إن كان قادرا على ذلك.

ولقد قام إبراهيم وجميع ولده بقضاء مناسك الحج، وأمرهم بالاستمرار عليه بعد رحيله. ففي العهد القديم في قصّة يوسف:

***   ثم أدخل يوسف يعقوب أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون. فقال فرعون ليعقوب، "كم هي سني حياتك؟" فقال يعقوب لفرعون، "أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة. قليلة ورديّة كانت سني حياتي ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في أيام غربتهم."



وبارك يعقوب فرعون وخرج من لدن فرعون. (العهد القديم سفر التكوين إصحاح ٤٧ فقرة ٧)

وهذا تحوير مقصود. إذ أنّهم كانوا يحسبون السنين بعدد سنين الحج. فهو عدد سنين حجي و عدد سنين حج آبائي. و لقد تغيّر ذلك في الزمن القريب في النسخة العربية لقصد غير واضح. إنما في اللغة الإنجليزية فالتعبير لا يزال كما هو:

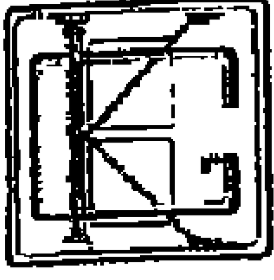
Then Joseph brought his father Jacob in and presented him before Pharaoh. After Jacob blessed Pharaoh, Pharaoh asked him, "How old are you?" And Jacob said to Pharaoh, "The years of my **pilgrimage** are a hundred and thirty. My years have been few and difficult, and they do not equal the years of the **pilgrimage** of my fathers. (Genesis 47:7,8,9,10)

وما كانوا يذكرون ذلك باللغة الإنجليزية ويكون غير صحيحا. ولكنهم غيّروه في اللغة العربية وليس من زمن بعيد ولا يعلم أحد لماذا كان هذا التغيير إن كان لا يهدف إلى الحق ولماذا يغيرون فيما يعتقدون أنه من عند الله!

فما كان ليعقوب عليه السلام أن يحسب سنين عمره بالحج إلا إذا كان مفروضا عليهم، ومحاولة تغيير ذلك إنما رجسها على من ارتكبها. ويجدر الذكر أن يعقوب إنما هو حفيد سيدنا إبراهيم، وقد عاصره وأبوه إسحاق.

ويعقوب هو النبيّ الذي بيّن له الله مكان البيت المقدس بعد أربعين عاما من بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة المشرفة. وبيت المقدس هو الذي أنشئ في وقت لاحق في زمن النبيّ سليمان ابن داود عليهما أفضل السلام. ولقد ظل الحج مذكورا من زمن سيدنا إبراهيم ولزمن طويل من بعده. وذلك على الرغم من أن دين سيدنا إبراهيم الحنيف لم يعد معروفا، وقد تبنّت الشعوب والقبائل عبادة الأصنام وابتعدوا عن دين سيدنا إبراهيم نسيانا.

ولكن الناس من الشمال في بلاد الشام ومن الجنوب في بلاد اليمن ومن الناس البدو والقبائل المحيطة، ظلّوا يقيمون الحج كل عام ويعلمون أيّامه ويقدسون حُضرتها. غير أن المناسك قد نُسيَت وحلّ مكانها كثير من الدواخل الغير حميدة. وكان الحج هو النّسك الوحيد الذي تتذكره الناس من مناسك الدين الحنيف. وظلّ الناس مقيمون على هيبة البيت، إلاّ أنّ الوضع قد اختلف. فموسم الحج بدلاً من أن يكون لله خالصاً، أصبح للمقابلة والتشاور والتجارة. فهناك عند الكعبة تُقطع العهود والمواثيق ويُتّفق على التبادل



التجاري والذي أخذ في الانتعاش.

وكان الناس يذكرون إبراهيم وإسماعيل والدين الحنيف، ولكن على غير هدى. وهذا على غير ما كان في الشمال من أهل الشام. فهناك تغيّر الدين وتغيّرت المناسك وهي التي الناس تتكالب على التمسك بها. والشيء الوحيد الذي يجتمع عليه الجميع من اليمن إلى الشام، هو الاحترام والتقديس لذكرى أنبياء الله الصالحين، إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب. فالجميع يُجلّ لهم الاحترام ويهاب ذكرهم. غير ذلك فكل شئ كان قد ضاع والناس قائمون على عبادة ما ليس له صلة بالله.

- **فترة ما قبل محمد** (صلّى الله عليه وسلّم). +

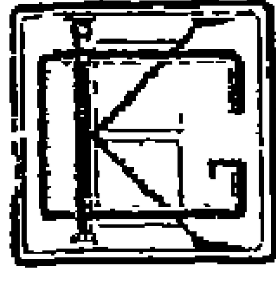
حدث بالتمام ما كان يحدث من قبل من غواية الشيطان للناس. فبعد رحيل هؤلاء الأنبياء الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب، مرّ الناس في أزمنة النّسيان وكان الشيطان متيقّظا لينتهز فرصة مناسبة. وهكذا عاد الناس إلى عبادة الأوثان وتفنّنوا فيها وبرعوا، حيث كان دين الله القويم دين إبراهيم الحنيف قد طواه النسيان مع طول الزمن وضعف الإيمان.

وهاجر بعض من اليهود من الشام إلى شمال الجزيرة العربية، وسكنوا واختلطوا مع العرب المقيمون بالجزيرة. ولقد وجد العرب في صحبتهم بعض الدفيء لأنهم من سلالة إبراهيم الذي تُعظّمه العرب تعظيماً كبيراً. أضف إلى ذلك ما أدخلوه من روح التجارة التي برع فيها اليهود. فنشطت التجارة إلى حدّ ما في الجزيرة العربية.

وبعض العرب الذين كانوا ينشطون في التجارة، كانوا يُسافرون في صحبة القوافل إلى الشام. وهناك تعرّفوا على الديانة المسيحية، ومنهم من دخل فيها، بعد أن وجدوا أنها أقرب إلى دين إبراهيم من عبادة الأوثان.

وعلى الرغم من وجود الدينين بين صفوف القبائل العربية في الجزيرة، إلا أنّ الغالبية لم تفكّر في الدخول في أيّ من المذهبين وظلّوا عاكفين على عبادة الأصنام، أو قبول البقاء على غير دين حيث لم يكونوا راضين عما بأيديهم من العقائد.

والشيء الأساسي هو أن الإنسان باستمرار في حاجة للاعتراف بقوّة خارقة يعبدها. ولو أن



الشيطان لم يقترب أو يَمَس الإنسان، لكان من السهل على الإنسان الوصول دائما لعبادة الله الحق. ولكن هذا أيضا هو قدر الله تعالى.

والمجموعات اليهودية التي استوطنت في الشمال وإلى جانبي مكة كانوا أكثر تماسكا مع بعضها البعض عن مثيلتها من المسيحيين. فقد كانوا يتزاوجون ويزوّجون من بعضهم البعض إلا القليل منهم. أما المسيحيون فغالبهم من أصل عربي اعتنق ملّة المسيحية، فكانوا يتزوّجون ويُزوّجون من العرب الذين على غير ملتهم.

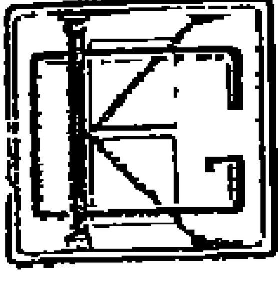
ولم يخترط العرب وعلى الأخص البدو منهم، في دين أيّ منهم، إلاّ أنّ تعاملاتهم كانت مفتوحة وبدون أيّة عوائق أو حرج. وكلّ من اليهود والمسيحيين كانوا يتحدّثون عن قرب مبعث نبيٍّ هذا وقته. وأن أيّ منهما سيسارع إلى تصديقه ونصرته. وكان هذا هو سبب وجود اليهود في هذه الصحراء في المرتبة الأولى. وفي ذات الوقت كان أهالي المنطقة يتحدثون عن دعوة أبيهم إبراهيم وإسماعيل أثناء بنائهما الكعبة بان:

رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ البقرة

كل ذلك كان معلوماً ومحفوظاً في ذلك الوقت والجميع في حالة انتظار لاستجابة الله تعالى لدعوة أبيهم إبراهيم.

ولقد برع العرب في هذه المنطقة في الأدب العربي، وخاصة الشعر العربي في الشجاعة والغزل. ولقد برع الكثير منهم في علم القضاء ودراسة الفَلَك، والكيمياء والطب والحساب، ودرسوا حركة النجوم في الفضاء. وكان التعامل بين القبائل المختلفة قائم على الشرف وعلى الاحترام فيما بينهم. وعلى الأخص احترام كبيري القبائل وأسيادهم. وكانت جميع القبائل من اليمن إلى شمال الشام في علاقة قرابة، سواء بالقرابة أو النسب. وهذا منع نشوب حروب كبيرة بينهم. ولكنه لم يمنع من أن تقوم حروب صغيرة بين القبائل بعضها البعض. إلاّ أنّها كانت حروبا محدودة وسرعان ما يتدخّل العُرف القبائلي لفض النزاع. والتجارة كانت أهم أسباب وقف الحروب التي تنشب وكراهية ذلك.

وكانوا يتبادلون التجارة ويتزوّجون من بعضهم البعض في كل فخر واعتزاز وهم يعتزّون



جدًا بالنسب والعلاقة العرقية ويتفاخرون بها. وكثير منهم كان على علم بأنساب القبائل. وعلمتهم معيشة الصحراء الجافة على التعوّد على صعاب الحياة والتعامل مع الصحراء ومناخها القاسي والصبر على النوائب.

وكثيرون منهم رفضوا الدخول في الديانات الأخرى ومنهم من رفض عبادة الأصنام وتنزّه وأستمر بلا دين أو ملّة حيث لم يقتنع بأي من الديانات.

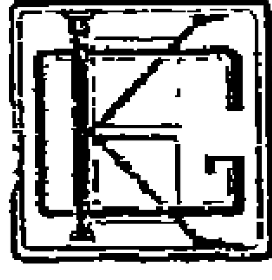
والموقع الجغرافي لمكة أعطاها أهميّة بالغة بين الشعوب والقبائل. فإلى شمال الجزيرة تقع بلاد الشام، وكانت تحت الحكم الروماني. وكانوا يطلقون على الحاكم لقب هرقل ونسبتة إلى قيصر روما. ولقد كانت قوّة الرّومان شديدة وذات بأس. وإلى الجنوب كانت اليمن، وهي بلاد خير وبركة، وكانت تحت حكم الحبشة، والتي تدين بالمسيحية، وعليها حاكم من الحبشة. وكانت الحبشة في حكمها تابعة إلى سلطان الرّوم، إلا أن ذلك كان شكليّاً فقط. وإلى الشرق بلاد فارس الغنية وذات البأس الشديد، والتي كانت تحكم نصف عالم ذلك الزمان، وكانوا على عبادة النار.

ولم يحفل الروم أو أهل فارس بالجزيرة العربية أو يُبدوا أيّ اهتمام بها. إذ هي بلاد صحراء جرداء وليس بها من الخيرات ما يستدعي أطماع القوّة، وكذلك اليمن وإن لم تكن بغنى أيّ من الروم وفارس، إلا أنها كان لديها ما يكفيها وتُعتبر من البلاد الغنيّة في ذلك الوقت لما فيها من خيرات.

وكان الجميع لهم أنساب مع جميع القبائل من الجنوب في اليمن إلى الشمال في الشام. وكل قبيلة تعتزّ بمنشئها ونسبها وتحفظه. فكان التعامل بين القبائل ميسوراً وعلى الأخص أنهم جميعا يتكلمون لغة واحدة. وباختصار، فإن المنطقة كانت تعيش في هدوء تام، ونوع من السّلام العرفيّ، والقائم على الشرف وعدم الكذب. وكانت الحريّة في العيش وحريّة اختيار المكان وحريّة الكلمة هي أساس معيشتهم ومنهاج حياتهم. يستطيع الإنسان أن يعبر عما في نفسه بدون الاعتداء على الآخرين.

• غزوة الفيل. +

كانت اليمن خاضعة لحكم الحبشة، وكانت تحت حاكم حبشيّ محارب شديد البأس. ولاحظ هذا الحاكم أنّ كثيرًا من قومه يتجهّزون في وقت معيّن من كلّ سنة، للرحيل صَوْب



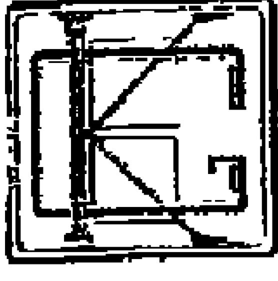
مكّة لقضاء الحج وتداول التجارة. فاغتاظ جدّا من ذلك، وقام بإنشاء مبنى كنائسيّ هائل وعلى أحسن ما يكون. ثم دعا الناس أم يحجّوا إليه بدلاً من الذهاب إلى مكّة. فكان ذلك أول مسمار في نعشِه وقدَرِه.

لم يستمع الناس إلى ندائه، واحتقروا منه تدخّله في معتقداتهم ومنعهم من زيارة البيت العتيق في مكّة، والذي وإن كانت الديانة الحنيفيّة منسيّة، إلا أن البيت ما زال مهيباً ومكّة لها شأنها ومكانتها بين الأمم. وقام بعضهم بإخراج ما يُخرج المرء من القاذورات في البيت الذي بناه الملك دلالة احتقارهم له. عندها علم الملك الجبّار أنه لن يستطيع أن يرغم أهل اليمن على عدم الترحال إلى مكة، وأخذ في جمع المكيدة.

ثم وسوس له الشيطان، فما كان منه إلاّ أن جهّز جيشاً عَرَمْرَماً له من القوّة شئ كثير، مُدجج بالسّلاح ومعه المجانيق والخيل، وله من الهيبة ما يمنع القبائل عن التعرّض له. وفوق كل ذلك جهّزه بفيلٍ من الفيلة الكبيرة المُذلّلة على هدم الأبنية. وبعد ذلك أعلن مسيره إلى مكّة ليهدم البيت العتيق، والذي يحج إليه الناس تاركين أمر البيت الذي أنشأه الملك من أجل تغيير ما لهم من معتقدات. كان يسير في الصحراء بجيشه الرّهيب فتعلم به القبائل فيهربون من أمامه، هيبةً وخوفاً. فكان ذيعه وأمره سابق إلى أهالي المناطق التي يصلها، ومنهم من صالحه وأرشده الطريق إلى مكة. وبلغ الأمر مكة فباتت تترقب وصول الجيش الذي لا يستطيع أحد صدّه أو الجمع على ملاقاته. وقلوبهم وَجِلةٌ من الأمر العظيم الذي بصدد أن يصير ولا مَفرّ.

وأخيرا وصل العسكر وأخذ الجيش موقفا خارج مكة وأرسل الملك يستدعى وُجهاءها. فذهب إليه وفد يرأسه رجل، هو عبد المطلب ابن هاشم، وهو شيخ مكّة وله هيبة وجميل الصّورة وحَسَنُ الخلق ويحترمه الجميع.

واعتقد قائد الجيش أن هؤلاء سيستعطفونه ويرجونه ألاّ يُقبل على ما هو قادم عليه. ولكنّه فوجئ بعبد المطلب يخبره بأن جنوده قد استولت على إبل له، والإبل أساس الثراء في الصحراء، وهاهو يطلب استرجاعها. وسقط في يد القائد، وأخبره أنه حين أوّل أن لاقاه وَقّرَه واحترمه، وأمّا الآن فقد نزل من عينه، إذ بدلا من أن يطلب منه العودة وعدم التعرّض للبيت هاهو يطلب منه إخلاء سبيل الإبل التي استولت عليها العسكر والتي



يمتلكها!

وأجابه عبد المطلب في هدوء الشيخ الوقور، أنّه هو ربّ الإبل فهو يطلبها، وأما البيت فله ربّ يحميه، وهو سيطلبه. ويا لها من إجابة عظيمة من شيخ مُبَجّل. ثم طلب منه عبد المطلب مُهلة قصيرة يُخلي فيها مكة من أهلها.

وأُخليَت مكة من أهلها في الصباح الباكر، ولجئوا إلى الجبال حول مكة عملاً بنصيحة عبد المطلب لهم، والجميع قلوبهم ونظرهم إلى البيت وماذا سيكون من أمره أمام هذا الجبار الذي لا يرتدع.

ثم أمر القائد الجيش بالتحرك لدخول مكّة. وبَرَكَ الفيل لا يُريد حراكاً. يضربونه ولا يتحرك ويأخذونه بالحسنى واللطف ولا يتحرك. ويُوجّهونه في اتجاه آخر غير اتجاه البيت فيشُبّ واقفا ويجرى معهم في سلاسة. ثم يُحوّلونه إلى الكعبة فيقف عن الحركة. فآذوه في خرطومه فأبى التحرك تماماً، ثم فجأة أخذ في الجري وحده في الصحراء لا يلوى على شيء. والعسكر في اندهاش عظيم من آمر هذا الفيل الذي كان مُذلّلا لأمرهم ويطيع الأمر في هدوء.

وعند ذلك جاءت جنود الله.

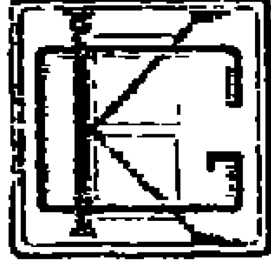
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ (٣١) المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ الفيل

جاءت الطير تحمل حجارة صغيرة ترميهم بها من كل صَوْب، وهي طير كثيرة لها صوت نفير من يعلن الحرب، لم يُرَ مثلها قبلها ولم يُرَ مثلها بعدها، فلا يقع من هذه الحجارة على الأرض واحد قبل أن يُصيب أحدهم.

وهي حجارة كبريتية عند مُلامستها لأجسادهم تبدأ الأجساد في الفوران من شدّة الأذيّة لها. وأخذت جلودهم تتساقط عنهم. وفرّ الجمع الكبير من الجيش المهزوم خائبا يجر



أذيال الهزيمة والخزي. وماتوا جميعا بخيبتهم إما في الصحراء عراةً تأكل لحومهم وحش البر والجو، أو عند وصولهم لأهل بلدهم حيث التشفي بهم أعظم ألماً. وماتوا جميعاً عن بكرة أبيهم. والعصف المأكول هو وسخ الحيوان الذي يخرج منه.

وكان البيت وما زال على مر الزمن له ربٌ يحميه. فسبحان الله رب العالمين.وعبد المطلب ابن هاشم هذا الشيخ الوقور وكبير مكة هو جد محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب. عدّة شهور بعد حادث الفيل وُلد محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

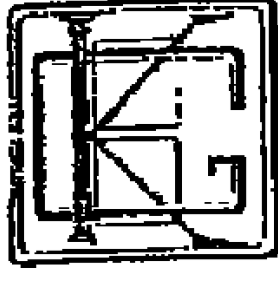
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ الأعراف

- **مولد النبي محمد** (صلّى الله عليه وسلّم). +

كانت قبيلة قريش، وهي التي تسكن مكة، أشرف القبائل ولها قدرها وعظمتها بين القبائل الأخرى سواءً في الجزيرة العربية أو خارجها. وتنقسم قريش إلى عدة بطون، ومنهم أبناء هاشم وهم أشرفهم. ومن هاشم كان عبد المطلب جد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وكانت القبائل جميعا يهابون قريش لعددها وعدتها ولإقامتها عند البيت وهم الذين يقومون باستضافة الحاج والضيف وإكرام الغريب.

قبل أن يولد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) بفترة قصيرة كان أبوه عبد الله ابن عبد المطلب في رحلة تجارة إلى بلاد الشام. وهو في طريق عودته مارًا بيثرب القبيلة، والتي فيها أخواله من بنى النجّار، أصابه المرض فجأة ومات ودُفن هناك. فوُلد محمد يتيم الأب. وكان عبد المطلب جدّه كبير قبيلة قريش فتبناه وهو الذي أسماه محمداً. وعلى الرغم من أن الإسم كان معروفا إلا أنه لم يُسمّى به أحد من قبل. وقام جدّه على رعايته صغيراً ونشأ نشأة طيّبة. وكان عبد المطلب يقول للقوم أن ابنه محمد سيكون له شأن عظيم ولذلك كانت أعين القوم عليه تحسبا لكلمات شيخهم الجليل.

وبعد عدّة سنوات اصطحبته أمّه آمنة بنت وهب، إلى قبيلة يثرب لزيارة أخواله من بني النجار ولزيارة قبر والده عبد الله. ثم أصيبت أمه فجأة بمرض وهي على طريق عودتها من



يثرب إلى مكة وماتت في الطريق ودُفنت هناك. وعاد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) يتيم الوالدين إلى مكة ولم يتجاوز من العمر ثمان سنوات.

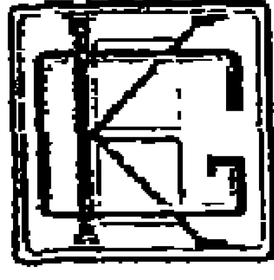
وزاد ذلك من حبّ جدّه له وأوصى به جميع أبنائه. وكان لعبد المطلب عشرة أبناء هم أعمام محمد (صلّى الله عليه وسلّم) إلا أنه بعد فترة قصيرة مرض جدّه مرض الموت، فأوصى به عمه أبو طالب ابن عبد المطلب، ليرعاه بعد وفاته. وكان أبو طالب ابن عبد المطلب شيخاً وقوراً يحترمه الجميع، فورث عن أبيه زعامة قريش إلاّ أنه لم يكن كثير المال كبقية اخوته من أولاد عبد المطلب. وأحب أبو طالب محمداً حبّاً شديداً.

ونشأ محمد (صلّى الله عليه وسلّم) نشأة طيبة مع عمه الذي أشرف على رعايته والذي كان يُحبّه. فكان عمه لا يجلس مجلساً إلا أجلس محمداً عن يمينه، وهو الرجل الكثير العيال. وهذه علامة تشريف كبيرة عند أهل القبائل تدل على العناية والتقدير.

وترعرع محمد (صلّى الله عليه وسلّم) منذ نشأته الأولى قويّ البنية، حسن الطليعة، قوى الشّكيمة، فارس الطبيعة، صادق وأمين، ولا يقول إلا حقّا. وعند بلوغه سن الشباب كان القوم يلجئون إليه في المشورة ويأتمنوه على أسرارهم وحاجاتهم. وكان يقوم على رعي الغنم لبعض بيوتات قريش والذين أنزل الله عليهم محبتهم لمحمد (صلّى الله عليه وسلّم).

وفي سن الخامسة والعشرين زوّجه عمّه من خديجة بنت سويلم ابن أسد بناءً على رغبتها. وهي امرأة من أصل عريق وطيب وكانت كثيرة الثراء. فأعطاه الزواج من خديجة سكينة نفس، وزاد من اطمئنانه حماية عمّه له. فعاش حياة هنيئة طيبة. وكان محبوباً وموقّراً من الجميع. حتى أن كبراء القوم كانوا يقومون له إجلالاً لقدره بينهم. بعد عدة سنوات، مرت بمكة أزمة كبيرة في المال والزّاد، فذهب محمد إلى عمه أبو طالب، وفي وقار لعمه وأدب، أخذ منه ابنه عليّاً عنه، حتى يخفف العناء عن عمه ويرد إليه جميلاً. وكانت تلك عادة تعارف عليها القبائل. فنشأ عليّ ابن أبي طالب في رعاية محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وكان في سن التاسعة من عمره.

ومنذ نشأته كان محمد (صلّى الله عليه وسلّم) يتنحّى عن القوم عند إقبالهم على عبادة الأوثان. وفي أدب يأخذ طريقه إلى غار في جبل حُراء قريب من مكة وفي هدوء يتأمّل الكون وما خلق الله. وكان لا يأكل إلاّ ما سُمّي عليه، ويرفض أن يأكل ما ذُبح على الأصنام.



وعلى الرغم من أن الجميع كانوا ضلعين في عبادة الأصنام وتوقيرها، إلاَّ أنهم لم يأخذوا على محمد (صلّى الله عليه وسلّم) أنه لا يشاركهم دينهم. أما خديجة فيبدو أنها كانت مثله هي الأخرى من قبل أن تتزوّج من محمد (صلّى الله عليه وسلّم) حيث ابن عمها ورقة ابن نوفل ابن أسد وكان على الديانة المسيحية وكان متبحّرا فيها، ولم يُذكر عنها أحد أنها كانت تُشارك في عبادة الأصنام.

وكانوا يُطلقون على محمد لقب الأمين من كثرة أمانته وصدقه. ولم يكن قاصد تسليةٍ وضياعِ وقتٍ كبقية الشباب الآخرين من أهل الترف. وعلى الرغم من غنى خديجة إلاَّ أنه لم يتّكل على ذلك أبداً بل كان يعمل في بعض شؤون التجارة.

أهل مكة جميعا كانوا في انتظارٍ وتوقّعٍ لِحَدَثٍ جليلٍ، لا علم لهم به، ولكنّهم يستشعرونه ويحسبون له غيباً.

• ثم بدأ الوحي.

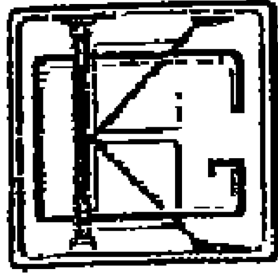
إذا لم يأت محمد إلى الجبل لأتى الجبل إلى محمد. (مثل عظيم)

وفي ذات يوم في سن الأربعين من عمره كان محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في الغار في جبل حُراء يتأمّل الكون ويتفكر في الخلق، ثم شعر أنه ليس وحده، وإذا بثقلٍ عليه عظيم ينصبّ علي كتفيه. وإذا بالوحي:

ﭐقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ العلق

وكان ذلك بداية الوحي ونهاية النعيم بعد اليُتْم السّقيم. كما أنّه بداية نور الهداية وترك الظلم والأوثان وظهور الحق وطمث الباطل.

وأخذه الرّوع الشديد، وأظهر سيدنا جبريل نفسه إليه، وأعلمه بأنه نبّي المستقبل وأنه رسول رب العالمين إلى البشر أجمعين، وأن هذه هي بداية البُشرى والرسالة الجليلة. وارتعدت فرائص نبي الله محمد (صلّى الله عليه وسلّم) من هول ما حدث. وهرول عائداً إلى بيته حيث زوجه، والتي كانت خير الزوجات. وتحدث إليها بما حدث له وصدّقته على الفور، ولم تشك لحظة واحدة فيما يقول. ثم أودعته الفراش وهرولت تبحث عن ابن عمها



ورقة ابن نوفل الكاهن المسيحي.

وكان ورقة على الديانة المسيحية، وكان أحد فقهائهم الذي يُترجم العهد القديم والعهد الجديد إلى العربية وكان ضعيف النظر جدًا. (كانوا يُطلقون على ضعاف النظر أعمى لأنه لم توجد أيّة وسيلة من العلاج لضعاف النظر في هذا الزمان). وتَقُصّ عليه خديجة ما حدث مع زوجها وطلبت منه أن يلقاه ليُهدِّئ من روعه.

فقالت له خديجة، "يا ابْنَ عَمْ. اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ."

فأخبره محمد (صلّى الله عليه وسلّم) بما حدث وقرأ عليه ما أُوحِيَ إليه.

فقال ورقة، "هَذا النَّامُوس الذِي كَانَ يُنَزِّلُ عَلَى مُوسى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَزَعًا . لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُك." فقال محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، "أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟"

فقال، "نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ. وإِنْ يُدْرِكَنِي يَوْمُك أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا." (أو كما قال وكما حدث من مجموعة أحاديث من السيرة لابن كثير)

وبعد فترة قصيرة مات ورقة ابن نوفل بعد أن قال ما لديه من حق وشهد به، اللهم ارأف به فإنه أشار وشهد بمبعث نبيّك محمد (صلّى الله عليه وسلّم).

***   عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ:

"أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا.

حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ:

"اقْرَأْ." قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ." قَالَ:

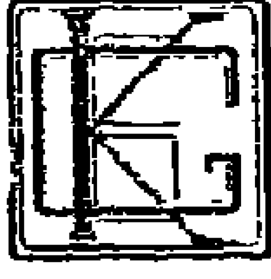
"فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ:

"اقْرَأْ". قُلْتُ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ".

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:

"اقْرَأْ" فَقُلْتُ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ."

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:



ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ العلق

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) فَقَالَ:

"زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي." فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ.

فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي." فَقَالَتْ خَدِيجَةُ:

"كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ."

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ.

وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ:

"يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ:

"يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟"

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ:

"هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا. لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ." فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

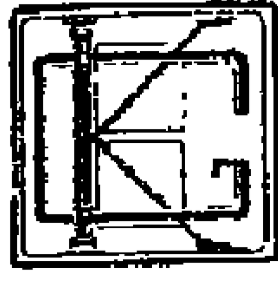
"أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟" قَالَ:

"نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا."

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ:

"بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ، زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:



يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ المدثر (أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد).

وعاد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) إلى بيته مع زوجه وأخبرها ما بنفسه من أنه ذهب وقت النعيم ومرحبا في الجهاد في سبيل الله. فقد ذهب الكسل وجاء العمل. والله أكبر.

• فجر الرسالة. التسليم الكامل.

كان صدِّيق محمد (صلّى الله عليه وسلّم) ورفيق صباه، أبو بكر ابن أبى قُحافة (رضي الله عنه)، وهو من الرجال التجار المرموقين بمكة، وله مكانة عليّة في قومه، هو أوّل من صدّق محمداً فور سماعه منه بما أُنزِل عليه من ربّه. وإذ هو كان على علمٍ باللغة والنحو والشعر والأدب، فعلم أن هذا ليس بكلام بشر وإنما هو من الله سبحانه. وأضف إلى ذلك معرفته الحميمة بمحمد (صلّى الله عليه وسلّم) منذ نعومة الأظافر، وعِلمه بأن محمداً صادقٌ وأمينٌ. فآمن له أبو بكر وشهد شهادة الحق، أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله. وأخذ أبو بكر يُحدث القوم المقربين منه، وهو على علم بما هو مُقدِمٌ عليه من التّضحية العظيمة. أمّا إنها لفي سبيل الله، والله حق ومحمد قوي صادق وأمين فليتوكل كل ذي قلب سليم مؤمن واثق بالله في صبرٍ وصدقٍ وعزمٍ شديد. واستمر الأمر تكتّماً، وكان الوحي لا ينزل منتظماً على محمد (صلّى الله عليه وسلّم) رحمة من الله تعالى له. إذ أن العبء عظيم والقرآن ثقيل.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ المزمل

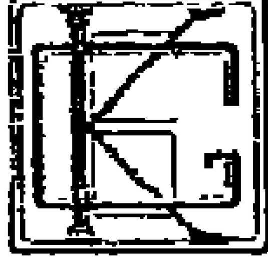
لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴿٢١﴾

الحشر

وكان الصحابة المقربين من محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في تزايد مستمر منهم عليّة القوم وأغلبهم من عبيد الغير ومنهم من كان في بيت محمد (صلّى الله عليه وسلّم) يخدمه ومنهم من كان مِلْكاً لبعض الصحابة.

***** ذكر ابن اسحق، قال السدى:**

"لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر، وكانت الشياطين



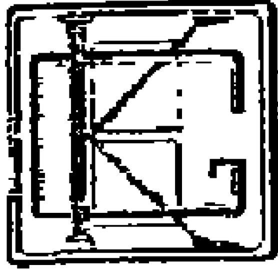
قبل محمد (صلّى الله عليه وسلّم) قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر. فلما بعث الله محمدًا (صلّى الله عليه وسلّم) نبياً رُجموا ليلة من الليالي، ففزع أهل الطائف. فقالوا، هلك أهل السماء. لِما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب. فجعلوا يعتقون أرقّاءهم ويُسيّبون مواشيهم. فقال لهم عبد ياليل ابن عمرو ابن عمير، ويحكم يا معشر أهل الطائف، امسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، وإنما هو من ابن أبى كبشة، وإن لم تروها فقد هلك أهل السماء. فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم. وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس، فقال، ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب. فأتوه فشمّ، فقال، صاحبكم بمكة. فبعث سبعة نفر من جن نصيبين، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حتى كادت كلالهم تصيبه. ثم أسلموا فأنزل الله أمرهم على نبيه (صلّى الله عليه وسلّم).

وكان أهل الطائف قد ظنوا أن الآخرة أوشكت لما رأوا الشهب الكثيرة التي لم يسبق لها مثيل فراحوا يسرعون بالخير. وكانوا يلقبون محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) بأبى كبشة لغيظهم منه.

قال الواقدي عن عبد الله ابن عمرو (رضي الله عنه)، قال: لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب. فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له. فقال، أمر قد حدث هذا نبيّ قد خرج عليكم بالأرض المقدسة، مخرج بنى إسرائيل. قال: فذهبوا إلى الشام، ثم رجعوا إليه فقالوا، ليس بها أحد. فقال إبليس، أنا صاحبه. فخرج في طلبه بمكة، فإذا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بحُراء منحدراً معه جبريل. فرجع إلى أصحابه، فقال، قد بعث أحمد ومعه جبريل، فما عندكم؟ قالوا، الدنيا نُحبّبُها إلى الناس. قال، فذاك إذاً.

• إعلان الدعوة.

سمع القوم من قريش بما حدث، وردّ الفعل على ذلك كان مختلفاً. إذ كان كلّه في المناقشات الاجتماعية, ولم يُبد القوم شديد الاهتمام بما يحدث مُفكّرين أنّه ربما تكون مجرّد أفكار وخواطر تزول مع الوقت. وإذ محمد لا يتكلم أبداً مع الناس في ذلك، وكان كلّهم حريص على ألاّ يذكروا له موضوع ما أُشيع عنه من الوحي. واستمر الأمر على ذلك



ثلاث سنوات والناس على غير علم بما يحدث. إلى أن كان ذات يوم أُنزل عليه قُرآنٌ:

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾

الشعراء

وصدر الأمر الإلهي بإعلان الدعوة للدين القويم وإنذار القوم. والأنبياء لا يضيعون وقتا وعلى الأحرى فيما يتعلق بأمر الله تعالى لهم، والتنفيذ فوريّ.

وكان من أعمام محمد (صلّى الله عليه وسلّم) رجل شيخ وقور وتاجر مرموق ثريّ، اسمه أبو لهب، وهذا لقب عُرِف به لصَبَاحَة وجهه والنور الذي على هيئته. أما اسمه الحقيقي فهو عبد العُزّى ابن عبد المطّلب. وكان هذا العم يحب محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) حبّاً شديداً حتى أنه أطلق جاريةً كانت له عندما ولد محمد لأنها بشّرته بمولد محمد(صلّى الله عليه وسلّم)، وعلى أن تُرضعه مع أخيه من أبيه، حمزة ابن عبد المطلب والذي وُلد مع محمد في وقت قريب من مولده. فكان محمد وعمّه حمزة اخوة في الرضاع من جارية أبي لهب.

ويذهب محمد (صلّى الله عليه وسلّم) إلى الكعبة حيث القوم يجتمعون ويعتلي الصّفا ثم ينادي:

"يا صَاحِبَاه." فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ بَيْنَ رَجُلٍ يَجِيءُ إِلَيْهِ وبَيْنَ رَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وسلّم)، "يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، يَا بَنِي فِهْر، يَا بَنِى كَعْب، أَرَأَيْتُم لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، صَدَّقْتُمُوني؟" قَالُوا، "نَعَمْ." قَالَ، "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ، بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شَدِيدٌ."

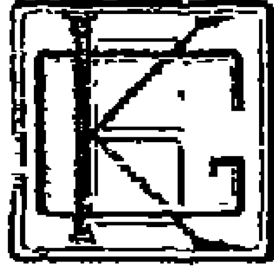
هنا ظهرت حقيقة عمه أبو لهب الذي اغتاظ جدا وقال،

"تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَمَا دَعَوْتَنَا إِلاَّ لِهَذَا؟" وكشف عن أنيابه فأخزاه الله.

(أو كما حدث وكما قال رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس)

وأنزل الله تعالى سورة المسد في ذلك.

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا



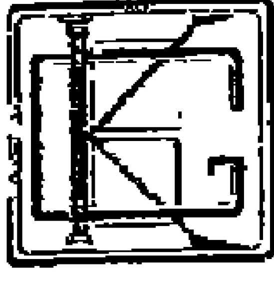
ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ المسد

انتهى الأمر وأصبح أبو لهب موعوداً بالنّارِ ولن يؤمن إذًا أبدًا.

وهذا الإعلان الذي أدلى به رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) هو ما يثير غضب الناس ويظهر كراهيتهم لمن يبدأ به. ودخل محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في صراع مع القوم لا ينتهي إلاّ بانتصار أحد الفريقين فعلى الله فليتوكل المؤمنون. والأنبياء جميعاً عندما أعلنوا أنهم أنبياء الله وأنهم يحملون رسالة السماء وأنهم يدعون الناس لعبادة الله وحده لا شريك له، وجدوا قومهم انقلبوا عليهم بعداء هو أشدّ أنواع العداء. عداء يركبه الشيطان ويُحفّزهم عليه، ويأمرهم بمحاربة رُسل الله تعالى إلى الناس ليخرجوهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الهدى والإيمان. وابتدأ الناس ينقسمون فيما بين بعضهم البعض، بين مصدّق وغير مُصدّق. فمنهم من يقول، ما كان محمد كاذبا ولا نعلم عنه كذبا وهو يتحدث في أمور الدنيا وأمانات الناس، ولا نعتقد أنه يكذب الآن وهو يتحدث عن الله العظيم. ومنهم من يقول، ليس محمد بكاذب ولكننا نعتقد أنّه به خِلّة، ولعل تابعه أصابه بسوء. ولم يتجاسر أحد أن يقول عنه كاذب.

كان عليّ ابن أبي طالب صبيّا في معيّة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وتحت رعايته ويُقيم معه في بيته. وذات يوم رأى عليٌّ محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) وزوجه خديجة يُصليان، فوقف يرقبهما وهما يركعان ويسجدان إلى أن انتهيا من صلاتهما. وسأل عليّ محمداً عما كان يعمل في ركوعه وسجوده. فأخبره رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) أن هذه هي الصلاة، وأن الله واحد لا إله غيره، وأنه أُمر أن يُصلّى لله وحده ولا يشرك به شيئا. وأنه من الصواب كل الصواب الابتعاد عن هذه الأصنام التي لا حول لها ولا قوّة. والأصح أن يُسلم الإنسان وجهه للذي فطر السماوات والأرض وخلق كل شئ. وأن محمدا نبيٌّ الله ورسوله أرسله بالدين الحق ويجب على الناس أن يتبعوه. فهو الهُدى الذي أرسله الله للناس. وأن الله أنزل عليه قرآنا يدعو إلى الحق ويُزهق الباطل. وأن هناك يوم الحساب، يوم يقف الناس أمام ربّهم ليُحاسبهم بما كسبت أيديهم في الحياة الدنيا.

ويطلب عليٌّ من محمد (صلّى الله عليه وسلّم) أن يستشير أباه أبو طالب في الأمر. ثم يذهب كلّ إلى نومه، وفي الصباح الباكر كان عليّ جالساً منتظراً رسول الله (صلّى الله عليه



وسلّم) ويقول له: إن الله لم يستشر أبى عندما خلقني فكيف أستشيره في عبادة الله الحق. ويا له من قول من صبيٍّ لم يبلغ الحلم، إذ كان بعد لم يتجاوز العاشرة، وشهادةُ حقٍّ تدُلُّ على ذكاء مُتّقد وذهن مفتوح وإيمان لا يتزعزع، وقلب مطمئن من الهداية بمحمد (صلّى الله عليه وسلّم).

وكان الوحي ينزل على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بالقرآن الكريم، وكانت الدّعوة بين أصحابه وفي حرص شديد من غضب قريش عليهم. والناس يدخلون في الإيمان ومحمد يتلاطف معهم ويضمّهم إلى نفسه ويَحِنّ عليهم ويترحم بهم.

وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ الشعراء

وكان شغل الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) الشاغل هو الخوف علي أصحابه تحسّبا من هجمات قريش عليهم والغدر بهم.

وأعلن أبو لهب العداء المكشوف على محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، وكان يسُبّ محمداً أينما كان. وانضمّ إليه أحد سادة القوم يُدعى أبو جهل، واسمه أبو الحكم ابن هشام، أو هو عمرو ابن هشام ابن المغيرة، أمّا أبو جهل فكان لقبه.

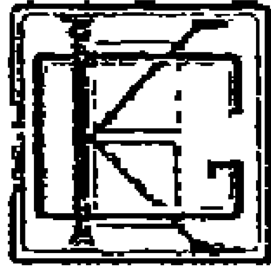
فكان محمد (صلّى الله عليه وسلّم) يذهب إلى سوق المجاز ويقف على منصة مرتفعة قليلا ويقول:

*** "يَا أَيُّهَا النّاس، قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله تُفْلِحُوا." وورَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غُرَّتَيْنِ يَقُولُ: "إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ." وكَانَ يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ. وهَذَا هُوَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبْ.

(أو كما قال وكما حدث جزأ من حديث رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد)

وكان محمد (صلّى الله عليه وسلّم) يقيم الصلاة عند الكعبة والقريشيون غاضبون من ذلك.

*** وكَانَ يَوْمٌ تَوَعَّدَ فِيهِ أَبُو جَهْل بَيْنَ قَوْمِهِ مُحَمَّدًا (صلّى الله عليه وسلّم)، وانْتَظَرَهُ لِيُصَلِّى فَيَرْمِي عَلَيْهِ حَجَراً. وجَاءَ مُحَمّدٌ (صلّى الله عليه وسلّم) فِي وَقَارٍ وهُدُوءٍ وبَدأَ صَلاَتَهُ، والْقَوْمُ مِنْ قُرَيْشٍ يُرَاقِبُونَ مَا سَوْفَ يَحْدُث. وإذْ هُوَ فِي السُّجُودِ قَامَ إِلَيْهِ أَبُو جَهْل، حَتَّى إِذْ دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مُنْبَهِتاً مُمْتَقِعَ اللَّوْنِ مَرْعُوباً، وقَدْ يَبُسَتْ يَدُهُ عَلَى الْحَجَر. وقَامَ إِلَيْهِ رِجَالُ قُرَيْشٍ، فقَالُوا لَهُ، "مَا بِكَ يَا أَبَا الْحَكَم؟" فَقَالَ، "قُمْتُ إِلَيهِ لأَفْعَلَ مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَة، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ، عَرَضَ لِيَ دُونَهُ فَحْلٌ مِنَ الإِبِلِ. واللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ، ولاَ قُصْرَتِهِ،



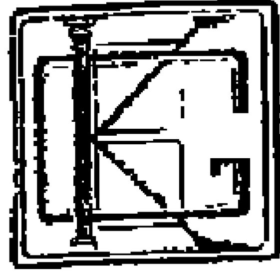
وَلاَ أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطْ، فَهَمَّ أَنْ يَأْكُلَنِي." وبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) فَقَالَ، "لَوْ فَعَلَ لأَخَذَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عَيَاناً." (أو كما قال وكما حدث جزء من حديث رواه الإمام أحمد والبيهقي عن ابن عباس)

فهذه صورة من العداء الذي أبداه القوم، إلا أن محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) كان في شغل لحماية المؤمنين الذين تبعوه. فقد كان منهم من هو من أهل الكرامات، وهو محصن بأهله، ولكن منهم أيضا من الأناس البسطاء والفقراء من العامة. وهؤلاء كان القوم يقدرون عليهم ويؤذونهم أيّما أذية، إذ ليس لهم من يُحصنهم أو يُجيرهم من أذى القوم.

ولقد كان التناوش بين عليّة القوم من الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا، كان لا يتعدى الحرب الكلامية، والتي كانوا بارعين فيها لفصاحة ألسنتهم وحسن ذكائهم. أما الضعفاء والمساكين والعبيد فكانوا مغلوبين على أمرهم. وبدأت قريش في تعذيب العبيد والمساكين من المؤمنين تعذيبا تقشعرّ منه الأبدان، حتى أنهم قتلوا رجلاً وزوجته تعذيباً وابنهما تحت التعذيب ينظر مقتل أبويه تعذيباً لأنهما آمنا بالله ونبيّه. وأحضرت كل قبيلة من دخل في الدين الحنيف منها وأذاقوه وابل العذاب، من حبس وضرب وجوع وعطش ومسبّة وإهانة، ليفتنوهم عن دينهم، وهم الذين يعتزّون بالحريّة في الكلمة والمعتقدات والتجارة والحياة. فالحرّيّة غذاءهم الذي يعيشون من أجله وعليه، ولكن دين الله سيضعهم سواسية أسياداً وضعفاءً.

وكان أشدُّ النّاس في تعذيب المؤمنين أبا جهل ابن هشام وأبا لهب ابن عبد المطلب ولم يدعا وسيلة للتحريض على المؤمنين إلاّ أتيا بها، ولم يزد المؤمنين ذلك إلاّ إيماناً وتمسّكاً بالدين الحنيف والالتفاف حول رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم).

وكان بلال، مُؤذّن الرسول فيما بعد، عبدا لأبى جهل وكان أنه لما دخل في الإسلام كان أبو جهل يأخذه في صحراء البطحاء في الحر الشديد، ويعريه ويضع حجرا كبيرا على صدره ثم يترك الولدان يتلهون به والرجل المؤمن الشجاع كان يقول، أَحَدٌ أَحَدْ. مشيرا إلى إيمانه بالله الواحد ووحدانيته التي لا شك بها. إلى أن رآه أبو بكر فطلب من أبى جهل أن يبيعه إياه وبعد أن عرض عليه ثمنا باهظا اشتراه أبو بكر وأطلقه فكان في خدمة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) إلى أن هاجر إلى المدينة ونزل الأذان فأصبح مؤذن الرسول الأول



ومن الصحابة المقربين نظرا لشدة إيمانه بالله ونداوة صوته.

قال ابن إسحق: وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنّبه وخزّاه، وقال، تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك. وإن كان تاجرا قال، والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك. وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به.
ذكر ابن إسحق عن سعيد ابن جبير، قال: قلت لعبد الله ابن عباس، أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟

قال: نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدّة الضرّ الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنه، حتى يقولوا له، اللاّت والعزّى إلهان من دون الله! فيقول نعم! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم.

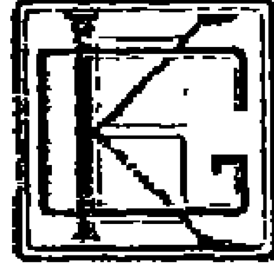
وفي ذلك نزلت الآية:

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (١٠٦) سورة النحل

فكان ذلك رحمة من الله تعالى أن رخّص بإخفاء الإيمان خوفا على النفس.

• الهجرة إلى الحبشة. +

عندما وصل العذاب ذروته وأصبح من المعروف أن قريش لن تتراجع عن موقفها مع المسلمين، أذِنَ محمدٌ (صلّى الله عليه وسلّم) للبعض في الهجرة إلى الحبشة، وأخبرهم أن بها ملك لا يُظلم أحدٌ في مملكته، وأنهم يدينون بالمسيحية. فاجتمع البعض وهاجروا تحت ستر الظلام متجهين إلى الحبشة. وهذا أصعب ما يكون على أهل الجزيرة. إذ أنهم لا عهد لهم بركوب البحر أو ترك ذويهم وأهليهم. دعك عن الأموال وإن لم تكن كثيرة فقد كانت كل ما لديهم. وكان من الذين هاجروا عثمان ابن عفان من الصحابة المقربين، هو وزوجه ابنة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ومعهم جعفر ابن أبي طالب، وكان أخاً لعليٍّ ابن أبى طالب وكان بعد شاباً صغيراً ومعه زوجه. والقول أنهم كانوا بين السبعين إلى



الثمانين وفي الحبشة استقبلهم ملكها استقبالا حسنا لعلمه أن محمداً مدحه، ولأنه هو كذلك ملك عادل. وأعطاهم الإذن بالإقامة في بلاده.

أما قريش حين علمت بهجرة هؤلاء، أرسلت وفدا من اثنين من الرجال لإحضارهم، وكانت هناك مودّة بين قريش وملك الحبشة. وبعد حوار مع الملك رفض الملك أن يسلّمهم لهما من قبل أن يسمع من المهاجرين الذين استضافهم في بلاده، وما لديهم من القول في طلب قريش لهم.

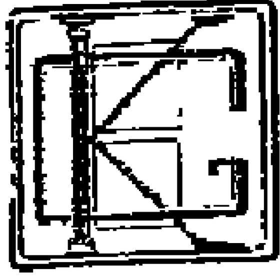
فأحضرهم إلى مقامه. وقال أهل قريش أن هؤلاء تركوا دين آبائهم ولم يدخلوا دين الملك، وأنهم يدّعون ديناً جديداً لا علم لأحدٍ به، وأنهم يُغيّرون القول عن المسيح. ويسأل الملك الحكيم إن كان الأمر كذلك. عندها تقدم جعفر ابن أبى طالب وقرأ عليه سورة مريم من القرآن العظيم, عندها قال الملك أن لست أرى فيما يقولون ولا شعرة تنقض عما نحن نؤمن به. ورفض طلب قريش.

قال ابن إسحق: فلما رأى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانة من الله عزّ وجلّ ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم، "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه." فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم. فكانت أوّل هجرة في الإسلام.

وكان هذا ملكا آخر مَثَلٌ في العدالة. وفي وقت لاحق فوّض النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) هذا الملك ليعقد زواجه غيبيّا على إحدى المهاجرات، والتي هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ومات عنها في الغربة. فعقد له الملك عقد الزواج وأمهرها عن رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم). وعندما مات الملك أخبر به النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) في ذات الوقت الذي مات فيه، وأقام له صلاة الغائب على روحه الكريم. يا لفرحة من صلّى عليه النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم).

• البحث عن مناصرين. +

كان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يخرج في المواسم ويعرض نفسه الكريمة على القبائل



الواقدة، ويدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى ويخبرهم أنه نبيّ الله ورسوله. ويطلب منهم أن يُصدّقوه ويمنعوه حتى يُبلّغ رسالة ربه فكان يقول:

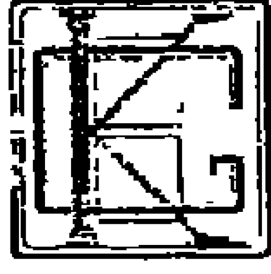
"مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ولَهُ الْجَنَّةَ." (أو كما قال من السيرة لابن كثير)

فمنهم من قال له خيراً وانصرف عنه ومنهم من قال، لو أنه يقول حقّاً لآمن به ذووه، ومنهم من قال لننتظر حتى إذا ظهر أمره تابعناه. وكانوا جميعا يهابون قريشاً ويخافون من غضب أهلها، فإن هم ناصروه يمنعون عنهم تجارتهم أو يمنعونهم عن القدوم في المواسم. وكانت قريش أعزّ القبائل عدداً وسطوةً وهيبةً.

وكان عمه أبو لهب يلحق به أينما ذهب حتى يمنع الناس من تصديقه، ويتوعد من تُسوّل له نفسه بالتمادي في تصديق النبي (صلّى الله عليه وسلّم) أو الاستماع له. حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِن الْيَمَنِ أَوْ مُضَرٍ فَيَقُولُ لَهُ قَوْمُهُ، احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْش لاَ يَفْتُنُكَ.

*** عن رَبِيعَةُ بْنُ عَبَّادٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَكَانَ جَاهِلِيًّا قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا." وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ، إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ. يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَذَكَرُوا لِي نَسَبَ رَسُول اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَالُوا لِي هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. (حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه رواه أحمد)

وكثيرا ما كان يصحبه صدّيقه العظيم أبو بكر ويحث القبائل على مناصرة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث هو كان أعلمهم بأنساب العرب. ولم يُجد الأمر شيئا. وكان أبو لهب وأبو جهل، وهما من أغنى قريش، يتفقدان قوافل التجارة ويشتريان تجارتها بأعلى الأسعار حتى لا تصل إلى أيدي المؤمنين، ضغطاً عليهم وإرهاقاً لهم. إلاّ أن المؤمنين كانوا يزدادون إيماناً وتكاتفاً حول النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) الذي يأمرهم بالصبر والصلاة ويعدهم الجنة في يوم المعاد. ولم يكن يمر يوما إلا ودخل ناس في دين الله الحنيف رغم تعنّت قريش عليهم والرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بين أظهرهم ينصحهم لما فيه خيرهم. ولم يقرب محمداً (صلّى الله عليه وسلّم) كثيرٌ سوءٍ من القوم لحماية عمه أبو طالب له وإن كان على دين آباءه مخالفاً محمداً (صلّى الله عليه وسلّم).



• حماية أبي طالب لمحمد (صلّى الله عليه وسلّم). +

كان الصراع القائم بين القوّتين مبنياً على الحوار بين الأقوياء واضطهاد الضعفاء. ولذلك كان حنق قريش على محمد آخذ في التزايد لأن عمه يمنعه، وبنو هاشم لهم شأنهم ومكانتهم وإن كانوا على غير دينه فهم له حُماة.

*** فَاجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ نُبَلاَءِ قُرَيشٍ وذَهَبُوا إلَى عَمِّهِ أَبُو طَالِب يَبْحَثُونَ مَعَهُ طَرِيقَةً يُسَلِّمُهُمْ بهَا مُحَمَّدًا (صلّى الله عليه وسلّم) أَوْ يُرْغِمَهُ عَلَى التَّرَاجُعِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ. ودَخَلُوا عَلَى أَبِي طَالِب فِي مَجْلِسِهِ وقَالُوا، "يَا أَبَا طَالِب إنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا وعَابَ دِينَنَا، وسَفَّهَ أَحْلاَمَنَا، وضَلَّلَ آبَاءَنَا. فَإمَّا أَنْ تُخَلِّي بَيْنِنَا وبَيْنِه، فَإنَّكَ عَلَى مِثْل مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلاَفِهِ فَنَكْفِيكَهُ!" فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِب قَوْلاً رَفِيقًا ورَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلاً. فَانْصَرَفُوا عَنْه ومَضَى رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

وأَكْثَرَتْ قُرَيْشُ ذِكْرَ رَسُول اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) بَيْنِهَا فَتَذَامَرُوا واجْتَمَعُوا مَرَّةً أُخْرَى وذَهَبُوا إلَى أَبِي طَالِب، فَقَالُوا، "يَا أَبَا طَالِب إنَّ لَكَ سِنًّا وشَرَفًا ومَنْزلَةً فِينَا، وإنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِن ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وإنَّا واللهِ لاَ نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا وتَسْفِيهِ أَحْلاَمِنَا، وعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكُفَّهُ عَنَّا أَوْ نُنَازِلَهُ وإيَّاكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَهْلُكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْن." ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ. وبَعَثَ أَبُو طَالَب إلَى رَسُول اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) فَقَالَ لَهُ، "يَا ابْنَ أَخِي إنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي فَقَالُوا [وروى له ما قالوا] فَابْقَ عَلَى نَفْسِكَ ولاَ تُحَمِّلْنِي مَا لاَ أَطِيقُ."

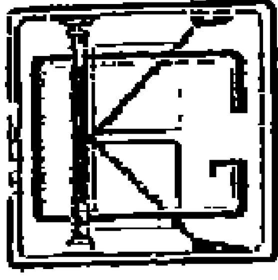
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم).

"يَا عَمِّ واللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي والْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ."

فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِب. "اذْهَبْ ابْنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ. فَوَاللهِ لاَ أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا."

(أو كما حدث وكما قال عن ابن إسحق وذكره ابن كثير في البداية والنهاية)

ويقال أنهم عرضوا عليه، إن كان يريد مالاً جمعوا له حتى يكون أغناهم، وإن كان يريد ملكا ملّكوه عليهم، وإن كان به تابع لسهروا على دوائه حتى يشفي. ومما يُذكر أنّ أبا طالب قد قال أشعارًا عدّة في مدح النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فيها من البلاغة والفصاحة



الشيء الكثير وتزيد عدد أبيات شعر ه في ذلك عن الألف بيتاً في قصائد متعددة وعلى الرغم من ذلك عاش ومات على غير دين الله القويم وذلك مع شدة إيمانه بمحمد (صلَى الله عليه وسلَم) فآمن شعره ولم يُؤمن قلبه.

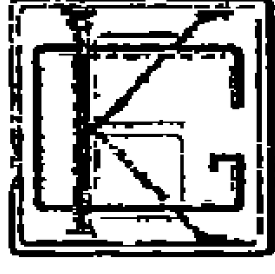
• المقاطعة.

اجتمع أشراف قريش يتشاورون في أمر محمد (صلَى الله عليه وسلَم) بعد أن عرضوا عليه ما عرضوا ولم يُجْدِ معه. وهذا عمه وأقرباؤه وقبيلته، وإن كانوا مُخالفين له في العقيدة، فإنهم محافظين على الحميّة العرقية القبائلية، فهم لن يسلّموه لمكروه أبدا. وهذا يُعطى رؤية الحقيقة في التعامل فيما بينهم بمنتهى الشرف، حتى وإن كانوا متضادين في الاتجاهات. فحرّيّة الكلمة شئ مقدّس، وإنما كان ذلك قصراً على النبلاء أو من كان ليس له دخل بالدين الجديد، ولكن الشيطان لا ينام، ويتفق أشراف قريش على مقاطعة محمد (صلَى الله عليه وسلَم) وذويه وأتباعه، اتفاقاً مكتوباً فيما بينهم، وعلّقوه في داخل الكعبة على أنه عهد لا خروج عنه. أن لا يبايعوهم ما يلزمهم ويقطعون عنهم تجارتهم وألاّ يُخالطونهم وألاّ يتزوّجوا منهم أو يُزوّجوهم، وأن يُلزموهم شرّ الطريق.

وبدأ الضغط الشديد على هؤلاء، فنصحهم أبو طالب باللجوء إلى شعب الجبال والتحصّن بها، حيث لا ماء ولا زاد ولا مسكن. وأمر أبو طالب بني عبد المطلب بالقيام على حمايتهم. ولكن المؤمنين اشتد عليهم الجهد والبلاء وقاسوا من الجوع والعطش وعدم وجود أيّة وسائل للراحة. وقاطعت قريش أهل بيت عبد المطلب فاشتدت الفاقة جدا على محمد (صلَى الله عليه وسلَم) ومن معه من المؤمنين أو من أهله.

كل ذلك ومحمد (صلّى الله عليه وسلّم) بين المؤمنين يواسيهم ويُشجّعهم بالصبر والصلاة ويعدهم بأن النصر من عند الله، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين. واستمر الحال على ذلك ثلاث سنوات، ذاق المؤمنون فيها أمرّ أنواع العذاب والتشريد والهوان وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يمرّ يومٌ إلاّ ودخل في الدين رجال من قريش أو من الآخرين وكان عدد المسلمين آخذ في التزايد.

ثم اجتمع بعض العقلاء من قريش من بعد أن رأوا أنهم إنما يُعذّبون إخوتهم وأبناء عمومتهم وعماتهم وخالاتهم، ولا يَصِلُون أرحامهم، وفي هذا مهانة كبيرة لشرفهم وعرقهم



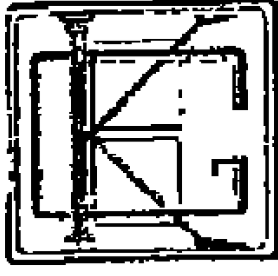
لا يُستهان بها. واجتمع الرأي على إنهاء المقاطعة. وعاد المؤمنون إلى ديارهم بعد ثلاث سنوات من الهوان الشديد. وعندما استخرجوا الوثيقة من الكعبة ليمزّقوها وجدوا أن القُرضة قد أكلت كل ما فيها إلاّ اسم الله تعالى.

وهنا يجب ذكر قصة مع أبى طالب عم الرسول وحاميه. فقد أخبره محمد (صلّى الله عليه وسلّم) أن الوثيقة التي وضعوها عهدا بالكعبة قد أكلتها القرضة ومحت ما ذكر فيها من قطيعة رحم أو ما فيه مخالفة لأمر الله تعالى وأنها تركت فقط أسماء الله المتعارف عليها التي كانت مكتوبة في الصحيفة. وخرج أو طالب يريد القوم عند الكعبة المشرفة، وأخبرهم أن محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) أخبره أن الوثيقة التي بالكعبة قد أكلتها القرضة وتركت فقط أسماء الله تعالى. فإن كان صادقا فلا وثيقة بينكم وتراجعتم عن البهتان الذي بها، وإن كان غير ذلك أسلمته لكم تفعلون به ما تشاؤون غير أن محمداً صادق لا يكذب. فابتغوا الوثيقة في الكعبة فوجدوها كما قال الرسول (صلّى الله عليه وسلّم).

***   ذكر بعض أهل العلم إن رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال لأبى طالب، "يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة، فلم تدع فيها اسما هو لله إلاّ أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان." فقال أربك أخبرك بهذا؟ قال، "نعم." قال، فوالله ما يدخل عليك أحد. ثم خرج إلى قريش فقال، يا معشر قريش إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا، فهلمّ صحيفتكم، فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي. فقال القوم، قد رضينا. فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فزادهم ذلك شرّا، فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا. (ذكرها ابن هشام)

إنما كان أنهم تراجعوا عن المقاطعة وهو الهدف الأول والأخير وحمدوا الله على ذلك لأنهم جميعا كانوا يجدون بأنفسهم شيئا على تلك الصحيفة. والقريشيون بظلمهم لأنفسهم لم يروا الآية التي جاءهم بها أبو طالب وهو على دينهم حماية لابن أخيه.

ثم أنه حدث شئ رهيب. فقد مات أبو طالب عم محمد (صلّى الله عليه وسلّم) بعد قليل من إنهاء المقاطعة. وبعده بشهور قليلة ماتت خديجة زوج محمد (صلّى الله عليه وسلّم). مات الإثنان اللذان كانا أنساً ونسباً وحمايةً وذوداً لمحمد رسول الله (صلّى الله عليه



وسلّم). فكانت كارثة كبرى.

- **موت أبى طالب عم الرسول** (صلّى الله عليه وسلّم). +

مرض أبو طالب مرض الوفاة، فاجتمع أشراف قريش وذهبوا للقائه وقالوا:

*** "يَا أَبَا طَالِب إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْت، وقَدْ حَضَرَكَ مَا تَـرَى وتَخَوَّفْنَـا عَلَيْـكَ، وقَدْ عَلِمْتَ الذِي بَيْنَنَا وبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَادْعُـه فَخُـذْ لَنَـا مِنْـهُ لِيَكُـفَّ عَنَّـا ونَكُـفُّ عَنْـهُ، ولْيَدَعَنَا ودِينَنَا ونَدَعُه ودِينَهُ."

فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِب ، فجَاءَهُ فَقَالَ، "يَا ابنَ أَخِي هَؤُلاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُـوا إِلَيْـكَ لِيُعْطُوكَ ويَأْخُذُوا مِنْكَ." فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم).

"يَا عَمّ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُونَهَا تَمْلُكُونَ بِهَا الْعَرَبَ وتَدِينُ لَكُمْ الْعَجَمُ."

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، "نَعَمْ وأَبِيكَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ."

قَالَ، "تَقُولُونَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ."

فَصَفَقُوا بِأَيْـدِيهِم ثُـمّ قَـالُوا، "يَـا مُحَمَّـدْ أَتُرِيـدُ أَنْ تَجْعَـلَ االآلِهَـةَ إِلَهًـا وَاحِـدًا؟ إِنَّ أَمْـرَكَ لَعَجَبٌ."

ثُمّ قَالَ بَعْضُهُم لِبَعْض، "إِنَّهُ واللهِ مَا هَـذَا الرَّجُـلُ بِمُعْطِيكُمْ شَـيْئًا مِمَّـا تُرِيـدُون، فَـانْطَلِقُوا وامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ." ثُمّ تَفرَّقُوا.

فَقَالَ أَبُو طَالِب، "وَاللهِ يَا ابْنَ أَخِي مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا."

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ، "أَيْ عَمّ فَأَنْتَ فَقُلْهَا، لَكَ بِهَا شَفَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."

فَلَمَّا رَأَى حِرْصَ رَسُول اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) عَلَى أَنْ يُؤْمِنَ قَالَ:

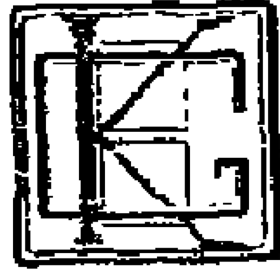
"يَا ابْنَ أَخِي وَاللهِ لَوْلاَ مَخَافَةَ الْمَسَبَّةِ عَلَيْكَ وعَلَى بَنِى أَبِيكَ مِنْ بَعْـدِي، وأَنْ تَظُـنَّ قُـرَيْشُ أَنِّى إِنَّمَا قُلْتُهَا جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ لَقُلْتُهَا، لاَ أَقُولُهَا إِلاَّ لأَسُرَّكَ بِهَا."

(أو كما حدث وكما قال من حديث رواه ابن إسحق عن ابن عباس)

فنزلت الآية الكريمة في أبي طالب.

إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ

(٥٦) القصص



فليس على الرسول إلا البلاغ و الله يهدي من يشاء لأن الله تعالى أعلم بمن سيدخل الإيمان إلى قلبه ومن هو دون ذلك. وفي الذي كان حاضراً في هذا اللقاء الأخير بين محمد (صلى الله عليه وسلم) وعمه نزلت الآيات الكريمة.

أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ص

ومن العجب حقا أنهم يقولون جعل الآلهة إلها واحدا وهم يعلمون أنه يتحدث عن الله العظيم والذي يعلمون بوجوده تمام العلم واليقين. وبداءة لا يوجد ما يسمونهم آلهة فإنما الإله هو الله تعالى لا إله غيره ولا رب سواه الواحد الأحد الذي لا تأخذه سنة ولا نوم تبارك ربّنا وعزّ وجلّ.

*** عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

أَنَّهُ قَالَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ عَمُّكَ أَبُو طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْفَعُكَ.

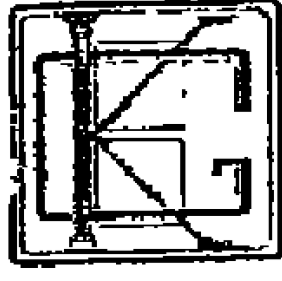
قَالَ، "إِنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ وَلَوْلاَ أَنَا كَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ." (رواه البخاري ومسلم)

وخسر محمد (صلّى الله عليه وسلّم) أعظم رجل يحميه من غدر قريش وأصبح ظهره مكشوفاً ليعرضوا له ويستهينوا به. وأما حماية الأهل له، فهي حماية من التعدي بالقتل والفناء حميّة لدمائهم فأما التناوش والحوار فهم يجدون الجميع أحراراً في ذلك. فأخذوا منه أشد مأخذ في السب والتعرض والإقلال من شأنه وشأن من أسلموا معه ولكن إلى حين.

• حماية أبى لهب لمحمد (صلّى الله عليه وسلّم).

بعد موت أبى طالب عم محمد، أخذ القوم بالتنكيل به أينما رأوه.

*** فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا لَهَبٍ، فَجَاءَهُ فَقَالَ، يَا مُحَمَّد امْضِ لِمَا أَرَدْتَ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا إِذْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ حَيًّا فَاصْنَعْهُ، لاَ وَاللاَّتِ لاَ يُوصَلُ إِلَيْكَ حَتَّى أَمُوت. فَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى أَبِي لَهَبٍ. فَقَالَ ، مَا فَارَقْتُ دِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَكِنِّى أَمْنَعُ ابْنَ أَخِي أَنْ يُضَامَ حَتَّى يَمْضِي لِمَا يُرِيدُ. فَقَالُوا، لَقَدْ أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ وَوَصَلْتَ الرَّحِمَ.



وجَاءَ أبُو جَهْل إلَى أبى لَهَبٍ فقَالَ لَهُ، آخْبَرَكَ ابْنُ أَخِيكَ أَيْنَ مُدْخَلَ أَبِيكَ؟ فقَال لَـهُ أبُـو لَهَب، يَا مُحَمَّد أَيْنَ مُدْخَلُ عَبْدِ الْمُطَّلب؟ قَالَ (صلّى الله عليه وسلّم)، "مَعَ قَوْمِهِ."

فخَرَجَ إلَيْهِ فقَالَ، قَدْ سَأَلْتُهُ فقَالَ. مَعَ قَوْمِهِ. فقَالَ، إنَّهُ يَزْعُمُ أنَّهُ فِي النَّار. فقَالَ ، يَا مُحَمَّدُ أَيَدْخُلُ عَبْدُ الْمُطّلبِ النَّارَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم)، "وَمَنْ مَاتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلَب دَخَـلَ النَّارَ."

فَقَالَ أَبُو لَهَب (*لعنه الله*)، وَاللهِ لاَ بَرِحْت إلاّ عَدُوًّا أَبَدًا وأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عَبْـدَ الْمُطَّلَـبِ فِـي النَّار.

(من حديث رواه ابن الجوزي عن ثعلبة ابن صعير وحكيم ابن حـزام وذكـره ابـن كـثير في السيرة)

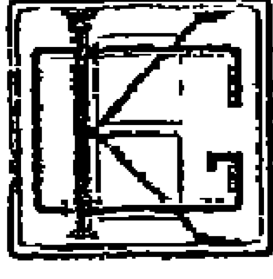
كان قد تراجع بعض ممن كانوا آمنوا لأن سورة المسد كانت قد نزلت فيه، وهـاهو يحمـي محمدا (صلّى الله عليه وسلّم)، وهذا علامة أنه قد يؤمن. وهم لا يعلمـون أن أمـر الله كـان مقضيّاً، وأنه لا تبديل لكلمات الله. واستمرت حماية أبى لهب لمحمد (صلّى الله عليه وسلّم) لفترة قصيرة.

ثم عاد أبو لهب إلى معاداة محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وانكشف نفاقه واشتدّ عداؤه، بعد أن علم من محمد أن أخاه وأباه في النار وكان الأجدر به أن يـتعظ ويـؤمن حتـى لا يلحـق بهم. ثم علم من ارتدوا عن إيمانهم بمـا حـدث، فـأقبلوا يسـألون الـنبيّ (صـلّى الله عليـه وسلّم) أن يستغفر لهم وعادوا أشد ما يكون المؤمنون إيماناً بالله تعالى ودخل كثير من الناس في الدين القويم على إيمان صحيح وقوى متين من بعد أن لسوا الآيات بأنفسهم.

حادث صغير مع أبى لهب وقيل أبى جهل (والله أعلم): أقبـل رجـل غريـب (الأراشيّ) عن مكة إلى الناس وهم في ناديهم عند الكعبة، والرسول (صلّى الله عليه وسلّم) جالس في ناحية عن بعد منهم.

***   فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَن يَعْدِينِي عَلَى أَبِى لَهَبٍ، فَإِنِّي غَرِيبٌ وابْـنَ سَـبيلٍ، وقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي؟ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ وهُـمْ يَهـزُّونَ بِـهِ إلَـى رَسُـولِ اللهِ (صـلّى الله عليـه وسلّم) لِمَا يَعْلَمُوا الْعَدَاءَ الّذِي بَيْنَ الرَّجُلَيْن، اذْهَبْ إلَيْهِ فَهُوَ يَعْدِيكَ إلَيْهِ.

فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) وذَكَرَ لَهُ الأَمْرَ. فَقَامَ مَعَـهُ.



فَلَمَّا رَأَوهُ قَامَ مَعَهُ قَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُمْ اتْبَعْهُ فَانْظُرْ مَا يَصْنَعْ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) حَتَّى جَاءَهْ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهْ. فَقَالَ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ، "مُحَمَّدٌ فَاخْرُجْ." فَخَرَجَ إِلَيْهِ ومَا فِي وَجْهِهِ قَطْرَةَ دَمٍ وقَدْ انْتَقَعَ لَوْنُه. فَقَالَ لَهُ. "أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّه."

قَالَ، لاَ تَبْرَحْ حَتَّى أَعْطِيهِ الّذِى لَه. فَدَخَلَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) وقَالَ لِلرَّجُل، "الْحَقْ لِشَأْنِكَ."

وجَاءَ الرَّجُلُ الّذِى بَعَثُوا مَعَهُ. فَقَالُوا، وَيْحَكَ مَاذا رَأَيْتَ؟ قَالَ، عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ. وَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَه، فَخَرَجَ ومَا مَعَهُ رُوحَه. فَقَالَ، "أَعْطِ هَذا الرَّجُلَ حَقَّه." فَقَالَ، نَعَمْ، لاَ تَبْرَحْ حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْهِ حَقَّه. فَدَخَلَ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ حَقَّه فَأَعْطَاهُ.

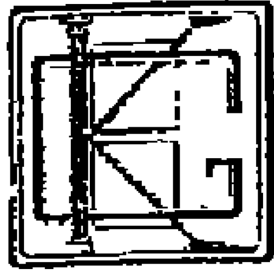
ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ أَبُو لَهَبٍ. فَقَالُوا لَهُ، وَيْلَكَ مَا لَكَ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ، وَيْحُكُمْ، وَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ ضَرَبَ عَلَى بَابِى وسَمَعْتُ صَوْتَهُ فَمُلِئْتُ رُعْباً. ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ وإنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلٌ مِنَ الإبلِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ ولاَ قُصْرَتِهِ ولاَ أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطْ، فَوَاللهِ لَوْ أَبَيْتُ لأَكَلَنِي. (أو كما حدث وكما قالوا في حديث لعبد الملك ابن سفيان الثقفي رواه ابن إسحق، وذُكر أنه أبى جهل وذكره ابن كثير في السيرة والله أعلم)

ولم يؤمن الرذيل اللعين.

وهذه ملحوظة. فإنه في بعض الأحيان، ألقاب الناس تأتي تماما كما أقدارهم. فكل من أبى لهب وأبى جهل كانا ملقبين بذلك كُنيةً. فأبو لهب ومعناها أن وجهه منير كأنه من اللهب، وكان مصيره إلى اللهب في النار، ومات من مرض خبيث وأنتنت جيفته ولم يستطيعوا دفنه، وتركت سبعة أيّام بالعراء حتى أن أبناءه اضطروا إلى رمي حجارة عليه من بعد لتغطية جثّته . وأبو جهل ومعناه أنه جاهل ولن يقنع، وكان أمره كأمر الجهلاء المعاندين للحق. ومات مقتولاً في أوّل موقعة بين قريش والمسلمين والتى كان هو من قادتها وكان مصيره إلى النار.

• **التعرض لمحمد** (صلّى الله عليه وسلّم). +

بينما النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) يصلى عند الكعبة إذ أقبل عليه جمع من المشركين يريدون أذيّته، وأمسكوه مسكاً شديداً وأخذ أحدهم يلف جلبابه حول عنق رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يكاد أن يخنقه، ورآهم أبو بكر فهرول إليهم وهو يقول:



أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴿٢٨﴾ غافر

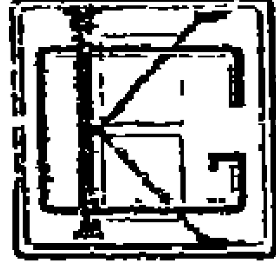
ودخل أبو بكر ليخلّص النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) مما هو فيه، فتركوا النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) إذ كانوا يخشوه فيما بين أنفسهم، وأخذوا أبا بكر وانهالوا عليه ضرباً بلا رحمةٍ ولا هوادةٍ حتى أنه غاب عن الوعي. ونُقل أبو بكر إلى بيته حيث قاموا على رعايته وأفاق بعد بضعة أيام وهو يسأل ماذا حدث لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، كيف رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)؟ فكان هذا الرجل الصحابي الجليل صِدّيق الرسول، كان أوّل همّه السّؤال عن حال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وليست حاله لنفسه بذي بال. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يصلى إلى الله تعالى في ذلك الوقت لينقذ له صِدّيقه. فسبحان الله العظيم. (أو كما حدث وليس ذلك بحديث)

فلم يجرءوا على التعرض لمحمد (صلّى الله عليه وسلّم) إلاّ من بعد أن مات عمه أبو طالب ولكن الله فعّال لما يريد. وهذا مثلٌ من العذاب الذي لاقاه محمد من قريش.

• وفد يثرب. +

وفي أحد المواسم كان محمد (صلّى الله عليه وسلّم) يقابل الوفود القادمة ويعرض نفسه الكريمة عليهم طالباً الحماية حتى يُظهر الله دينه. وأقبل جمعٌ في قافلة من يثرب إلى مكة لقضاء نسكهم ولبعض التجارة. ويثرب قبيلة منقسمة إلى قسمين هم أبناء عمومه ولكن كان بينهم من الخصومات العظيمة ما إن اشتعلت نيرانها لم تخمد. وكانت تسكن معهم قبائل يهود، فيسمعون منهم ولم يخترطوا في دينهم. وأُطلق اسم يثرب على محل إقامتهم كما اسم القبيلة. وكان منهم (أهل يثرب) أيضا أخوال النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) لأبيه. وكان أهل يثرب تجاراً وأصحاب زراعة ولهم علاقات طيّبة مع جميع قبائل العرب.

والتقى محمد (صلّى الله عليه وسلّم) واثنين من الجمع وكانا أصحاب شعر ومعرفة بالأدب العربي، وتحدث إليهم وقرأ عليهم القرآن، فعلما أن هذا ليس بكلام بشر واقتنعا على الفور أن هذا كلام من الله تعالى. وسألاه أن يعطيهما وقتاً ليتشاورا مع القوم الذين قدموا معهم. ثم عادوا ثانية لمقابلة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في ستة نفر من يثرب ليسمعوا من رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ما هو قائل لهم. وكان هؤلاء الست من أصحاب البصيرة والذين لهم علم بالحقائق. وأخذ الحوار منهم ويسألوه ويُجيبهم بما فيه



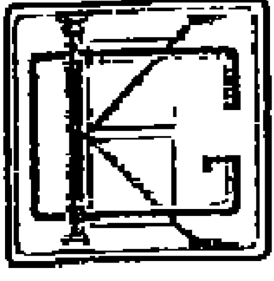
خيرهم. وكانوا يسمعون من اليهود عن حلول موعد نبيّ ينتظرونه، فإذا ما ظهر فسوف يحاربونهم معه.

******* فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْض: "يَا قَوْم تَعْلَمُونَ وَاللهِ إِنَّهُ الّذِي تَوَعَّدكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلاَ يَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ." فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وصَدَّقُوهُ وآمَنُوا بِهِ وباللهِ تَعَالَى وقَالُوا، "إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَا ولاَ قَوْمٌ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ والشَّرِّ ما بَيْنَهُمْ. عَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ اللهُ بِكَ. فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، ونَعْرِضُ عَلَيْهِمْ الّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذا الدِّين، فَإِنْ يَجْمَعَهُمْ اللهُ عَلَيْكَ، فَلاَ رَجُلٌ أَعَزُّ مِنْكَ." ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلاَدِهِمْ. (مختصر رواة ابن إسحق وذكره ابن كثير في السيرة)

هؤلاء الناس قد آمنوا وعلموا أن لهم الجنة إذا ما ناصروا نبيّ الله (صلّى الله عليه وسلّم) ورُجُوعهم إلى قومهم ليس ليستشيرونهم في الإيمان، إنما لأنهم إذا آمنوا وتعهدوا بنصرة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فإن ذلك تعهدُ مصير للجميع. والتحالف يجب أن يكون باتفاق الجميع عليه فيما بينهم، لأنه التزام ربما يُؤدّي إلى حربٍ مع قريش. أما الإيمان فهذا شأن الفرد، فهو لديه الحرّيّة التّامة لاختيار مصيره، وله الكلمة الأخيرة في حياته. أما هم فقد آمنوا وأسلموا لله العلي القدير ولن يُغيّروا ما هم عليه بعد إذ هداهم الله عزّ وجلّ.

وأرسل الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) معهم من يثق فيه، ليُفقّههم في الدين ويُعلّمهم القرآن ويقيم لهم الصّلاة. وعاد الوفد إلى يثرب واعدين النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بالعودة في الموسم القادم. فكان هذا نُواةً لنصرة دين الله الحنيف. وعند عودة الوفد إلى يثرب ذكروا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) إلى الناس، وقرؤوا عليهم القرآن الكريم. وكان الناس هناك يُسارعون في الدخول في دين الله الحنيف وبسرعة غير مألوفة سابقاً عند أوّل دعوة للدين. ولم يبق بيت في يثرب لم يُذكر فيه اسم محمد (صلّى الله عليه وسلّم) أو لم يُقرأ فيه القرآن، فسبحان الله العلي العظيم الذي يعلم حيث يجعل رسالته. هؤلاء هم مناصروا رسول الله ودعمة دينه الحنيف. وأخذ الناس ما آتاهم الله بقوّة وعزم شديدين.

وفي يثرب لم يكن القوم كقوم مكة، إنما هم في شئ من الحريّة، إذ التزامهم بالأوثان ليس شديد وهناك يهود لا يعترضون لا على عبادة أوثان ولا على عبادة الله تعالى. فكان الناس



ممن آمنوا لا يخشون الإفصاح عما آمنوا به ولم يكن من تنكيل وتعذيب، وكانت الصلاة تُقام علانية.

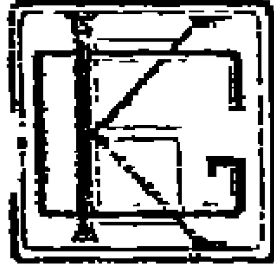
أسماهم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) الأنصار وهكذا كانوا، فلم يعرف التاريخ مثلهم. لم يكن كمثلهم مناصرين لدين الله الحنيف ولنبيّه الكريم. فلم يدّخروا وُسعاً في إعلان إيمانهم وعزّة دينهم. ولقد أمر رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) الناس بحبهم واحترامهم وتبجيلهم، والتعامل معهم في رفق ولين إلى الأبد. رضي عنهم النبيّ فرضي الله عليهم سبحانه.

• الإسراء والمعراج. +

تعتبر مُعجزة الإسراء والمعراج هي ثاني أكبر الآيات التي جاء بها محمد (صلّى الله عليه وسلّم) بعد القرآن المجيد. ولقد كانت في مكة، وفي وقت بعد أن ماتت زوجه وعمه. وكان إعلانها في هذا الوقت بالذات تحدّياً لصناديد الكفر من قريش وبين كلّ المُكذّبين بالدين الحنيف. ولعل أحسن ما كُتب في رحلة الإسراء والمعراج هو ما جاء في كتاب: حياة محمد ، للعلاّمة الدكتور محمد حسين هيكل رحمه الله، وهو مأخوذ عن المستشرق درمنجم. والقصّة مستخلصة من كتب السيرة وما قيل فيها بهذا الصدد، وأحاديث شريفة كثيرة دخل بعضها في بعض حتى خرجت سيرة الإسراء والمعراج بهذه الصورة الفريدة والجميلة. وترد هنا كما جاءت في الكتاب المذكور.

*** في منتصف ليلة بلغ السكون فيها غاية جلاله، وصمتت فيه طيور الليل وسكتت الضواري وانقطع خرير الغدران وصفير الرياح، استيقظ محمد (صلّى الله عليه وسلّم) على صوت يصيح به: أيها النّائم قم. وقام فإذا أمامه الملاك جبريل، وضّاء الجبين، أبيض الوجه كبياض الثلج، مرسلا شعره الأشقر، واقفا في ثيابه المُزركشة بالدّرّ والذهب، ومن حوله أجنحة من كلّ لون تَرْعَشْ، وفي يده دابة عجيبة هي البُراق. لها أجنحة كأجنحة النسر، انحنت أمام رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فاعتلاها وانطلقت به انطلاق السّهم فوق جبال مكة ورمال الصحراء متجهة صَوْب الشمال.

وصحبه الملاك في هذه الرّحلة. ثم وقف به عند جبل سيناء حيث كلّم الله موسى (عليه الصلاة والسلام). ثم وقف به مرّة أخرى في بيت لحم حيث وُلد عيسى (عليه الصلاة والسلام). وانطلق به في ذلك الهواء في حين حاولت أصوات خفيّة أن تستوقف النبيّ

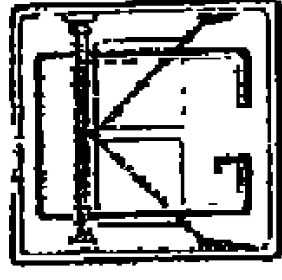


(صلّى الله عليه وسلّم) الذي رأى في إخلاصه لرسالته، أن ليس لغير الله أن يستوقف حيث شاء دابته. وبلغ بيت المقدس، فقيّد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) دابته وصلّى على أطلال هيكل سليمان ومعه إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. ثم أُتي بالمعراج، فارتكز على صخرة يعقوب وعليه صعد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) سراعا إلى السماوات. وكانت السماء الأولى من فضّة خالصة عُلّقت إليها النجوم بسلاسل من ذهب. وقد قام على كلّ منها ملك يحرسها حتى لا تعرج الشياطين إلى عُلْوٍ عليها أو يستمع الجن منها إلى أسرار السماء.

وفي هذه السماء ألقى محمد (صلّى الله عليه وسلّم) التحية على آدم. وفيها كانت صُوَرُ الخلق جميعا تُسبّح بحمد ربّها. ولقي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في السماوات السّت الأخرى نوحا وهارون وموسى وإبراهيم وسليمان وإدريس ويحيى وعيسى (عليهم الصلاة والسلام). ورأى فيها ملك الموت عزرائيل. بلغ من ضخامته أن كان بين عينيه مسيرة سبعين ألف يوم. ومن سلطانه أن كان تحت إمرته مائة ألف فرقة. وكان يُسجّل في كتاب ضخم أسماء من يولدون ومن يموتون. ورأى ملك الدّمع يبكي من خطايا الناس، وملك النّقمة ذا الوجه النحاسي المتصرف في عنصر النار والجالس على عرش من لهب.

وقد رأى كذلك ملكا ضخما نصفه من نار ونصفه من ثلج، وحوله من الملائكة فرقة لا تفتر عن ذكر الله قائلة: اللهم قد جمعت الثلج والنار، وجمعت كل عبادك في طاعة سُنّتك. وكان في السماء السابعة مقرّ أهل العدل ملك أكبر من الأرض كلها، له سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يتكلم كل لسان سبعين ألف لهجة، وكلها تُسبح بحمد الله وتُقدّس له.

وبينما هو يتأمل هذا الخلق الغريب إذا به ارتفع إلى قمّة سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، تقوم إلى يمين العرش وتُظل ملايين الملايين من الأرواح الملائكية. وبعد أن تخطّى في أقل من لمح البصر بحارا شاسعة ومناطق ضِياء يُعشي وظلمة قائمة وملايين الْحُجُب من ظُلُمات ونار وماء وهواء وفضاء، يفصل بين كلّ واحد منها وما بعده مسيرة خمسمائة عام، تخطّى حُجُب الجمال والكمال والسّرّ والجلال والوحدة، قامت وراءها سبعون ألف فرقة من الملائكة سُجّدا لا يتحرّكون ولا يؤذن لهم فينطقون. ثم أحس بنفسه يرتفع إلى المولى جلّ شأنه،



فأخذه الدّهش. وإذا الأرض والسماء مجتمعتان لا يكاد يراهما، وكأنما ابتلعهما الفناء فلم ير منهما إلا حجم سمسمة في مزرعة واسعة. وكذلك يجب أن يكون الإنسان في حضرة مَلك العالم.

ثم كان في حُضرة العرش وكان منه قاب قوسين أو أدنى، يشهد الله بعين بصيرته، ويرى أشياء يعجز اللسان عن التعبير عنها، وتفوق كلّ ما يُحيط به فهم الإنسان. ومدّ العليّ العظيم يدا على صدر محمد (صلّى الله عليه وسلّم) والأخرى على كتفه، فأحسّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) كأنه أثلج إلى فقاره، ثم بسكينة راضية وفناء في الله مُستطاب.

وبعد حديث لم تحترم كتب الأثر قُدسيّته أمر الله عبده أن يصلى كلّ مسلم خمسين صلاة في كلّ يوم. فلما عاد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) يهبط السماء لقي موسى (عليه الصلاة والسلام)، فقال له ابن عمران: كيف ترجو أن يقوم أتباعك بخمسين صلاة في كل يوم؟ لقد بلوت الناس قبلك، وحاولت مع بنى إسرائيل كل ما يدخل في الطوق محاولته، فصدقني وعد إلى ربّنا واطلب منه أن يُنقص الصلوات.

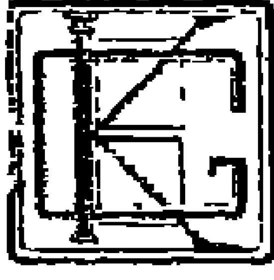
وعاد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) فنقص عدد الصلوات إلى أربعين، وجدها موسى فوق الطّاقة، وجعل يردّ خليفته في النّبوّة إلى الله مرّات عِدّة حتى انتهت الصلوات إلى خمس.

وذهب جبريل بالنبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فزار الجنة التي أُعدّت للمتّقين بعد البعث.

ثم عاد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) على المعراج إلى الأرض، ففكّ البُراق وامتطاه وعاد من بيت المقدس إلى مكة على الدّابة المُجنّحة. هذه رواية المستشرق درمنجم عن قصة الإسراء والمعراج.

(بالكامل من كتاب "حياة محمد" للأستاذ العالم الكبير: الدكتور محمد حسين هيكل)

وهي وإن كان بها بعض أوصاف هي من ذكاء العالم المستشرق مثل أوصاف شعر الملاك جبريل بالأشقر وأنه كان يرتدى الثياب المطرّزة بالذهب وخلافه، وأوصاف الليلة التي حضر فيها لاصطحاب محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في رحلة الإسراء والمعراج، وأما جماله فلاحتوائه على معاني الأحاديث الشريفة في شكل جاذب وسابق لم يقدّمه من قبل أحد غيره، فهذا إبداع من الرّاوي. أما البقيّة فهي مختصر لإجمالي ما جاء في الكتب عنها تقريبا. إلا أن الروايات الأخرى فيها كثير من الأحاديث النبوية الشريفة. وانتهت



الصلوات إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، ولأن الحسنة بعشر أمثالها فكانت الصلوات الخمس هي تعادل الخمسين عند الله تعالى، وهو وحده العالم بما كان. والمهم في الواقع أن رحلة الإسراء والمعراج أمر حدث بالفعل وليس السبيل في ذلك إلى مناقشة كيف أو لِمَ، إذ أنّ الله فعّال لما يُريد وإن أراد الله تعالى أن يُرِيَ نبيَّه يقينا بعضًا من آياته فهو الآمر الناهي وله الحكمة العليا في ذلك وهو القادر على كل شئ.

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ النجم

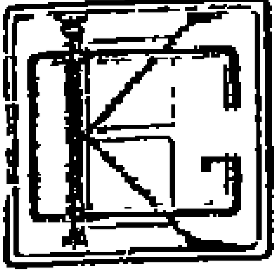
وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة والصحيحة على مراحل، بسرد تفاصيل كثيرة عن الذي حدث في هذه الرحلة العظيمة التي اصطفي الله لها أشرف الخلق.

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ الإسراء

*** عَنْ الإمَامِ مُسْلِمٍ: عَنْ أنَسِ ابْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ. قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأنْبِيَاءُ.

قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلامُ) بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ



بي وَدَعَا لِي بخَيْر.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْه. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ، عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى ابْنِ زَكَرِيَّاءَ(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا)، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بخَيْر.

ثُمَّ عَرَجَ بي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بخَيْرٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا .

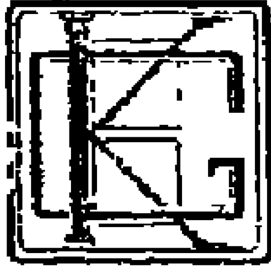
ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ

بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قِيلَ: مَنْ هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ. قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ، تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ



حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفرض عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلى مُوسَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ. فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ.

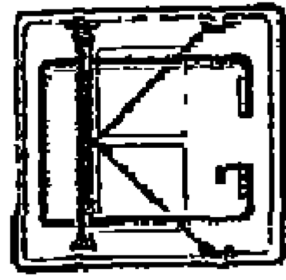
*** عَنْ الإِمَامِ أَحْمَدٍ: عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ.

ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. قَالَ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ يَحْيَى وَعِيسَى فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ



إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

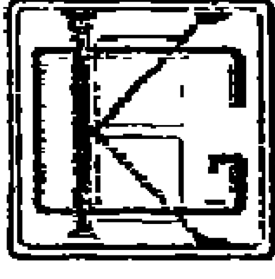
ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ الْبَابُ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا .

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

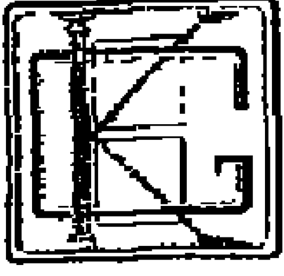
ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ: قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا، تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا. قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، وَفَرَضَ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلَاةً. فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقُلْتُ: أَيْ رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى وَيَحُطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ



فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى لَقَدْ اسْتَحَيْتُ.

*** قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ كَانَ أَبُو ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَلَمَّا جَاءَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ قَالَ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ قَالَ مَعَكَ أَحَدٌ قَالَ مَعِي مُحَمَّدٌ قَالَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ فَافْتَحْ فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالإِبْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا آدَمُ وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِخَازِنِهَا افْتَحْ فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ فَفَتَحَ قَالَ أَنَسٌ فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ إِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يُثْبِتْ لِي كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ وَقَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِإِدْرِيسَ قَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا مُوسَى ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ عِيسَى ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالإِبْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولاَنِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى مَا الَّذِي فَرَضَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاَةً قَالَ فَرَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى



مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ."

(رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد)

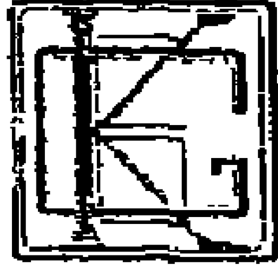
وفي اليوم التالي بعد الرحلة الرهيبة المجيدة، أخبر بها النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) القوم وبما كان من ذهابه إلى المسجد الأقصى (بيت القدس) والعودة في ذات الليلة. فكذّبوه وأصدروا في حقه الإهانات الكبيرة، ورجع البعض ممن كان قد آمن عن إيمانهم ولاقى أمراً عظيماً. وكان لم يخبر بعد إلا عن رحلة الإسراء ليلاً إلى بيت المقدس ولم يخبرهم عن المعراج وهو الصعود إلى السماوات ووجوده في حضرة العرش الجليل.

وعاد أبو بكر (رضي الله عنه) من تجارة كان فيها، ومكة ليس لها إلا الحديث عن رحلة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) إلى بيت المقدس والعودة منه في ذات الليلة. وقابل بعضهم أبا بكر ساخراً يخبره بما يُحدّث به رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فقال له بهدوء وتؤدة، "إن كان قال فقد صدق."

كلمة دخل بها أبو بكر التاريخ من أوسع أبوابه. وأسماه النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) الصدّيق منذ ذلك اليوم. فقالوا لأبى بكر، أوتُصدّق ما قال! فقال لهم الحجة البالغة العظيمة، "لقد صدّقته فيما هو أعظم من ذلك. قال يأتيه العلم من فوق سبع سماوات وصدّقته." (أو كما قال وكما حدث وليس بحديث)

وبقول أبى بكر عاد الإيمان إلى صدور من كان نفر عنه، وعاد الناس يطلبون من الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) أن يستغفر لهم وتناشط الناس في الدخول في الدين القويم.

وكيف لا يُصدّق الإنسان ذلك! والله تعالى قادر على كل شئ والمؤمن يَعلم أن من الملائكة من ينزل من السماوات إلى الأرض ويعود إليها في أقل من طرفة عين، وأن الله خلقه من قبل ولم يكن شيئاً، وخلق السماوات والأرض من قبل، وخلقهما أكبر من خلق الإنسان ولم يكونا شيئاً. فأين العجب إذاً! فإنما الواجب هو التّصديق المطلق والإيمان اللانهائي بأن ذلك مِن فعل من يقول للشيء "كُنْ فَيَكُونُ." فسبحان الله العلي العظيم الذي هو على كل



شيء قدير لا تدركه الأبصار وهو يُدركها وإليه المصير مالك الملك وملك يوم الدين، عزّ ربّنا وجلّ.

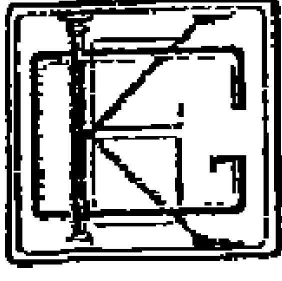
• عمر وحمزة. +

دخل في دين الله القويم اثنان من أحسن الرجال في قريش، لهما قوّة وشكيمة ويأباهما الجميع. الأول هو عمر الغنيّ عن التعريف ولقد أسماه النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) الفاروق، والثاني هو حمزة عم الرسول وأخوه في الرضاعة، وأسماه النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) أسد الله. وتحدّيا الجميع أن يقربوا أي منهما أو من أيّ من الذين آمنوا بأيّ بسوء.

عاد حمزة من رحلة صيد وقابله بعض الناس وأخبروه أن أبا جهل قد آذى محمدا أذيّة كبيرة، فقد وجده عند الصفا فآذاه ونال منه ما يكره من العيب لدينه، فسأل وأين يكون هو. فأخبروه أنه جالس عند الكعبة مع جَمْعِه. فتوجه إليه حمزة تملؤه الحميّة لابن أخيه. وذهب صَوْب أبى جهل وأقام على رأسه ورفع القوس فضربه بها ضربة شجّه منها شجّة منكرة فقامت له رجال من قريش وقالوا: "مَا نَرَاكَ إلاَّ صَبَوْتَ؟" فَقَالَ حَمْزَة "وَمَنْ يَمْنَعُنِي وقَدْ اسْتَبَانَ لِي مِنْهُ مَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولَ اللهِ وأَنَّ الّذِي يَقُولُ حَقٌّ، فَوَاللهِ لاَ أَنْزَعْ فَامْنَعُونِي إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ." فَقَامَ لَهُ مِن الْقَوْمِ يُرِيدُونَ مُهَاجَمَتِهِ فَصَدَّهُمْ عَنْهُ أَبُو جَهْلٍ وقَالَ، "دَعُوا أَبَا عِمَارَة، فَإِنِّي وَاللهِ قَدْ سَبَبتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبّاً قَبِيحًا. (أليس غريبا أن يظهر الندم في كلامه؟)

وكانت مفاجأة للجمع والذي أخذه الذهول من إعلان حمزة متابعته لمحمد (صلّى الله عليه وسلّم) ولم يكن حمزة بأقل مفاجأة منهم وكذلك كان محمد (صلّى الله عليه وسلّم).

ولم يذهب حمزة إلى محمد (صلّى الله عليه وسلّم) من فوره بل مكث بضع يوم حتى تيقّن أن إعلانه متابعة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) كانت عن يقين وليست من الحميّة العرقيّة. لأن الدين عقيدة وليست مناصرة ويجب الإيمان من القلب وليس عن ظاهر. ولا يقبل الله تعالى من المؤمن بأقل من التسليم الكامل، وإلا كان عمله وظاهره وباطنه في مهبّ الريح. عندها ذهب حمزة لمقابلة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ودخل دينه وأعزّه الله به. وعرفت قريش أن محمداً قد عزّ وامتنع بحمزة فكفّوا عنه ودخل من وراءه كثيرون في دين الله.



وإنه لمن الغريب حقا أن نلاحظ أن هؤلاء الناس كانوا ذوى شرف عظيم وحماية عظيمة لأبناء النسب. كما أنهم يعترفون بذنوبهم ويتراجعون للحق، ويقبلون توقيع الحدّ عليهم كما ظهر من قول أبي جهل.

خرج عمر يوما متوشّحاً سيفه وكلّه غضب يطلب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يريد قتله. فلقيه أحد معارفه ورأى الغضب في وجهه، فَقَالَ، "أَيْنَ تُرِيدُ يا عُمَرْ؟"

قَالَ، "أُرِيدُ مُحَمَّداً هَذَا الصَّابِئُ الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْش، وسَفَّهَ أَحلامَهَا وعَابَ دِينَهَا وسَبَّ آلِهَتَهَا، فأَقْتُلُه؟"

فقَالَ لَهُ، "وَاللهِ لَقَدْ غرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عُمَرْ. أتُرَى بَنِي عَبْدُ مُنَافٍ تارِكِيكَ تمْشِي عَلَى الأَرْض وقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّداً؟ أَفَلاَ تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ؟"

قَالَ، "وأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟"

قَالَ، "خَتَنُكَ وابْنُ عَمِّكَ وأُخْتُكَ. فَقَدْ وَاللهِ أَسْلَمَا وتَابَعَا مُحَمَّداً عَلَى دِينِهِ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا."

فَرَجَعَ عُمَرْ عَائِدًا إِلَى أُخْتِهِ. وعِنْدَهَا أَحَدُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْهَا وعَلَى زَوْجِهَا بَعْضَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

[وَسَمَعَ الآيَةَ:

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

سورة المؤمنون — هذه الفقرة ليست من الحديث]

فَلَمَّا سَمَعُوا حِسَّ عُمَرْ خَبَّئُوا الصَّحِيفَةَ والْقَارِئَ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ.

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ، "مَا هَذِهِ الْهَيْمَنَةُ الَّتِي سَمِعْتُ؟" فَأَنْكَرَا وقَالاَ لَهُ، "مَا سَمَعْتَ شَيْئاً."

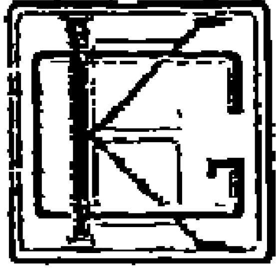
قَالَ، "بَلَى وَاللهِ لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّداً عَلَى دِينِهِ."

وبَطَشَ بِصَهْرِهِ فَقَامَتْ أُخْتُهُ إِلَيْهِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا. فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ قَالاَ لَهُ، "نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وآمَنَّا باللهِ ورَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ."

فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدَمَ عَلَى مَا صَنَعَ وارْعَوَى. وقَالَ لأُخْتِهِ، "أَعْطِنِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تَقْرَؤُونَ آنِفًا، أَنْظُرُ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ؟"

(وكان عمر كاتبا وأديبا وشاعرا وله علم بالعربية الفصحى، ويستسيغ الكلام الطيب ويحب سماع الفكر العالم)

قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ، "إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا." قَالَ لَهَا، "لاَ تخَافِي." وأَقْسَمَ لَهُمَا لَيُرْجِعَهَا إِلَيْهِمَا



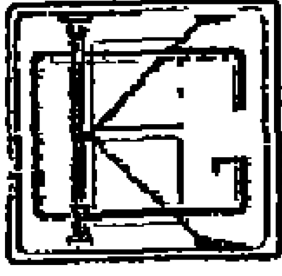
بَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ مَا فِيهَا. عِنْدَ ذَلِكَ تَمَنَّتْ هِيَ أَنْ يَقْتَنِعَ عُمَرُ بِالدُّخُولِ فِي دِينِ اللهِ الْقَوِيمِ. فَقَالَتْ لَهُ، "يَا أَخِي إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شِرْكِكَ، وإِنَّهُ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ." فَقَامَ عُمَرُ واغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، وفِيهَا سُورَةُ طَهَ فَقَرَأَهَا. فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ صَدْرِ السُّورَةِ قَالَ، "مَا أَحْسَنُ هَذَا الْكَلاَمِ وأَكْرَمُهُ." (كانت من صدر سورة طه)

فَمَا أَنْ سَمِعَا ذَلِكَ، قَالاَ "وَاللهِ يَا عُمَرُ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ (صلّى الله عليه وسلّم)، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ، "اللَّهُمَّ أَيِّدَ الإِسْلاَمَ بِأَبِي الْحَكَمِ ابْنَ هِشَامٍ أَوْ عُمَرِ ابْنَ الْخَطَّابِ" وفي لفظ آخر "اللَّهُمَّ أَيِّد الإِسْلاَمَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ." (وكان اسم أبا الحكم عمرو). "فَاللهُ اللهُ يَا عُمَر." وخرج عمر من عند أخته متجها إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وهذه المرّة لا ليقتله، بل ليناصره ويتبعه. وكان النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) في أحد الدور مجتمعا بالمؤمنين والذين رأوا عمر آتيا متوشّحا سيفه، وأخبروا النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بذلك وسألوه هل يُدخلوه أم لا يفتحوا الباب ويردّوه. فأخبرهم أن يُدخلوه ويدعوه له.

فَقَالَ حَمْزَة، "فَأْذَنْ لَهُ فَإِنْ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ، وإِنْ كَانَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ."
فَأَذِنُوا لَهُ ونَهَضَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) حَتَّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ثُمَّ جَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، وقَالَ، "مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ فَوَاللهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِي حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً."
فَقَالَ عُمَرُ، "يَا رَسُولُ اللهِ، جِئْتُكَ لأُومِنَ بِاللهِ ورَسُولِهِ وبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ."
فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) تَكْبِيرَةً عَلِمَ مِنْهَا الْجَمِيعُ إِيمَانَ عُمَرِ ابْنَ الْخَطَّابِ.
(أو كما حدث وقال عن ابن إسحق ذكره ابن كثير في البداية والنهاية)
فكبّر الجميع تكبيرة اهتزّت لها مكة وخاب لها الشيطان. وتتابعت الناس في الدخول علانية في دين الله الحنيف بعد إسلام عمر وغضبت قريش غضبا شديدا.

• جدال قريش النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وأن يُنزل بهم العذاب. +

إذا أراد الله تعال أن يُنزل العذاب بقوم، فإنه ينتظر دعوة الرسول على قومه، أي شهادته عليهم أنهم قوم فاسقين ولا رجاء منهم. وقد طلبت منه قريش تحدّياً له أن يأتيهم بعذاب الله الذي يُخوّفهم به يُحذّرهم منه عدّة مرات، والنبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) لا يُريد عذاباً



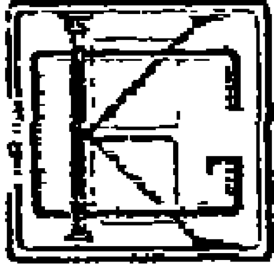
لقومه، ولكنه يريد هداهم والله تعالى أعلم بما يُريد. فكان دائم الدعاء أن يهدي الله تعالى أهله وقبيلته، ويفتح لهم بصيرتهم حتى يروا الحق، ويُؤمنوا بالله الواحد ويعبدوه، وفي ذلك رحمة من الله عظيمة. فأن يُنزل الله عذابه بقومٍ أمر خطير جدًا ما بعده خطر، فهو نهاية مطافهم ومن بعده نار الله الموقدة يخلدون فيها أبدا.

وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ الأنفال

ونزول العذاب لا يطلبه إلاّ جاهلٌ أُعميَ عن الحق مغلوب على أمره من الشيطان الرجيم. ولم يُنزل الله تعالى العذاب بقوم إلا بعد أن يُشهد عليهم نبيّهم. وساعتئذ يُنجي الله نبيّه والذين آمنوا معه، ثم يُنزل العذاب الذي يمحو القوم ولا يُبقي لهم من أثر. فما دام النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بينهم والمؤمنون، فإن ذلك حصانة لهم من عذاب الله ولكنهم لا يعلمون ذلك. إنما هو تحدّ الجاهل بما لا يعلم. وكان الله تعالى يعلم أن نهاية مطافهم أن يُنَقِّيَ نفوسهم، ويأخذ منهم من كان لا يدخل الإيمان قلبه ويُهلكه. ويبقى النصر لدين الله تعالى ولنبيّه (صلّى الله عليه وسلّم) والمؤمنين. والله يريد نُصرة نبيّه ويريد بهؤلاء خيراً، ولكن بعد كفاح وإلى حين.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ العنكبوت

والعذاب لا يأتي لأن بعض الْجُهّال طلبه، ولكنه قدر من الله وله موعد مسبوق ومرسوم ومُقدّر من الله العزيز. وإذا جاءهم العذاب فهو عذاب غير مردود ولا تبديل لكلمات الله عزّ ربّنا وجلّ. ثم إنهم آتيهم العذاب ولكن كما يريد الله، فهو يُريد أن يستخلص لدينه الْخَيّرين ويُبقي عليهم، ويتوعد الآخرين منهم بعذاب يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فالأجل والثواب والعذاب من عند الله فهو من الغيب الذي يجب الإيمان به.



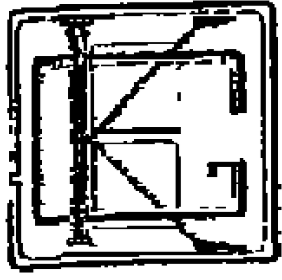
لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ الأنفال

ولكن تحدّيهم هذا طريق اختبار وهزأ منهم بالحق وهم لا يعنون ذلك فهم يعلمون أنه رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ولكنهم لا يهتدون بالهيّن. وكيف يُنزّل الله بهم ما يطلبونه من عذابٍ مُنكرٍ ورسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بين أظهرهم يطلب لهم المغفرة والهدى، والمؤمنون معه يُصلّون لله تعالى أن يهدى القوم الظالين منهم ويرحمهم وينير قلوبهم. وأبواب التّوبة مفتوحة للجميع. هي رحمة يُؤتيها الله من يشاء من عباده، ورحمة الله واسعة.

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ الإسراء

اجتمع زمرة من أشراف قريش بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة يتناقشون في أمر محمد وعن مساومته في أمرهم.

*** فقال بعضهم، ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه. فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك. فجاءهم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم. فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت



الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة، فما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت تطلب شرفا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك– وكان يسمون التابع من الجن الرئي – فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): "مَا بيَ مَا تَقُولُون. مَا جِئْتُكُم بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ ولاَ الشَّرَفَ فِيكُم وَلاَ الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولاً وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وِالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ."

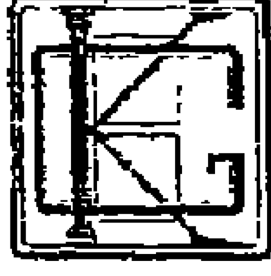
أو كما قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) تسليما.

فقالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا، فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آبائنا وليكن فيمن يبعث منهم قصي ابن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول.

فقال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، "مَا بِهَذَا بُعِثْتُ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ."

قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم.

فقال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، "مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، مَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلَ رَبَّهُ هَذَا



وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهذَا وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ."

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، "ذَلِكَ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ."

فقالوا: يا محمد، أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب، فيقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به؟ فقد بلغنا لأنه إنما يعلمك هذا الرجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلكنا. وقال قائلهم، نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم، لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا.

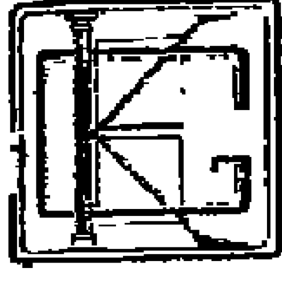
فلما قالوا ذلك قام رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) عنهم وقام معه عبد الله ابن المغيرة ابن عمر ابن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب، فقال:

يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله، فلم تفعل ذلك. ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما، ثم ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول. وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك.

ثم انصرف عن رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وانصرف رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) إلى أهله حزينا أسفاً لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم إياه. (عن ابن عباس رواه ابن جرير)

ولو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا. وكيف وقد أعلنوا له أنهم حتى إذا رأوه يعلو إلى السماء أو يأتي بالله والملائكة قبيلا ما صدقوه. لهذه الدرجة طبع عليهم كفرهم.

وعلى الرغم من ذلك يلاحظ أنهم يقولون لو أن الله و لو أن ربك وهذا دليل عن إيمانهم



بوجود الله سبحانه، تعالى الله عما يقولون من بهت وكفران علوا كبيرا وهو وحده العالم بما في قلوبهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأنفال

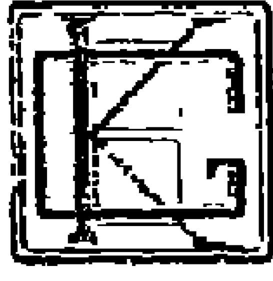
وكيف يطمإنون إلى أنه لا يأتيهم العذاب ويأمنون وهم يصدون الناس عن البيت الحرام لقضاء منسكهم. كانت قريش تفخر بأنّهم حرّاس الكعبة، وهذا شرف كبير لا ينبغي إلاّ للمؤمنين المتقين الذين يأخذون ما أمرهم الله بقوّة وعزم. فقد كانوا يطوفون حول الكعبة ليلا ليس عليهم ما يسترهم عرايا يُصفّقون ويُهللون ويعتقدون أن الله يقبل منهم عبادتهم للأوثان وطوافهم عرايا. معاذ الله من ذلك.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام

وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يصلى لهم ليتوبوا ويُنيبوا إلى الله تعالى ويطلب لهم المغفرة والهدى. أما الذين أوصدوا قلوبهم وظلموا أنفسهم وابتعدوا عن الحق فلهم عذاب شديد وحين يذكر الله العذاب الشديد فهو يعني في الدنيا والآخرة. وكان الله على موعد مع الأحداث فهو صانعها، عالم الغيب الرحمن الرحيم يمهل ولا يهمل بيده الأمر كله.

• بيعة الأنصار. (العقبة)+

وأجمع أهل يثرب أمرهم وعادوا إلى مكة في الموسم، حسب وعدهم لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بعد أن تشاوروا فيما بينهم واستقر أمرهم على ألاّ يتركوا الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) يُعانى من أهل مكة ما هو فيه والمؤمنين من حوله. ووصل وفدهم مع القافلة التي من يثرب وفيها عدد كبير من المشركين. وقابل بعض منهم محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) وتواعدوا معه اللقاء في شِعَبِ العقبة (اسم مكان بالجبل قرب مكة) فكانوا يخرجون سرّاً إلى لقائه في مجموعات صغيرة أو فُرادى. فاجتمع في شِعب العقبة سبعون رجل وامرأتين، وفي قول، وامرأة واحدة، هم صفوة الخلق. وحضر محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وفي صحبته عمه العباس ابن عبد المطلب، وكان على دين قومه. إنما أراد الحضور حماية



لمحمد (صلّى الله عليه وسلّم) من أن يُغدر بـه، وأراد أن يستوثق لـه. فلما جلسوا كـان العباس أوّل من تكلم. فقال:

*** "يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجْ (وكانت العرب يسمون أهل يثرب الخزرج على الرغم من أنهم الأوس والخزرج أبناء عمومة)، إنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ. فَهُوَ فِي عِزَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ ومَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ. وإنَّهُ قَدْ أَبَى إلاَّ الانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ واللُّحُوقَ بكُمْ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ ومَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ فَأَنْتُمْ ومَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ. وإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ فَمِنَ الآنَ دَعُوهُ. فَإِنَّهُ فِي عِزَّةٍ ومَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وبَلَدِهِ."

فَقَالُوا لَهُ، "قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ. فَتَكَلَّمْ أَنْتَ يَا رَسُولُ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ ولِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ."

فَتَلاَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ودَعَا إِلَى اللهِ ورَغَّبَ فِي الدِّينِ الْحَنِيفِ ثُمَّ قَالَ، "أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وأَبْنَاءَكُمْ."

فَأَخَذَ بِيَدِهِ مَنْ أَخَذَ قَائِلاً، "نَعَمْ. فَوَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا."

فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ وهُمْ يَقُولُونَ، ونَحْنُ واللهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ وَرِثْنَاهَا كَابِرٌ عَنْ كَابِرٍ.

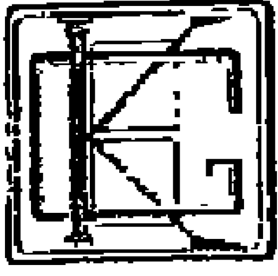
ودَخَلَ أَحَدُهُمْ فِي الْحَدِيثِ قَائِلاً: "يَا رَسُولُ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً وإنَّا قَاطِعُوهَا (يعنى العهود) فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وتَدَعَنَا؟" فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) ثُمَّ قَالَ:

"بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، والْهَدْمَ الْهَدْمَ. أَنَا مِنْكُمْ وأَنْتُمْ مِنِّى. أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ."

ومِنْهُمْ مَنْ قَالَ، "يَا رَسُولُ اللهِ عَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟" فَقَالَ:

"تُبَايِعُونِى عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِى النَّشَاطِ والْكَسَلِ، والنَّفَقَةِ فِى الْعُسْرِ والْيُسْرِ، وعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْىِ عَنْ الْمُنْكَرِ. وأَنْ تَقُولُوا فِى اللهِ ولاَ تَخَافُوا فِى اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ. وعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِى فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وأَزْوَاجَكُمْ وأَبْنَاءَكُمْ، ولَكُمْ الْجَنَّةَ."

وَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: "رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِب، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبَ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الإِبِلِ إلاَّ ونَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ. وإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُنَاوَأَةٌ لِلْعَرَبِ كَافَةً، وقَتْلُ خَيَارِكُمْ وتَعُضُّكُمْ السُّيُوفُ. فَأَمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ فَخُذُوهُ وأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وأَمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ. فَبَيِّنُوا ذَلِكَ فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ." (أو كما حدث أو كما قال مختصر عن



ابن إسحق وابن الأثير يدخل حديثهما في بعض)

فعند ذلك بايعه الجميع أيدٌ تسبق أيدٍ. ما كان لهذا أبداً سابقةٌ في التاريخ. هؤلاء رجال لله إن أرادوا أراد. هم رجال الله لنصرة نبيّه (صلّى الله عليه وسلّم)، فهم لم يتزعزعوا ووقفوا وقفة رجل واحد.

يا لحظهم بين الناس. لقد كانوا مؤمنين من قبل أن يروا رسول الله ولكنهم لم يعلموا حتى رأوه، وعلموا أن الله حق فتبعوه (صلّى الله عليه وسلّم).

*** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَبِمَجَنَّةٍ وَبِعُكَاظٍ وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى. "مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالاَتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وَلَهُ الْجَنَّةُ." فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ أَوْ مِنْ الْيَمَنِ أَوْ زَوْرِ صَمَدٍ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ، احْذَرْ غُلاَمَ قُرَيْشٍ لاَ يَفْتِنُكَ. وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ فَيُؤْمِنُ بِهِ فَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلاَمِهِ، حَتَّى لاَ يَبْقَى دَارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إِلاَّ فِيهَا رَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الإِسْلاَمَ.

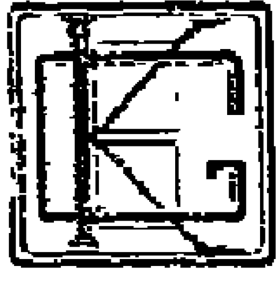
ثُمَّ بَعَثَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأْتَمَرْنَا وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلاً مِنَّا. فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَدَخَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ.

فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ، يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ! إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ.

فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وُجُوهِنَا قَالَ، هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَ أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلاَءِ أَحْدَاثٌ.

فَقُلْنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلاَمَ نُبَايِعُكَ!

قَالَ: "تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لاَ تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ



وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ."

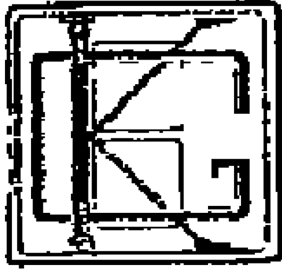
فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ. فَقَالَ، رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلاَّ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعَضَّكُمْ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللَّهِ. قَالُوا، يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ. فَوَاللَّهِ لاَ نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلاَ نَسْتَقِيلُهَا. فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلاً رَجُلاً يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ. (رواه أحمد عن جابر بن عبد الله)

إنهم لم يسألوا ماذا سيأتيهم من متابعة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) أو من نصرة الدين الحنيف، فهم جاءوا ليُعطوا وليس ليأخذوا، ليهبوا وليس يُهب لهم، ليضحّوا بالغالي والرخيص وليس يُضحّى لهم. فلهم الجنة بعزمهم وقوة إيمانهم، وهو أمرٌ يهوى إليه الجميع، ممن كانت له بصيرة حميدة. ولم يسأل أحد منهم ما يصيبه في دنياه فقد اشتروا لأنفسهم الآخرة بأن لهم الجنة ولم يبتغوا الدنيا الزائلة.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التوبة

*** عن عبد الله بن كعب ابن مالك، قال، فلما بايعنا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط! "يا أهل الجباجي (المنازل) هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم. قال فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، "هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب. أتسمع أي عدو الله؟ أما والله لأتفرغن لك." (ذكره ابن إسحق)

كان الشيطان يبلغ أعداء الله ويحذرهم من بيعة العقبة مناديا لهم لمناهزة المسلمين. سمعت قريش بأمر البيعة، وبين مُصدّق ومُكذّب لها. وجاءوا إلى أهل القافلة يستحلفونهم بالله



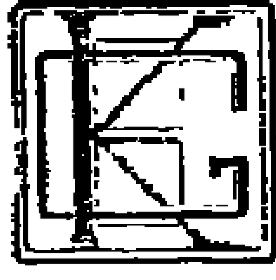
لِيُخبرونهم الصّدق. فكان المشركون يحلفون لهم أنهم لا يعلمون، وهم صادقون في ذلك فليس لهم علم بما تم في العقبة. والمؤمنون يبتسمون لذلك في صمت. وعلمت رجال قريش اليقين من بعد أن رحلت القافلة عائدة إلى يثرب وأهل مكة يضربون أخماسا في أسداس. أليس يدعو للدهشة من تعامل القوم في مكة مع رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) مثل عمه العباس ابن عبد المطلب. وكان على الشرك! فهو وإن خالف محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) في العقيدة إلاّ أنه لم يدّخر وسعاً في أخذ الأمان له. وهو الذي حارب النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) مع أهل مكة في أوّل موقعة بينهم وأخذ أسيراً ثم افتدى نفسه. ثم فيما بعد كان هو وولده عبد الله (ترجمان القرآن) من أفقه الناس وكذلك من ذرّيته. وهم الذين أخذوا منصب القيادة لفترة طويلة من الزمن فيما بعد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم).

ورضي الله تعالى، وابتسمت الملائكة وسكنت نفوس المؤمنين. وهلع الشيطان.

الهجرة. +

لما علم المشركون في مكة أمر البيعة والعهد العظيم الذي كان بين محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وأهل يثرب، أخذوا في زيادة اضطهاد المؤمنين، وأذاقوهم أمرّ العذاب وساء ما كانوا يفعلون. فأخذوا في التضييق عليهم حتى أن منهم من كان يدعو الله في صمت وصلاة أن متى نصر الله. وأَذِنَ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) للمؤمنين بالهجرة إلى يثرب (المدينة فيما بعد). فكانوا يتسلّلون ليلاً وفجراً في غيبةٍ عن أعين الكافرين. ويدعو الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) لهم بسلامة الترحال وسلامة الوصول إلى يثرب .

وفي يثرب كان الأنصار عند حسن الظن بهم. فقدّموا كل ما لديهم لاستضافة القادمين عليهم من مكة. فهم رفقاء وأصحاب حبيبهم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) والحاملين معهم العلم النافع واخوتهم في الدين الحنيف. يهربون إلى الله تعالى فهو مولاهم وهو أدرى بهم فنعم المولى ونعم النّصير. فالضعفاء منهم كانوا يُلاقون الهول من قريش، ومنهم من ترك كل شئ خلفه وإن لم يكن شيئاً كثيراً، إنما هو كل ما يملكون. وكانوا يتركون جماعاتًا وأفرادًا على ظهر أو مشيًا على الأقدام، وكان جلّ مطلبهم هو السلامة ونصرة الدين. والمسافة من مكة إلى يثرب أكثر من خمسمائة كيلومترا. أما الأقوياء فكانوا يخرجون نهارًا جهارًا. لا يخافون في الله لومة لائم. فخرج عمر إلى الكعبة في وضح النهار وأعلن خروجه



إلى يثرب وتوعّد من يقف في طريقه بالفناء واصطحب معه بعضًا من القوم الضعفاء حامياً لهم. قيل عشرون من الضعفاء.

وكان النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) لا ينبس ببنت شفة، والمشركون في حيرة من أمره. وطلب أبو بكر من النبيّ أن يأذن له بالهجرة إلى يثرب، فأخبره أن انتظر يقول: لاَ تَعْجَلْ لَعَلّ اللهُ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِباً. وكان النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) يدعو بما ألهمه الله سبحانه.

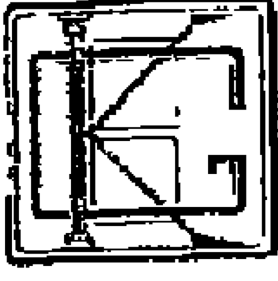
وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ الإسراء

ولما رأت قريش كثرة هجرة المؤمنين إلى يثرب، أخذ منها الهاجس بأن محمداً (صلّى الله عليه وسلّم) قد صار له شيعةً وأصحابًا في يثرب، وأنه هناك يقوى شأنه بمن هاجر ومن أتباعه ومن يناصره من يثرب. فخشوا أمر هجرته إلى يثرب، حيث يتمكن من أن يجمع على حربهم. وبدءوا يتآمرون فيما بينهم. واجتمع أشراف القوم في دار الندوة يتشاورون في أمر رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حين خافوه. فاجتمعوا وإبليس دليلهم، يتفكرون ما هم فاعلين. واتفقوا على رأى اقترحه أبو جهل. وهو أن يأخذوا من كل قبيلة فتىً شابًا نسيبًا وسيطًا، ويعطون كلا منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إلى النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فيضربوه ضربة رجل واحد. فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف على حربهم جميعا فيقبلوا بالديّة.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ الأنفال

فهذا علمٌ من الله تعالىٰ لرسوله (صلّى الله عليه وسلّم) بما كان من أمر الكفار وما ائتمروا عليه وإذناً له بالهجرة. ثم أعلمه جبريل (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بأمرهم وما عزموا عليه، فقال له: لاَ تَبتْ هَذِهِ اللّيلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الّذِي كُنْتَ تَبيتَ فِيهِ.

فلما كان اللّيل اجتمعوا على بابه تحت جنح الظلام، يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه. فلما رأى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) مكانهم قال لعليّ ابن أبي طالب: نِمْ عَلَى



فِراشِي وتسَجَّ بِبُرْدِي هَذا الْحَضْرَمِيّ الأَخْضَرْ، فَنِمْ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُص إلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ينام ببرده ذلك إذا نام.

فلما اجتمعوا على بابه وفيهم أبو جهل، قال لهم: إِنَّ مُحَمَّداً يَزْعَمْ أَنَّكُمْ إنْ تابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ، كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ والْعَجَمِ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَجُعِلَتْ لَكُمْ جِنَانٌ كَجِنَان الأُرْدُنْ. وإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ فِيكُمْ ذَبْحٌ ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، ثُمّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارًا تُحْرَقُونَ فِيهَا. فَخَرَجَ رَسُولَ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) فَأَخَذَ حِفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ وأَنْتَ أَحَدُهُمْ. وأَخَذَ اللهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلاَ يَرَوْنَهُ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ.

ولم يبق منهم أحد إلا وقد وُضع على رأسه ترابٌ، ثم انصرف رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) إلى حيث يريد.

وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ يس

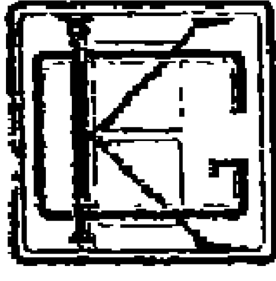
فلما أفاقوا من أثر الدهشة، وعلموا ما حدث وأن عليًّا هو الذي في الفراش وليس محمدًا، أخذهم الخزي والحياء وهربوا بما تبقّى لهم من ماء الوجه، من قبل أن تعلم العرب أنهم انتهكوا حرمة البيوت. ولم يعلم أبو جهل أنه كان يقول حقًّا عندما قال ما قاله.

وتخلّف عليٌّ بأمر من رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حتى يُؤدّى عن رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وليس بمكة أحد إلاّ وضع عنده، لما يُعلم من صدقه وأمانته. أليس عجبًا أن يأتمنوا النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) كل هذا الائتمان ولا يُؤمنون بما جاء به؟ والآن وبعد أن تركهم والتراب عليهم أمام بيته ألم يكن الأجدر بهم أن يُؤمنوا به فيتبعوه؟ وذهب النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) ليختفي حيث شاء الله له إلى ما بعد الظهيرة حيث الحر الشديد، ثم توجه إلى بيت أبى بكر. وظن أبو بكر أن هذا وقت غير الأوقات التي يأتيهم فيها النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وهرع إلى لقائه سائلاً عن الأمر.

فَقَالَ لَهُ ، "إنّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي بالْخُرُوجِ والْهِجْرَةِ."

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، "الصُّحْبَةُ يَا رَسُولُ اللهِ!"

قَالَ ، "الصُّحْبَةُ." (مختصر من حديث رواه ابن إسحق)



وكان أبو بكر (رضي الله عنه) قد خصص ناقتين من خير الإبل، وائتمن عليها من يرعاها ويعلفها استعداداً لهذه اللحظة. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قد اتفق مع دليل من خير الناس، وكان مشركاً ولكنه كان أميناً. وفي سرعةٍ كانا على الطريق يقودهما الدّليل عبر طريق حول مكة عكس الطريق المؤدّية إلى يثرب تعميةً على المشركين الذين ما أضاعوا وقتاً في اقتفاء أثر المهاجر العظيم وصاحبه. وأخذهما الدّليل إلى جبل ثور حيث يوجد أعلاه غارٌ صغيرٌ. وأما المشركون فقد بادروا بإعلان فدية، عن كل من النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وصاحبه، لمن يلحق بهما ويحضرهما. واستأجروا من يقتفي أثرهما، وكان الأمر مسألة وقت حتى يجدوا الأثر الذي يدلّهم على مكانهما. وكانوا بارعين في اقتفاء الأثر.

******* عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) أن يأتي بيت أبى بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه. أتانا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بالهاجرة في ساعة لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر قال، ما جاء رسول الله في هذه الساعة إلاّ لأمر حدث! قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وليس عند رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) أحد إلاّ أنا وأختي أسماء بنت أبى بكر. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ." قال، يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبى وأمي؟

قال: "إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَة."

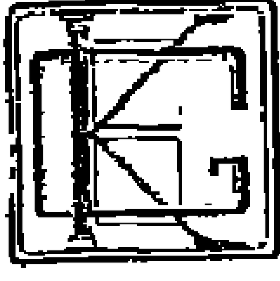
قالت: فقال أبو بكر، الصحبة يا رسول الله؟

قال: "الصُّحْبَة."

قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى. ثم قال، يا نبيّ الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا. فاستأجرا عبد الله ابن أرقد.

(قال ابن هشام، ويقال، عبد الله ابن أريقط. رجلا من بنى الدئل ابن بكر، وكانت أمه من بنى سهم ابن عمرو، وكان مشركا، يدلهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.) (رواه ابن اسحق)

• آية الغار. +



دخل النبيُّ (صلّى الله عليه وسلّم) وصاحبه الغار، وتركا ناقتيهما مع الدّليل، واتفقا معه أن يأتيهما بعد ثلاثة أيام. وكان في القرب أحد الرعاة ومعه غنم لأبي بكر فمشى بالغنم على أثر الإبل يُمحى الأثر.

شجرة ورد صغيرة نمت على مدخل الغار، **تحجزه.**

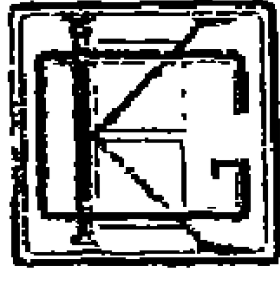
عنكبوت جاء ونسج بيته على مدخل الغار، **يحجبه.**

يمامتان جاءتا ووضعتا عشهما أمام مدخل الغار وباضتا بيضا، **تمنعه.**

الله أكبر. ما هذا الشيء العظيم. أشياء صغيرة تحدث كل يوم ولا نلتفت إليها، فالعنكبوت ينسج نسيجه كل يوم، والشجرة تنمو كل يوم وليس بهذه السرعة، واليمامة تبيض كل يوم، وما هو بأمر عجب. إنما حين يجتمع الأحداث الثلاثة في زمن واحد وفي وقت الحاجة إليه وبهذه السرعة، فإن ذلك آية كبرى من الله سبحانه وتعالى ليستر على نبيّه (صلَى الله عليه وسلَم) ورفيق الرحلة في موضعهما، ويُغشّى عليهما بقدرة منه. ويرينا الله تعالى أنه بتلك المخلوقات التي لا نكاد نلحظها في يومنا، يعمل أقوى الآيات التي تَشد القلوب وتذهب بالألباب.

ووصل المشركون إلى جبل ثور مقتفين الأثر والذي لابد وأنهم مكتشفوه. وأرسلوا من يبحث الغار، فوجدوا أنه لا يمكن لإنسان أن يدخل الغار من دون أن يُصيب اليمامتين وبيضهما وهما مطمئنتين في عشّهما وبيت العنكبوت والشجرة.

***	ليلة الغار، أمر الله شجرة فخرجت في وجه النبي (صلّى الله عليه وسلّم) تستره، وأن الله بعث عنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة. وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم، حتى إذا كانوا قدر مائتي ذراع قال الدليل، هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضع رجله. فقال الفتيان أنت لم تخطئ منذ الليلة. حتى إذا أصبحن قال، انظروا في الغار. فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) قدر خمسين ذراعا، فإذا الحمامتان ترجع. فقالوا، ما ردّك أن تنظر في الغار؟ قال، رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد. فسمعها النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فعرف أن الله قد درأ



عنهما بهما. (عن زيد ابن أرقم والمغيرة ابن شعبة وأنس ابن مالك رواه ابن عساكر)

*** عن أنس ابن مالك أن أبا بكر حدثه، قال، قلت للنبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) ونحن في الغار، "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى تَحْتِ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ!"
فَقَالَ (صلّى الله عليه وسلّم)، "يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا!" (أو كما قال رواه أحمد والبخاري ومسلم)

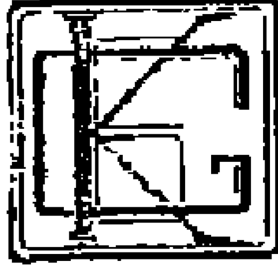
إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) التوبة

ليس هذا بطريد ملاحق، وليس هو برجل مطلوب، وليس الأمر أمر رجل، ولكنه أمر دين الله تعالى الذي يريد الله أن ينصره. ويريد الله تعالى أن يضع رسالته على الأرض إلى أبد الآبدين. فهذا نصرٌ من عند الله وفتحٌ لدينه مبين، ونصرٌ لرسوله (صلّى الله عليه وسلّم). وكان ذلك بعد أن بدأ (صلّى الله عليه وسلّم) الرسالة بثلاث عشر عاماً في مكة، يدعو ولا مجيب، ينصح ولا من مستمع، وكلما دخل أحدهم في دين الله ازدادت الكراهية والبغض والقسوة على المؤمنين، والله يريد نُصرة دينه على الكافرين.

إذ الدعوة للدين الحنيف تنتقل الآن من حال الدفاع عن الحق إلى حال الإعلان المفتوح، ومن الضعف إلى القوة، ومن البحث عن أنصار إلى العزم على المبادرة. وفي هذه اللحظة العظيمة تغيّر تاريخ العالم أجمع، ونصر الله نبيّه (صلّى الله عليه وسلّم) وعمّى على الكافرين أمره، وأصبح الباب مفتوحاً أمام رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ليُؤدى ما عليه من كمال الرسالة السماويّة المجيدة.

وفي هذه اللحظة بدأ التقويمُ الهجريُّ المعمول به إلى يوم الدين وهو تقويمٌ قَمَرِيٌّ.

كان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) خير من يعرف كيف يختار الرجال. وكان هنا يُعطى العالم درسا في اختيار الرجال



﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ القصص ٢٦

فقد استأجر الدّليل وكان مشركاً لعلمه بأمانته وخبرته. ولولا ذلك ما استأجره، ولقد لحق به فيما بعد وتبع النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم). وعندما اتفق مع أهل يثرب في بيعة العقبة اصطحب معه عمه العباس ولم يصطحب حمزةً أو عمرا أو أبا بكرٍ، وجميعهم خير قوم وأقوى الناس. إنما كان هناك ائتمان لدعوة العم الذي يحبه ويحترمه للدخول في الدين الحنيف. وكان أعلم الناس أن هؤلاء ليس منهم من يتخلّى عنه ولا يُقصّر في أمانته. فالخبرة أوّلا ثم الأمانة، فإن تلاقيا فأنت منصورٌ بإذن الله.

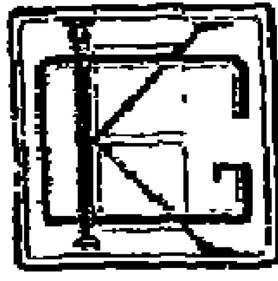
وبعد أن ذهب كفار مكة عن الغار وأصبح المكان آمنا وفي الموعد المتفق عليه، أتى الدّليل وقاد المهاجر العظيم (صلّى الله عليه وسلّم) ورفيقه الصّدّيق، عبر طريق غير مأهولة وبعيدة على لحاق الكافرين بهم، إلى يثرب وحيث ينتظره قومه والذين استعدّوا لهذا اللقاء بعد أن علموا عن خروج الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) وأبي بكر من مكة.

الوصول إلى يثرب. +

منذ أن خرج النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) من مكة والقوم في يثرب في شغل شاغل في انتظار وصوله الكريم. فكانوا يخرجون في انتظاره طوال النهار. وفي يوم شديد الحرارة وبعد فترة القيلولة بقليل، وكان القوم قد ذهبوا إلى بيوتهم من شدة الحر:

كان أحد أشراف اليهود على أعلى سطح بيته لقضاء بعض شأنه، وإذا به يرى من بعيد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وأصحابه مُبَيّضين يزول عنهم السراب. فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته، "يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ." فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقّوا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بظهر الحرّة. ونزل أبو بكر الصّدّيق للناس، وجلس رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) صامتاً.

فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يروا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يُحييّ أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فأقبل أبو بكر حتى ظلّل عليه بردائه. فعرف الناس رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) عند ذلك. ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس وهم في صمت وخشوع عظيمين. وصاح بعضهم يؤذّن بوصول النبيّ صلّى



الله عليه وسلّم، "الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله وجعل النساء يقلن:

طلع البدر علينا — من ثنيّات الوداع

وجب الشكر علينا — ما دعا لله داع

وسار الناس يتبعون رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وهو مُطلق الناقة، وحاول البعض الأخذ بخطامها (لما في ذلك من شرف)، ولكنه كان يقول، "خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ." فخلّوا سبيلها. وجعل كلما يمر بدار قوم يدعوه أهلها قائلين، "يَا رَسُولُ اللهِ أَقِمْ عِنْدَنَا فِي الْعَدِدِ والْعِدَّةِ والْمِنْعَةِ." فيقول، "خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ."

ثم بركت ناقة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ولم ينزل عنها، ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) واضع زمامها لا يُثنيها به، ثم التفتت خلفها، فرجعت إلى مبركها أوّل مرّة فبركت فيه، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها (أثقالها). فنزل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم).

(من حديثين لابن الزبير عن البخارى وابن إسحق يكمل أحدهما الآخر)

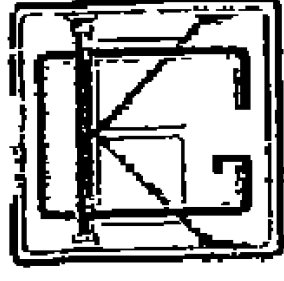
وأسمى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ديار يثرب "المدينة"، وأضاف إليها أصحابه لقب المنورة. فهي مُشَرّفَةٌ بوجود رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بها إلى الأبد ومُنَوَّرَةٌ يصدر منها نور الإيمان بالله تعالى.

فكان مبرك الناقة هذا مكان مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ومحل بيوته ومكتب إدارة المسلمين ونواة الأمّة المحمّدية العظيمة إلى يوم الدين. فأمر الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بالبدء في بناء المسجد.

وكان أوّل ما قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم)، "أَفْشُوا السَّلاَمَ وأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وصِلُوا الأَرْحَامَ وصَلُّوا بِاللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ." (أو كما قال من حديث ابن سلام متفق عليه)

المسجد المكتب.

وبدأ المؤمنون في بناء مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) واشترك هو بيده الكريمة في بنائه ولم يكن شيئاً ذات هيبة في البناء. إنما كان بناؤه من لبن وسقفه من سعف النخيل وأعمدته من جذوع النخيل. إنما كانت هيبته العالية بالحضرة النبوية الشريفة وما زالت



إلى الأبد.

وكان هذا المكان- مكان الصلاة والاجتماع- ومكتب إدارة شؤون المسلمين ومركز قيادة الجيش ومركز بيت المال. والأهم من ذلك كان مدرسة، هي أعلى مدرسة عرفها التاريخ. فيها أدّب وهذّب وعلّم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) أعظم رجال تخرّجوا من مدرسة الحياة العظيمة. تخرج منه رجالُ علمٍ وحربٍ وسلمٍ وعقيدةٍ وأدبٍ.

ومن حوله تم بناء حجرات رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ودور إقامته.

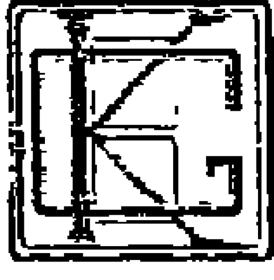
وأقام المعاهدات والمواثيق مع جميع أهل المدينة من فئات مختلفه وأخذ منهم العهد بمؤازرته والمؤمنين، وأعطى السلام لمن خالفه في الدين، ما دام لم يعاهد الأعداء على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) و من آمن معه، وكذلك دخلت القبائل القريبة من المدينة في العهود.

• صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). +

لم يكن في التاريخ لأيٍّ من الأنبياء أو الرّسل أو الملوك، هذا العدد الكبير من صحابة يدعمونه في صدق وأمانة وإخلاص. أدّبهم نبيّ الله (صلّى الله عليه وسلّم) فأحسن تأديبهم، وعلّمهم فأحسن تعليمهم، وهم إلى جانب ذلك لديهم من القابليّة الفطريّة ما يمكنهم من فهم واستيعاب ما يدور حولهم من الأمور العظيمة الفائدة. كان كلّ منهم مؤهلاً ليحكم العالم. كل ذلك في صدق وأمانة وإخلاص. كانوا يعلمون أن نصر الله ورحمته إنما تُؤتى من يسعى إليها بقلب خالص ومن غير أطماع في الدنيا الزائلة.

وعلى العموم، فإن كل من رأى محمداً (صلّى الله عليه وسلّم) أو جلس إليه فهو صحابيٌّ. ولكن هؤلاء الصحابة الذين تتلمذوا على يده كانوا حوالي ألف وخمسمائة. هؤلاء هم الذين أخذوا الكتاب بقوّة وعزم شديدين، ولم يفكر أحد منهم في الرجوع على عقبيه.

أسلموا وجوههم لله تعالى وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل الدعوة لدينه الحق. يسمعون ما يأمرهم به النبيّ ويُلبّون على الفور لأوّل نداء على السمع والطاعة. يعلمون أن في الاستشهاد في سبيل الله الجنة، وأن في طاعة نبيّه (صلّى الله عليه وسلّم) الجنة، فيُقدِمُون بعزمٍ والرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بين أظهرهم لا يخافون لومةَ لائمٍ في الله. يَصدُقون ولا يَكذبُون، ويقولون الحق ولو على أنفسهم، ناصرين الله ورسوله (صلّى الله عليه وسلّم).



كان الأقرب إليه، أبو بكر ابن أبى قحافة، وعمر ابن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وعلي ابن أبي طالب (رضى الله عنهم). وكان له أبو بكر وعمر كوزيري عدل و مشورة. يستفتيهما ويأخذ برأيهما، وهما كانا الأشد والأقوى في العزم.

أمّا في المشورة، فإنه كان يأخذ بمشورة أيّ كان، ما دام صاحب خبرة ومخلصاً لله ولرسوله (صلّى الله عليه وسلّم). فكان مثلاً صادقاً في الشورى وكانوا المثل الناجح في إعطائها. فكان ذلك درساً إماماً للمؤمنين أن يأخذوا بمشورة الناس.

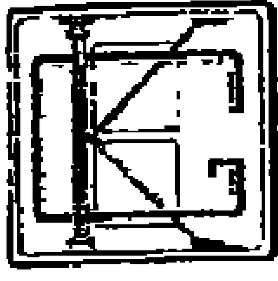
وكانوا جميعهم راغبين في العطاء والتضحية من غير خُذلان. وكان الجميع يتشاور مع النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) في أمور الدنيا سائلين ما بدا لهم، يستوي في ذلك الرجل والمرأة. أما النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فكان في نُصرة الجميع وإعطاء السّائل سُؤْلَه.

وعندما ابتدأت المعركة الأولى في سبيل الحق، كان عدد المحاربين ثلاثمائة وأربعة عشر محاربا في قليل من السلاح وقليل من الرّكاب. وكان عدوّهم قريش في عظيم سلاحهم ونخبة ركابهم ويفوقونهم عدداً، فقد كانوا حوالي الألف مقاتل. ولكنهم لم يخافوا ودخلوا المعركة بقلب يملؤه الإيمان بالله، فأنالهم الله من عدوّهم، فهزموهم وعلموا أن النصر من عند الله يُؤتيه من يشاء من عباده المخلصين.

كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة

وعندما فتح النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) مكة كان عددهم عشرة آلاف مقاتل، وسُلّمت له مكة بدون قتال، مع تعهد من قريش بمناصرة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) والمؤمنين، ثم لم يلبث أن آمنوا جميعا. فكان نصرا من عند الله وفتحاً أن جعل هؤلاء يُؤمنون ويناصرون الدين بعد أن كانوا أكبر خصومه. ومنهم من أصبح من الصحابة المقرّبين ومن القادة العظام.

وفي المعركة الأخيرة للنبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) كان عددهم إثنى عشر ألفا فأعجبتهم كثرتهم، فاعتقدوا أن النصر حليفهم. فأبى الله ذلك عليهم. فما أن ظهر لهم العدو وكان مجهّزا ومدرّبا ويفوقهم عدداً وعدةً، حتى ولّوا الأدبار وتركوا النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) في زمرة قليلة من أصحابه في قلب المعركة يُناجذ في بُطولة عظيمة ويُنادى عليهم. ثم أخذ



النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حِفْنَة من تراب وألقاها في وجه الأعداء قائلا: "شَاهَتْ الْوُجُوه." فاستجاب الله له وشاهت الوجوه وما كان من العدوّ سوى أن استسلم بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم).

فعلم المؤمنون أن الأمر ليس بالكثرة وإنما بالإيمان، وأن النصر والعزّة جميعاً لله تعالى يهبه من يشاء. وكان أن آمن العدوّ، فأخبروا أنه لم يكن أحد منهم من غير أن يصيبه في عينيه شئ من التراب الذي ألقاه النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فعمى عليهم.

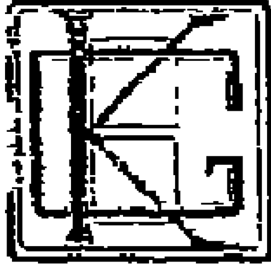
والله ناصرٌ من ينصره، إذا كان ذلك في سبيل الله والحق، وليس بالعدد والعدة، وإن كانا لازمين، وإنما التوكّل على الله والدفاع عن الحق وعن دين الله تعالى هو الأمل في النصر. ولنا المثل في قصة داود وجالوت.

ولما ذهب النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) لقضاء الحج وليتعلم المؤمنون منه مناسك الحج، كان عددهم بين المائة والعشرين ألفا والمائة والخمسين ألفا. وكان يعظهم بالله ويُعلّمهم الكتاب والمناسك والصبر على النوائب والتمسك بدين الله الحنيف، دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ودين الأنبياء جميعا عليهم أفضل السلام.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ آل عمران

وكان إذا تحدث النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) استمعوا وحفظوا حِفظاً لم يسبق له مثيل، وإذا أمر أجابوا ولبّوا بلا هوادة، وإذا قام قاموا، وإذا ابتسم فرحوا واستبشروا، وإذا غضب تَكبُر عليهم في أنفسهم فيبكون هلعاً. إذا أقرأهم شيئا كتبوه، وإذا أسمعهم حديثا دوّنوه.

لم يتركوا له حركةً ولا سكنةً إلا أخذوا بها علماً وعلّموها من وراءهم. وكانوا وحدة متكاملة يتحرّكون بالأمر كرجل واحد ويحاربون كرجل واحد ويُصلّون كرجل واحد. باركهم رسول الله فبارك الله فيهم. رضى الله عنهم وأرضاهم.



الله جل جلاله +

يعتقد الكثير من الناس أن الكلمة : الله. : إنما هي للعرب أو للمسلمين فقط. إنما ذلك غير صحيح، فالكلمة قديمة قدم الزمان وهي لجميع الخلق بلا استثناء. وهي كلمة عربية. وكانت تلك الكلمة معروفة قبل محمد (صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فإن اسم أبيه كان عبد الله.

وكان اليهود الذين كانوا يعيشون مع العرب كثيرا ما يستخدمون كلمة : الله. : في صلاتهم وعِظاتهم. وكانوا يُسمُّون عبد الله. وأحد أشراف اليهود وكان من أوائل الذين أسلموا في المدينة هو عبد الله ابن سلام. والمسيحيون يتبعون ذات الشيء. ففي ترجمات الإنجيل العربية يستخدمون كلمة : الله. : وكذلك في صلاتهم، وما زالوا يُسمّون عبد الله إلى يومنا هذا.

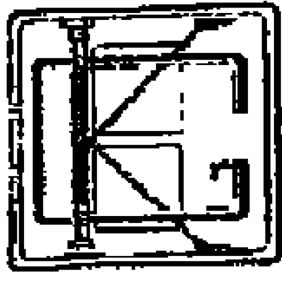
وهذه الكلمة : الله. : هي اسمٌ مُجَمِّعٌ لأسماء الله الحسنى. لا يُكنى بها أيّ مخلوق. فهو اسم الله تعالى وحده. ومعنى ذلك أنه لا يُسمّى الله. إلا الله. وحده سبحانه. وكل اسم يُشير إلى هذه التسمية، لا يكون إلا عبدًا لله سبحانه. والله هو العليم بذلك. ومعنى عبد الله هو المُسلِمُ لله، فهو ملكه، أو ليس كل الخلق ملك لله سبحانه؟

فهو الله. الواحد الأحد الصمد.

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ آل عمران

لا يُثنّى ولا يُؤنّث اسم الله. فهو لا يشير إلى أنثى ولا إلى جماعة. كمثل ربّ وربّة، ولا يُجَمّع كأرباب أو آلهة. له الأسماء الحسنى فادعوه بها سبحانه وتعالى ذكره.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ



ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ الحشر

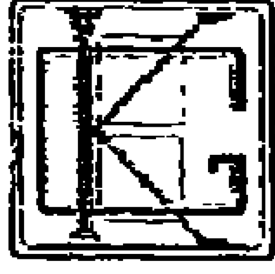
*** عَنْ الإِمَامِ الْبُخَارِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا: مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا: مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

*** عَنْ الإِمَامِ أَحْمَدِ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلاَّ وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ.

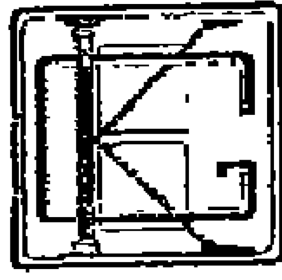
*** عَنْ التُّرْمُذِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ:

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: الْمَلِكُ: الْقُدُّوسُ: السَّلاَمُ: الْمُؤْمِنُ: الْمُهَيْمِنُ: الْعَزِيزُ: الْجَبَّارُ: الْمُتَكَبِّرُ: الْخَالِقُ: الْبَارِئُ: الْمُصَوِّرُ: الْغَفَّارُ: الْقَهَّارُ: الْوَهَّابُ: الرَّزَّاقُ: الْفَتَّاحُ: الْعَلِيمُ: الْقَابِضُ: الْبَاسِطُ: الْخَافِضُ: الرَّافِعُ: الْمُعِزُّ: الْمُذِلُّ: السَّمِيعُ: الْبَصِيرُ: الْحَكَمُ: الْعَدْلُ: اللَّطِيفُ: الْخَبِيرُ: الْحَلِيمُ: الْعَظِيمُ: الْغَفُورُ: الشَّكُورُ: الْعَلِيُّ: الْكَبِيرُ: الْحَفِيظُ: الْمُقِيتُ: الْحَسِيبُ: الْجَلِيلُ: الْكَرِيمُ: الرَّقِيبُ: الْمُجِيبُ: الْوَاسِعُ: الْحَكِيمُ: الْوَدُودُ: الْمَجِيدُ: الْبَاعِثُ: الشَّهِيدُ: الْحَقُّ: الْوَكِيلُ: الْقَوِيُّ: الْمَتِينُ: الْوَلِيُّ: الْحَمِيدُ: الْمُحْصِي: الْمُبْدِئُ: الْمُعِيدُ: الْمُحْيِي: الْمُمِيتُ: الْحَيُّ: الْقَيُّومُ: الْوَاجِدُ: الْمَاجِدُ: الْوَاحِدُ: الصَّمَدُ: الْقَادِرُ: الْمُقْتَدِرُ: الْمُقَدِّمُ: الْمُؤَخِّرُ: الأَوَّلُ: الآخِرُ: الظَّاهِرُ: الْبَاطِنُ: الْوَالِيَ: الْمُتَعَالِي: الْبَرُّ: التَّوَّابُ: الْمُنْتَقِمُ: الْعَفُوُّ: الرَّءُوفُ: مَالِكُ الْمُلْكِ: ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ: الْمُقْسِطُ: الْجَامِعُ: الْغَنِيُّ: الْمُغْنِي: الْمَانِعُ: الضَّارُّ: النَّافِعُ: النُّورُ: الْهَادِي: الْبَدِيعُ: الْبَاقِي: الْوَارِثُ: الرَّشِيدُ: الصَّبُورُ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ: حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْن صَالِحٍ، وَلاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ



غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَلاَ نَعْلَمُ فِي كَبِيرِ شَيْءٍ مِنْ الرِّوَايَاتِ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ ذِكْرَ الأَسْمَاءِ إِلاَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ. وَقَدْ رَوَى آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ بِإِسْنَادٍ غَيْرِ هَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَذَكَرَ فِيهِ الأَسْمَاءَ وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.



الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ. +

القرآن العظيم هو كتاب الله الذي أنزله الله تعالى إيحاءً على رسوله محمد (صلّى الله عليه وسلّم). ويتضمن كل تعاليم الله سبحانه. وليس القرآن الكريم بكتاب تاريخ، أو قصة يسردها أحد الرّواة. إنما هو مُنزّل من الله تعالى وكلماته هي كلمات الله تعالى. لم يُزد عليها ولم يُنقص منها شيئا.

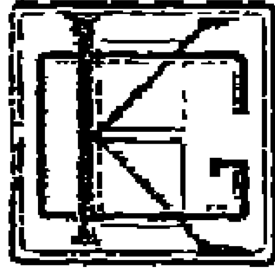
فيه أخبر الله سبحانه بكل شئ مما يجب علينا معرفته. أخبر بما حدث من قبل وما سيحدث مستقبلا، ومن غير أن يحدد الوقت الذي سيحدث فيه. فهو علمٌ واسعٌ نافعٌ من جميع الوجوه.

أخبر عما سيتكشّف من علمٍ، وعن هيئة الأرض في بعض الآيات، والتي ما كان أحد ليُفسّرها حتى تكشّفت على يد العلماء. وأخبر عن دوران الأرض حول نفسها والذي عندما اكتشفه العالم جاليليو كانوا سيرجمونه بالحجارة، وكان ذلك بعد مرور حوالي الألف عام على نزول القرآن المجيد. وذلك لم يأت ذكره في أيّ من الكتب السابقة.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ الزمر

فلقد خلق الله تعالى بقدرته التي تفوق ما يستطيع البشر أن يتخيل وما يُحيّر العقول، خلق الأرض بشكلها الكرويّ والذي من نتيجته أن يتعاقب الليلُ والنهارُ في قدَرٍ محسوبٍ بدقّةٍ شديدةٍ. و ما كان ليعقب الليل النهار و النهار الليل لولا أن الأرض بشكلها الكرويّ و لولا أن الأرض تدور حول محور لها في دقة تامة. كما أن جميع النجوم و المجرّات السماوية إما تدور حول محورها أو وأيضا تدور حول محاور أخرى، فالكل في فلك يسبحون كما قال عزّ وجلّ. وكل ذلك مسخر بقدرة من الله تعالى لخدمة الإنسان ليكتشف ما في الحياة و الكون من أسرارٍ و يأخذ منها ما ينفعه و يذكر الخالق سبحانه و يخشاه بالغيب و يتقى الله ويقوم بعبادته.

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ الجاثية



فالجميع إذا قد خلق الله تعالى مُسخراً للإنسان حتى يعلم أن الله حق وأن قَدَره كلمةٌ منه سبحانه. وبالعقل يستطيع الإنسان الوصول إلى الحقيقة الكاملة و يتعلم و يُعلّم ما عَلِمَ من جيل إلى آخر، فيخلف أحدهم الآخر في العلم النافع و العمل الصالح وله الحكمة العليا سبحانه. وفي ذلك إعلام من الله تعالى للبشرِ جميعاً أنه سيقوم باكتشافاتٍ عظيمةٍ و أنه قد يصل به العلم إلى ما نعلم الآن من الوصول إلى النجوم التي في السماء والتنقل بينها و الاستفادة بما عليها من خيرات أخرى قد تكون أفيد من الخيرات التي على ظهر الأرض أو هي مُكمّلة لها والعلم عنده وحده سبحانه.

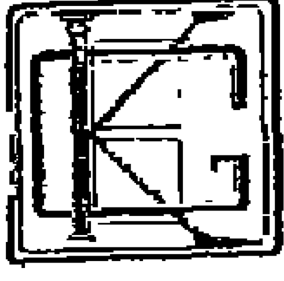
أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ لقمان

فكل ما في السماوات والأرض من خيرات مُذلّلٌ ومُسخّرٌ للإنسان ليكتشفه ويستفيد من اكتشافاته، ويعلم أن الله حق سبحانه فيزداد خشوعا وعبادة ومعرفة.

وأخبرنا بما حدث للأمم السابقة، وكيف أنه عندما أعطاهم المعرفة والرزق كانوا أوّل من كفر به، وما حدث لهم عندما خرجوا عن طاعة الله، وكيف أخذهم أخذ عزيز مقتدر. كيف أن الله خلق الإنسان وألهمه الفجور والتقوى وأعطاه العقل. وهذا العقل هبةٌ من الله تعالى للإنسان الذي وضعها في غير موضعها.

أخبرنا عمّا يُحِبُّ لِخَلْقه، وعما لا يُحب لهم، وعما يكره لهم. وعلّم الإنسان فيه ما أُحلّ له في المأكل والمشرب والملبس والنعيم الذي أعطاه، وعما حُرّم عليه كذلك. وفيه كيف يتكون المجتمع وكيفية إقامة العدل، وما علاقة الفرد بالمجتمع وما علاقته بأفراد العائلة. وكما في التوراة الحقيقية، كل أمور العبادة تكاد تكون واحدة مع اختلاف المناسك، وأوضح أمور عبادة الله والوضوء والصلاة والمناسك الدينية وكل ما يتعلّق بعبادة الله، وهو المذكور الذي لم يكن ليَتَغَيّر أبداً، اللهم إلا ظلماً وعدواناً.

ولغة القرآن الكريم هي اللغة العربية. وهو في أعلى مصاف التعبير في اللغة وهو إعجازٌ لغويٌ لا يمكن مُماثلته. ولا يمكن ترجمته ترجمة حرفية، فقد يفقد المعنى المطلوب



إيضاحه، إنما فقط يمكن ترجمة معان القرآن المجيد إلى لغات أخرى. إذ أن بعض الآيات أو مقاطع من الآيات تحمل معاني كثيرة ومتفرقة وذلك متوقف على محل استعمالها. فكلّه حكمة وجيهة وموعظة حسنة وقانون العالم الذي يجب العيش على صراطه.

ويحتوى القرآن الكريم على مائة وأربعة عشر سورة. والسورة هي إما موضوع كامل أو أجزاء من عدة مواضيع، وتختلف في أطوالها وعدد كلماتها. وقد تحتوى على مواعظ أو قوانين أو قصص أو نصائح من الله ومواعظ في أحداث فجر الدين الحنيف. وفي الصلاة يجب على المُصلّي قراءة سورة كاملة أو جزءا منها.

والسورة تحتوى على عدّة آيات، والمقصود بالآية هي العلامة أو البرهان من الله عزّ وجلّ ، وجميع آياته إعجاز يريه الله لعباده من ذوى البصيرة. والآية هي وحدة قرآنية كاملة. ولقد أخبر العلماء الدّارسين أن القرآن المجيد يحتوى على حوالي ستة آلاف ومئتين آية، ويحتوى على سبعة وسبعين ألفا وأربعمائة وثلاث وتسعين كلمة تقريبا، ومكوّناته ثلاثمائة وواحد وعشرين ألفا ومائة وثمانين حرفا تقريبا. كان كذلك عندما نزل وبقى كما هو لم يتغير.

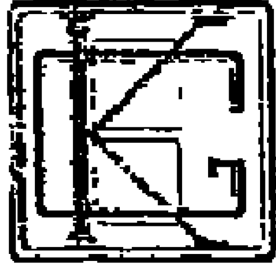
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ الحجر

فلقد وعد الله أن يحفظ القرآن الكريم من كل سوء، ومن التلاعب فيه عمّا حدث في الكتب السالفة، فحفظه وحفظ من حفظه إلى يوم الدين. وبحفظ الله عزّ وجلّ للقرآن المجيد فقد حفظ اللغة العربية من التغيير الذي طرأ على لغات شتّى وأبقى لها قوّة البلاغ.

وإنه من الواجبات العظيمة أن الإنسان يقرأ القرآن ويتفهمه ويحفظ منه ما يستطيع أن يحفظه، فالقراءة فيه عبادة. وعدد كبير جدا من العلماء تطوّعوا وقضوا أعمارهم في التنقيب في معاني الآيات في القرآن وتفسيره، ولكنه مع مرور الزمن يجد العلماء تفسيرا آخر لنفس الآيات بعد اكتشاف علميّ جديد أشار إليه القرآن ولكنه لم يعنى أن يتحقق في العصور السّالفة.

ولذلك فإنّ المؤمن الذي يتفهّم القرآن ومعانيه لن يدهشه ما يكتشف العلماء من أسرار ما يحيط بنا. فأوّل الأوامر أُمِر الإنسانُ بالقراءة وثانيها أمر الإنسانُ العلم.

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾



ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ العلق

والقرآن المجيد رحمة للعالمين وحصانة من تغيّر القلوب وحصانة من الشيطان الرجيم.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ آل عمران

ولم ينزل القرآن ليضع أثقالا على الناس ولكن ليُخفف عنهم ويُنير لهم حياتهم ويهديهم إلى ما فيه الخير فهو قاموس الحياة وأنه لا يُكلّف نفسا فوق ما تستطيع.

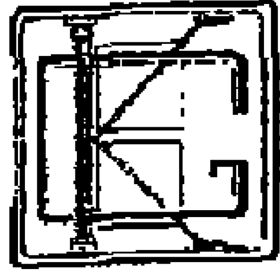
ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾ البقرة

وهو يأمر بتصديق جميع من أرسلهم الله من أنبياء ومرسلين بدون استثناء.

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ البقرة

إنه إذًا رحمة من الله للعباد ، وليساعدهم ويُنير لهم الطريق في هذه الدنيا الفانية، وفي الآخرة يلقون السعادة بما آتاهم الله تعال، وأن الإيمان بالغيب، و إقامة الصلاة، والتصدق على الآخرين من الرزق الطيّب، والإيمان بهذا القرآن والكتب التي أُنزلت من قبله، هو أساس الدين الحنيف.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ يونس



فهو الموعظة الكبرى والهدى المجيد ويُشفى ما في الصدور من غل أو كراهية، ومن يتبعه يدخل به إلى رحمة الله الواسعة سبحانه.

ويجب التسليم الكامل لله والإيمان بجميع رسله وبالغيب وهذا شرط الإيمان بالله العظيم، وأن الله لا يطلب من نفس أكثر مما يطيق الإنسان وسيحاسبهم بما قدمت أيديهم من خير أو شر.

والقرآن المجيد أيضا إنذار لبني إسرائيل، الذين غيّروا وبدّلوا ما جاءهم من عند الله على يد النبيّ الكريم موسى ابن عمران عليه السلام ودعوة لهم بالدّخول في الدين القيّم وعدم التكذيب بما فيه وهم على علم به لأنهم يقرؤون ما لديهم من كتب ويُخفون ما فيها من الحق و يأمرون الناس بما لا يفعلون.

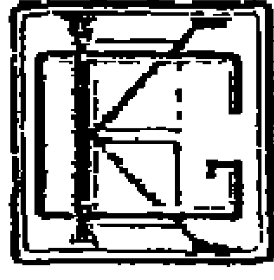
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ البقرة

وأما آخر الآيات فنزلت في وقت الحج الأكبر مع رسول الله وهو يأمر بالتصديق في جميع من أرسلهم الله من أنبياء ومرسلين بدون استثناء.

ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾ المائدة

فهذا هو دين الله القيّم، وهو دين نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد سلام الله عليهم أجمعين، ولقد أسماه الله.

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴿١٩﴾ آل عمران



وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ آل عمران

ومعنى الإسلام هو التسليم الكامل لله تعالى بالعقل والقلب والروح والجسد. وهو تسليم كامل الأمر، والعلم بأن نفسًا لا تموت إلا بعد استيفاء رزقها وأجلها كاملين، ولن يموت إنسان وله بعد رزق مكتوب في الدنيا أو بقية أجل لم يستوفه.

ألم يقل عيسى (صلّى الله عليه وسلّم)، إنّ أوّل كل الوصايا هي، اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌّ واحد. وتُحبّ الرب إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصيّة الأولى. **فهذا هو الإسلام.**

- **موت رسول الله** (صلّى الله عليه وسلّم). +

وكانت قد نزلت السورة التي أعلم الله تعالى الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) قرب نهاية حياته ونعي له نفسه ليستعد للقاء الخالق سبحانه بعد أن أتم الدين ورضيه لعباده المؤمنين.

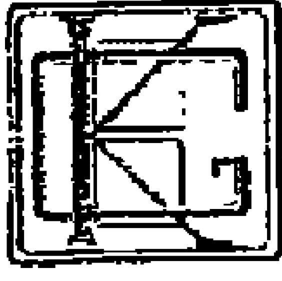
إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ النصر

فكان هذا العلامة للنبي (صلّى الله عليه وسلّم) بقرب نهايته، وهو أنه إذا ما دخل الناس في الدين أفواجاً فاعلم أن رسالتك قد انتهت. وهكذا كان. إذ أن وفود الأعراب من الجزيرة العربيّة والبلاد المجاورة لها، بعد دخول قريش في الإسلام، كانت تأتي النبي (صلّى الله عليه وسلّم) من كل مكان، ليعلنوا الدخول في الدين القويم ويعلنوا إيمانهم بالله تعالى وله يُسلمون.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴿١٤٥﴾ آل عمران

بعد مضيّ زمن بعد عودته من الحج إلى المدينة كان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يخطب في المسجد وهي آخر خطبة له وقال فيها،

***   "إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ، خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ وبَيْنَ مَا عِنْدِهِ، فَاخْتَارَ مَا



عِنْدَ اللهِ." ولَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ أَجْهَشَ فِي الْبُكَاءِ وقَالَ، "بَلْ نَحْنُ نَفْدِيكَ بأَنْفُسِنَا وأَبْنَائِنَا."

(أو كما قال وحدث، مختصر من مجموعة أحاديث)

وتعجب الجميع عن بكاء أبي بكر والنبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) يقول ذلك عن عبد من عباد الله خُيّر فاختار جوار الله. ولكنهم علموا بعد ذلك أن أبا بكر كان أعلمهم. وكان مما ينتظر النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) من الكرامة ما هو موعود به وكذلك من آمن بالله ورسوله وأخلص دينه لله تعالى.

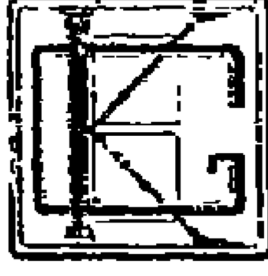
وَلَلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ الضحى

وهذه الأوامر التي نزلت على النبي (صلّى الله عليه وسلّم) والمؤمنين بالاجتهاد في قراءة القرآن المجيد والاهتمام بالصلاة حتى يستجيب الله تعالى لهم في دنياهم وآخرتهم.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ الإسراء

والمقام المحمود الذي وعد الله تعالى نبيه (صلّى الله عليه وسلّم) هو الشفاعة في الآخرة لمن آمن به. ومرض النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وانشغل الصحابة المقربون في مرضه الذي طال فوق عادة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) إذا توعّك، فإنه كان يتوعّك عدّة أيام ولكن ذاك المرض قد طال. وأمر النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) أبا بكر بإمامة الصلاة بالناس.

وبعد عدّة أيام وكانوا قد أقاموا الصلاة، خرج عليهم نبيّ الله (صلّى الله عليه وسلّم) بعد أن شعر بشيء من النشاط، وكان مرتكزا على عليّ ابن أبي طالب والفضل ابن العباس، فأخذ المصلّون في التكبير يريدون إعلام أبا بكر عن وصول النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم)، وعندها أخذ أبو بكر خطوة إلى الوراء وأدخل النبيّ مكانه لإمامة الصلاة، فكان النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) يؤم أبا بكر وهو جالس وأبو بكر يؤم الناس بإمامة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم). وعندما انتهت الصلاة سأل النبي (صلّى الله عليه وسلّم) أبا بكر ما الذي جعله يتراجع عن الإمامة عند مجيء النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم). ولم يكن ذلك استفسارا



إنما بلاغا.

(أو كما قال وفعل وليس بحديث)

وفرح الناس برؤية رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وانصرفوا كلّ إلى بيته تملؤه الغبطة بشفاء نبيّهم. ودخل النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) إلى حجرة أحب أزواجه إليه ووضع رأسه إلى صدرها الحنون وحضرت ملائكة الموت وأسلم لهم روحه الطّاهر.

وأرسلوا خلف أبى بكر الذي دخل على النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وفحصه ثم خرج إلى المسجد وكان به قوم كثير، وكأنّ على رؤوسهم الطير.

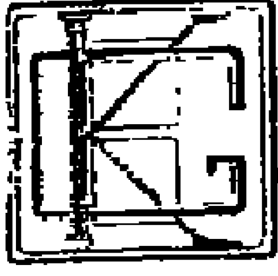
فصعد منبر النبيّ، فاشرأبت الأعناق مُصغين لما سيقول. فقال، "أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ فَإِنَّ اللّهَ حيٌّ لاَ يَمُوتُ." ثُمَّ تَلَي قَوْلَ اللّهِ تَعَالَى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ

(١٤٤) آل عمران

وكان المؤمنون وكأنهم يَسْمَعون الآيَةَ أَوّل مَرّة، مُندهشين لعلم أبى بكر الذي فاق علمهم جميعا. وهكذا تيقّن المؤمنون من موت حبيبهم (صلّى الله عليه وسلّم) وأما الإيمان فيبقى في القلوب مترسّخا ومَتينا إلى ما شاء الله تعالى. والرّسل بشرٌ يُؤدّون رسالاتهم ثم يموتون، كلٌّ بعد أن يُبلّغ رسالة ربّه، فما على الرسول إلاّ البلاغ. واجتمع كبار الصحابة واستقر الرأي على أن يخلف أبو بكر رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في إمامة أمته وبايعوه على ذلك. ووقف أبو بكر ليخطب الناس فقال:

"أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ.
فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَ إِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي. الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَ الْكَذِبُ خَيَانَةٌ.
وَ الضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ بِإِذْنِ اللّهِ.
و الْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللّهُ.
لاَ يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إِلاّ ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذُّلِّ.
وَ لاَ تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلاّ عَمَّهُمْ اللّهُ بِالْبَلاَءِ.



أطيعُونِي مَا أَطعْتُ اللهَ وَ رَسُولَهُ، فَإِنْ عَصَيْتُ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَلاَ طَاعَةٌ لِيَ علَيْكُمْ. قُومُوا إلَى صَلاَتِكُمْ يَرْحَمْكُمْ اللهُ."

وتلك خطبة هي كانت إمام الخطب على مر الزمان.

وبعد أن استتب الأمر، شرع الصحابة في دفن جثمان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وتقرر وضع قبره حيث مات في غرفة زوجه. وحضر الجميع وجاء من الملائكة من جاء وصلّى الجميع على سيدنا محمد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) صلاة الموت والوداع، ثم واروه التراب. اللهم صلّى وسلّم عليه وعلى آله وعلى من تبعه إلى يوم الدين. اللهم واجعلنا من المُصلّين عليه ومن أمّته التي يُصَلّى عليها، واقبل منا شهادتنا له بأنه كان خير الناس من ولد آدم وأنه قد بلغ رسالتك كما أنزلتها عليه وكان إمامُ رحمةٍ ويسرٍ على العالمين، اللهم واجعلنا مخلصين لك الدين ولو كره الكافرون.

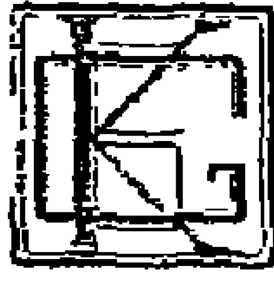
ستة رجال فقط مارسوا الحضرة الإلهية رغبة ورهبة وقد مات سادسهم.

ومات آخر الأنبياء وخاتم والمرسلين. الصلاة والسلام عليهم أجمعين.

- **بعد محمد: أمته.** (صلّى الله عليه وسلّم) +

رفع الصحابة علم الدين القويم بعد محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وكانوا خير ما أهدى الله للعالمين بعد موت نبيّ واستمروا على سُنّته. وكان أول من خلفه أبو بكر ذلك الصّدّيق العظيم الذي كان إماما للأمة لمدّة سنتين ونصف، ثم خلفه من بعده الفاروق عمر ابن الخطاب والذي كان خيُر مَن قاد أمّة في التاريخ. وبعد أربع سنوات فقط من إكمال محمد (صلّى الله عليه وسلّم) رسالته وموت صاحب الرسالة العظيم، وصلت أمة محمد (صلّى الله عليه وسلّم) من المحيط الباسيفيكي في الشرق إلى المحيط الأطلنطي في الغرب، ومن شمال أرمينية وخوزستان في الشمال إلى جنوب السودان في إفريقية وشمال الهند في آسيا في الجنوب.

- يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت. قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا. **أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه**



به. ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بإسمي أنـا أطلبـه. (العهـد القديم سفر التثنية)

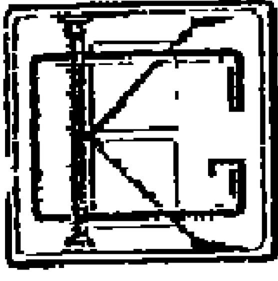
ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ الأعراف

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ الصف

وبعد مُضيّ الوقت وذهاب الجيل الأول والثاني من وقت رسالة الرحمة، أخذت قلوب الناس في التغيّر، وكان منهم من لم يحكم بما أنزل الله تعالى ولم يأخذ من تعاليم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) إلا القشور فلم يُقم العدل أو الدين.

وكان هناك من تمسّك بتعاليم الدين الحنيف بقوّة، وكانوا يُعلّمون الناس ويُفقّهونهم في الدين ويُحفّظون القرآن الكريم، وسيبقى ذلك أبد الدهر، فهؤلاء هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وإنما كان هؤلاء بدون ما رَاعِيَ لهم، وفي أودية وَحِشَة وصوتهم ضعيف. والحكّام يتبادلون عليهم ويستغلون محبّة الناس لهم، ومنهم من كان يحكم بالعدل بالتقرب من هؤلاء ومنهم من كان دون ذلك.

وكانت هناك قوّات عالميّة مُضادة لتيّار الحق، وظلّوا على هذه الأمّة يكيدون لها، وسيظل الأمر على ذلك إلى الأبد. ولكن ذلك لأنهم غيّروا ما بأنفسهم فغيّر الله عليهم.



إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾ الرعد

وكان كلّما يأتي حاكم إمام عظيم من المخلصين في دينهم، وتدعمه القوى الْمتمسّكة بالدين الحق، ويقومون على الناس بما أنزل الله، في كل مرة كان ذلك، كان النصر من عند الله العليّ الحكيم. وكان انفراج وفتح للناس مبين.

وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الحج

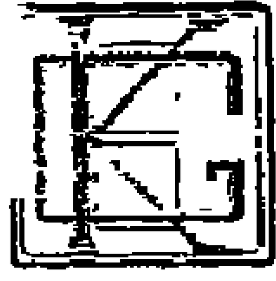
إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ ﴿١٦٠﴾ آل عمران

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ محمد

وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ آل عمران

والدين القويم ظلّ مترسّخاً في قلوب الكثير من الناس وسوف يكون ذلك إلى الأبد، وكلّما اجتمع هؤلاء لمناصرة دين الله القويم والمطالبة بتطبيقه، كلما حدث ذلك كانت القوّة الغاشمة تقهرهم وتُنزل بهم وابل العذاب، ولقد ضرب لذلك الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) مثلا أنه سيأتي وقت يكون المؤمن فيه كالقابض على الجمر من شدّة الإضطهاد، ولقد مرّت عصور كثيرة كان ذلك فيها وما زال إلى أيّامنا هذه، وسيظل الأمر على ذلك.

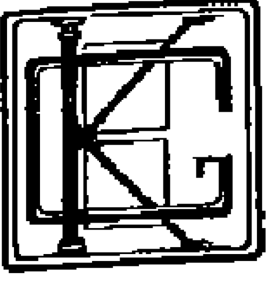
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا



تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ محمد

فلقد أُمروا بنشر الدين والقتال في سبيل ذلك إذا لزم الأمر، وعدم الخوف من الموت، لأنه لن يموت إنسان قبل أجله، وأنهم إنما يتوكلون على الله تعالى وهو ناصرٌ من ينصره. وكل ما هو غير ذلك هو من وساوس الشيطان لهم، فليتقوه ويعتصموا بحبل الله تعالى ويخافوا من يوم تزيغ فيه الأبصار.

وحتى يتسلّم منهم المسيح عيسى ابن مريم (صلّى الله عليه وسلّم) الرّاية ويرفعها عاليا في آخر الزمان، وحيث يكون المؤمنون من أمّة محمد (صلّى الله عليه وسلّم) هم الذين سيتعرّفون على المسيح عيسى ابن مريم (عليه الصلاة السلام) عند عودته مبعوثاً إلى الأرض، وسيكونون أوّل من ينصره ويناصره بإذن الله تعالى وعلى حسب ما أمرنا به نبيّنا وحبيبنا (صلّى الله عليه وسلّم).



• كتاب الأركان الخمس. +

إذا اتفق العالم أجمع على الهداية إلى الله تعالى وآمن الجميع به لأنزل الله عليهم بركات من السماء ولأخرجت لهم الأرض كنوزها، ولكان الله راضياً عن هذا الخليفة الذي وضعه على الأرض. ولم يكن هنالك من داع لأن يبعث فيهم نبيّاً أو رسولاً.

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ نوح

فوعد الله تعالى الحق لعباده أن يُرسل عليهم من خيرات السماء والأرض ما لا يحتسبون إذا هم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ووحّدوا الله تعالى لا يشركون به شيئًا.

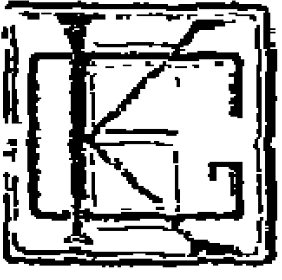
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٩٦﴾ الأعراف

والله تعالي لا يرسل رسولاً أو نبيّاً إذا استقام أمر الناس وعرفوا ربهم وخافوه وأقاموا الصلاة وشكروه على أنعمه التي لا تُحصى.

• ذنب آدم (صلّى الله عليه وسلّم) +

عندما خلق الله تعالى آدم، أبو البشر، أدخله الله وزوجه حوّاء الجنة حيث يمكثان هناك ويتمتّعان بوجودهما كرجل وامرأة في الجنة. فلا يصيبه أية مكاره من آلام أو جوع أو عطش ولا لفح شمس أو مرض. وأعطاهما الله تعالى تكليفاً واحداً، وهو ألاّ يقربا شجرةً عيّنها لهم في الجنة فلا يأكلان منها، وحذّرهما من الشيطان الرجيم. ولكنهما لم يلتزما بما عاهدا الله عليه واستمعا إلى نداء الشيطان الذي وسوس لهما بالأكل من هذه الشجرة.

وكان هذا الالتزام بعدم الأكل من الشجرة المحرّمة بسيطاً للغاية ولا يحتاج إلى مجهودٍ أو عناءٍ، وليس هنالك ما يدعو للشعور بالحرمان. والشجر في الجنة كثير جدا ومختلف طعمه ولونه، وكلّه فيه لذّة للطاعمين. ولا أهمّيّة لأكل ثمار نوع من الأشجار أبدا. وفي كثير من الأحيان يعيش الإنسان ولا علم له بنوع كثير من الأشجار ولا يشعر حرماناً من ذلك، لأن الإنسان لا يفتقد ما لا يعلم. وعلى الأخص أنه لم يكن أحد ليخبره أن في تذوّقها أيّة نوع من اللّذات التي تُغرى على الأكل منها، اللهم إلاّ الشيطان الذي حذّرهما منه الله سبحانه.



ولم يكن ذلك نوع من الشهوات، وإنما الإغراء كان في حبّ البقاء وأن يُصبحا من الخالدين أو أن يكونا ملكين ولم يكن إغراءًا بحب الشهوات.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ الأعراف.

وكما ثبت فإن الشيطان على الرغم من قوّته ومكائده العظيمة، فإنه لا سبيل له على الإنسان وقد أعطاه الله العقل. إذ هو يُقبل على الإنسان ويُغريه ودليل كذبه معه بين يديه.

إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ النساء

إذ لو تفكّر آدم قليلا لوجد أن الخلود من عند الله، وأنه في مكان الخلود، وأن الله خلقه إنسانا وليس ملاكًا، ولما أكل من الشجرة.

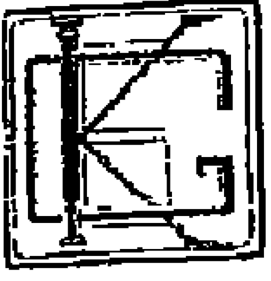
ولكن هبوط آدم من الجنة إلى الأرض كان مكتوبًا عند الله تعالى ومُقدّرًا، ولهذا الغرض المحدد، خُلق آدم. فالله تعالى أخبر الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة، ولم يُخبرهم بأنه جاعل في الجنة خليفة. ولم يكن آدم ذات منفعة في الجنة ولم تكن المزايا التي امتازه بها الله سبحانه على بقية الخلق موضع منفعة.

فقد خُلق الإنسان ليعمُر الأرض، ولكي يتفاعل مع الماديّات التي بها، وليستخدم العقل، وهو هبة الله للإنسان، والتي ميّزه بها على جميع المخلوقات الأخرى. فلم يكن مُقدّراً له أن يبقى في الجنة. ولم يكن أحد ليلوم آدم على الأكل من الشجرة وأنه لولا ذلك لكنا جميعاً في الجنة. فإنه لا تكاثر في الجنة. ولو كان آدم بقى في الجنة لما كان بقية البشر قد خُلقوا. والله تعالى قد خلق البشر جميعا وقد صوّرهم من قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم.

فإنه إذًا كان مُقدّرا له الخروج من الجنة وإلاّ لما قُدّر لهؤلاء أن يُخلقوا. والله سبحانه أعلم باليقين.

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ الأعراف.

وكما سمح الله تعالى بقدرته وحكمته بدخول الجنة والعيش فيها فقد سمح بالذنب فيها



أيضا. وهذا من حكمته سبحانه، حتى يرى الإنسان طريق التوبة إلى الله تعالى والرجوع إلى الخط المستقيم، وهو الصراط المستقيم الذي أخبر به الله.

ولم يكن الله ليخلق خلقاً ثم يُعذبهم، فهو الرحمن الرحيم، ولكن يُلهمهم التوبة ويُعلّمهم أن العفو والرحمة من عنده تعالى.

ولقد خلق الله تعالى البشر وألهمهم الخير والشر وأطلق لهم العقل ليتبيّنوا وليثوبوا إلى رشدهم ويُنيبوا إلى بارئهم عزّ ربّنا وجلّ.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ سورة الشمس

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ابراهيم

خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ الأنبياء

وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ الكهف

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ يس

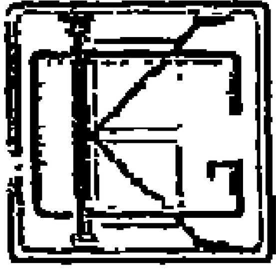
وكان الذنب الذي ارتكبه آدم وزوجه في الجنة هو السبب في أن يهبط الإنسان إلى الأرض وهو عالم بأنه هبط مذنبًا.

ولكن ليكون شاهدًا أن أراه الله تعالى الجنة، وقد عاش فيها أحقابًا لا يعلمها إلاّ الله سبحانه، فلا يُنكرها بعد. ويسعى إليها في إرضاء الخالق بالعبادة والرّجوع إلى الصراط المستقيم، والذي به يغفر الله تعالى ذنوب البشر ويجتبيهم ويحبّهم ويكافئهم من عنده.

وأما عن العقل فليعرف به الإنسان الله ويعلم أنه لا يذهب بفكره بعيداً عن شيئين، عبادة الله تعالى وذكره، وعمار الأرض بالعمل النافع المستقيم.

ثم لا ينسى أن يستأنس فيما بين ذلك فيما لا يُغضب الله.

فهذا قَدَرٌ من الله تعالى، وما كان شئ في الوجود إلاّ بقَدَرٍ منه سبحانه، وأن يهبط الإنسان



إلى الأرض التي منها خُلق، ومع ماديّتها يعيش ويتعلّم خواص ما حوله، ويرتقى في خطوات محسوبة في عبادة الله وشكره على أنعمه التي أنعم عليه.

فنزل الإنسان إلى الأرض ليعيش مع بقية المخلوقات، والتي خلقت من ذات المادة التي خلق الله منها الإنسان. فيتعايش معها برحمة من الله وعلم منه.

وبذلك تكون الإرادة الحرّة والعقل موضوع ممارسة العمل والفكر.

فبهذا يأخذ الإنسان حظّه من الدنيا، ويعبد الله حتى يحفظ له حظه في الآخرة.

فهذا هو الهدف من وجوده.

ففي التعامل مع ما أعده الله له في الدنيا من أرزاق يُمارس العقل موهبته ويُمارس الجسد وظيفته الطبيعية وتُمارس الرّوح عبادتها للخالق، ويتعلّم الإنسان ويُعلّم ما تعلّم.

فقد نزل الإنسان إلى الأرض ومعه الشهادة بوجود الجنة، وعداء الشيطان، ومغفرة الرحمن. فلا حجة له في إتباع نزغات الشيطان أو التجاوب إلى وسوسته. فقد علم الإنسان ذلك عِلْماً وعملاً. ثم إن معه شهادة أكبر:

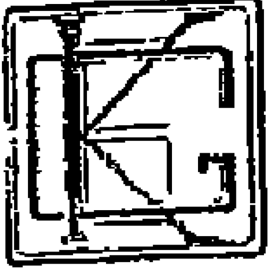
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ

(١٧٢) الأعراف

وهذا الأمر هو السبب في أنّ الإنسان يُولد على الفطرة. فالأمر بوجود الله تعالى ووحدانيته ثابت في الفكر والقلب والكيان. والإنسان يُبعث على ذلك إلى الحياة، ثم يتغيّر مع مرور الوقت واستغلال الشيطان لشهواته ونزواته ولا سلطان له عليه.

• غرور الشيطان +

ولقد سمح الله تعالى للشيطان بوسوسة آدم وزوجه في الجنة، حتى يعلم الإنسان أن الله حذّره من متابعة الشيطان وهو عدوّه اللدود، وها هو قد أخرج أبا البشر وأمه من الجنة، فلا يقول بعد لم أعلم.



فلقد عرف الإنسان الشيطان من ساعة خلق آدم وعصيان الله في مخالفته أمر السجود لآدم. ثم عرفه مرة أخرى عندما نسي آدم أمر الله فأخرجه وزوجه من النعيم الذي كانا فيه. فإن الشيطان لا يَدُلّ الإنسان إلا على ما يُشقيه به. وليس أبدا طريق الشهوات والملذّات الدنيوية إلا جزءٌ من إغراء الشيطان. فوصف الله آدم أبا البشر بأنه كان ضعيفاً.

وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ طه.

وإذا كان آدم ارتكب معصية واحدة وتسببت في كل ما العالم فيه، فما بال الذين يرتكبون المعاصي التي لا حصر لها ومعصية الله مهما صغرت نوع من الكفر بأنعمه.

أما الشيطان اللئيم فقد ركبه الكبرياء وأخذ منه كل مأخذ، وظن بينه وبين نفسه، أن إذا كان هذا آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وأغويته، فما أهون عليّ أن أغوى سُلالته! وعندما أُهبط الشيطان إلى الأرض:

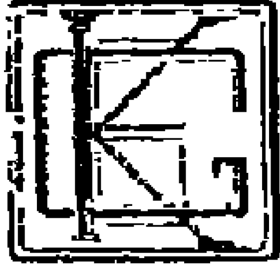
*** قال الشيطان: أيْ رَبِّ لاَ أَزَالُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ.
فَقَالَ الرَّبُّ عزّ وجلّ: لاَ أَزَالُ أَغْفِرَ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي.
(من حديث أبى سعيد رواه الإمام أحمد)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ فاطر

فلا يغرّنّ الشيطان أحدا تمسّك بدين الله القويم، وأقام الصلاة ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وذلك بأن عمله الذي يُرضي الله تعالى يعصمه من ذلك.

وذلك هو طلب المغفرة الدائم من الله تعالى.

ولقد تعهّد الشيطان في جداله الكبير لله العزيز، ويظن أنه على حق، أنه سيأتيهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمالهم، (ومن بين أيديهم تعني أيضا من تحتهم)، وكان يظن أنه بذلك قد سدّ الطرق جميعاً عن هداية الإنسان، ولقد نسى أن يقول



من أعلى (مُنِعَ من أن يقول ذلك). وبذلك يُخبرنا الله تعالى أن الشيطان ليس بالأمر المستعصي التغلُّب عليه، فهو ينسى فقرات كثيرة.

إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ النساء

وهو كالإنسان غير كامل، وما الكمال إلا لله عزّ وجلّ. وهو لا سبيل له على الإنسان إذا ما استمسك الإنسان بالعروة الوُثقى وعَبَدَ الله حق عبادته.

فإن ذلك يقطع الطريق على الشيطان فلا يستطيع سدّ الثغرة التي نسي أن يسُدّ من قبل. إذ أن الله تعالى يترك تلك الثغرة التي من أعلى مفتوحة إذا ما ابتعد الإنسان عن عبادة الله وظل على غواه، فقد يملأها الشيطان. ولقد حذّر الله تعالى بني آدم من الشيطان:

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ الأعراف

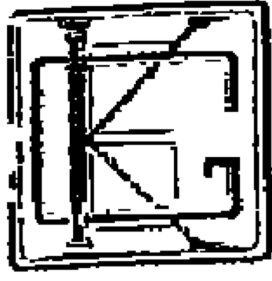
وأخبر الله تعالى العباد أن الله له مُلك السماوات والأرض وهو المتصرّف في كامل الشأن وأنه يعدهم الجنة التي أراها لآدم وأن وعد الله حق

وأما وعود الشيطان فما هي سوى الغرور في الدنيا الزائلة وسرعان ما سوف يندم الإنسان عليها.

وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ النساء

ولقد وعد الله آدم بأن يرسل لذرّيّته الهدى، فأرسل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لينيروا للبشر طريق التوبة والإنابة لله عزّ وجلّ.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ البقرة



فهذه هي رحمة الله تعالى بأن يُنزل الهدى من عنده لذُرّيّة آدم ليهديهم إلى طريق النور والرشاد ولا يتركهم مُضغة في سُلطان الشيطان فيضِلّوا ويَخسَروا.

والله تعالى لا يرسل الرسل إلاّ إذا اقتضت الحاجة. أما إذا آمن من في الأرض جميعاً وعبدوا الله تعالي حق عبادته فلا حاجة بأن يُرسل الله تعالى رسولاً فهو راض عن أهل الأرض عزّ ربّنا وجلّ.

فإذا ما أُنزل رسولٌ من عند الله ومعه البيانات والدلائل على ذلك، فمعنى ذلك أن الله يعلم أن الدين الحنيف قد أصبح منسيّا وأن الناس بحاجة إلى من يُخرجهم من الظّلمات إلى النور. وإذا نزل رسولٌ من عند الله وجب على جميع أهل الأرض أن يتبعوه ويُصدّقوه ويُطيعوه، حتى لو كانوا منهم المؤمنين أو من يظنّون أنهم مؤمنين. فهذا عماد الدين القويم. أما الإنسان فهو بطبيعته من الرّافضين ولا يَقْنع إلا قليلاً.

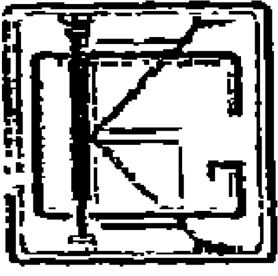
• الآية في رسول الله نوح (عليه الصلاة والسلام). +

عندما كفر أهل الأرض بما أنعم الله عليهم ولم يبق بينهم إنسان واحد صالح، لم يعبأ الله تعالى بهم وغضب غضباً شديداً إلى حد الانتقام وكانوا لا يساوون حطب جهنم. أرسل الله إليهم نوحاً نذيراً ومبشّراً بأمر الله تعال. هو نذير بما أعدّ الله لهم من عذاب الدنيا وبما يتوعّدهم به في الآخرة، ومُبشّرا برحمة الله لمن يتّقيه ويتبع الرّسول ويُؤمن بالله الواحد االقهّار وأن اعبدوا الله لا إله غيره ولا ربٌّ سواه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ العنكبوت

فلم يُصغ أحدٌ إلى ما يدعو إليه نوح ولم يتبعه سوى القليل من الناس. وكان ممن كفر به زوجه، أو أحد أزواجه والله أعلم، وأحد أبنائه، ولم يكن نوح يعلم عن كفرهم حتى دخل الفلك وجاء أمر الله الذي لا يُرد.

فما كان من أمر الله تعالى سوى أن أنقذ نبيّه والذين آمنوا معه وجعل ذريّته هم الباقين،



فكل البشر الموجود الآن هو من ذرية نوح عليه السلام ممن حُمل على السفينة.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ
أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ الصافات

ثم أرسل الله الطوفان بشكل لم يعهده أحد من قبل أو من بعد. وفتح عليهم أبواب السماء وتفجّرت الأرض عن ينابيع، حتى كست المياه جميع الأرض وغطّتها بما في ذلك قمم الجبل. ولم يُبق عليها شيئا من حيوان الأرض والجو. ووُلد الإنسان من جديد واستقام الدين الحنيف لفترة طويلة وأرسل الله أنعُمه على أهل الأرض حتى تغيّرت النفوس. ولقد أثنى الله تعالى على سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام.

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ الإسراء

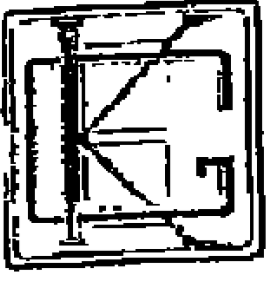
- **الآية في رسول الله إبراهيم** (عليه الصلاة والسلام). +

ورجع الناس عن عبادة ربّهم مرّة أخرى وعادوا لعبادة الأصنام ومتابعة الشيطان. فكلّف الله تعالى نبيّه ورسوله إبراهيم (عليه السلام) بالرسالة ليدعو الناس إلى الدين الحنيف وأن اعبدوا الله لا إله غيره. ولقد قام رسول الله إبراهيم عليه السلام بمهمّته خير قيام، فكان أن آمن له من آمن وأخذ الدين في الانتشار. وكان إبراهيم مثلاً يُحتذي به في العبادة والنشاط في الدعوة إلي الله سبحانه.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴿٤﴾ ابراهيم

واستقام الدين الحنيف لفترة من الوقت من بعده وكانت النبوّة من بعده في سلالته وبارك الله فيمن اتبعه وتبع من تبعه.

وماذا يفعل الله تعالى بعذاب الناس إن هم آمنوا واتقوا وألمّوا بعبادة الله تعالى؟ وماذا يضير الله تعالى إذا لم يؤمن أهل الأرض جميعاً ولم يعبدوه إن هو أماتهم وألقاهم في النار ونسيهم؟



وكان من أبناء إبراهيم (عليه السلام) رسولان عظيمان هما إسماعيل وإسحق، ومن أبناء إسحق كان يعقوب ومن وراء يعقوب يوسف. وأما إسماعيل فقد كان من أبنائه أنبياء آخرين عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام. وأمّا الجمّ العظيم من ذرية إبراهيم رجع إلى الضلالة ونبذ العبادة وتبع الشيطان وكان من الغاوين.

وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ الأنعام

وهذه هي الملّة الحنيفيّة التي اصطفاها الله تعالى لعباده المؤمنين والتي كان نوح عليها من قبل.

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ البقرة

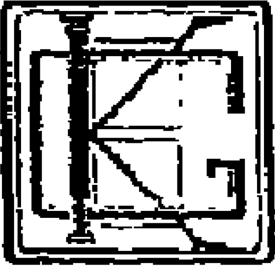
والوصيّة هي باتباع ملّة إبراهيم حنيفاً موحّداً مسلماً غير مشركٍ بالله شيئاً.

ولقد أثنى الله تعالى إبراهيم (عليه السلام).

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ هود

- **الآية في رسول الله موسى** (عليه الصلاة والسلام). +

وعندما أرسل الله تعالى سيدنا موسى إلى بني إسرائيل أن اعبدوا الله لا إله غيره، وهم الذين أقامهم يوسف في مصر على الدين الحنيف من بعد إبراهيم واستقامت لهم الأمور، كان



هؤلاء قد ضعف الدين لديهم وكاد أن يُنسى. ولقد كان أغلبهم كافر بالله وبما أنزل، إلاّ القليل ممن كان يتمسّك بالقشور. ولكنهم كانوا خير أهل الأرض في ذلك الوقت. إذ لم يكن هنالك من يُوحّد الله تعالى.

وجاء موسى بآيات عظيمة وأنزل بفرعون وآله ومن معه أشدّ البلاء. وبقوّة من الله تعالى أخرج بني إسرائيل من العذاب المهين بقوّة خارقة وفلق لهم البحر.

ومن الثناء على موسى عليه السلام قال تعالى:

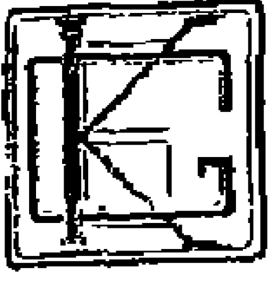
وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ النساء

وأنزل الله على موسى التوراة وفيها هدى ورحمة للمؤمنين الذين يَرَوْا آيات الله فيعرفونها ويتّبعون رسله، وهذا كليم الله تعالى الذي أعطاه التوراة.

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ طه

وكان بنوا إسرائيل دائما يطلبون العودة إلى مصر، وهذا دليل تفضيلهم العبوديّة لفرعون عن الكفاح في سبيل الله الذي أنزل على عبده التوراة.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ الأعراف



وهم يتّهمون النبيّ موسى بأشنع ما يُتّهم به إنسان ويطلبون منه وأخيه هارون المستحيل. وهو خاشع إلى الله ويطلب منه الرحمة والغفران لأهل المعصية من الإنسان. في حين أن الكفاح في سبيل الله لم يكن بهذه المشقّة، فقد وعدهم الله تعالى بسُكنى أرض كنعان والتي وُضعت تحت أرجُلهم فرفضوا الدخول وطلبوا من موسى، أن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون.

فكان من نصيبهم للتكفير عن ذنبهم أن قَسَمَ الله عليهم بالتّيه أربعين سنة في بادية الصحراء ومن قبل قد عبدوا العجل، فكانوا يحولون ويدورون فيها أربعين عاماً حتى مات كل الجيل الرّافض من ذوى القلوب المتحجّرة الصّلدة والذين لا يؤمنون إلا قليلاً، وأدخل الجيل الطيب إلى الأرض التي بارك فيها. وعن موسى قال الله تعالى:

وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ الأحزاب

- **الآية في رسول الله عيسى** (عليه الصلاة والسلام). +

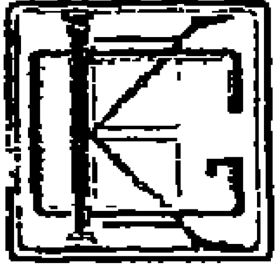
نزل عيسى بآيات عظيمة من الله تعالى، فقد وُلدت أمه مريم العذراء بآية من الله، ثم وُلد النبيّ يحيى بآية من الله، وجاء عيسى بأحسن آيات من الله عزّ وجلّ.

فقد وُلد إلى امرأة عذراء من غير زوج. وآتاه الله بعض قُدُراته كعلامة لتفتح عيون لا ترى آيات الله ودلائله ولكي يُدخل الإيمان إلى قلوب موصدة عليها أقفالها وأن اعبدوا الله لا إله غيره. ولقد أخبرهم أنه إنما جاء ليُقيم الدين الحنيف ويُعاود كتابة التوراة لهم ويُذكّرهم بها ويُخفف من آلامهم ويُحلّ لهم بعض الذي حرّموه على أنفُسهم من غير دراية.

ولقد حماه الله في رسالته وأيّده بالروح القدس والذي كان معه في كل مراحل حياته ليساعده في الأعمال الخارقة التي أُرسل بها إلى قومه. ومع ذلك فلم يستطع عمل الكثير من رفض قومه له ومحاولتهم التخلّص منه بالقتل أو النفي إن تمكّنوا، ولكن الله ينصُر رُسله ويجتبيهم. وأنزل الله عليه الإنجيل وهو الكتاب المُقدّس الذي جاء به.

ولكنه نُسي وأُضيع ولم يقم أحد بتدوينه.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ



ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ المائدة

ولقد تبعه قليل من الناس، هم كانوا المؤمنين حقاً إلا أنهم أُبيدوا جميعاً، وقُهروا وضاعت معهم رسالة الإنجيل المُطهّر العظيم. ثم دخل اليهود بين الناس وغيّروا ما أُنزل على عيسى فضاعت رسالته الحق وتبعهم الضالون يقودهم المُضلّلون.

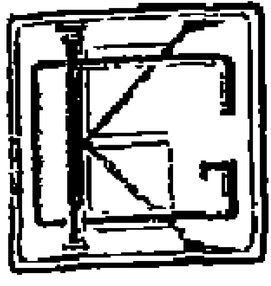
ولقد ادعوا عليه ما لم يقُل عن نفسه، من أنه ابن الله، أو أنه الله في شكل إنسان وأنه نزل ليموت على الصليب ليُكفّر عن ذنوب أهل الأرض.

***** عن أبي موسى (رضي الله عنه)، قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم): لاَ أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، أَنْ يُشْرَكُ بِهِ ويُجْعَلُ لَهُ وَلَدًا وهُوَ يُعَافِيهِمْ ويَدْفَعُ عَنْهُمْ ويَرْزُقُهُمْ. وفي لفظ: أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَداً وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ ويُعَافِيهِمْ. (متفق عليه)

الله، هو الله العليّ القدير، الذي أرسل الطوفان على أهل الأرض عندما غضب عليهم ولم يرحمهم، لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يؤمن به أبداً، عزّ ربّنا وجلّ. فالكافر بالله أو المُشرك به لا يساوى عند الله نسمة من الهواء يتنفسها. ثم أنقذ نبيّه نوح ومن آمن معه، وما آمن إلاّ القليل. فلماذا ينزل الله ليموت على الصليب من أجل خطايا البشر، أعوذ بالله من تلك الإدعاءات الكاذبة المشينة، إنه هو الحيّ القيّوم السرمديّ الذي لا يموت.

وهم لا قيمة لهم ما داموا خاطئين ولم يتبعوا الأنبياء المرسلين وما جاءوا به من الهدى، ولو أنهم آمنوا بالله واتبعوا الأنبياء والرسل ولم يقتلوهم أو يرفضوهم، وبدلا من زيادة الكفر، لكان أطيب لهم وأكيس ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ



ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ المائدة

والبعض يقولون بل هو ابن الله، أرسله الله إلى العباد حتى لا يكون لديهم حجة على الله، وإنهم لينسَوْن، من غير حجّة لديهم، أن الله ليس بحاجة إلى ابن له. فالذي يُريد ابنًا هو من تنتهي حياته بالموت ويريد ابنًا ليرثه وليقوم بعمار الأرض من بعد زواله. وهذا ليس شأن الله تعالى. وإذا كان الله يريد ابنًا من العذراء مريم، معاذ الله، هل كان سيسمح لها بالزواج من يوسف النجار، ثم بعد تُنجب أبناءًا وبناتًا ليكونوا إخوة لابن الله؟

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ الزخرف

عزّ ربّنا وجلّ.

سبحانه وتعالى عن ذلك عُلُوًا كبيرا. والله ليس ربُّ الخاطئين بداءةً.

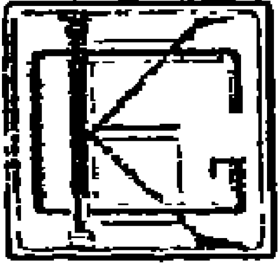
فلقد **قال المسيح** (عليه السلام): دع الأموات يقبرون موتاهم.

ومعنى ذلك أن الله ليس ربُّ الخطاة الكفرة الذين لا يقومون على عبادته أو يُشركون به شيئاً وهم عنده في عداد الأموات. معاذ الله من ذلك. وهذا ما لم يقل المسيح (عليه السلام) ولا قالته أمه مريم.

فهو عبد الله ورسوله وكلمة منه وروح.

وأمه مريم امرأة صالحة قدّيسة، تنزّها هما الاثنين عن مثل هذه الأقوال ولهما عند الله مركزاً عليّاً. وهذه أقوال مدسوسة عليهما مقصود منها ضلالة الناس، وأفعال من كفرةٍ حانقين من عبادة الله ويرئسهم الشيطان ويقودهم إلى حيث شاء.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ



عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ النساء

وحين تآمروا على قتله أنقذ الله تعالى نبيّه عيسى عليه السلام من بين أيديهم ورفعه إليه تمهيدا لإرساله مرّة أخرى. وفي هذه المرّة أيضا فإنه سيعود للقيام بتذكير الناس برسالة الدين القيّم حيث سيتبعه كثيرون من الناس، ويُهلك الله الأمم الأخرى الذين لن يُصدّقوه.

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ آل عمران

وأثنى الله تعالى على رسوله عيسى ابن مريم فهو وجيه في الدنيا و الآخرة (عليه الصلاة السلام).

***قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم) لِلْيَهُودِ: إِنَّ عِيسَى لَمْ يَمُتْ، وإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (أو كما قال رواه ابن أبي حاتم عن الحسن)

- **الآية في رسول الله محمد** (عليه الصلاة والسلام) +

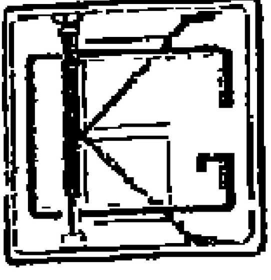
كان محمد (صلّى الله عليه وسلّم) آخر الأنبياء وخاتم المرسلين ورسالته هي خاتمة الرسالات، فلا نبيّ بعده ولا رسول ولا رسالة جديدة. ولقد كان من قبل المسيح عيسى ابن مريم أنّه لم يمر من الزمن مائة سنة إلاّ وأرسل الله نبيّاً أو رسولاً، ولم يرسل الله أحداً من الأنبياء من زمن عيسى (صلّى الله عليه وسلّم) إلى زمن محمد (صلّى الله عليه وسلّم).

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ الأحزاب

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ آل عمران

***قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم): "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وبَيْنَهُ نَبِيٌّ." (من حديث أبي هريرة رواه البخاري)

ولقد أتم الله به الدين الحنيف وأنزل عليه القرآن المجيد. ولقد تعهد الله تعالى أن يحفظ



القرآن من التغيير والتزوير الذي كان في الرسالات الأخرى أو كما حدث في التوراة والإنجيل.

فحفظه وحفظ من حفظه وحفظ اللغة التي نزل بها إلى يوم الدين.

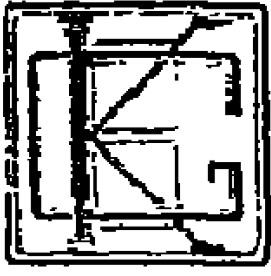
ولقد أخبر الله تعالى فيه عن كل شئ من القوانين والفروض والمناسك وما حدث سابقاً وعن الذي الناس قادمون عليه، وبدون أن يُوضح الأزمنة. وإنه لمن الإعجاز بمكان.

إذ أن الكثير من العلماء قضوا أعمارهم في محاولة التفسير لكثير من آيات الله في القرآن العظيم وسيقضى أيضا الكثير من العلماء أعمارهم في محاولة تفسير المعاني التي تشتمل عليها آيات الإعجاز في القرآن المجيد.

وذلك لأنه يعنى الماضى والحاضر والمستقبل وهو قبل كل شيء مصدقٌ لما قبله ويزيح بعض الأعباء عن العباد. ويأمر الله تعالى عباده المتقين بالجهاد في سبيل إرساء كلمة الله سبحانه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ المائدة

والقرآن المجيد لا يلغى ما كان قبله ولكنه يوضّحه ويسلّمه من الشوائب، وينصر أنبياء الله من الإدعاءات الكاذبة التي يدّعونها الكفرة من البشر. وهو فوق ذلك يُهيمن على جميع الكتب المنزلة ويسبق عليها في الإيمان بالله والشرائع وتطبيق المناسك السليمة، من فروض



الصلوات والطهارة والتعبد لله سبحانه والدعاء له في ما يحتاج الإنسان، والتسليم الكامل لإرادة الله وقدره. هو خلقهم وهو أعلم بهم.

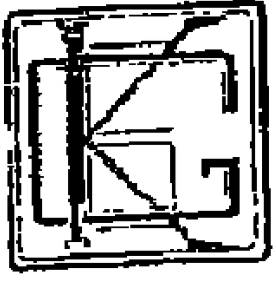
لقد كانت مدّة رسالة محمد (صلّى الله عليه وسلّم) ثلاث وعشرين سنة أتم فيها رسالته وقام بتبليغ ما عليه أحسن البلاغ. وكأيّ رسول سابق فإنه عليه البلاغ وليس عليه أن يهتدي البشر، وإن كانوا جميع رسل الله (صلوات الله وسلامه عليهم)، أحرص الناس على أن يُؤمن البشر جميعاً. ولكن الرسول عليه البلاغ والله يهدى من يشاء.

قد تبيّن الرّشد من الغيّ، وبلغ الناس الرسالة وما عليهم سوى أن يؤمنوا. ومن يتبع المناسك يجده سهلا جميلا مريحا شافيا لما في الصدور جاذبا إلى عبادة الله وحده سبحانه.

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ البقرة

وبعد أن مات رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بأربع سنوات فقط، آمن من البشر من مشارق الأرض ومغاربها من آمن واستتب الدين الحنيف فترة عظيمة من الوقت. ولكنه كشأن الأديان كلها يطويها الإنسان الظالم لنفسه والذي يُغريه الشيطان اللئيم ويُبعده عن عبادة الله، إلاّ أنه سيظل أمّة مُتمسّكة على دين الله بشدّة وإن كانوا فُراداً، إلى أن يأتي النصر من عند الله في آخر الزمان على يد سيدنا عيسى (صلّى الله عليه وسلّم) وسيكون ذلك من علامات الساعة وينصرونه أمة الإسلام وذلك ما أمرنا به رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم). وما أمر به الرسول (صلى الله عليه وسلّم) فقد أمر به تعالى.

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب



وهكذا يجب على الناس جميعاً الصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وسلّم) لمن اهتدى منهم ورضي الله تعالى عنهم، ولقد أثنى الله تعالى على نبيّه ورسوله (صلّى الله عليه وسلّم) فقال تعال:

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ القلم

• أركان رسالة الله تعالى سبحانه. +

ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴿١٢٤﴾ الأنعام

فهو يصطفي أنبياءه من البشر ويختارهم من الصفوة الطاهرة التي لا علّة بها. وليست النّبوّة مهنة يمتهنها الإنسان، إنما هي قَدَرٌ من عند الله تعالى، ويخلق لها حاملها ويأخذ عليهم المواثيق. ولا يستطيع أي نبيّ من أنبياء الله أن يترك رسالة الله حتى يُبلّغها فهو قد خُلق من أجلها.

ومن أنبياء الله اصطفي الله الخمسة ذوى العزم وهم أركان رسالة الله تعالى إلى البشر.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ سورة الأحزاب

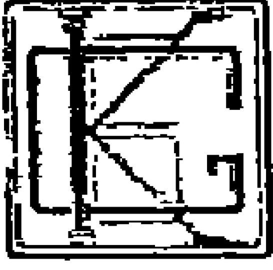
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ الشورى

فهؤلاء هم الرسل أصحاب العزم: نوح: وإبراهيم: وموسى: وعيسى ابن مريم: ومحمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وهم الأركان الخمس لرسالة الله تعالى إلى البشر:

فعندما أرسل الله نوحا (عليه الصلاة السلام) كان الواجب على البشر جميعا إتباعه.

وعندما أرسل الله إبراهيم (عليه الصلاة السلام) الواجب على البشر جميعا إتباعه.



وعندما أرسل الله موسى (عليه الصلاة السلام) كان الواجب على البشر جميعا إتباعه.
وعندما أرسل الله عيسى (عليه الصلاة السلام) كان الواجب على البشر جميعا إتباعه.
وعندما أرسل الله محمدا (عليه الصلاة السلام) كان الواجب على البشر جميعا إتباعه.
وحينما ينزل عيسى ابن مريم (عليه الصلاة السلام) مرّة أخرى سيكون من الواجب على البشر جميعا إتباعه.

وجميع الأنبياء والرّسل جاءوا على دين الله القويم، **وهو دين واحد لا تبديل فيه.**

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ آل عمران

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ النساء

هو الإسلام إذا ولا تبديل لكلمات الله العزيز الحكيم وما كان الله أن يقبل غير ما أنزل من قبل ومن بعد.

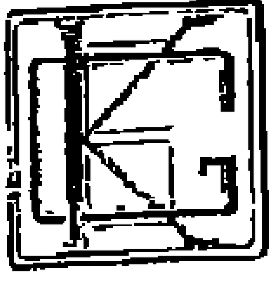
شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ آل عمران

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ الأنبياء

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ الأنبياء

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء



*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): ثلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَان، (فذكر منهم): رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وآمَنَ بمُحَمَّدٍ. (أو كما قال متفق عليه عن أبي موسى)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ الحديد

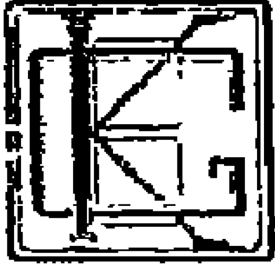
وهذا دليل على أنه من واجب الناس عند العلم بوجود نبيّ فيجب الإيمان به والتسليم معه إلى الله تعالى، وهكذا أمر محمد (صلى الله عليه وسلّم) من كان من أمّته ساعة إعادة بعث عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلّم)، بالإيمان به ومناصرته ومؤازرته، أما من بعد محمد (صلى الله عليه وسلّم) فلا دين غير الإسلام وإلى يوم الدين لأن عيسى سيعود **بكتاب الله تعالى: القرآن المجيد.**

*** وعن سيدنا المسيح (صلى الله عليه وسلّم) قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): منْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، والْجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ. (أو كما قال متفق عليه عن عبادة)

• الحواس الخمس هبة الله تعالى للإنسان. +

إنَ نِعَمَ الله تعالى على البشر لا تُحصى ولا حصر لها. ولو أن الإنسان ظلّ ساجداً لله تعالى من ساعة أن يولد إلى ساعة أن يموت، ليشكر الله على شربة ماء ما استطاع أن يشكر الله كفايته. فماذا عن الهبات الأخرى التي اختصه بها، من نعمة النظر والسمع والشم والطعم والكلام، وهي الحواس الخمس. ودعك عن العقل الذي وهبه الله للإنسان واختصه به على جميع خلقه.

وبالعقل يسأل الله تعالى الإنسان معرفةِ أنعُمَ اللهِ عليه وشكره عليها. فأساء الإنسان استخدام العقل ونزل بشهواته إلى مرتبة الحيوان وشهواته التي استغلها الشيطان، وهو عدوّه الوحيد، لضلالته عن الحق وعدم إتباع دين الله القويم.



والله يسأل الإنسان أن يوقّره وأن يشهد لـه بوحدانيتـه، ويطلـب منـه أن يسـتغفره ليتـوب عليه، فينعم عليه مرّة أخرى بأن يُدخله جنته التي أعدها للمتّقين من عباده. ولا حصـر لمـا اختص الله تعالى بنى آدم من النعم،

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ابراهيم،

فهبة الله الفيزيائيّة الرئيسية للإنسان وهي الحواس الخمس، النظر والسمع والشم والطعم والكلام.

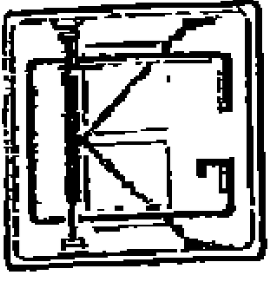
*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِرًا شَرْبَةَ مَاءٍ أَبَدًا.

(أو كما قال رواه الترمذى وابن ماجه عن سهل ابن سعد)

• مثلٌ عن الحدود في الأديان. +

الزّنا: وهو فاحشة كبرى في جميع الأديان، سواء منها السماويّة والغير ذلـك. وحـدّ الزنـا في جميع الأديان هو الرجم حتى الموت، إذا كان متزوجاً، والجلد مائة جلدة والتغريب سنة (النفي) إذا لم يكن متزوّجاً.

وهو الحد الوحيد الذي لا يتفق مع الجريمة في النوع وذلك من كبرها عند الله وعند النـاس. فمثلاً من سرق تُقطع يده فيتفق ذلك العقاب مع نوع الجريمـة. والقاتـل يُقتـل بـذنب القتـل فيتفق نوع العقاب مع نوع الجريمة، والقاذف يُجلد بذنب القـذف فيتفـق نـوع العقـاب مـن نوع الجريمة. ولكن حد الزنا هو الرّجم حتى الموت مـن عِظَـمِ الـذنب. والـرّجم هـو القـذف بالحجارة على الزاني إلى أن يموت، تحقيراً له على فعلته وليكون عبرة للآخرين.



وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ الإسراء

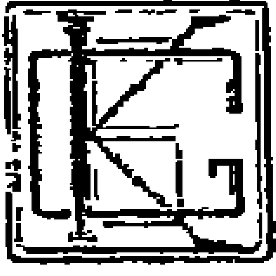
فمن عِظَمِ الزنا عند الله تعالى وعدم القبول به وأنّ نتائجة وخيمة على المجتمع من النسل إلى الأمراض العضويّة الخطيرة إلى الشّكّ الذي يُدخِله في القلوب، فقد ذكر الله تعالى الأمر بالبعد عن الزنا في آيةٍ بين آية النّهي عن قتل الأولاد وآية النّهي عن قتل النفس بغير حق وحدودها.

ولقد كان الرّجم من قبل أن يُنزل الله تعالى الكتب السماوية المعروفة. وفي المجتمعات المتحضرة والمثقفة، لا يسمحون لأبنائهم بالزواج من الزنى أو حتى القبول بمعاشرة فاعلي الفحشاء، فإنه لا يستقيم الشرف معه، وهو كبرى الكبائر من بعد الكفر بالله والإشراك به وأكبر الفواحش.

ولقد كان الرجم حتى في المجتمعات الوثنية أيضا. وفي الدين القيّم يجب إقامة الحدود إقامة جبريّة وسليمة. وعلى الرغم بأنه يجب على الناس الآن إقامة الحد بالرجم، فإنه لا يخلو اليوم مجتمع من تفشى الفاحشة فيه، وإذا أقيم الحد فسوف يُرجم المجتمع بالكامل في أغلب الأحيان.

ولكن إقامة الحد في أية جريمة، هو فقط إذا ما استقام الجميع في دينهم وأرضوا ربّهم وأقاموا الأعراف الدينية المستقيمة، وكان الغالب على الناس هو التعامل بالمعروف والطيّب وليس الفاحشة. إذ في ذلك الوقت تُصبح الفاحشة جريمة لا تُغتفر لأن الجميع قد استقاموا بدينهم ودنياهم وارتقوا إلى مستوى أعلى من المستوى البهائمي الذي يعيش فيه الناس اليوم.

وساعتها يقدم المجتمع على تطبيق إقامة الحدود. وتطبيق الحدود من الواجبات العظيمة التي يجب التقيد بها ويجب تطبيقها بالتمام ولا استثناء في ذلك بين الوجيه في قومه ومن هو دون ذلك فالحدود أمر من الله تعالى.



﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة

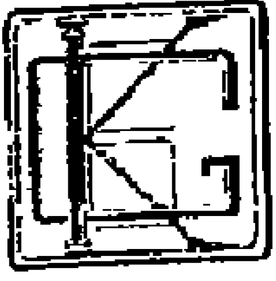
وقد عادل الله تعالى الكافر والظالم وجعلهم سواء.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ المائدة

وفي قضية المرأة التي أتوا بها إلى سيدنا عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلّم):

*** وقدّم إليه الكتبة والفرّيسيُّون امرأة أُمسكت في زنا. ولمّا أقاموها في الوسط، قالوا له، "يا معلّم هذه المرأة أُمسكت وهى تزنى في ذات الفعل. وموسى في الناموس أوصانا أنّ مثل هذه تُرجم. فماذا تقول أنت!" قالوا هذا ليجرّبوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه. وأمّا يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض. ولمّا استمرّوا يسألونه انتصب وقال، "من كان منكم بلا خطيّةٍ فليرمها أوّلا بحجر." ثم انحنى أيضا إلى أسفل يكتب على الأرض. وأمّا هم فلمّا سمعوا وكانت ضمائرهم تُبكّتهم خرجوا واحدًا فواحدًا مُبتدئين من الشّيوخ إلى الآخرين. وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. فلمّا انتصب يسوع ولم ينظر أحدا سوى تلك المرأة قال لها، "يا امرأة، أين هم أولئك المُشتكون عليك! أما أدانك أحد!" فقالت، "لا أحد يا سيّد." فقال لها يسوع، "ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تُخطي أيضًا." (يوحنا ٨ : من ٢ – ١١)

وهذا معناه أن الذي يُقدم على إقامة الحدّ على الناس عليه أن يبدأ بنفسه أوّلا، فإذا خلُصت نفسه عندها يستطيع تطبيق حدّ الله. وهذا أيضا دليل على تفشّى الفاحشة في ذلك الزمان. إذ أنّ الخطيئة التي عناها المسيح في قوله هي الفاحشة، وهم أحضروا له المرأة ولم



يُحضروا من زنى معها خوفا من أن يقيم عليه الحد لأنهم قوم ظالمون، فالزنا لا يتم إلا بطرفين رجل وامرأة أو أكثر من ذلك.

*** عن أبي أمامة (رضي الله عنه)، أنّ فتىً شاباً أَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلّم) فقال:

يَا رَسُولُ اللهِ، ائْذَنْ لِيَ بِالزِّنَا.

فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وقَالُوا: مَهْ مَهْ.

فَقَالَ (صلى الله عليه وسلّم): "ادْنُهْ." فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً. فَقَالَ: "اجْلِسْ." فَجَلَسَ. فقالَ:

"أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟" قَالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِى اللهُ فَدَاكَ.

قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ."

قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لإِبْنَتِكَ؟" قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولُ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فَدَاكَ.

قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ." قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟"

قَالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِى اللهُ فَدَاكَ. قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ."

قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِى اللهُ فَدَاكَ. قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ."

قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِى اللهُ فَدَاكَ. قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ."

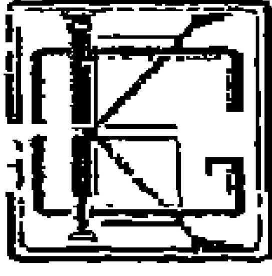
قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وقَالَ:

"اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وطَهِّرْ قَلْبَهُ وأَحْصِنْ فَرْجَهُ."

قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (رواه الإمام أحمد)

وهذا المجتمع النّقي الذي يكون من حقه والواجب عليه إقامة الحدود، هو مجتمعٌ مفقودٌ بين الناس وليس له وجود في عالم اليوم. وذلك لأن المجتمع لم يتمسك بحدود الله تعالى وأدخل القوانين المستوردة والدخيلة على الدين القيّم، بدلا من تطبيق الشريعة السماوية والواجب تطبيقها والتي تُغني عن قوانين من غضب الله عليهم:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ المائدة



ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومـن لم يحكـم بمـا أنـزل الله فأولئـك هـم الفاسـقون، فاسـتهان النـاس وأصـبحوا يتسلّون بالحـديث عـن الموبقـات. فـإذا لم يـنهض المجتمع عن المستوى الذي فيه الآن فإنه لا وزن له عند الله، وحسابهم جميعاً في الآخـرة، فليعملوا ما بدا لهم.

• الصلوات المفروضة.

وهي الصلوات التي فرضها الله تعالى على خلقه. وهي على مواقيتهـا المعلومـة، : الصبح أو الفجر (الغداة): والظهر: والعصر: والمغرب: والعشاء.

ولو أن الإنسان تأمّل فيها لوجدها جميعا حوالي عشرين دقيقة أكثـر أو أقـل حسـب نشـاط الفرد. فهي خمس صلوات وما تحتاج إلى وقت طويل لإقامتها ولا كثير جهد.

• مصادر الطاقة.

كان المعروف للإنسان أن مصادر القوّة (الطاقة) ثلاث، وهي الهواء، والماء، والنار (الحرارة) وذلك إلى عهد ليس بالبعيد. ولكن جاء العالم نيوتن واكتشف القوّة (الطاقة) في الجاذبية. ثم جاء العالم أينشتين واكتشف الضوء كمصدر للقوّة (الطاقة). وهكذا أصـبحت مصـادر الطاقـة (القوّة) هي هذه المصادر الخمس، الهواء، والماء، والنار (الحرارة)، والجاذبية، والضوء.

• أركان دين الله الحنيف.

أركان دين الله تعالى الحنيف هي ما فرضه الله تعالى لاكتمال المـؤمن لدينـه، وهـي الأركـان الخمس الأساسية للدين ومن غيرها أو أيّ منها لا يكتمل إيمان الإنسان.

١. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٢. إيقام الصلاة لمواقيتها.

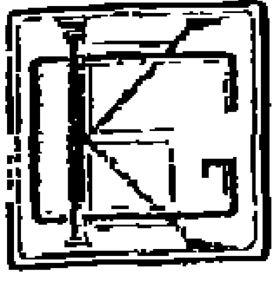
٣. إيتاء الزكاة. (هي المال المأخوذ من الغني للفقير والمحتاج)

٤. صوم رمضان. وهو شهر الفضيلة الذي أنزل الله فيه كتبه السماوية جميعاً.

٥. حج البيت. لمن استطاع إليه سبيلاً. وهو منسك سيدنا إبراهيم عليه السلام.

• حَصْرُ الأركان الخمس.

وليس ذلك محض صدفة أبدا أن:



١. أركان الرسالة السماوية خمس أنبياء وهم أولي العزم: سيدنا نوح: وسيدنا إبراهيم: وسيدنا موسى: وسيدنا عيسى: وسيدنا محمد (عليهم جميعا الصلاة والسلام).
٢. أركان دين الله القويم خمس.
٣. الصلوات المفروضة خمس.
٤. هبة الله من الحواس الفيزيائية خمس.
٥. مصادر الطاقة (القوّة) خمس.

فهذه الأشياء التي قدّمها الله تعالى للعباد من نِعَمِه الكثيرة التي أنعم على عباده، وليس شئ غير محسوب عنده سبحانه ولا شئ مصادفة، بل قَدَرٌ من الله، وإرادة من يقول للشيء: كن فيكون، ولا تسبق الكاف النون. والخمس خمسات المذكورة آنفا جميعها ملموسات وليست اعتباريات أو روحانيات.

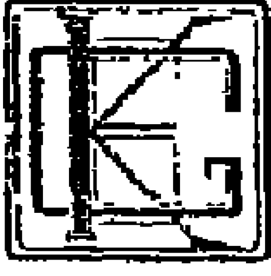
وإذا كانت الدّعوات الصالحات صلاة، والدعاء يكون في أية ساعة وتحت جميع الظروف، إلا أن الصلاة المفروضة لها مناسكها ويجب إتباعها وهي أعظم الأعمال.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ المائدة

والله تعالى يحب من عبده أن يسأله فيستجيب له وإذا أذنب أن يُنيب إليه ليغفر له.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللهَ عَزّ وَجَلّ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثِ خِصَال: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدّخِرَهَا لَهُ فِي الأُخْرَى، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا.
قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ.
قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ.
(عن أبى سعيد رواه الإمام أحمد)

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي. (عن أبى هريرة متفق عليه)



• التفضيل بين الأنبياء.+

ليس للإنسان أن يتخيّر أو يُفضل أحد الأنبياء على الآخرين، فهذا ليس من شأن الإنسان. والفرد إنما يجب عليه الطاعة والولاء لله وعبادته عبادة خالصة، وليعلم أن الله لم يخلقه عبثا وأن هناك يوم الحساب.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴿٦٤﴾ النساء

وأما عن مراتب الأنبياء فذلك عند الله تعالى، هو بعثهم وهو يضع مراتبهم كيفما شاء وهو العليم الخبير.

وعلى الإنسان إتباع ما أنزل الله على آخر رسول بعثه على الأرض.

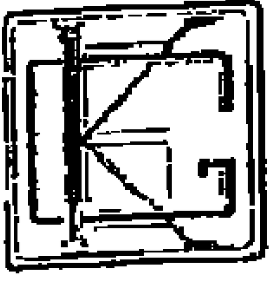
فمعنى أن الله تعلى أرسل رسولا، أنه غير راض عن عبادة الناس له، وأنه ليس راض لهم عن ضعف دينهم فأرسل رسولا ليُصحح المسار وفي أغلب الأحيان ليُيَسّر على الناس.

فليس للإنسان بالعلم بما عند الله تعالى. ولقد أخبر الله تعالى أن من يُفضّل أحدا من أنبياء الله على الآخرين فمصيره الهلاك في نار جهنم، إذ هو دخل في الدائرة المحظورة من العلم، ولأن إنكارَ أحد الأنبياء هو إنكارٌ لرسالتهم جميعا.

وأخبرنا الله تعالى أن من اتبع الرّسُل وآمن بهم ودخل في دين الله تعالى، ارتضى الله له الجنة على ما قدّم من أعمال في الحياة الدنيا وكافأه من عنده برحمة منه وبركة.

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعِلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ودِينُهُمْ وَاحِدٌ. (أو كما قال متفق عليه عن أبي هريرة)



• القَدَرُ

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

إنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. (عن عبد الله ابن عمرو ر رواه مسلم)

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ – أَوْ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ – إلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإلاَّ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولُ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَصِيرُ إلَى أَهْلِ الشَّقَاءِ؟

فَقَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُونَ إلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ" ثُمَّ قَرَأَ:

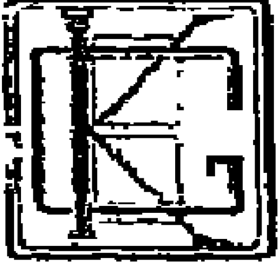
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ الليل

(عن علي ابن أبي طالب رواه أحمد متفق عليه)

*** القدرُ خيره وشرّه، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومرّه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيّئه، وأوّله وآخره، من الله قضاءً قضاه، وقدراً قدّره عليهم، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقفون فيما قدّر عليهم لأفعاله، وهو عدلٌ منه عزّ ربّنا وجلّ. والزّنا والسرقة، وشرب الخمر وقتل النفس، وأكل المال الحرام والشرك بالله، والمعاصي كلها بقضاءٍ وقدرٍ. من غير أن يكون لأحدٍ من الخلقِ على الله حجّةً، بل لله الحجّة البالغة على خلقه.

لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝ الأنبياء

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدرٍ من الله عزّ وجلّ وأن ذلك بمشيئته في خلقه، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأيّ كفرٍ أوضحُ من هذا؟ بل ذلك بقضاءِ الله عزّ وجلّ وذلك



بمَشيئَتِه في خلقِه وتَدبيرِه فيهم وما جَرَى من سابقِ عِلمِه فيهم، وهو العدلُ الحقُّ الذي يفعلُ ما يُريد.

وعذاب القبر حق، ويُسأل العبد عن دينه وعن ربه، وعن الجنة وعن النار.

ومُنكر ونكير حق، وهما فتّانا القبر. نسأل الله الثبات.

وحوض محمد (صلى الله عليه وسلّم) حق، تردُه أمّته، وله آنية يشربون بها منه.

والصراط حق يوضع على سواء جهنم، ويمر الناس عليه. والجنة من وراء ذلك، نسأل الله السلامة.

والميزان حق، توزن به الحسنات و السيئات كما يشاء الله أن توزن.

والصّور حق، ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق، ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين، للحساب وللقضاء.

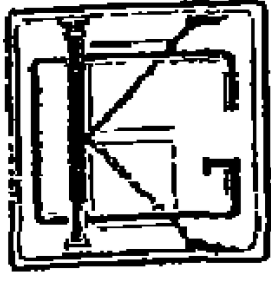
والثواب والعقاب والجنة والنار واللوح المحفوظ تُستَنْسَخ منه أعمال العباد لِمَا سبق فيه من المقادير والقضاء.

والقلم حق كتب به الله مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر تبارك وتعالى.

(عن الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله)

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ الأنعام

إذًا فكل شيء مقدّر وتحت الانضباط التام ولا يخرج عن الإرادة الإلهية والقانون الذي أراده الله وأحكمه، حتى أن سقوط الورقة من الشجر في الرياح بإذنه، وكذا الحب الصغير كحبة



الخردل، وإن كانت في باطن الأرض أو على ظهرها، كل ذلك في علم الله ومكتوب مسبّقاً في كتابه المحكم الشديد الإحكام والمحفوظ تماماً، وفي علم الله وحده سبحانه من قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة، والله وحده يعلم ما طول السنة عند لله، عزّ ربّنا وجلّ.

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ يونس

سبحان الذي قدّر فأحسن الأقدار له المِنّة الكاملة علينا، سبحانك رضينا بقضائك وقدرك، فهو الذي لا تخفى عليه خافية لا في الظلمات ولا في النور، والكل إنما يؤدّي ما هو مكتوب عليه لا يحيد عنه ولكن عن حرية تامة بدون إكراهٍ على ذلك من أحد، عزّ ربّنا وجلّ.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ النمل

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ القمر

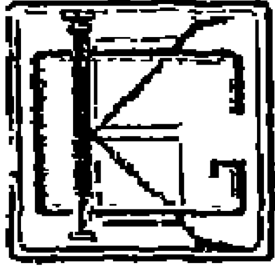
ما خُلق شيءٌ في السماء ولا في الأرض ولا ما بين ذلك إلا بقدر من الله تعالى وبعلم ما تكنّ الصدور وما في عالم الغيب. والغيب هو غيب عن المخلوقات جميعا لا يعلمه أحد إلا من خلق الغيب ولقد حجب الغيب عن جميع مخلوقاته، عزّ ربّنا وجلّ.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ المرسلات

** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّمَا الأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ.

(عن سهل ابن سعد رواه البخاري)



*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

كُتِبَ عَلى ابْنِ آدَمَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَة، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَزِنَا الأُذُنَيْنِ الاسْتِمَاعُ، وَزِنَا الْيَدَيْنِ الْبَطْشُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُه.

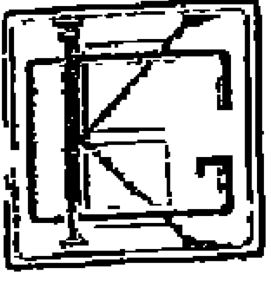
(عن أبي هريرة رواه البخاري)

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ الأعلى

حتى الهدى هو بقدرٍ من الله ولن يهتدي من لم يقدّر له الهدى والضلال بقدرٍ من عنده.

نسأل الله الهدى والهداية سبحانك ربّنا ربّ العرش العظيم.

ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ الفرقان



• المسيح الدجال. +

إنّ جميع الأنبياء حذّروا أقوامهم الذين بُعثوا فيهم من المسيح الدجال. وأنه سيأتي بقوّة عظيمة جدّا فوق خيال الإنسان وفوق قدرات فهمه. وإذاً لماذا سيأتي بكل هذه القوّة الخارقة العظيمة؟ ذلك لأن المسيح عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلّم) جاء بسلطة من الله تعالى تفوق الوصف. فقد كان يُشفي المرضى، ويهب النظر للمولود أعمى، ويُشفي الأكمه والأبرص، ويتنبأ بما في البيوت وبما سيحدث. ويمشي على الماء ، ويُطعم الآلاف من قليل من الطعام، ويُقيم الميّت من قبره. ويصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله. وكان الروح القدس جبريل (صلى الله عليه وسلّم) دائما معه في نصرته وهذا جميعًا بإذن من الله تعالى سبحانه.

ولأن عيسى (صلى الله عليه وسلّم) كان لديه هذا السلطان العظيم والذي كان يستخدمه في الخير، فإن الكذّاب سيأتي بقوّة عظيمة ومن غير سلطان لأنها من الشيطان. ليحاول أن يُضل الإنسان. فيُنشئ الحروب ويقيم الخصومات ويُوقع ما بين المرء وأهله وبين القريب وقريبه وحتى تشتعل الدنيا بالفتن والمهالك.

<u>* * *</u> قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم) يصف الدّجّال:

إنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ.

(أو كم قال متفق عليه من حديث ابن عمر)

<u>* * *</u> قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم) عن بعض ما سيأتي به الدجال:

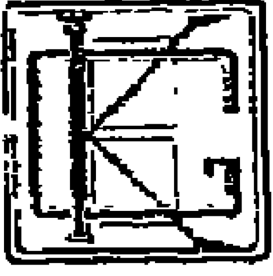
أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ يَجِيءُ وَمَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ والنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا جَنَّةٌ وهِيَ النَّارُ.

(أو كما قال متفق عليه من حديث أبى هريرة)

<u>* * *</u> قال رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

إنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إذا خَرَجَ مَاءً ونارًا، فَالَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا نَارٌ فَمَاءٌ بَارِدٌ، وأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تَحْرِقُ. فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ.

(أو كما قال متفق عليه من حديث حذيفة)



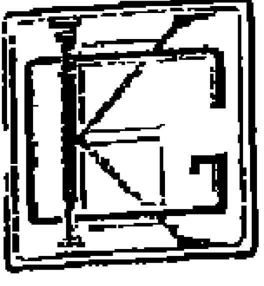
وهذا يعنى أن الدجال سيأتي ومعه آية كذبه بين يديه. فالجنة والنار هما من شأن الله تعالى سبحانه وليس لأحد أن يختار بينهما، فإنهما من أقدار الله تعالى ولذلك فإن من يدخل جنة الدجال سيكون نصيبه النار وذلك لأنه صدّقه وهو كاذب وأما من يختار نار الدجال فقد كذّبه ويكون من نصيبه الجنة، إذ لم يصدّق الكاذب وخالفه. والمؤمنون فقط هم الذين سيكون لديهم البصيرة لمعرفة الحق من عدمه.

وسيكون أن سيأتي الكاذب من القوّة ليسحر ألباب الناس فيتبعه جم غفير منهم إعجابا بما يعمل. وسيسأل الناس الإيمان به وأن يتبعوه وسيأتي بأعمال خارقة. فسيأتي أناس في أماكن نائية وأرض ليس بها من خير وسيأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت نباتا وتنبت. وسيمرّ بأماكن من الأرض حيث النعمة كاملة والناس راضين بذلك، ويأمرهم بأن يتبعوه فيرفضون فتتحول نعمة الأرض إلى سراب ولا تنبت الأرض من خيراتها ولا تسقط السماء مطرها. وسيوقع العداوة بين البلاد بعضها البعض، وتقوم حروب ما رآها الإنسان من قبل وتسيل الدماء وكأنها نهر فائض من كثرة القتل.

وعلى الرغم من ذلك فإن المؤمنين الصادق إيمانهم لن ينصاعوا وراءه ولن يتبعوه وسيتمسكون بما أنزل الله تعالى عليهم من هداية. وهم سيكونون نفر قليل حينئذ بالنسبة إلى عدد الخلق في هذا الوقت من الزمان.

وستذهب السعادة من الناس وتحلّ عليهم الأوبئة والجوع والفقر والمرض، وسيعانى البشر أشد المعاناة، ولكن أغلبهم مسحور بالقوّة المذهلة التي أتى بها الدجال. وإنما سيكون مكتوب على صفحة وجهه، ك ف ر، أو كافر، ولا يقرأها إلاّ المؤمن، فيتمسك بالإيمان ويُقيم الصلاة تضرعاً إلى الله عزّ وجلّ.

والشيطان يعلم أن هذا من علامات الساعة فيزداد في إعطاء القوّة والصفات للدجّال، ويقوم هو على الناس بكل ما أوتي من مكر ودهاء وقوّة لضلال الناس. أما هو فبينه وبين نفسه، سيملأ صدره الرّعب من قرب يوم الحساب. وبعد أن كان يرسل أقرانه من الشياطين للناس لضلالتهم فسيتولّى أغلب الأمر بنفسه لأنه يعلم أنه لم يعد هناك متسع من الوقت وأن نهاية العالم قد قربت وهو يحب أن يُضل أكبر قدر من الخلق بأسرع وقت ممكن.



• نزول المسيح عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلّم). +

عندما يستتب الأمر للدجال وهو في ذروة انتصاره فيما يبدو له، ينزل المسيح عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلّم) بأمر من الله تعالى ورحمة منه للعباد. وسينزل بآخر رسالة أنزلها الله على نبيّه ويُعلنها ويدعمها ويفرضها على الخلق.

***** قال رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم)، في صفة المسيح عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلّم): رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِن أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مِنْكَبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً."

(أو كما قال متفق عليه من حديث ابن عمر)

أي أن بشرته من أحسن بشرة الرجال وأن شعره من أجود الشعر ويصل إلى ما بين كتفيه، ووجهه يقطر ماء كعلامة الطهارة.

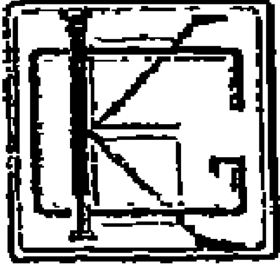
وسيتفقد سيدنا عيسى (عليه السلام) الدجّال إلى حيث كان وهو آخذ في الهرب منه من غير جدوى. فإن نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام) إنما ليُخلّص العالم من أرجاس الدجال ويقيم الدين في الأرض جميعاً بنُصرة من الله العزيز وبدعم من الروح القدس الذى يرافقه أغلب الأحيان.

وستقوم حروب في غاية القسوة والبشاعة، والقتل سيكون الحياة اليومية المعتادة. وستملأ الجثث أركان المعمورة وتشيع الأوبئة والأمراض ويكون عناء عظيم.

وهذه الحروب هي حروب عقائدية وهي أقسى أنواع الحروب التي ستشهدها الأرض على الإطلاق. فستكون بين الحق ويمثله عيسى ابن مريم يدعمه الله بالروح القدس، وبين الباطل ويمثله الدجّال ويدعمه الشيطان.

وشتّان بين ما يدعمه الله وبين ما يدعمه الشيطان، القوّة يومئذ لمن خلق القوّة القويّ المنتقم.

ولكن بعد مضيّ بعض الوقت سيلتقي المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) في مواجهة الدجّال وذلك بعد أن يسعى عيسى (عليه السلام) إلى ذلك والذي سيحاول الهرب أو الاختفاء عنه، ولكن المسيح سيمسك به ويقتله ويرى الناس دم الدجّال فيعلموا أنه الكذّاب



وأن المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) هو الحق، وأن ما ينادى به عيسى هو الحق فيدخلوا في الدين أفواجاً.

*** قال رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم)، فيما أخبر به عن المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام):

فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرَفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ إِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلاَّ الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الأَمَانَةُ عَلَى الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الأَسُودُ مَعَ الإِبِلِ وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لاَ تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.

(أو كما قال رواه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة)

*** عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنَ مَرْيَمَ، حَكَمًا عَدْلاً، يَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ، وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قال أبو هريرة: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:

وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ (١٥٩) النساء

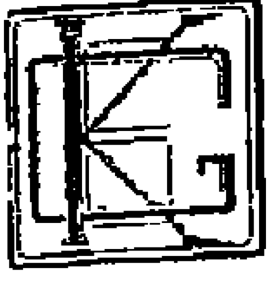
مَوْتُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ – يُعِيدُهَا أَبُو هُرَيْرَة ثَلاَثًا.

(أو كما قال رواه مسلم من حديث أبى هريرة)

• يأجوج ومأجوج. +

كعلامة من علامات الساعة سيخرج يأجوج ومأجوج من مخبئهم الذي لا نعلمه، وهم قوم كثير وغير معلوم أشكالهم ولا هيأتهم، ويخرجون كما يعاسيب النحل وهم من كل حدب ينسلون. (من جميع الاتجاهات يتسللون كأنهم فجأة في الناس)

*** قُلْنَا يَا رَسُولُ اللهِ فَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ (الدَّجَّالُ)



قَالَ (صلى الله عليه وسلّم): كَالْغَيْثِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الرِّيحُ.

قَالَ: فَيَمُرُّ بِالْحَيِّ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ والأَرْضَ فَتُنْبِتُ وتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ (مواشيهم) وهِيَ أَطْوَلُ مَا كَانَتْ ذِرَى وأَمَدُّهُ خَوَاصِرَ وأَسْبَغُهُ ضُرُوعًا.

ويَمُرُّ بِالْحَيِّ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَتْبَعُهُ أَمْوَالُهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْلِحِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْءٌ.

ويَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا، أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ.

قَالَ: ويَأْمُرُ بِرَجُلٍ فَيُقْتَلُ فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جُزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ إِلَيْهِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ عزّ وجلّ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، فَيَتْبَعُهُ فَيُدْرِكُهُ فَيَقْتُلُهُ عِنْدَ بَابِ لُدَّ الشَّرْقِيِّ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ عزّ وجلّ إِلَى عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا مِنْ عِبَادِي لاَ يُدَانُ لَكَ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. فَيَبْعَثُ اللَّهُ عزّ وجلّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ الأنبياء

فَيَرْغَبُ عِيسَى وأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ عزّ وجلّ، فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ نُغْفًا فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. فَيَهْبِطُ عِيسَى وأَصْحَابُه فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ بَيْتًا إِلاَّ قَدْ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُمْ. فَيَرْغَبُ عِيسَى وأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ عزّ وجلّ، فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ. أَوْ قَالَ، فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهِيلِ.

(من حديث النوّاس ابن سمعان الكلابى رواه الإمام أحمد)

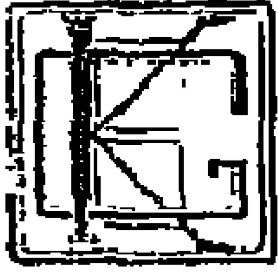
*** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلّم):

لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِي إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى (عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ)، قَالَ:

فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ:

لاَ عِلْمَ لِيَ بِهَا. فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ:

لاَ عِلْمَ لِيَ بِهَا، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ:



أَمَّا وَجْبَتُهَا فَلاَ يَعْلَمُ بِهَا إِلاَّ اللهُ. وفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّى أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ ومَعِي قَضِيبَانُ، فَإِذَا رَآنِي ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ. قَالَ:

فَيُهْلِكُهُ اللهُ فَإِذْ رَآنِي. حَتَّى أَنَّ الْحَجَرَ والشَّجَرَ يَقُولُ: يَا مُسْلِمَ إِنَّ تَحْتِيَ كَافِرًا فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. قَالَ:

فَيُهْلِكَهُمْ اللهُ ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلاَدِهِمْ وأَوْطَانِهِمْ. قَالَ:

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَئُونَ بِلاَدَهُمْ ولاَ يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلاَّ أَهْلَكُوهُ، ولاَ يَمُرُّونَ عَلَى شَيْءٍ إِلاَّ أَهْلَكُوهُ، ولاَ يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلاَّ شَرِبُوهُ.

قَالَ: ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى أَوْطَانِهِمْ يَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللهَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمْ ويُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَجْوَى الأَرْضُ مِنْ نَتَنِ رِيحِهِمْ، ويُنْزِلُ اللهُ الْمَطَرَ فَيَجْتَرِفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ.

فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّى أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلُ الْمُتِمُّ لاَ يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تُفْجِئُهُمْ بِوَلَدِهَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا.

(من حديث ابن مسعود رواه الإمام أحمد)

** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

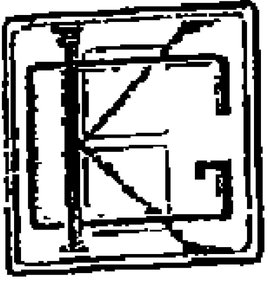
تُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا يَقُولُ اللهُ عزّ وجل:

وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ الأنبياء

فَيَغْشَوْنَ النَّاسَ ويَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وحُصُونِهِمْ ويَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ. ويَشْرَبُونَ مِيَاهَ الأَرْضِ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ يَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَابِساً، حَتَّى أَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ فَيَقُولُ: كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلاَّ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلاَءِ أَهْلُ الأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ. ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةٌ دَماً لِلْبَلاَءِ والْفِتْنَةِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعَثَ اللهُ عزّ وجلّ دُوداً فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنُغُفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لاَ يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلاَ رَجُلٌ يَشْرِى لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوّ.

فَيَنْحَدِرُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مُحْتَسِباً نَفْسَهُ قَدْ أَوْطَنَهَا أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى



بَعْض. فيُنَادِي:

يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَلاَ أَبْشِرُوا أَنَّ اللهَ عزّ وجلّ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيخْرُجُون مِنْ مَدَائِنِهِمْ وحُصُونِهِمْ ويُسَرِّحُونَ مَوَاشِيهِمْ، فَمَا يَكُونُ رَعْيٌ إلاّ لُحُومَهُمْ، فَتَشْكُرُ عَنْهُمْ كَأَحْسَنِ مَا شَكَرَتْ عَنْ شَيْءٍ منَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطْ.

(جزء من حديث رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد)

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم)، فِيمَا قَالَ عَنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ:

تَمُرُّ الزُّمْرَةُ الأُولَى بالْبُحَيْرَةِ فَيَشْرَبُونَ مَاءَهَا، وتَمُرُّ الزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ فَيَلْحَسُونَ طِينَهَا، ثُمَّ تَمُرُّ الزُّمْرَةُ الثَّالِثَةُ فَيَقُولُون: كَانَ هَاهُنَا مَرَّةً مَاءٌ.

فَيَفِرُّ النَّاسُ مِنْهُمْ فَلاَ يَقُومُ لَهُمْ شَيْءٌ. ثُمَّ يَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ إلَيْهِمْ مُخَضَّبَةٌ بِالدِّمَاءِ. فَيَقُولُونَ: غَلَبْنَا أَهْلَ الأَرْضِ وأَهْلَ السَّمَاءِ.

فَيَدْعُو عَلَيْهِمْ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ لاَ طَاقَةَ ولاَ يَدَ لَنَا بِهِمْ فَاكْفِنَاهُمْ مَا شِئْتَ.

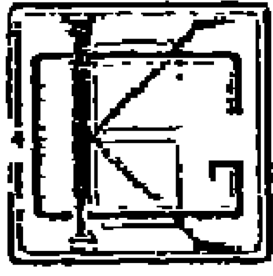
فَيُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِمْ دُودًا يُقَالُ لَهُ النُّغَفُ، فَيَفْرِسُ رِقَابَهُمْ، ويَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْراً تَأْخُذُهُمْ بِمَنَاقِيرِهَا فَتُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ. ويَبْعَثُ اللهُ عَيْناً يُقَالُ لَهُ الْحَيَاةُ يُطَهِّرُ اللهُ بِهِ الأَرْضَ ويُنْبِتُهَا، حَتَّى إنَّ الرُّمَّانَةَ لَيَشْبَعُ مِنْهَا السَّكَنُ.

(جزء من حديث كعب الأحبار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم)

وهذا مختصر من الأحاديث التي وردت بشأن يأجوج ومأجوج، ولا يعلم أحد أين هم أو ما عددهم وهيئتهم. سوى أنّه جاء ذكرهم في آيتين من القرآن المجيد وجاءت عنهم الأحاديث الشريفة وأنهم من ولد آدم، وأنهم من علامات الساعة كما دلّت عليه الآيات والأحاديث. وأيضا جاء ذكرها في (تنبآت يوحنا) في آخر العهد الجديد بدون سرد شئ من التفاصيل عنهم.

قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ الكهف

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ



ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ الأنبياء

فهذه تكون إحدى علامات الساعة من بعد نزول المسيح عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلّم).

- **نهاية رسالة المسيح عيسى** (صلى الله عليه وسلّم). +

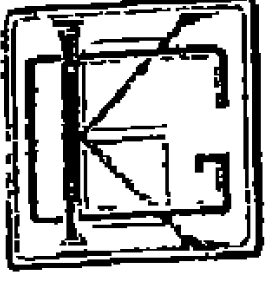
بعد القضاء على المسيح الدّجّال وهلاك الأمم التي لم تتبع السبيل القويم والذين لم يناصروا المسيح عيسى (عليه السلام) وانقادوا خلف الشيطان، بعد ذلك يقود الناس ويتولى الإمامة سيدنا عيسى عليه السلام كإمام عدل في الصلاة ويسمع له الجميع ولا يكون على ظهر الأرض إلا مؤمناً، وتتم نعمة الله على الأرض، فلا يكون عليها إلا مسلماً فتشكر له الأرض ذلك، وتكون الصلاة والسجود لله تعالى هي أنس الحياة وقمة السعادة للجميع فيرسل الله تعالى الخيرات إلى أهل الأرض والجميع سيكون لديهم أكثر مما يشتهون. ويلعب الذئب مع الشاة والأسد مع البعير والغلام مع الحيّة ولا يضرّهم شيء. ويرضى الله تعالى عن عباده.

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ المجادلة

عندما يتمّ كل ذلك يعلم المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) أن تلك هي النهاية له بعد أن تمّت الرسالة وبلغت أهل الأرض جميعا. فيجمع أصحابه ونقبائه فيخبرهم بأن النهاية قريبة ويوصيهم بإتباع دين الله الحنيف، دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. ثم يعلمهم بأن الساعة قريب جدّاً وليأخذ الناس حذرهم منها والعمل لها.

وكلّ ذلك من علامات الساعة وقرب صيرورتها الأكيد.

وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا



ولا يكون من داع لاستمرار وجود عيسى ابن مريم (عليه السلام) على الأرض بين الناس بعد إذ هم جميعاً مؤمنون. فيموت عيسى (عليه الصلاة والسلام). والناس يشهدون له بتمام رسالته ويصلي عليه أهل الأرض جميعا والملائكة في السماء والأرض، ونحن أيضا نشارك الآن في الصلاة عليه والشهادة له بأنه (عليه السلام) بلّغ سابقا وسيبلغ مستقبلا، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء وروح منه. اللّهم ارحمه وألحقه بالأبرار الصالحين وألحقنا بهم عندما يتوفانا ملك الموت واجعلنا أمّة مسلمة لك وارض عنا وأرضنا سبحانك إنا تبنا إليك.

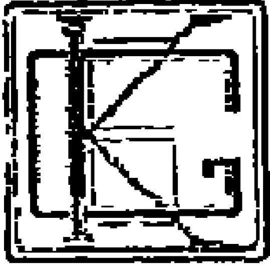
ستة رجال من البشر فقط مارسوا الحضرة الإلهية رغبة ورهبة وعندئذ سيموت خامسهم.

- **بعد المسيح** (صلى الله عليه وسلّم). +

عندما يترك المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) إلى بارئه عزّ وجلّ، تكون الناس في الأرض على خير ما يمكن أن تكون. والمؤمنون يقيمون الصلاة على أحسن ما يكون، ويكون النداء إلى الصلاة بأوقاتها الخمس دائماً، يُنادي بهم جميعاً على دوران الأرض. والله يُنزل عليهم بركات من السماء ويخرج إليهم كنوز الأرض، ويكون التسبيح لله سبحانه هو سعادة الخلق وهنائه، ويستمر ذلك إلى فترة من الزمان لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

ثم يبدأ الإنسان في التّغيّر ويدخل الشيطان برَجِله وخيله، ويقوم بالوقيعة بين البشر وبكل نشاط مستخدماً كل ما كان له من مكائد وخديعة، وهو يعلم أن النهاية قربت وأن هذه هي الفرصة الأخيرة له بأن يلعب ألاعيبه الجهنمية. فيتبعه الناس وتعم الفاحشة حتى يأتيها الناس على الطرقات وأمام بعضهم البعض ولا يعبئون. وينسى الإنسان دين الله القويم ويعود إلى عبادة الأصنام والشيطان.

كل ذلك والرزق دارٌ والعيشة هنيئة لهم ولا يوجد من ليس لديه من الخيرات ما يزيد على حاجته، والمال وافر وفائض على الجميع. ويعتقد الجميع أن ذلك إنما برضا الله عليهم، والله تعالى يمدّ لهم وهم في طغيانهم فهم يعمهون. وتبكي الملائكة ويغضب رب الكون الحي القيوم غضباً لم يسبق أن غضب مثله.



فيرسل الله تعالى ريحاً جميلة هادئة تأخذ أرواح من كان يؤمن بالله عزّ وجلّ وتأخذ أرواح من كان في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان، وتأخذ أرواح من قال يوما لا إله إلاّ الله. ولا يبقى في الأرض إلاّ الكفرة الفجرة الذين لا يؤمنون بالله عزّ وجلّ والذين يقومون على الفاحشة وعبادة الشيطان ولا رادع لهم. وحتى هذه الآية الأخيرة من عند الله تعالى لن تردعهم ولن يَعُوا ما هم مقبلون عليه، وعليهم هؤلاء الأشرار تقوم الساعة.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ الرحمن

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وهُمْ أَحْيَاءٌ.

(أو كما قال متفق عليه عن ابن مسعود)

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

كَيْفَ أَنْعَمُ وصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرَنَ وحَنَى جَبْهَتُهُ، يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخ؟

فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُول اللهِ (صلى الله عليه وسلّم)، "فَمَا نَقُولُ؟"

قال، "قُولُوا حسْبُنَا اللهُ ونِعْم الْوَكِيلُ. عَلَى اللهِ توكّلْنا."

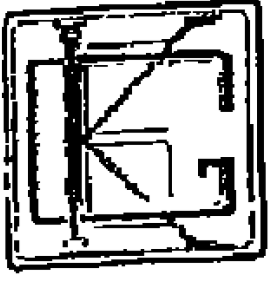
(أو كما قال رواه الإمام أحمد عن ابن عباس)

*** قال المسيح (عليه السلام):

وكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ فِي الأَيَّامِ الّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ. لأَنَّهُمْ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ ويَشْرَبُونَ ويَتَزَوَّجُونَ ويُزَوِّجُونَ إِلَى الْيَوْمِ الّذِي دَخَلَ نُوحٌ فِيهِ الْفُلْكَ، ولَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وأَخَذَ الْجَمِيعَ. (العهد الجديد)

*** وقال أيضا (عليه السلام):

ولِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ، تُظْلِمُ الشَّمْسُ والْقَمَرُ لاَ يُعْطِي نُورَهُ والنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ وقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. (العهد الجديد)



• كتاب الساعة. +

صفة القرن: وهو الصور: في القرآن المجيد. (القرن: البوق العظيم)

*** عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ (صلّى الله عليه وسلّم):

إِنَّ اللهَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ، شَاخِصٌ بَصَرَهُ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ.

قال أبو هريرة: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الصُّورُ؟

قَالَ: قَرْنٌ.

قَالَ: فَكَيْفَ؟

قَالَ: قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاَثُ نَفَخَاتٍ.

الأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الأُولَى، فَيَقُولُ، انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ. فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ، ويَأْمُرُهُ فَيَمُدُّهَا ويُطَوِّلُهَا ولاَ يَفْتُر، وهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ ص

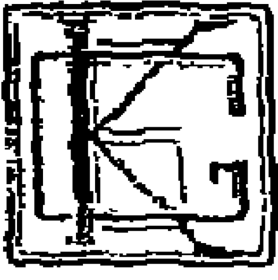
فَتُسَيَّرُ الْجِبَالُ فَتَكُونُ تُرَاباً، وتُرَجُّ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجّاً، وهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ النازعات

فَتَكُونُ الأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوبَقَةِ فِي الْبَحْرِ تَضْرِبُهَا الأَمْوَاجُ تَكْفَؤُهَا بِأَهْلِهَا، وكَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تَرْجَحُهُ الأَرْوَاحُ، فَيَمْتَدُّ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا، فَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وتَضَعُ الْحَوَامِلُ، ويَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً حَتَّى تَأْتِيَ الأَقْطَارَ، فَتَتَلَقَّاهَا الْمَلاَئِكَةُ فَتَضْرِبُ وُجُوهَهَا فَتَرْجِعُ، ويُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ غافر

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ انْصَدَعَتْ الأَرْضُ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، ورَأَوا أَمْراً عَظِيمًا فَأَخَذَهُمْ لِذَلِكَ



مِنَ الْكَرْبِ مَا اللهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَإِذا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ خُسِفَ بالشَّمْسِ وقَمَرِهَا وانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم):

وَالأَمْوَاتُ لاَ يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

قال أبو هريرة: فَمَنْ اسْتَثْنَى اللهُ حِينَ يَقُولُ:

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ النمل

قَالَ: أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وإِنَّمَا يَصِلُ الْفَزَعُ إِلَى الأَحْيَاءِ: أُولَئِكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، ووَقَاهُمْ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وآمَنَهُمْ. وهُوَ عَذَابُ اللهِ يَبْعَثُهُ عَلَى شِرَارِ خَلْقِهِ، وهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

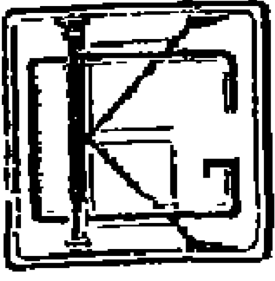
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ الحج

(أو كما قال رواه ابن جرير والطبراني وابن أبي حاتم عن أبي هريرة)

وزلزلة الساعة تأتي في نهاية العالم وهي قبل نهاية الحياة حيث يفزع كلّ من لا يحتوي قلبه على إيمان ومن لا يؤمن باليوم الآخر وهم شرار الناس الذين يوجدون في ذلك الوقت. ويأخذ الرعب بمن ترضع وليدها فتضعه دون رضاعة، وتضع كلّ من تحمل جنينا قبل أن يولد، والناس يأخذهم هول قيام الساعة فكأنهم سُكارى من دون أن يشربون خمرا.

وأما بعد أن يموت من كان محسوباً مؤمناً. فإن الله تعالى يأمر إسرافيل بالنفخ في القرن (البوق) وهذه هي نفخة الساعة وهي النفخة الأولى. ومن الحديث المتقدم نعلم أنه لن تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس وهو يوم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام، وهو الملك المكلف بالقرن أن ينفخ فيه نفخة الساعة.

فينفخ الملاك إسرافيل نفخة عظيمة يُطوّلها طولاً عظيماً. فتنهدّ الجبال هدّا وتُرجّ الأرضُ رجّاً بالزلازل العظيمة والقوية التي لم يسبق لها مثيل، وتُخرج الأرض من باطنها من



المعادن المُنصهرة التي تقذف بها البراكين من كل فج وفي كل سبيل.

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ الزلزلة

وتنهد الجبال هدّا وتُنسف نسفا فإذا هي كالعهن المنفوش، وتشتعل البحار والأنهار ناراً، ويضيع ضوء الشمس والقمر، وتشخص الأبصار من هول ما ترى، والناس يأخذهم الفزع الأكبر والخوف العظيم من هول ما يرون، ويستمر ذلك اليوم إلى ما شاء الله.

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ سورة الطور

إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ الواقعة

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ المعارج

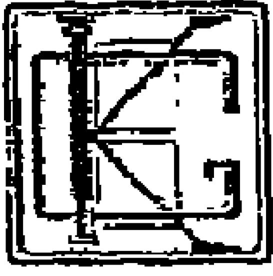
ثم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام فينفخ نفخة الصعق وهي النفخة الثانية ويطوّل فيها فيصعق من في السماوات والأرض. ويموت كل شئ حيّ على وجه الأرض وتنعدم الحياة تماماً، الإنسان ووحش البر ووحش البحر ووحش الجو جميعا يموت ولا يبقى حتى أصغر الكائنات حتّى الفيروس يموت، وتأخذ الأرض ما عليها وتخسف به في القبور إلى ما شاء الله.

وينعدم الزمن كما نعلمه ويقف، إذ لا حاجة له، ويذهب الضوء إذ لا حاجة له. ولا يبقى في السماوات والأرض إلاّ من استثنى الله تعالى لحكمته العليا. فلا حياة أبداً.

لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦ غافر

عندها ينادى الله تعالى لمن الملك اليوم ويجيب عن نفسه تعالى فيقول لله الواحد القهار الذي بأمره قهر كل شيء. فكما خلق كل شيء من العدم وبكلمة منه سبحانه، إنما إذا قضى أمراً فإنه يقول كن فيكون، وهكذا أيضا في النهاية، فإنه ينتهي كل شيء بقوله كن فيكون سبحانه.

وتُصبح الأرض غير الأرض التي نعرفها. فلا ماء ولا حياة ولا هواء ولا ضوء ولا شمس ولا قمر ولا نجوم. نعوذ بالله أن يكون علينا هذا اليوم ونسأل الله الثّبات.



• كتاب الموت. +

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ الملك

الموت هو ظاهرة طبيعية وحقيقة الحياة الواقعة.

كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ العنكبوت

لا مفر من الموت، وهو عندما تُغادِر الرّوح جسد الكائن الحيّ. يتوقف التنفس ويتوقف القلب عن النبض وتتوقف الدائرة الدمويّة ولا يصل الأكسجين إلى المخ ويموت الكائن الحي. وهذا هو كل ما نعرفه عن ظاهرة الموت.

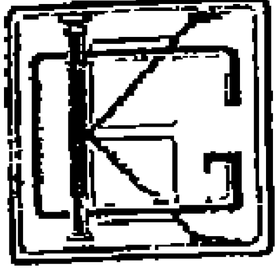
تبدأ الحياة بدخول الروح إلى الجسد، والذي أعدّه الله سبحانه ليتلقّى الروح ويحافظ عليها وتحافظ عليه، إلى فترة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ويكون ذلك هو دنيا الفرد وهي فترة حياته. ولا علم لأحدٍ بما هي الروح، وإذا ما كانت منفصلة عن النفس، أم أنهما عنصراً واحداً يكملان أحدهما الآخر. والغالب أن النفس شئ والروح شئ آخر، إلا أنهما متجانستان حسب مشيئة الرحمن جلّ في عظمته. وهما من أسرار من خلق السِّرّ سبحانه وتعالى، ولا علم لأحدٍ عنهما. ولقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم الروح في عدّة آيات وذكر النفس في آيات كثيرة أيضاً. والعلم يقف هنا شاخص بصره حيران في القدرة الإلهية اللامتناهية والغموض العظيم في ما يحيط بالإنسان من آيات في عظمة الخالق سبحانه إنما قوله إذا قضى أمراً أن يقول كن فيكون ولا تسبق الكافُ النُّون.

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ الاسراء

فعندما خلق الله تعالى آدم وأشهد ملائكته على ذلك نفخ فيه من روحه.

فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ الحجر

فالإنسان إذاً يتكون من ثلاث عناصر إحداهن ماديّة واثنتان روحانِيّتان وهنّ، الجسد والروح



والنفس. والموت هو حقيقة الحياة وقد كتبه الله على جميع خلقه. وعندما يموت الإنسان تبدأ عملية فيزيائية فور مغادرة الروح الجسد، ويبدأ الجسد في التحلل. فيكون نتيجة التحلل أن يجف الجسد، وتتآكل الجلود واللحم والأعصاب وتتحلل العظام، وكل عنصر يعود إلى ما كان عليه قبل نشأته. فيعود التراب إلى ما كان عليه ويعود الماء إلى ما كان عليه، ولا تنقص الأرض شيئا. فالتراب يعود إلى التراب والماء إلى الماء، وهذان هما العنصران الأساسيان في تكوين الخلق وهما يحتويان على بقية المواد.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ الواقعة

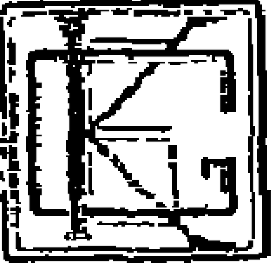
الموت قدرٌ على كل نفس لا محالة.

وآخر ما يرى الإنسان ملائكة الموت، وذلك عندما تأتي ساعة يأخذون الروح التي سكنت الجسد فترة الحياة. وهذه هي اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت. وعندها تتوقف أية اتصالات بين الدنيا التي تركها الإنسان والحال الجديدة التي أصبح عليها. وكما أن سرّ الحياة غير معلوم للإنسان ولا ينبغي أن يعلمه، فكذلك سرّ الموت لا يعلمه الإنسان ولا ينبغي له أن يعلمه. فكلاهما سرّ من أسرار الله التي لا يعلمها إلاّ هو سبحانه ومن يريد من خلقه.

والأنبياء هم رسل الرّحمة من الله تعالى، ولقد أخبرونا أن هذا ليس نهاية كلّ شئ. فمن الحق الذي لا ينبغي إلاّ التصديق به هو إعادة البعث والنشور، للوقوف بين يدي الخالق الجبّار سبحانه، يوم القيامة، وأن هنالك يوم الحساب. وهو اليوم الذي يحاسب الله فيه العباد على ما قدّموا في حياتهم التي منحهم الله إيّاها.

ويوم الحساب أساس الدين، فلا دين لمن لا يُؤمن بالساعة أو يوم النّشور أو يوم الحساب، ولا للذي عنده ذرّة من الشّكّ في ذلك. فهذا هو أساس الإيمان. ومن غير الحساب تكون الحياة فوضى ولا يعبأ النّاس بعضهم البعض، ويغوَى الإنسان وما كان له أن يغوَى، ولا يحترم بقيّة المخلوقات وحقها في الحياة فيطغى.

فكل شئ خلقه الله تعالى خاضعٌ لقانونٍ من صُنعِه ولا يخرج عنه أيّ كان. وكلٌّ مُوجَّهٌ



ومُيسّر لما خُلق له، ومسئول عن أفعاله وأعماله وحياته لحظة بلحظة، وكل شئ هو مُقدّرٌ ومكتوب في إمام مبين. وهو الكتاب الذي لا يضل فيه شيء، وفيه حصر الله تعالى أعمال كلّ الخلائق صغيرها وكبيرها وفيه الرزق والقدر وما هو صائر منذ بدء الخلق إلى ما شاء الله تعالى أن يحصره وملائكة السجلات تقارن أعمال البشر لحظة بلحظة وعملا بعمل بما لديهم في السّجل. وهناك أيضا عذاب القبر والعياذ بالله. وكل ذلك أخبرنا به أنبياء الله الصالحين صلوات الله تعالى علهم أجمعين.

• في ساعة الموت.

***** عن البرّاء ابن عازب (رضي الله عنه) قَالَ:

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم) فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، ولَمَّا يُلْحَدُ (أي لم يُنتهي منه) فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلّم) وجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وقَالَ:

اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا. ثُمَّ قَالَ:

إنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ. نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ. كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ.

مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ.

ثُمَّ يَجِئُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ:

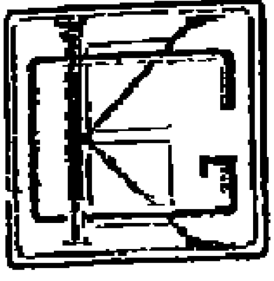
"أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أُخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ ورِضْوَان."

قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ سَيْلَ الْقَطْرَةِ مِنَ السِّقَّاءِ، فَيَأْخُذُهَا.

فإذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ. ويَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.

فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا يَعْنِي عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: "مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟" فَيَقُولُونَ: "فُلاَنٌ ابنُ فُلاَن." بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا. حَتَّى يُنْتَهَي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

فَيَقُولُ اللهُ: اكْتُبُوا عَبْدِي فِي عِلِّينِ، وأَعِيدُوهُ فِي الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وفِيهَا أُعِيدُهُمْ



ومِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تارَةً أُخْرَى.

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فيَأْتيهِ مَلَكانِ فيُجْلِسانِهُ، فيَقُولاَنِ لَهُ:

"مَنْ رَبُّكَ؟ فيَقُولُ: "رَبِّيَ اللهُ." فيَقُولاَنِ لَهُ: "مَا دِينُكَ؟" فيَقُولُ: "دِينِيَ الإسْلاَمُ." فيَقُولان لَهُ: "مَا هَذا الرَّجُلُ الّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟" فيَقُولُ: "هُوَ رَسُولُ اللهِ." فيَقُولاَنِ لَهُ: "ومَا عِلْمُكَ؟" فيَقُولُ، "قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وصَدَّقْتُ."

فيُنَادِي مُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ أَنْ، "صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرُشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وافْتَحُوا لَهُ بَابَا إلَى الْجَنَّةِ." قَالَ:

فيَأْتيهِ مِنْ رَوحِهَا وطِيبِها ويُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. ويَأْتيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ:

"أَبْشِرْ بالّذِي يَسُرُّكَ، هَذا يَوْمُكَ الّذِي كُنْتَ تُوعَدُ." فيَقُولُ لَهُ: "مَنْ أنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ." فيَقُولُ: "أنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ." فيَقُولُ: "رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعُ إلَى أهْلِي ومَالِي." قَالَ:

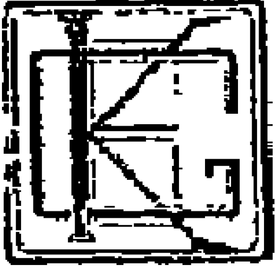
وإنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ، إذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وإقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِن السَّمَاءِ، سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمْ الْمُسُوحُ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ. ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: "أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أُخْرُجِي إلَى سُخْطٍ مِنَ اللهِ وغَضَبٍ." قَالَ:

فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ. فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْبَلُولِ. فيَأْخُذُهَا، فَإذَا أخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمَسُوحِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأرْضِ. فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إلاَّ قَالُوا: "مَا هَذِهِ الرِّيحُ الْخَبِيثَةُ؟" فَيَقُولُونَ: "فُلاَنٌ ابنُ فُلاَنٍ." بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا. حَتَّى يُنْتَهَي بِهَا إلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ، فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ الأعراف

فيَقُولُ اللهُ: "اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى." فَتُطْرَحُ طَرْحًا. ثُمَّ قَرَأَ:

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى



مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ الحج

فَتُعَادُ رَوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانُ، فَيُجْلِسَانِهِ وَيَقُولاَنِ لَهُ: "مَنْ رَبُّكَ؟" فَيَقُولُ: "هَا هَا، لا أَدْرِى." فَيَقُولاَنِ لَهُ: "مَا دِينُكَ؟" فَيَقُولُ: "هَا هَا، لاَ أَدْرِى." فَيَقُولاَنِ لَهُ: "مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟" فَيَقُولُ: "هَا هَا، لاَ أَدْرِى."

فَيُنَادِى مُنَادِى مِنَ السَّمَاءِ أَنْ: "كَذَبَ عَبْدِي، فَافْرُشُوهُ مِنَ النَّارِ، وافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ." فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وسَمُومِهَا، وِيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفُ أَضْلاَعُهُ. ويَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتَنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: "أَبْشِرْ بالَّذِي يَسُوءُكَ. هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ." فَيَقُولُ: "مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِئُ بالشَّرِّ." فَيَقُولُ: "أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ." فَيَقُولُ: "رَبِّ لاَ تُقِمْ السَّاعَةَ."

(أو كما قال رواه الإمام أحمد عن البراء ابن عازب)

*** * *** **عن أنس ابن مالك** (رضي الله عنه) **قال:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لقَاءهُ، ومَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءهْ.

قُلْنَا: يا رسُولَ اللهِ، كُلُّنَا نكْرَهُ الْموْت.

قَالَ: لَيْس ذَلكَ كَراهِيَةُ الْموْت. ولَكِنَّ الْمُؤْمِنُ إذا حُضِر وجاءهُ الْبَشيرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى بمَا هُوَ صَائرٌ إلَيْهِ، فلَيْسَ شيْءٌ أَحبُّ إلَيْهِ مِنْ أَنْ يكُونَ لَقِيَ اللهَ تَعالَى، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءهْ.

قَالَ: وإنَّ الْفَاجِرَ أَوْ الْكَافِرَ إذا حُضِرَ، جَاءَهُ بِمَا هُوَ صَائِرٌ إلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّرِّ، فَكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، فَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ.

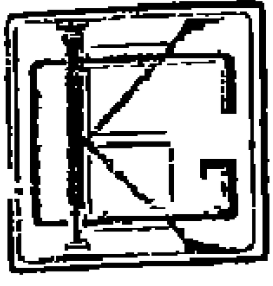
(أو كما قال رواه الإمام أحمد عن أنس)

فهذا هو هناء القبر أو العذاب فيه. اللّهم وسّع قبور المؤمنين.

ومصداقية ذلك في القرآن المجيد، فالنفس الطيبة التي يرضى الله عنها يقال لها:

يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ الفجر

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ



تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ النحل

وأما النفس الخبيثة التي يغضب الله عليها فإنه يُقال لها غير ذلك:

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ النحل

ولهم الكثير من المعاملة المهينة على يد ملائكة الموت ساعة الاحتضار.

فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ محمد

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

إنَّ الْمَيِّتَ تحْضُرُهُ الْمَلائِكةُ، فإذا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: "أُخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أُخْرُجِي حَمِيدَةً وأَبْشِرِي بِرُوحٍ ورَيْحَانٍ وربٍّ غَيْرُ غضْبَان."

قَالَ: فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذلِكَ حَتَّى تَخْرُجُ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: "مَنْ هَذا؟" فَيُقَالُ: "فُلاَنٌ." فَيَقُولُونَ:

"مَرْحَبًا بِالرُّوحِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أُدْخُلِي حَمِيدَةً، وأَبْشِرِي بِرُوحٍ ورَيْحَانٍ وربٍّ غَيْرُ غَضْبَان."

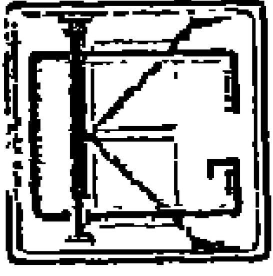
قَالَ: فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذلِكَ حَتَّى يُنْتَهَي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عزّ وجلّ.

وإذا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالُوا:

"أُخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ. أُخْرُجِي ذَمِيمَةً، وأَبْشِرِي بِجَحِيمٍ وغَسَّاقٍ وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ."

فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذلِكَ حَتَّى تَخْرُجُ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: "مَنْ هَذا؟" فَيُقَالُ: "فُلاَنٌ." فَيُقَالُ: لاَ مَرْحَباً بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، أرْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لاَ تُفَتَّحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ."

(أو كما قال رواه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة)



فعند الاحتضار يجد المحتضر البشارة بالنعيم ويرى نور البشرى فتطمإن نفسه إن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأما إن كان على غير ذلك فبشراه سيّئة والعياذ بالله ولا يرى نوراً ولكن تبدأ به الظلمة التي تصاحبه في قبره إلى حين أن يُبعث.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ق

وعِلْمُ الله تعالى محيط بالبشر جميعاً ويعلم ما بأنفسهم ولقد كلّف بذلك الملائكة الكرام فهم من الإنسان بالقرب كحبل الوريد وهو العرق الأساسي في تغذية الجسد بالدم فلا تخفى عليه ولا على الملائكة المكلفين به أيّة خافية.

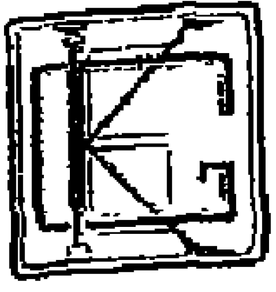
إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ق

و المتلقيان هما الملكان اللذان يرقبان ويسجلان عمل الإنسان وقوله ويترصدان كل صغيرة وكبيرة، ويكتبان ذلك في كتاب الأعمال الذي سيلقاه الإنسان يوم القيامة منشورا أمامه بالحق فلا تغيب عن الله تعالى مثقال ذرة من أعمال الفرد.

ولقد قال الحسن البصري: يا ابن آدم بُسِطَ لك صحيفة، ووُكِّل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طُوِيَت صحيفتك و جُعِلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة.

وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ق

والموت له سكرات فعند سكرة الموت تتجلى للإنسان الحقيقة الكاملة و التي لا يستطيع التكذيب بها بعد، وهذا ما كان يرغب في تكذيبه فلا حياد عنه ولا مهرب منه. و عند



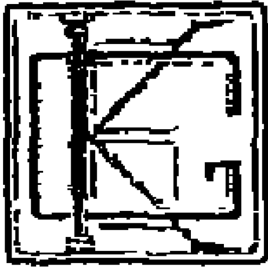
النفخ في الصور (القرن) فإن الإنسان يقوم من الموت ومعه من الملائكة من يسوقه إلى المحشر إمّا عنوة أو رغبة ومعه شهيد يشهد على أعماله وأقواله في الدنيا وكُشِف له عن سائر أعماله التي لا يستطيع الهرب منها ولا إنكارها وهو مبصر بها بقوّة البصيرة، لا يستطيع الإفلات من أيّ منها، فسوف يشهد عليه عمله وأعضاءه من لسان وعينٍ وأيدٍ وأرجلٍ وسمعٍ، وتشهد عليه السماءُ والأرضُ وما بينهما والضوءُ والظلمةُ والماءُ والتربةُ وأقرانُ الخيرِ وأقرانُ الشرِ وليس من مَحِيص.

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ق

فيشهد عليه الملك الذي أحضره بأنه ذلك هو المعتد الذي كان لا يخشى ولا يقنع بالحق مُنكراً لكلّ الآيات، فيحكم الله تعالى بإلقاءه في نار جهنم حيث العذاب المقيم، لأنه كان يعاند في الكفر و الطغيان، غير مُصدّقٍ لآياتِ الله تعالى ولا مُصدّقٍ لأنبيائه ورُسله الكرام، فإنه كان منّاع للخيرِ ومعتد على الحق ومريب بكل ما عرض عليه من حق، فكان يُشرك بالله العظيم ولا يعتبر، ولا يقيم ليوم القيامة وزناً ولا يُصدق بلقاء الله فله العذاب الشديد وليس له شفيع يشفع له عند البارئ عزّ وجلّ.

۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ق

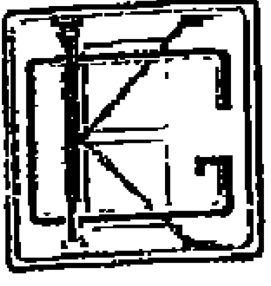
وعند ذلك يتبرّأ منه الشيطان الذي كان يضلّه في الحياة الدنيا، ويشهد عليه بأنه ما أضلّه ولكنه كان مُكذّبا للحق عندما جاءه ولم يصدق الرسل والآيات، فهو من منبته ضال معتد أثيم لم يكن ليؤمن بالله العظيم، ولو حتى كلّمه الموتى ولو لم يكن الشيطان موجودا. والله تعالى لا ينظر لا إلى هذا ولا إلى ذاك فلا يستمع إلى خصامهما ويشهد على نفسه عزّ وجلّ بأنه لا يُبدّل القول لديه فقد سبق وأنذر ووعد المخالفين المكذبين بالعذاب من قبل، فما وقع



كان، ولا سبيل إلى تغيير ما هو مشهود به ولا يظلم الله تعالى أحدا. وهذه جهنم ونارها ودمارها وعذابها المقيم تتلقف كل أفّاك معتد أثيم، وهي تعرفهم بسيماهم وتعلم قرناءها علم اليقين، وأُحضرت لتبتلعهم أجمعين ولا تدع أحدا من المغضوب عليهم المنسيين.

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ
خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ
﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ق

وأما الذين آمنوا واتقوا فلهم وعدٌ آخر، إذ الجنة قد زُيّنت لهم وجُهّزت وهى منهم قريب وهى لكل من صدّق الرسل وقام بالحق واتبعه وآمن بالغيب وبما آتاه الله تعالى من الآيات ولم يُكذب بأيّ منها وأقام الصلاة وآتى الزكاة وكان عابداً زاهداً، يأمر المعروف وينهى عن المنكر ويبتعد عن الموبقات، ويخشى الله تعالى كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يعلم بأن الله عزّ وجلّ يراه، فيزداد خشوعاً وتواضعاً للحق، فله الجنة من قريب وحسابه يسير ولا عذاب أمامه ولا خوف لديه يومئذ إنما هي الطمأنينة والسّكينة فحسب ويعلم أن الله تعالى هو الحق وأنه لا يُعذب عباده الصالحين.



• كتاب القيامة. (البعث والنشور) +

وبعد أن تنتهي الحياة في الأرض وفي السماء إلاّ ما شاء الله، ويمر من الزمن ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى يبعث الله عزّ وجلّ إسرافيل. ثم يأمر الله عزّ وجلّ إسرافيل، الملك المكلف بالنفخ في الصّور (القرن)، نفخة البعث والنشور. فينفخ الملاك نفخة يُطوّل فيها ما شاء الله ويُنزل الله مطراً من السماء بماء الحياة، فتنبت أجساد الخلق من الأرض نباتاً. وجميع الأرواح تكون في ركن صغير في أركان القرن الكثيرة، وعند النفخ في الصّور (القرن) تطير هذه الأرواح في لمح البصر وتعرف كل روح الجسد الذي كانت تحتلّه فترة الحياة الدنيا والجسد يعرفها فتتزوج النفوس ويعود الإنسان وباقي المخلوقات كما كانوا قبل موتهم.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ الزخرف

وإذا هم وقوف شاخصةٌ أبصارُهم مندهشون من هول النشور.

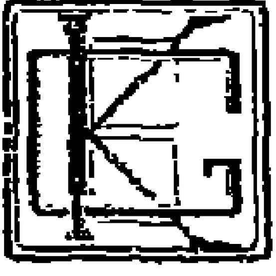
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ الزمر

ويشرق نور الله تعالى على الأرض، ويُوضع الكتاب ويُؤتى بالشهود والأنبياء والمرسلين ويُحشر الناس للحيّ القيّوم الذي لا إله إلا هو، شاخصة أبصارهم مندهشون من بعثهم أحياءً وقوفًا من سُباتهم في القبور.

يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ق

وهم على أرض ليست الأرض التي يعرفون وتحت سماء ليست هي التي يعرفون. والمؤمن يُبعث بصيراً، أما الكافر والمستكبر فلا بصر له ولا سمع.

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ الاسراء



والكفرة المكذبين لا يَصْبِرُ الله تعالى عليهم ولا يُسألون عما كانوا يعملون وحسابهم سريع والله عزّ وجلّ يُشهدهم على أنفسهم ويُقرّون بما كانوا به مُكذّبين فعندئذ تلتف الساق بالساق ويُوصدون بسلاسل من حديد عظيم ويُقادون على وجوههم كبًّا إلى نار الجحيم.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ طه

في هذا اليوم ينساهم المولى الذي لا ينسى أن ينسى، ثم يُجرّون إلى جهنم وبئس المصير.

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ الفرقان

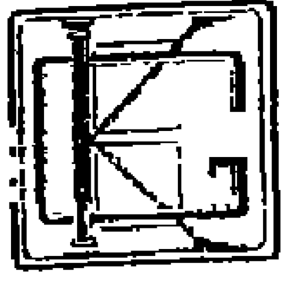
والنار تعرف الوافدين إليها وتتغيّظ منهم لعزّة الله تعالى وتزفر من شدّة الغضب لما كانوا يُكذبون من وجودها ووجود الجنة ويوم الحساب. أعاذنا الله تعالى منها.

ومن شدّة الموقف وهول ذلك اليوم، فيعرف الناس بعضهم البعض، ولكن لكل أحد منهم شأن يُغنيه عن السؤال، ويهرب الناس بعضهم من بعض ويودّ الإنسان أن يفتدى نفسه بكل ما كان يسعى له في الدنيا، ولكن لا تزر وازرة وزر أخرى.

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ المعارج

ويوضع الميزان القسط، والذي لا يدع واردة ولا شاردة إلا أمكنه ميزانها، حتى لأن النّظرة توزن والكلمة توزن والحرف يوزن وكذلك الحركة واللمسة والسكوت والنّمّ والعصيان والخضوع والصلاة والوضوء والصوم وقيام الليل والإيمان والفسوق والخير والشر. ولقد كان هذا الميزان من قبل الخلائق، ولا يعلمه إلا الله تعالى.

وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ الرحمن



وتأتي كل أمة من الأمم معهم أنبيائهم الذين بُعثوا فيهم وشهدائهم من الملائكة ومن أنفسهم، وكذلك من السمع والنطق والبصر والأفئدة والضمائر والقول والفعل.

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ الإسراء

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ الزمر

ومدّة هذا اليوم خمسين ألف سنة، أعاذ الله المؤمنين منه.

تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ المعارج

ولما سمع المؤمنون هذه الآية استكثروا طول ذلك اليوم لأن ذلك بالمقياس الزمني للبشر شيء كثير وزمن طويل، ولكنه عند الله لا شيء البتّة.

******* عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال:

قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلُ هَذَا الْيَوْمْ!

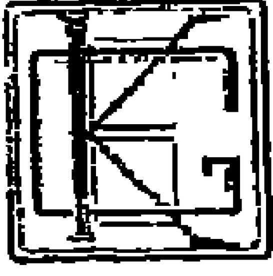
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

والّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَةِ مَكْتُوبَةِ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا.

(أو كما قال رواه الإمام أحمد وابن جرير)

ثم تتناثر الكتب، ويُؤتى كل فرد كتابه، لا تخفي فيه شاردة ولا واردة إلا مذكور به. الجميع في وقت واحد والجميع بين يدي الله سبحانه. ويُعرضون عليه سبحانه بكل ما لديهم من خصومات وشفاعات.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ



ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ الحاقة

ثم يقوم الشهود والأشهاد من الناس والملائكة والأنعام والأحجار وضوء وصوت ولسان وبنان وإلهام وعقل والماء والأرض والنجوم والهواء وحتى ذرّات التراب. فلا تخفي خافية على الله ولا يتكلم أحدهم إلاّ من أذن الله تعالى له وعندئذ لا يقول إلا الحق. والشهود حضور حتى لا يُنكر أحد ما جاء به من عمل في كتابه وتبرز الكتب الصادقة التي كتبها العباد البررة (الملائكة).

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وسلّم):

"يُعْرَضُ النَّاسُ ثَلاثَ عَرَضَاتٍ:

فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدالٌ وَمَعاذيرٌ وَخُصُوماتٌ:

وأمّا الثَّالثةُ فَعِنْدَ ذلكَ تَطيرُ الصُّحُفُ فِي الأيْدي فآخِذٌ بيَمينِهِ وَآخِذٌ بِشَماله.

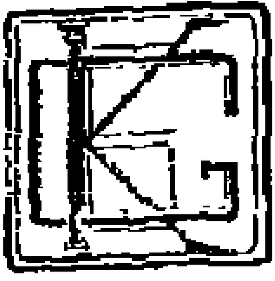
(عن أبى موسى رواه الإمام أحمد)

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ النبأ

فتقوم الأشهاد من الملائكة والرّوح في صفوف عظيمة في حُضرة الرّبّ الجليل ولا يتكلّمون إلاّ بإذن من الله تعالى وحينئذ لا يستطيعون إلاّ الصّواب في القول ولا ينبغي لهم غير ذلك.

لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ مريم

ولقد أحصى الله تعالى خلقه ومن يعلم ذلك إلاّ الله العزيز وليس لأيّ منهم الفرار من الحُضرة في العُرُصات حيث العرض الرّهيب والموقف الصّعب، والجميع آتٍ إلى الحُضرة الإلهية الرهيبة فُرادا ولكنهم في وقت واحد مشترك وهذا من الإعجاز الإلهي العظيم، نسأل الله الثبات.



إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ يس

والله يأمر الملائكة الكتبة بكتابة كلّ شيء من صغير أو كبير، وهو مُدوّن في الإمام المبين الذي لا يدع شاردة ولا واردة إلاّ أحصاها وجمعها ويُظهرها الله العزيز يوم الحساب.

ويُفصل في الحساب بين الخلائق ولا يظلم الله أحدا من العباد. وكل شيء قد أحصاه الله الذي لا تخفى عليه خافية، ويُفصل بين أهل الجنة وأهل النار.

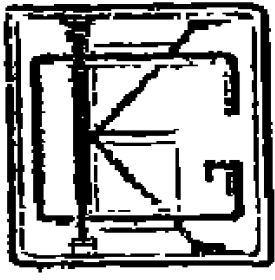
مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ محمد

فيعلم كل أناس طريقهم وتبقى المظالم التي بين الناس.

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ الواقعة

والموقف صعب للغاية والناس في شغل شاغل كلٌّ عن نفسه يأخذه الهلع، فالذي عمل صالحا ما يزال عنده من الرّهبة والخوف أن تظهر عليه مظالم لا يعلمها هو ويعلمها الله تعالى. وأما أهل جهنم فترتعش قلوبهم من خشية الله ويكادون أن يذوبوا في عرقهم الذي يغلي عليهم. ولا يستطيع إنسان أن يقول إلاّ الحق وإذا أذن الله له، ويشهد الأنبياء والملائكة ولا تسمع إلا همساً من هول الموقف والخوف من الرحمن عزّ وجلّ. وذلك ما يُسمى عُرُصات يوم القيامة.

*** عن المقداد ابن الأسود (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أُدْنِيَتُ الشَّمْسُ مِن الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونُ قَدْرَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ.



قَالَ: فَتَصْهَرُهُمْ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، ومِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ الْعَرَقُ إِلَى عَقِبَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حِقْوَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَلْجُمُهُ إِلْجَاماً.

(أو كما قال رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذى)

***عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم)، لِبَشِيرِ الْغَفَّارِيِّ:

كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِي يَوْمٍ يَقُومُ فِيهِ النَّاسُ ثَلاثَمَائَةُ سَنَةٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا. لاَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ، ولاَ يُؤْمَرُ فِيهِمْ؟

قَالَ بَشِيرُ: الْمُسْتَعَانُ اللهُ.

قَالَ: فَإِذَا آوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وسُوءِ الْحِسَابِ.

(رواه ابن أبى حاتم وابن جرير)

ولسوف تتكرر علينا أعمال الأفراد، كما كانت في الدنيا، كل فرد على حدة والجميع في آن واحد. ليعلم كل إنسان ما قدّمت يداه فلا شيء يُنسى.

***عن عبد الله ابن الزبير (رضي الله عنه) قال:**

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ الزمر

قال الزبير: أيْ رَسُولَ اللهِ، أَيُكَرَّرُ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ خَوَاصِ الذُّنُوبِ؟

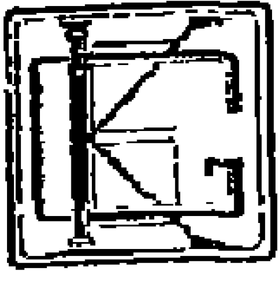
قَالَ ﷺ: نَعَمْ لَيُكَرَّرَنَّ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يُؤَدَّى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

قال الزبير (رضي الله عنه): وَاللهِ إِنَّ الأَمْرَ لَشَدِيدٌ.

(أو كما قال رواه الإمام أحمد والترمذى)

أما عن الشيطان فإنه يكون في حسرة من عصيانه لله تعالى ويُهاجمه أهل النار إذ غرّر بهم في الحياة الدنيا وقادهم إلى طريق الهلاك وهو يتملّص منهم ويتبرأ منهم.

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ الحشر



ويتبرّأ الشيطان من الإنسان ويعلن خوفه من الله سبحانه ويعلم عذابه، وعلى الرّغم من ذلك عصاه.

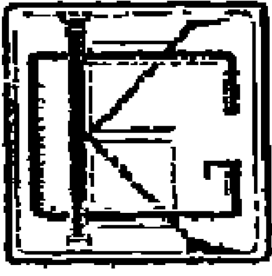
وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ابراهيم

فيتوم إبليس عليه اللعنة فيقول لأهل النار ليزيدهم حُزْنًا على حُزْنٍ وحسرةً على حسرةٍ، إن الله قد وعدكم ووعده هو الحق وما وعدتكم هو الباطل وما أردت بكم إلاّ الضلال وتبعتمونى وأنتم على علمٍ ولن يُفيدكم الشكوى اليوم ولا رفيق لكم ولا حتّى أنا أُرافقكم فأنتم الذين أشركتم بالله ولست أنا فأنا أعلم عذاب الله وأنا منه مشفقٌ على نفسي فاذهبوا عنّي أعداء الله. وهو العدوّ الأول.

وهكذا يعترف الشيطان أنه لم يكن لديه من سلطان على الإنسان، بل ويَدَّعيَ على الإنسان بأنه هو الذي أضله وأشركه. ثم ينظر الشيطان حواليه فيجد أهل الجنة كثير، فتأخذه الحسرة الكبرى إذ لم يقدر على جميعهم. ويقول في نفسه، يا حسرتي، أُمر الإنسان بالسجود فسجد فله الجنة وأُمرت بالسجود فعصيت فلي النار. ويندم الملعون الذي كان أوّل من لعنه الله في الخلق جميعاً، والذي أغوى الناس في فترة الدنيا وأضلّهم، ولم يكن له عليهم من سلطان إنما تحكم في شهواتهم وغرورهم، وبعضهم لم يكن بحاجة لمن يُضلّه فكانوا للشيطان أقراناً من غير علمهم.

- **حوض الرسول** (صلى الله عليه وسلّم). +

لكلّ رسولٍ من رسل الله تعالى حوض في أرض المحشر ويعلم به قومه الذين خرج فيهم وآمنوا به وبرسالته فيقصدونه. وهذا الحوض به ماء أبيض أشد بياضاً من اللبن وطعمه أحلى من العسل المصفي وريحه أطيب من ريح المسك، وإذا شرب منه الفرد فإنه لا يظمأ بعدها أبداً. وعلى حوافه كؤوس عليها أسماء أصحابها يعرفونها كما يعرفون أنفسهم وتعرفهم



الكؤوس كما يعرف العبد مولاه. وهؤلاء الذين رحم الله. اللهم اجعلنا منهم وتب علينا يا رحمن يا رحيم.

***** قَالَ رَسُولُ اللهِ** (صلى الله عليه وسلّم):

إنّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، ومَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا. لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ.

(أو كما قال متفق عليه عن سهل ابن سعد)

يزيد فيه (الحديث السابق): فَأَقُولُ: "إنَّهُم مِنِّي. ف

يُقَالُ: إنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا مِنْ بَعْدِكَ.

فَأَقُولُ: سُحْقًا! سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي.

***** قال المسيح** (عليه السلام): كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَومِ يَا رَبّ يَا رَبّ أَلَيْس باسْمِكَ تَنَبَّأْنا وباسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَّاطِينَ وباسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً! فَحِينَئِذٍ أَصْرُخُ لَهُمْ. إنّي لَمْ أَعْرِفُكُمْ قَطْ. إذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمَ. (العهد الجديد)

***** قال النبيّ** (صلى الله عليه وسلّم):

حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللّبَنِ، ورِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا.

(عن ابن عمرو متفق عليه)

***** قال النبيّ** (صلى الله عليه وسلّم):

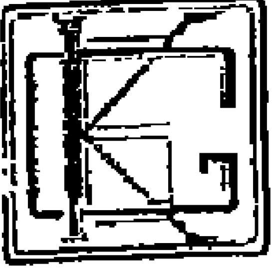
إنّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي. فَأَقُولُ يَا رَبّ، مِنّي ومِنْ أُمَّتِي, فَيُقَالُ، هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، واللهِ مَا بَرِحُوا يرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ.

(عن أسماء بنت أبي بكر متفق عليه)

***** عن عقبة ابن عامر** (رضي الله عنه)

قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم) عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينٍ، كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ والأَمْواتِ، ثُمّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ:

إنّي بَيْنَ أَيْدِيكُم فَرَطٌ، وأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وإنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مُقَامِي



هَذا، وإنّي لَسْتُ أَخْشَى علَيْكُمْ أَنْ تُشْركُوا، ولَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تنافَسُوهَا.
(متفق عليه)

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وأصلح لنا بالنا، وأسكن نفوسنا، واكتبنا مع الصالحين، واجعلنا من الواردين على حوض نبيّك، واسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدا برحمة منك سبحانك فأنت الرحمن الرحيم واسع الرحمة الرؤوف بعبادك يا ربّ العالمين.
ولهذا فليعمل العاملون قبل فوات الأوان، إذ أن الحياة الدنيا هي الفانية والآخرة هي دار البقاء، فإما إلى النعيم أو إلى العذاب المقيم. فليتصدق الناس على بعضهم البعض ولا يجمع الفرد لأكثر من حاجته وحاجة عياله وبما يكفيه للعيش الكريم.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لاَ دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لاَ مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ.
(عن أم المؤمنين عائشة رواه الإمام أحمد)

• الشفاعة. +

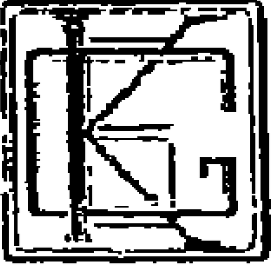
بعد الفصل بين أهل الجنة وأهل النار وبعد أن يعلم كل أناس مصيرهم و بعد فترة لا يعلم طولها إلا الله يسمح الله تعالى وبرحمة منه عزّ وجلّ في الشفاعة للعباد، وكل شيء برحمة من الله تعالى.

*** عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي.
(عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رواه البخاري)

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟
يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخَرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي، ويَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ والْكَرْبِ مَا لاَ يَطِيقُونَ ولاَ يحْتَمِلُونَ.
فَيَقُولُ النَّاسُ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِمَّا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعَ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ:



يَا آدَمَ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ونَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ. فاشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيقُولُ آدَمُ:

إنَّ رَبِّيَ قَدْ غَضَبَ الْيَوْمَ غَضَباً لِمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ولَنْ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنَّهُ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ. نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيأْتُونَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ:

يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً. اشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ نُوحٌ:

إنَّ رَبِّيَ قَدْ غَضَبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ولَنْ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وأَنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي. نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ:

يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وخَلِيلُهُ مِن أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ:

إنَّ رَبِّيَ قَدْ غَضَبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ولَنْ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. فَذَكَرَ كَذِبَتَهُ. نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

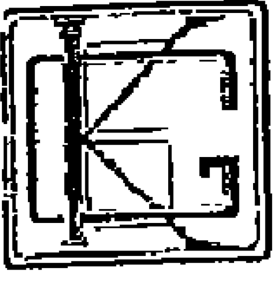
فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالاَتِهِ وبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاس، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيقُولُ لَهُمْ مُوسَى:

إنَّ رَبِّيَ قَدْ غَضَبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفساً لَمْ أُومَرُ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى.

فَيَأْتُونَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى:

إنَّ رَبِّيَ قَدْ غَضَبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ولَنْ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ومَا تَأَخَّرَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟



فَأَقُومُ وآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّيَ عزّ وجلّ. ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، شَيْئاً مَا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أحَدٍ قَبْلِي.

فيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ.

فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ.

فيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابٌ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ.

ثُمَّ قَالَ: والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وهَجَرٍ، أَوْ مَكَّةَ وبُصْرَى.

(أو كما قال متفق عليه عن أبى هريرة)

*** وفي حديث آخر وهذا جزء منه. عندما يأتون النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فإنّهُ قَالَ: فَأَقُومُ وأَمْشِي بَيْنَ سُمَاطَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي. فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ – أَوْ خَرَرْتُ– سَاجِداً لِرَبِّي، فَيَدَعَنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي.

ثُمَّ يُقَالُ: "ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعْطَهُ."

فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ. ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيُحَدُّ لِيَ حَدّاً، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ الثَّانِيَةُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي، وَقَعْتُ –أَوْ خَرَرْتُ– سَاجِداً لِرَبِّي، فَيَدَعَنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي.

ثُمَّ يُقَالُ: "إرْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ وسَلْ تُعْطَهُ واشْفَعْ تُشَفَّعْ."

فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ. ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدُّ لِي حَدّاً، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ:

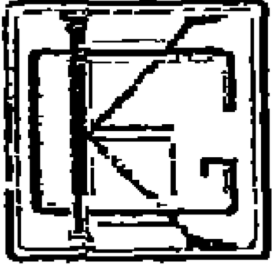
ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ –أَوْ خَرَرْتُ– سَاجِداً لِرَبِّي. فَيَدَعَنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي.

ثُمَّ يُقَالُ: "ارْفَعْ مُحَمَّدُ، سَلْ تُعْطَهُ واشْفَعْ تُشَفَّعْ."

فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ. فَيُحَدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةُ، فأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ.

قَالَ أَنَسُ ابْنُ مَالِكَ:

فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعْرَةٍ:



ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةٍ:
ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةٍ.
(أو كما قال متفق عليه عن أنس ابن مالك)

فالأمر إذاً شيء رهيب والموقف صعب وشديد، ويشفع جميع الأنبياء كلٌّ منهم في قومه الذين آمنوا معه واتبعوه، وهم معهم أعداد من الصالحين، فيأت النبيّ ومعه جمع كبير ومنهم من يأت وليس معه أحد لأنه لم يتبعه أحد فيكون شهيدا على ظلمهم لأنفسهم، إلى آخر الأنبياء وسيد ولد آدم خاتم المرسلين (صلى الله عليه وسلّم)، إلاّ أنه الأوّل في الشفاعة (صلى الله وسلم عليهم أجمعين).

أما آدم فإنه يُطلب منه أن يفصل أهل الجنة عن أهل النار لأنه أبو البشر.

***عن أبي سعيد (رضي الله عنه):**

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

يَقُولُ اللهُ عزّ وجلّ: "يَا آدَمَ."

فيَقُولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والْخَيْرُ فِي يَدَيْك.

قال: فيَقُولُ: "أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ."

قالَ: ومَا بَعْثُ النَّارِ؟

قالَ: "مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تُسْعُمائَةٌ وتِسْعٌ وتِسْعِينَ."

فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حِمْلَهَا، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ومَا هُمْ بِسُكَارَى ولَكِنَّ عَذَابُ اللهِ شَدِيدٌ.

فاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا:

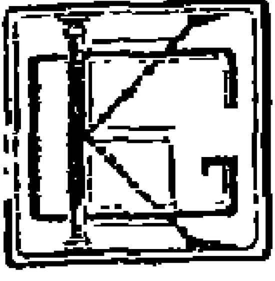
يَا رَسُولُ اللهِ، أَيُّنا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟

قَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ.

ثُمَّ قَالَ: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّى لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قَالَ: فَحَمَدْنَا اللهَ وكَبَّرْنَا.

ثُمَّ قَالَ: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّى لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ: إِنَّ مَثَلُكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءَ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ الرُّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ. (متفق عليه)



• العبور على الجسر. +

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

إذا خَلُصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَاقْتُصَّ لَهُمْ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ. والَّذِي نفْسِيَ بيَدِه إنّ أحَدَهُمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ مِنْ مِسْكَنِهِ فِي الدُّنْيَا.

(عن أبي سعيد الخدري رواه البخاري)

*** عن أبي سعيد (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

ثُمَّ يُؤْتَى بالْجِسْرِ فَيُوضَعُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمْ.

قُلْنَا: يَا رَسُولُ اللهِ، مَا الْجِسْرُ!

قال: "مُدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وكَلَالِيبُ، وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءٌ تكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ:

الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وكَالْبَرْقِ وكَالرِّيحِ وكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ والرِّكَابِ.

فَنَاجٍ مُسَلَّمٍ، ونَاجٍ مَخْدُوشٍ، ومَكْدُوسٍ فِي نَارِ جهَنَّم.

حَتَّى يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً. فَمَا أَنْتُمْ بأَشَدِّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنُ يومَئِذٍ لِلْجَبَّارِ.

فَإِذَا رَأُوا أَنَّهُمْ نَجُوا وبَقِيَ إِخْوَانُهُمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ويَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا.

فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: "اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ."

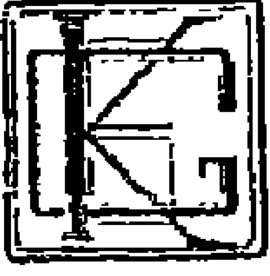
وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ. فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمَيْهِ وإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ.

فَيَقُولُ: "اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ."

فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ.

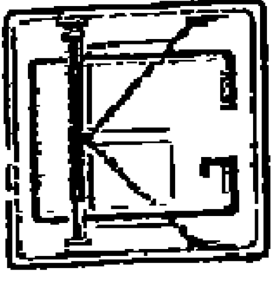
فَيَقُولُ. "اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ."

فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا.



قَالَ أَبُو سَعِيدٍ (رضي الله عنه):
فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَؤُوا:
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا
(٤٠) النساء
فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ. فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: "بَقِيَتْ شَفَاعَتِي."
فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، إِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا اخْضَرَّ، وَمَا كَانَ إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِيمَ، فَيُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ.
فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ.
فَيُقَالُ لَهُمْ، "لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ."
(أو كما قال متفق عليه)

*** عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ): نَعَمْ.
قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟
قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.
قَالَ: مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا.
إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ.
فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ.
فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: "مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟"
قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ.
فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ؟



قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا.

فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ!

فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّار كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: "مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: "كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ."

فَيُقَالُ لَهُمْ: "مَاذَا تَبْغُونَ؟"

فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا.

قَالَ: "فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ!

فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنْ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا.

قَالَ: "فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ."

قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ.

فَيَقُولُ: "أَنَا رَبُّكُمْ."

فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ.

فَيَقُولُ: "هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟"

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ:

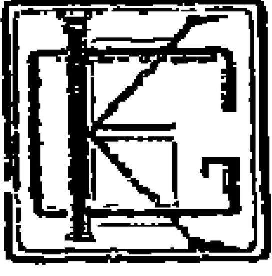
فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ:

وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ:

ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: "أَنَا رَبُّكُمْ."

فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا.

ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ. وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.



قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ؟

قَالَ: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ، فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا، السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ، كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٍ وَمَخْدُوشٍ، مُرْسَل وَمَكْدُوس فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ.

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: "أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ."

فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ.

فَيَقُولُ: "ارْجِعوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ."

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا.

ثُمَّ يَقُولُ: "ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ."

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيها مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا.

ثُمَّ يَقُولُ: "ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ."

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُون: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا.

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:

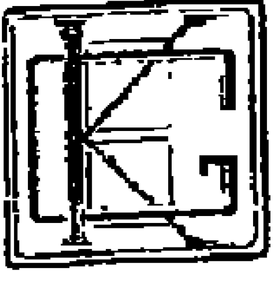
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

(٤٠) النساء

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "شَفَعَتْ الْمَلاَئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ."

فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ، نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟



فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ.

قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ:

هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يقُولُ:

"ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ."

فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ.

فَيَقُولُ: "لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا."

فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟

فَيَقُولُ: "رِضَايَ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا."

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ.

(مسلم والبخاري والترمذي والنسائي وأحمد)

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الزمر

فالله تعالى هو الشّافع الْمُشفّع في عباده وهو على كل شيء قدير سبحنه وتعالى اسمه.

• الجنة. +

فيذهب كلٌّ إلى مصيره وأهل الجنة هم الفائزون. ولقد وعد الله أن الجنة بها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر. وأما عن حجم الجنة فهو فوق الخيال وما تسعه الجنة فوق كلّ فكر وما بها من النعيم فوق كل وصف.

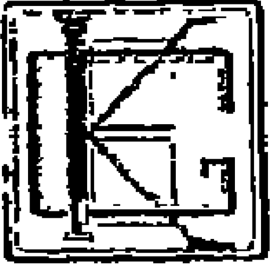
﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ آل عمران

فإذا ما كان ذلك عرضُها فما البال بطولها وارتفاعِها!

*** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم)، قَالَ اللهُ عزّ وجلّ: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ."

فَاقْرَؤُا إِنْ شِئْتُمْ:



إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

﴿٤٠﴾ النساء

(أو كما قال متفق عليه)

أما عن صفة أهل الجنة الذين يدخلونها مكرمين فلهم الشباب الدائم و جمال الصورة والثياب التي لا تبلى أبدا ولهم نعيم مقيم.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

"يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فِي مِيلاَدِ عِيسَى ثَلاَثٌ وَثَلاَثِين جُرْدًا مُكَحَّلِينَ، ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَيُكْسَوْنَ مِنْهَا، لاَ تُبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ."

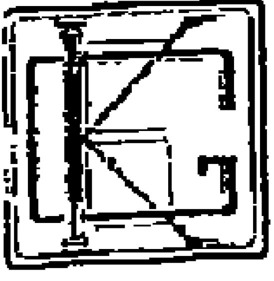
(عن أنس رواه أبو بكر ابن أبي داود)

ولهم الكرامة الحق في كل ما يشتهون وجزاهم الله تعالى كل خير.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ الزمر

فالحمد لله، هو آخر ما يقول الناس بعد القضاء وهي أجمل ما يقال وهو تسبيح أهل الجنة لأن الله تعالى آتاهم ما وعدهم حقًا ورضي الله تعالى عنهم فأرضاهم وهو تسبيح الملائكة الحافين حول العرش بما لله تعالى من جلال وعظمة سبحانه. وأمّا الرزق في الجنة فلا وصف له من حيث النظرة الدنيوية التي نعاشرها الآن والنعيم الذي ينتظر أهلها يفوق الخيال.

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾



بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ الصافات

وقال عن حواري الجنة أنّهن كاللؤلؤ المكنون وحتى إذا أطلت إحداهن إلى السماء الدنيا لأسعدت أهل الأرض جميعا إلى ما شاء الله تعالى.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

لَوْ اطَّلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ الْجَنَّةِ إلى الأَرْضِ لَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

(من حديث أنس رواه أحمد والبخاري)

وأما عن الرزق الذي أعده الله فيها فلا نهاية له ولا حساب عليه أو له. فله ما تطلبه نفسه وإن ضاعت منه الأمانيّ يُلهمه الله الطلب فلا جوع ولا عطش ولا مرض ولا لفحة شمس ولا عناء ولا موت ولا نوم ولكنه شباب دائم وخير قائم لا يزول أبدا.

جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ص

*** عن أسامة ابن زيد (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

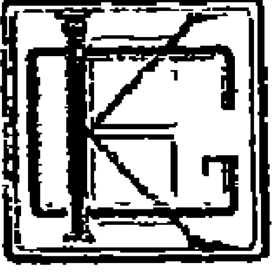
أَلاَ هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لاَ حَصْرَ لَهَا. هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، نُورٌ يَتَلأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، وَمُقَامٌ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ، وَحَبْرَةٌ وَنِعْمَةٌ، وَمَحِلَّةٌ بَهِيَّةٌ؟

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولُ اللهِ، نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ.

قَالَ: قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالُوا، إِنْ شَاءَ اللهُ.

(أو كما قال رواه ابن داود وابن ماجه)



وأما عن أحوالهم في الجنة فهم في كلّ النعيم ولهم ما يشاءون من جميع الخيرات، سهلة نفوسهم، طيّبة معيشتهم، راضية قلوبهم، شاكرين حامدين مسبحين لله الواحد الخالق الوهّاب.

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ الواقعة

فتلك أوصاف الجنة التي وعد الله عباده المتقين والتي فيها الشباب الدائم والصحة الكاملة والطهارة الدائمة ولا سقم فيها ولا مرض ولا ألم ولا يتصدع فيها الإنسان. ويُلهمهم الله عزّ وجلّ التسبيح مع الشهيق والزفير وفي ذلك تمام النعمة وجليل الشكر لله الواحد الوهّاب.

*** عن أبي هريرة (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

أَوّلُ زُمْرَةٍ تلِجُ الْجَنَّةَ صُوَرُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمرِ لَيْلَةَ الْبدْرِ. لاَ يَبْصُقُونَ فيهَا ولاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ وأَمْشَاطُهُمْ الذّهَبُ والْفِضّةُ ومَجَامِرُهُمْ الأَلُوّةُ ورَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، ولِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَان، يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ ولاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وعَشِيًّا.

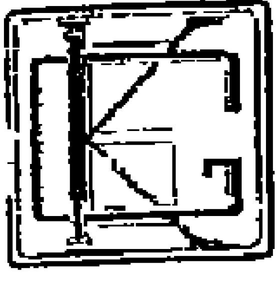
(أو كما قال متفق عليه)

وإن في الجنة سوق ولكنه ليس كأسواق التجارة في الحياة الدنيا بل هو مكان جميل بهيج يجتمع فيه أهل الجنة ليُنعم عليهم ربّنا عزّ وجلّ من عنده فهو أشبه بالمؤتمرات السّارة.

*** عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ.

فَقَالَ سَعِيدٌ: أَفِيهَا سُوقٌ؟



قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِيٍّ، عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، وَمَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟

قُلْنَا: لاَ.

قَالَ: كَذَلِكَ لاَ تُمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، وَلاَ يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلاَّ حَاضَرَهُ اللَّهُ مُحَاضَرَةً، حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ: "يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟" فَيُذَكِّرُ بِبَعْضِ غَدْرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟

فَيَقُولُ: "بَلَى فَسَعَةُ مَغْفِرَتِي بَلَغَتْ بِكَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ."

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ.

وَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ."

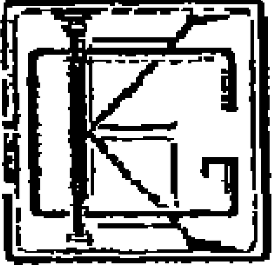
فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ وَلَمْ تَسْمَعْ الآذَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ.

فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا وَلاَ يُشْتَرَى.

وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قَالَ: فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ، فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ، فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ إِلَيْهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا.

ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَيَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا، فَيَقُلْنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنْ



الْجَمَال أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ.

فَيَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا.

(رواه الترمذي والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه)

• نار جهنم. +

فيُدفع أهل النار فيها دَفْعاً مُقيَّدين في الأصفاد وليس لهم من شافع ولا يُسمع لهم ولا هم على القول يجرءون ولا شفقة عليهم ولا رحمة وإبليس قائدهم في دخول النار.

***** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):**

أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنْ النَّارِ إِبْلِيسُ، يَضَعُهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ وَهُوَ يَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ، وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ. وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا ثُبُورَاهُمْ.

حَتَّى يَقِفَ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ فَيُنَادُونَ: يَا ثُبُورَاهُمْ.

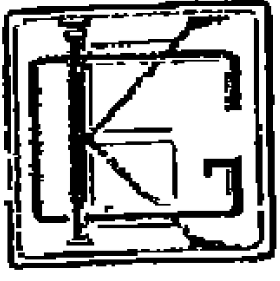
فَيُقَالُ:

لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ الفرقان

(أو كما قال عن أنس بن مالك رواه أحمد)

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ الزمر

وفي النار متّسعٌ لجميع أهلها، ولقد أعدت للكافرين المكذبين، والمتجبرين والمتكبرين، وهي تتميز غيظاً لربها من الكافرين وتعرف أهلها تكاد تتخطّفهم وهم في المحشر، وعليها ملائكةٌ غِلاظٌ يحافظون عليها ولا يرحمون أهلها ولا يسمعون للصائحين من العذاب ويفعلون ما يُؤمرون. ولقد أوقد الله عليها ألف سنةٍ حتى احمرّت، وأوقد عليها ألف سنة أخرى حتى ابيضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة أخرى حتى اسودّت، فهي سوداءُ ظلماءُ حاضرةٌ لعذابِ الهالكينَ، والعياذ بالله.



يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ
غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ التحريم

فلقد حذّر الله تعالى من عذاب النار وهو الرحمن الرحيم الذى لا يعذّب إلاّ بالحق، وماذا يعود على الله من عذاب أهل الأرض إن هم آمنوا واتقوا وآمنوا ثم أتوا قربات الله تعالى؟

*** * * عن ابن مسعود** (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا.

(أو كما قال رواه مسلم والترمذى)

فهذا يبين حجم النار وكيف فيها متسع للجميع لو علمنا أن عدد من يجرها من الملائكة هو أربعة مليارات وتسعمائة مليون ملك، وما هي القوة التي لدى الملائكة. فيا لهول ما تكون. أعاذ الله المؤمنين من شدّتها وحرّها. أمّا عن شِدّةِ لهيبها:

*** * * عن أبى هريرة** (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ.

قِيلَ: يَا رَسُولُ اللهِ، إنْ كَانَتْ لَكَافِيةً!

قَالَ: فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وسِتِّينَ جُزْءاً، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا.

(أو كما قال متفق عليه)

وأما عن شراب أهل النار فهو الغسّاق وفيه من العذاب الأمر الخطير.

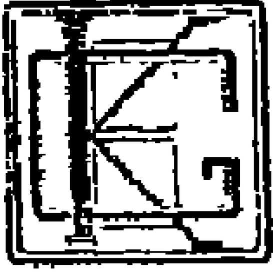
*** * * عن أبى سعيد** (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

لَوْ أَنَّ دَلْواً مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا.

(أو كما قال رواه الإمام أحمد)

وأهلُ النار الذين هم أهلُها يُخَلَّدُونَ فيها فلا موتٌ ولا حياةٌ ولا شفقةٌ ولا أسفٌ عليهم.



﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٥٢) يونس

نَسُوا حق الله في توحيده وعبادته فنسِيَهُم ولهم عذابٌ مقيمٌ أليمُ سقيمٌ لا رحمة فيه ولا غوث منه.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٣٤) الجاثية

*** قال المسيح (عليه السلام)، في وصف عذاب النار:

فِي جَهَنَّمَ النَّارُ الّتِي لاَ تُطْفَأْ، حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ والنَّارُ لاَ تُطْفَأْ. (العهد الجديد)

وتتبدّل جلود أهل النار كلما احترقت، في الحال وفي الساعة ولا فراغ من ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٥٦) النساء

ويتوسلون إلى الله تعالى أن يخرجهم منها ويعيدهم إلى الحياة حتى يعملوا صالحاً يرتضاه الله ولكن الله أعلم أنهم حتى إذا أُعيدوا وحتى إذا كلّمتهم الموتى وجعلت لهم في الدنيا العجائب فسيزدادون كفرا إلى كفرهم بعنادهم ومتابعتهم الشيطان الرجيم.

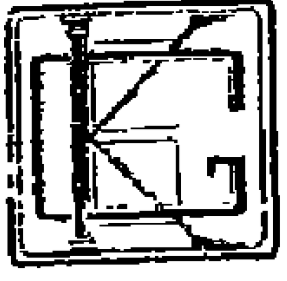
﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (١١١) الأنعام

فهم إذًا الكافرون حقّاً ولا ينظر الله تعالى إليهم وينساهم.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٣٧) فاطر

يقولون ذلك بعد أن علموا أن عذاب الله شديد ولم يؤمنوا به غيباً.

ويرى أصحاب النار النعيم الذي فيه أصحاب الجنة، فتزداد حسرتهم وتتحول عليهم عذاباً شديداً، ويقولون لهم أن يرحموهم وأن يصبّوا عليهم من الماء شيئاً يخفف عنهم لساتٍ من



العذاب، ولكن هنالك حجابٌ بينهم ولا يستطيع هذا العبور إلى ذاك.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ الأعراف

فهم هناك لا رحمة لهم ولا فائدة من الصراخ، وهذا النقاش هو في أول الفصل فقط بعد ذلك لا يرون أحدا ولا أهل الجنة يرغبون في التعرف علي أعداء الله ويقع بينهم الحجاب الأبدي وتُحجب عنهم الرؤيا.

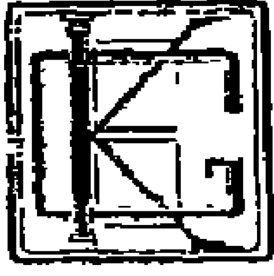
*** قال المسيح (عليه السلام): كَانَ إِنسانٌ غَنِيٌّ يَلْبَسُ الأُرْجُوَانَ والْبَزَّ وهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتْرَفًا. وكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرَ الّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابهِ مَضْرُوبٌ بـالْقُرُوحِ. ويَشْتَهِي أَن يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ. بَلْ كَانَتْ الْكِلاَبُ تَأْتِي وتَلْحَسُ قُرُوحَه. فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حُضْنِ إِبْرَاهِيمَ. ومَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضاً ودُفِنَ. فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وهُوَ الْعَذَابُ. ورَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ ولِعَازَرَ فِي حُضْنِهِ، فَنَادَى وقَالَ، يَـا أَبِـي إِبْـرَاهِيمَ ارْحَمْنِـي وأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ إِصْبَعَهُ فِـي الْمَـاءِ ويُبَـرِّدَ لِسَانِي لأَنِّـي مُعَـذَّبٌ فِـي هَـذَا اللَّهِيـبِ. فَقَـالَ إِبْرَاهِيمُ، يَا إِبْنِي اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتـكَ فِيحَيَاتِـكَ وكَـذَلِكَ لِعَـازَرُ الْبَلاَيَـا. والآنَ هُـوَ يَتَعَزَّى وأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وفَوْقَ هَذَا كُلِّهُ، بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَـتْ، حَتَّـى إِنَّ الَّـذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هَاهُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدُرُونَ، ولاَ الّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. فَقَالَ، أَسْـأَلُكَ إِذاً يَا أَبَتِ أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي، لأَنَّ لِي خَمْسَةُ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ، لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضاً إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هَذَا. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، عِنْدَهُمْ مُوسَى والأَنْبِيَاءُ لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ.

فَقَالَ، لاَ يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ.

فَقَالَ لَهُ، إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى والأَنْبِيَاءِ، ولاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ.

(العهد الجديد)

ويحذر الله تعالى الخلق وهم في هذه الحياة وقبل فـوات الأوان، أن يسـتقيموا ويُصلحوا مـن حالهم الذي هم عليه، لأن النار هي آخر المثوى ولا خـروج منهـا وبـئس الْمُرتجـى. وفيهـا



سيأكلون من شجرة الزقّوم وهي شجرة الخبث التي هي طعام أهل النار وهي عذاب لمن أكل وأكثر منه عذاباً لمن جاع، أعاذ الله المؤمنين منها.

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ الصافات

وليس ذلك فحسب بل شرابهم أيضا مهين وهو من غسلين من عصارة دم وصديد أهل النار، ظلموا أنفسهم فنالوا جزاءهم.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ الواقعة

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

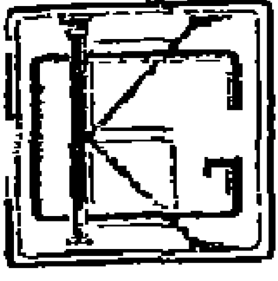
اتّقوا اللّهَ حَقّ تُقَاتِه، فَلَوْ أَنّ قَطْرَةً مِنَ الزّقُّومِ قُطِرَتْ فِي بِحَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ مَعَايِشَهُم، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامُه؟

(عن ابن عباس رواه الإمامين ابن أبي حاتم والترمذي)

أما المتكبرون الذين يطغون في الحياة الدنيا ولا يتبعون الرحمة والرأفة بالعباد فهو عذابٌ عليهم أكبرُ وأعظمُ، فعذابُ الآخرةِ ألوانٌ لا يعلمه إلاّ من خَلقَ العذابَ سبحانه العزيز المنتقم. والله لا يُحبُ كلّ متكبّرٍ مختال فخورٍ وكلّ متجبرٍ معتدٍ أثيم.

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ ص

فهي نارٌ عذابُها بلا رحمة. ألا يرى الإنسان كيف أن رحمة الله واسعة وأنه يغفر الذنوب



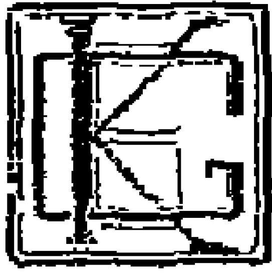
جميعاً إلاّ الشّرك به ولا يغفر لمن مات على غير توبةٍ وظلّ على الكِبَر أو على ظُلْمٍ من الحاكم على الرّعية أو السّعي في الفساد في الأرض. وعلى عكس أهل الجنة حيث يُطاف عليهم بالنعيم فإن أهل النار يطوفون على أنواع العذاب المختلف ألوانها ليذوقوا عذاب الهوان.

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ الرحمن

وليس لهم أن يُخفّفَ عنهم حتى أنّ الظّلّ لهم عذابٌ أكبر فهو عذابٌ خلفٌ عذابٍ.

فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ الواقعة

فعذابُ النارِ في جهنم عذابٌ دائمٌ مقيمٌ، وهو أنواع لا يعلمها إلاّ خالقها، وكما أن الإنسان لا يمكنه أن يصف النعيم في الجنة فكذلك العذاب في النار لا يمكن وصفه.



• رحمة الله تعالى. +

إنّ رحمَةَ اللهِ تعالى واسعةٌ، ولقد كتب على نفسه الرحمة وفتح أبوابها على أوسع ما يكون. ومن ذلك أنه يغفر الذنوب جميعاً إذا ما تاب العبد إليه وأناب، ثـم وصـل مـا أمـره الله أن يوصل من اتصاله الدائم بالخالق عزّ وجلّ وشكره وحسن عبادته. وإذا ما أدّى الفروض التي أنزل الله تعالى على عباده برحمة منه. والمؤمن حق الإيمـان هـو مـن لا يبتعـد عـن ذكـر الله تعالى ولا عن سؤاله.

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ غافر

وأما عن العبادة ففيها الشكر لله تعالى على نعمه التي لا تحصى:

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ابراهيم

وهو الحريص على أن يُؤمِن أهل الأرض جميعاً ويعبدوه ومـن أجـل ذلـك بعـث الله أنبيـاءه ورسله، وأنزل الكتب المجيدة، فمن لا يؤمن بعد ذلك يعذّبه الله تعالى العذاب الأكبر وهـو القادر على ذلك له العزة جميعا سبحانه.

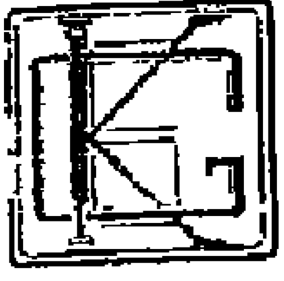
۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ الحجر

ولقد وعد الله تعالى عباده المخلصين المؤمنين المغفـرة والـرزق الحسـن وجعـل لهـم مـا جعـل لأنبيائه المرسلين إلاّ أنّه فضل الأنبياء عليهم لما لهم من فضل على البشر.

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب

وصلاة الله تعالى على نبيّه (صلى الله عليه وسلّم) هو قبول شفاعته للمؤمنين يوم القيامة ويوم لا يجد مَن هُوَ مِنْ غَيْرِ المؤمنين أحداً يشفع لهم.

هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ



﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ الأحزاب

أما صلاة الله تعالى على المؤمنين هي رحمته وفضله ونوره الذي ألقاه في قلوبهم يسعى بين أيديهم يوم يلقونه، ويغفر لهم ويتجاوز عن سيآتهم ولهم كرامة كثيرة ورزق حسن. ولقد أجاز الله تعالى للمؤمنين ما أجاز لأنبيائه الكرام برحمة من لدنه سبحانه، فقال سبحانه وتعالى لأنبيائه المكرمين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ المؤمنون

وقال سبحانه لعباده المؤمنين المتقين العابدين الخاشعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر المقيمين الصلاة الآتين الزكاة في رغبة ورهبة،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ البقرة

وتأكيداً لذلك فتح الله سبحانه وتعالى باب التوبة للعباد على أوسع ما يكون.

***** عن أبي جابر** (رضي الله عنه) أنه سمع **مَكْحُولاً** (رضي الله عنه) يُحَدِّثُ قَالَ:

جَاءَ شَيْخٌ كَبِيرٌ هَرِمٌ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ فَقَالَ:

يَا رَسُولُ اللهِ، رَجُلٌ غَدَرَ وَفَجَر وَلَمْ يَدَعْ حَاجَةً وَلاَ دَاجَةً إلاَّ اقْتَطَفَهَا بِيَمِينِهِ، لَوْ قسمْت خَطِيئَتَهُ بَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ لأَوْبَقَتْهُمْ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلّم): أَأَسْلَمْتَ؟

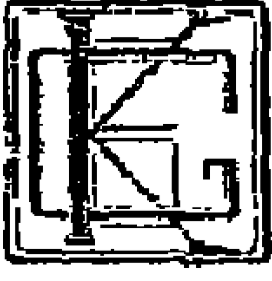
فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلّم): فَإِنَّ اللهَ غَافِرٌ لَكَ غَدَرَاتِكَ وَفَجَرَاتِكَ وَمُبَدِّلٌ سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ مَا كُنْتَ كَذَلِكَ.

فَقَالَ: يَا رَسُولُ اللهِ، وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟

فَقَالَ: وَغَدَرَاتِكَ وَفَجَرَاتِكَ.

فَوَلَّى الرَّجُلُ يُهَلِّلُ." (رواه ابن أبي حاتم)



والتّوبةُ إلى الله عزّ وجلّ هي أن يستغفر المرء ربه ويتوب مما اقترفه من أفعال ولا يعود إليها فيما بعد. أمّا إذا عاد فليرجع إلى الاستغفار إلى الله ويقوم على ذلك حتى تتوفاه الملائكة وهو على الدين القيّم.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ الزمر

أما التوبة فإن الله العلي المجيد يقبل توبة العبد من جميع الذنوب ويغفرها له ما دام العبدُ صادقاً في توبته وما دام ذلك قبل أن يرى عذاب الله الأليم أو أن يرى ملك الموت، فعندها تُقفل أبواب التوبة، ويُحرم العبد من رحمةِ اللهِ إذْ لم يتب من قبل.

***عن أبي هريرة (رضي الله عنه):**

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِه، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: "إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي."

(أو كما قال متفق عليه)

***عن أبي هريرة (رضي الله عنه):**

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وتِسْعِين جُزْءاً وأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً. فَمِنْ ذلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعُ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ.

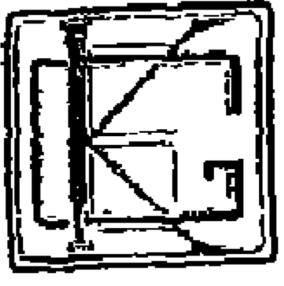
(أو كما قال متفق عليه)

***عن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه)، قَالَ:**

قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبَ ثَدْيَهَا تَسْقِى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلّم): **أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةٌ وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**

قُلْنَا: لاَ، وهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلاَّ تَطْرَحُهُ.



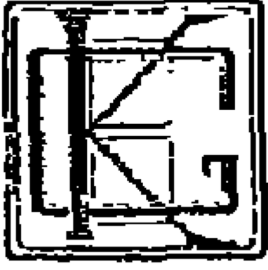
فَقَالَ: للَّهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا.
(أو كما قال متفق عليه)

** ** ** عن أنس (رضي الله عنه):
قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):
اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ.
(أو كما قال متفق عليه)

أي أنه وجد بعيره بعد أن أضاعه في الصحراء، لذلك فالفرحة شديدة ، وكذلك الله تعالى أشدّ فرحة بعبده الذي تاب إليه وأناب من هذا الذي وجد بعيره بعد أن آيس من اللحوق به ويُفاخر الله به الملائكة سبحانه.

** ** ** قال المسيح (عليه السلام): أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ وأَضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا، أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ والتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ ويَذْهَبُ لأَجْلِ الضَّالَ حَتَّى يَجِدَهُ. وإِذَا وَجَدَهُ يَضَعَهُ عَلَى مِنْكَبَيْهِ فَرِحاً، ويَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ ويَدْعُو الأَصْدِقَاءَ والْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمْ، "افْرَحُوا مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِيَ الضَّالَ.
أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وتِسْعِينَ بَاراً لاَ يحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ. (العهد الجديد لوقا)

** ** ** عن أبي سعيد (رضي الله عنه):
قَالَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلّم):
إِنَّ عَبْداً قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْساً، ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ. فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي قَتَلْتُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْساً، فَهَلْ لِيَ مِنْ تَوْبَةٍ؟
قَالَ: بَعْدَ قَتْلِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا! (استكبر الذّنب)
قَالَ: فَانْتَضَى سَيْفَهُ فَقَتَلَهُ بِهِ فَأَكْمَلَ بِهِ مَائَةً.
ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَتَلْتُ مَائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟
فَقَالَ: ومَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ أُخْرُجْ مِنَ الْقَرْيَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا إِلَى الْقَرْيَةِ



الصَّالِحَةِ، قَرْيَةِ كَذا وكَذا، فَاعْبُدْ رَبَّكَ فِيهَا.

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ، فَعَرَضَ لَهُ أَجَلُهُ فِي الطَّرِيقِ.

قَالَ: فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ الْعَذابِ.

قَالَ: فَقَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا أَوْلَى بِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي سَاعَةً قَطْ.

قَالَ: فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، إِنَّهُ خَرَجَ تَائِبًا.

وَفِي قَوْلٍ: فَبَعَثَ اللهُ مَلَكًا فَقَالَ: انْظُرُوا أَيُّ الْقَرْيَتَيْنِ أَقْرَبُ فَأَلْحِقُوهُ بِأَهْلِهَا.

(أو كما قال رواه الإمام أحمد)

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ الزمر

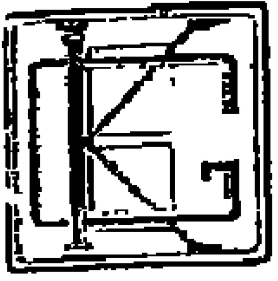
وهذه الآية الكريمة هي دعوة مفتوحة لجميع العصاة، سواء من الكفار أو المشركين أو المسلمين الذين أكثروا من ظلم أنفسهم بالبعد عن عبادة الله تعالى والاستجابة إلى الدين الحنيف، أن يعودوا إلى الصراط المستقيم ويتوبوا إلى الخالق عزّ وجلّ من قبل فوات أوان التوبة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ فصلت

فهذا وعد من الله تعالى لكل من أناب إلى الله تعالى واستقام أمره بالعبادة وحسن الخلق والاستقامة على أمر الله تعالى بالدين الذي ارتضاه سبحانه لعباده الأتقياء. ثم أقام على ذكر الله تعالى ودعاه مخلصاً له وموحداً وبقلبٍ صافٍ.

******* عن أبي هريرة (رضي الله عنه): عَنْ النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلّم) قَالَ:

قَالَ اللهُ عزّ وجلّ: "إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً – أَوْ بُوعاً– وإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. (أو كما قال رواه مسلم)



وفضلُ الدعاءِ والذِّكر كبيرٌ وكثيرٌ، والله يحبُّ من عبده أن يذكرَه ويدعوه.

*** عن أنس ابن مالك (رضي الله عنه)، قال: "سمعت رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم) يَقُولُ: قَالَ الله:

"يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي ورَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي":

"يَا ابْنَ آدمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عِنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي":

"يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكَ بِيَ شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً."

(أو كما قال رواه الترمذي)

ويكافئ الله تعالى العباد الصالحين بغير حساب ويُكَثِّرُ لهم من حسناتهم ويضاعفها أضعافا كثيرة ويمحوا عنهم سيئاتهم ويفعل الله ما يريد.

*** عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم) قَالَ:

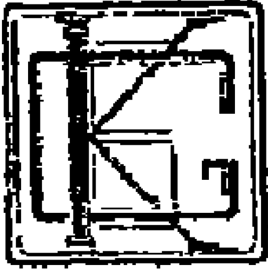
يَقُولُ اللهُ: "إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً":

"وإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةٍ."

(أو كما قال رواه البخاري)

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ البقرة

والله عزّ وجلّ أمر العباد بالصدقة والإحسان، ووعدهم بأن يكافئ الْمُحْسِنِ أحسن المكافأة، وأن الحسنة بعشرةِ أضعافها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة جداً. فإن الله واسع الرحمة كريم في التسامح يُحِبُّ عِبادَه ويرجو لهم المغفرة وَعْدًا عليه، إذا استقاموا وتواصوا بالصبر والمعروف وأقاموا العبادة والذكر لله تعالى فحسب فإن لهم بذلك عهد عند الله تعالى.



• مفتاح الجنة ومفتاح النار. +

*** عن معاذ (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم): "مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ."

(أو كما قال متفق عليه)

*** عن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ الْوُضُوءَ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَـه إِلاَّ اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ.

(أو كما قال متفق عليه)

أما مفتاح النار فهو أي شيء آخر غير ذلك وهو سهل جدّاً. والكلُّ في متناول الجميع، إمّا التوبة والشهادة وإما الجحيم والسعير.

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١٨) آلعمران

وكفى بالله العظيم شهيدا يشهد بوحدانيّته وعفوه ورضاه وجبروته وانتقامه، ولكنه تعالى رفع من شأن العلماء والملائكة الذين يشهدون له بذلك وأعزّهم وتفضّل عليهم برضاه وإرضاءهم فهو القائم بالقسط العدل الذي يكافئ المستحق ويعفو عن الذنب ويعاقب الظالم ويقوم بالعدل.

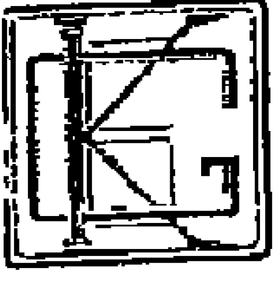
وهذا هو أساس الدين الحنيف، دين جميع الرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

وأما وزن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلها منزلةٌ كبيرةٌ.

*** عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص (رضي الله عنه) قال:

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ):

إِنَّ اللهَ عزّ وجلّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ



تِسْعٌ وتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ. ثُمَّ يَقُولُ:

"أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمْتُك كَتَبتِي الْحَافِظُونَ؟"

قَالَ: لاَ يَا رَبِّ.

قَالَ: "أَفَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟"

قَالَ: فَيُبهتَ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: "بَلَى إِنَّ لَكَ حَسَنَةً وَاحِدَةً، لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ."

فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذْهِ السِّجِلاَّتِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمْ.

قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ والْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ.

قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ.

قَالَ: ولاَ يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ."

(رواه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة)

***** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

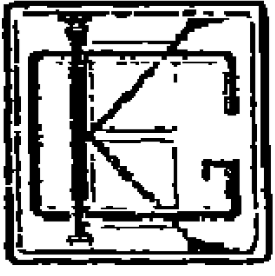
إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لاِبْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كَفَّةٍ وَوُضِعَتْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فِي كَفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً، فَضَمَّتْهُنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَسُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّ بِهَا صِلاَتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنْ الشِّرْكِ وَالْكِبَرِ.

وَلَمَّا سَأَلُوهُ عَنِ الْكِبَرِ قَالَ (صلى الله عليه وسلّم): سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ.

(جزء من حديث ابن عمرو، رواه الإمام أحمد)

• تكملة يوم القيامة. +

يَقضى الله تعالى بين الخلائق ويُدخلُ الجنة من يُدخلُ فيها بغيرِ حسابٍ وبرحمةٍ من الله تعالى. ثم يُؤذَنُ في الشفاعةِ فيُخرِجُ اللهُ عزّ وجلّ من أراد أن يُخرِجَ من النارِ ويُدخِلُهم الجنةَ والجميعُ برحمةٍ من الله ورضاه. ويُدخل أهل النار جميعاً، ومن بعدِ أن يُخرِجُ اللهُ تعالى من



أرادَ له الشفاعةُ ومن عفَا عنه سبحانه، فلا يبقى في النار إلاّ من كان من أهل النار الذين هم أهلُها وبنقمةٍ من اللهِ العزيزِ الحكيمِ وغضبٍ شديدٍ.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ هود

فيكون هذا هو نهاية المطاف. وليخلد هؤلاء هنا وهؤلاء هناك، ولا يخرج أيٌّ من الفريقين من مكانه. البعض في دوام النعيم والآخر في العذاب المقيم.

*** عن أبي سعيد (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ. فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ، نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. فَيُذْبَحُ. ثُمَّ يَقُولُ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتٌ. ثُمَّ قَرَأَ:

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ مريم

(أو كما قال متفق عليه)

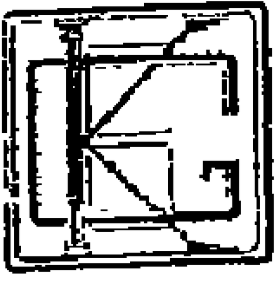
*** عن ابن عمر (رضي الله عنه):

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، يُؤْتَى بِالْمَوْتِ، ثُمَّ يُجْعَلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَبَيْنَ النَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، لاَ مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، لاَ مَوْتٌ. فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ.

(أو كما قال متفق عليه)

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ



وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

الأعراف

فالله لا يُكلّف نفسا ما لا تطيق، فهو الله العدل ذي الرحمة، وينزع الغلّ الذي في الصدور. ويأنس أهل الجنة لوجودهم فيها ويقولون:

الحمد لله الذي هدانا إلى ما فيه الخير كله والحمد لله الذي أرسل الرسل والأنبياء المكرمين، فأناروا لنا الطريق، وما كنّا لنهتدي إلى ذلك لولا أن الله رحمنا برسالاته وكتبه:

والحمد لله الذي أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام الذي أرشد وصدق وهدى وأتم رسالات الله وختم النبوّة العظيمة الجليلة وجعلنا من المهتدين بإذن الله:

والحمد لله الذي وفّى لنا بعهده وأدخلنا جناته وأورثنا أماكن أصحاب النار التي كانت لهم بالجنان ولكنّهم عَمُوا عنها ولم يُصدّقوا بها فحلّت عليهم لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين.

***** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:**

يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: "أَلاَ يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ."

فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ فَيَتْبَعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: "أَلاَ تَتَّبِعُونَ النَّاسَ!"

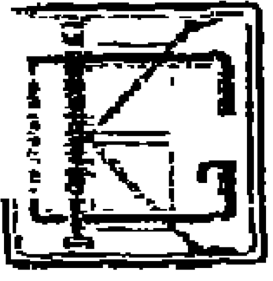
فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، اللَّهُ رَبُّنَا هَذَا مَكَانُنَا، حَتَّى نَرَى رَبَّنَا.

وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَقُولُ: "أَلاَ تَتَّبِعُونَ النَّاسَ!"

فَيَقُولُونَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، اللَّهُ رَبُّنَا وَهَذَا مَكَانُنَا، حَتَّى نَرَى رَبَّنَا.

وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ.

قَالُوا: وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟



قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ!

قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قالَ، فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ.

ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ. ثُمَّ يَقُولُ: "أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي."

فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ: سَلِّمْ سَلِّمْ.

وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ ثُمَّ يُقَالُ: هَلْ امْتَلأْتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟

ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ فَيُقَالُ: هَلْ امْتَلأْتِ؟ فَتَقُولُ، هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟

حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: "قَطْ."

قَالَتْ: قَطْ قَطْ. فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، قَالَ: أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ.

ثُمَّ يُقَالُ: "يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ." فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ: ثُمَّ يُقَالُ: "يَا أَهْلَ النَّارِ." فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ.

فَيُقالُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: "هَلْ تَعْرِفُونَ هذا؟

فيَقُولُونَ، هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاءِ: قَدْ عَرَفْنَاهُ، هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنا.

فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا على السُّورِ الَّذِي بيْن الْجنَّةِ وَالنَّارِ.

ثُمَّ يُقَالُ: "يا أهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لاَ مَوْتَ.

(رواه الترمذي والبخاري ومسلم و النسائي)

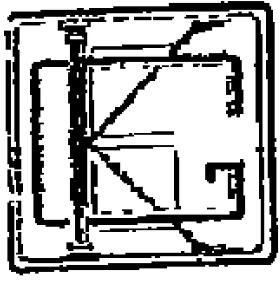
قَالَ أَبُو عِيسَى (يعني الترمذي):

"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ: وَقَدْ رُوِيَ، عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ هَذَا مَا يُذْكَرُ فِيهِ أَمْرُ الرُّؤْيَةِ أَنَّ النَّاس يَرَوْنَ رَبَّهُمْ، وَذِكْرُ الْقَدَمِ وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ.

وَالْمَذْهَبُ فِي هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ الأَئِمَّةِ، مِثْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيعٍ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّهُمْ رَوَوْا هذِهِ الأَشْيَاءَ ثُمَّ قَالُوا:

تُرْوَى هَذِهِ الأَحَادِيثُ وَنُؤْمِنُ بِهَا وَلاَ يُقَالُ كَيْفَ؟

وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ، أَنْ تُرْوَى هَذِهِ الأَشْيَاءُ كَمَا جَاءَتْ وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلاَ تُفَسَّرُ وَلاَ تُتَوَهَّمُ ولا يُقَالُ كَيْفَ؟



وَهَذَا أَمْرُ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِي اخْتَارُوهُ وَذَهَبُوا إِلَيْهِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ: يَعْنِي: يَتَجَلَّى لَهُمْ.

والله أعلم بما سيكون فإن الله لا يظلم أحداً أبداً ولقد نَشَرَ رحمته بين العباد. وبموت الموت ينتهي يوم الحساب، ولا علم لأحدٍ من كان، ماذا بعد ذلك.

*** قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم):

فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ حَتَّي يَضَعُ رِجْلَهُ فِيهَا (أي الله تعالى) فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِىءُ وَيَنْزَوِى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ عزّ وجلّ أَحَداً.

وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ عزّ وجلّ يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقاً آخَر.

(أو كما قال من حديث أبى هريرة رواه البخاري)

هذا مختصر ما أراد الله تعالى إطلاعنا عليه، وبه آمنا وسلّمنا لله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكن له كفوًا أحد، خالق السماوات والأرض وخالق ما نعلم وما لا نعلم وسبحان الله العلي العظيم، هو الأول والآخر وله الأمر من قبل ومن بعد.

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ

وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ

أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ البقرة

والصلاة والسلام عليك يا علم الهدى وأكرم المرسلين.

اللهم اقبل صلاتنا علي نبيّك الكريم وعلي آله وصحبه أجمعين ومن تبعه إلى يوم الدين، واجعلنا من عبادك المخلصين واكتبنا مع عبادك الصالحين.

اللهم وأوردنا على حوض نبيك الكريم وأكرمنا بشربة ماء لا نظمأ بعدها أبدًا، آمين.

ولا إله إلا الله. وسبحان الله. والحمد لله. والله أكبر. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.